

كتاب

الرسالة الحميدية

في

حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية

تأليف

نادرة زمانه وعلامة دهره واوانه

حضرة استاذ العصر

مولانا الشيخ

حسين افندي الجسر

عفي عنه

بمنه وكرمه

—————

طبع بنفقة السيد حسن افندي القرق

وحقوق طبعه راجعه اليه

وكان طبعه برحمة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فيقول الفقير الى عفو مولاه حسين بن محمد الجسر الطرابلسي انني في هذا الاثناء وجدت في جرائد بلادنا الشامية بعض مقالات مترجمة عن جرائد اورباوية منسوبة لبعض احبار الانكليز المدعوا اسحق طيلر قد حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين واقامة الدلائل على تقاربهما وتشابه كتبهما وان الاختلاف بين الطائفتين ليس الا في امور غير جوهرية وذكر في احدى تلك المقالات انه اتي البلاد المصرية لمخالطة الاسلام واستكشاف حقيقة دينهم لبلوغ هذه الغاية وكلامه وان كان صريحاً بهذا المقصد ولكنه يشف عن استحسان الدين الاسلامي ويرنو الى دفع اعتراضات يوردها بعض احبار بلاده على المسلمين فيعارضهم بورود امثالها عليهم ويدعوهم للنصفة ولاعتبار الدين الاسلامي اول مساعد على تمدن الامم المتوحشة التي يدعون حرصهم على تمدنها مستدلاً بان

الذي شوهد في افريقيا ان تلك الامم هناك اسرع قبولاً للدين الاسلامي من سواء وهو اقل في تهذيب اخلاقهم وتعزز انفسهم من كل ما عداه وما ذاك الا لمطابقته لصريح العقول وسهولة فهمه عليها وقد انتشر هناك في هذه السنين انتشاراً غريباً مع عدم المبشرين به والداعين اليه ومع ذلك كله فالناظر في كلام هذا القس لا يقطع بحقيقة مقصده وان كان يتخيل للفكر ان بحثه في هذا الشأن للتوصل الى كشف الحقيقة لبني جلدته واقناعهم بالصواب اعانه الله تعالى على عمله الذي يرضى الله تعالى وبلغه مقصده فيه وبلغني ايضاً ان بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعى هذه الايام ببناء معبد للاسلام في البلاد الانكليزية وانه يباشر هناك بنشر جريدة عربية ليكون جل مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله لدى غير العارفين بها وقد رغب هذا الرجل بواسطة احد اذكاء المسيحيين اللبنانيين الموجود الآن في لندن من بعض فضلاء بلدتنا ان تقدم بعض مقالات للجريدة المذكورة في هذا البحث الرفيع وفقه الله لما فيه خير العالم الانساني وما يرضى مولانا جل وعلا وقد خطر لي حيث وجدت مجالاً للكلام وممبغاً للنداء ان احرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي وكيفية تحققه لمبتغيه

على أسلوب جديد سهل الفهم لا تملأه إلا نفس ولا تستوعده إلا أفكار
يروق العقول الحرة ويعجب الأذهان المطلقة عن قيود التعصب
إن شاء الله تعالى وحيث أن الحامي للدين الإسلامي والمؤيد
لشعائره والمحافظ على أوامره هو حضرة مولانا أمير المؤمنين
وخليفة رب العالمين حامي حمى الإسلام ومشيد أركان شريعة
المصطفى عليه الصلاة والسلام السلطان الأعظم والحقان الأفخم
السلطان بن السلطان السلطان (الغازي عبد الحميد خان) بن
السلطان الغازي عبد الحميد خان أدام الله أيامه ونصر أعلامه
وأمدّه بالامدادات الإلهية والتوفيقات الصمدانية فكان من كمال
حظ هذه الرسالة وطالع سعدّها الأكبر أن تكون لاسمه الكريم
منسوبة وفي صحائف حسناته مكتوبة أذ هي حسنة من حسنات
عصره السعيد وقطرة من بحار تقدم رعاياه في منهج المعرفة
والتسديد فسميتها (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية
وحقيقة الشريعة المحمدية) فاسأل الله تعالى التوفيق لطرق
الصواب وهداية قلوب ذوى الإلباب للنظر في عاقبة يوم المآب
إنه قريب مجيب وهذا وإن الشروع بالمقصود بعون الملك المعبود
فأقول قام رجل بين جماهير بلدة وهو من أول نشأته قد
عرف بينهم بالصدق والأمانة ولم يعهد عليه تزوير ولا احتيال

باطل كما انه معروف لهم بانه امي لا يقرأ ولا يكتب فضلاً عن
اقتداره على تقليد خط سواه ولم يسبق له معاناة بوضع قوانين
الملوك ونظامات الامم المتكفلة بصالح الرعايا فنادى باعلى صوته
بين اولئك الجماهير وقال يا ايها الناس اني رسول ملككم اليكم
امرني ان ابليكم رسالته وشرح لكم قوانينه التي سنها لكم الآن وهو
يامركم بالسير على مقتضاها والعمل بفحواها وقد كان فيما مضى
من الزمان ارسل اليكم رسلاً غيري بلغوكم عنه قوانين كانت
مناسبة لذلك الزمان الماضي فالآن يامركم بترك كثير من تلك
القوانين القديمة حيث ان الزمان الذي كان يناسبها وتناسبه قد
انقضى ويوجب عليكم اتباع هذه القوانين الجديدة التي ارسلني
بها كما يوجب عليكم ان تهجروا العوائد التي اخذتموها عن اسلافكم
او ابتدعتموها باهوائكم لم يكن امركم بها وقتاً من الاوقات وانما هي
عادات قبيحة يابها العقل ويميجها الطبع وترجع عليكم بالضرر
وكثير منها هو لنعم الملك كفران وعلى ضعفاء رعيته عدوان فعليكم
بتصديقي وسلوك طريقي حتى ابين لكم ما يرضى الملك وما يغضبه
فاجابوه باجمعهم وقالوا له مهلاً ايها المدعي مقاماً عظيماً ومنصباً
جسيماً لقد كلفتنا بدعواك هذه سلوك طريق يصعب علينا سلوكه
وتنفر منه نفوسنا وتشماز عقولنا وتضطرب من تصور احتمال له

افكارنا الا اذا تحققنا ان ملكنا المصدق علينا النعم والمستأثر
 ارواحنا بالكرم هو يأمرنا به ويرضاه لنا فاننا حينئذ لا يسعنا الا
 الانقياد والتسليم اليك والتصديق برسالتك والاقبال على
 اطاعتك لما لملكنا علينا من الامر النافذ والسلطان القاهر ولعلمنا
 انه لا يختار لنا الا ما فيه صلاحنا حساً ومعنى فهل لصحة دعواك
 من برهان وهل معك دليل يضطرنا الى الخضوع لك والايان
 فقال ذلك الرجل نعم يا ذوي الالباب وهل يليق بالعاقل
 التصديق بدعوى الا بدليلها المرشد الى الصواب ان معي كتاباً من
 الملك بخطه وختمه وانشأه المعلومة لديكم يقول فيه ان فلاناً وهو
 انا حامل كتابي هذا المتحلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه للبيان
 هو صادق في كل ما يبلغكم عني وهو رسولي اليكم ليشرح لكم
 القوانين التي سننتها لكم لتعود بالنفع عليكم فامثلوا اوامرهم واجتنبوا
 نواهيهم فقالوا له ابرز لنا هذا الكتاب الذي تدعيه حتى يتميز
 الصدق من المين وتزاح الشبهة من البين فحينئذ ابرز لهم كتاباً
 والقاء بين ايديهم واجتمع للنظر فيه قاصيم ودائهم فنظروا
 باجمعهم فيه وقرأوه وفهموا معانيه فاذا هو طبق ما الرجل يدعيه
 مشتمل على خطاب الملك لاولئك الجماهير بان هذا الرجل
 الحامل كتابي المتحلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه هو رسولي

اليكم وهو صادق فيما يبلغكم عني من دقيق وجليل فامثلوا اوامره
واجتنبوا نواهيه وخذوا عنه القوانين التي سننتها لكم الى آخر ما
ادعى ذلك الرجل من وظائفه التي فوضها الملك اليه وقد كان
اوائك الجباهير في قوة المدارك ومعرفة طرق الاستدلال متفاوتين
ومفترقين عدة طوائف اذ من المعلوم ان العلم لا يوجد جميعه عند
واحد ولكنه يوجد عند الجميع

(فطائفة) منهم كانوا يعرفون خط الملك حق المعرفة ولا
يشبهون فيه ويعلمون انه لا يقلد فعند ما نظروا ذلك الكتاب
قالوا هذا خط ملكنا فهذا كتابه بلا ارباب فمن قد ادعنا لما فيه
وصدقنا هذا الرجل فيما يدعيه

وطائفة منهم كانوا يعرفون ختم الملك اتم المعرفة ويعلمون
انه لا يقلد ايضاً فحينما نظروا اليه قالوا هذا ختم ملكنا الذي
لا يقبل التزوير فمن ايضاً قد صدقنا هذا الرجل بلا تكبير
وطائفة منهم كانوا يعرفون انشاء الملك واساليبه الملوكة
وخطاباته الساطانية التي يقصر عن بلاغتها سواء فقالوا نعم ان
انشاء هذا الكتاب هو انشاء ملكنا المعلوم لنا اختصاصه به وهذا
الخطاب خطابه الذي نعهد منه في مخاطباته رعاياه فمن ايضاً قد
صدقنا هذا الرجل فيما ادعاه

وطائفة منهم لم يكونوا يعرفون شيئاً مما تقدم ولكن كانوا يعرفون ان عند الملك انواعاً من التحف والذخائر التي لا توجد عند سواه من اكبر الاغنياء واعظم الملوك فقالوا لذاك الرجل ان برهان صدقتك عندنا ان تحضر لنا من عند الملك التحفة الفلانية والتحفة الفلانية من تلك التحف المخصصة بخزائنه فقال لهم افعل ان شاء الله تعالى وبعد مدة وجيزة احضر لهم ما طلبوه ونظروا اليه وتحققوه وهم يعلمون انه لا يمكن احضاره الا باذن الملك وارادته اذ هو محصن بخزائنه غاية التحصين فعند ذلك صدقوا ذلك الرجل في دعواه على اكل وجهه

وطائفة منهم قالوا ان ملكنا كان فيما مضى من الزمان قد ارسل لنا رسلاً واصحبهم بقوانين تناسب ذلك الوقت وتكفي احتياجاته وقد برهنوا على ارسال الملك اياهم بما اثبت دعواهم وكانوا يقولون لنا ان الملك مزمع على ارسال رسول اليكم ياتي بعد زمان من ايماننا هذه ويصحبه بقوانين تنكفل باصلاح شؤنكم وتناسب الزمان الذي يرسله فيه وتقوم باحتياجاته وان ذلك الرسول توجد فيه علامات هي كذا وكذا وذكرنا لنا علامات كثيرة لا يصدق العقل بوجودها باجمعها في شخصين فمن الان نتأمل فيما جاء به هذا الرجل وادعى انه من عند الملك فان كان

موافقا لما قاله اولئك الرسل ووجد فيه تلك العلامات التي
ذكروها لنا نعم انه صادق فيما يدعيه وان كان الامر بخلاف ذلك
رفضنا دعواه بلا ارباب فعندما تأملوا قوانينه التي يدعي انه
مرسل بها وجدوها طبق ما اخبرتهم به الرسل المتقدمون وبحثوا
عن العلامات التي قالوا انها توجد فيه فوجدوها موجودة ظاهرة
فيه بلا تمويه فعند ذلك صدقوه بدعواه ايضا واتبعوه اكمل
الاتباع

وطائفة منهم قالوا الاحوط ان نتروى ونتخلف فيما يامرنا
به ذلك الرجل وما ينهانا عنه وفي تلك القوانين التي يدعي انها
من عند الملك فان كان يامرنا بما نعهده مطابقا لرضى ملكنا وينهانا
عما نعهده خلاف رضاه وراينا القوانين التي جاء بها هي طبق
ما نعهده ايضا من قوانين الملك متكفله بخير الوطن رافعة عن
الناس شرور المعن لاسيما اذا رأينا ذلك الرجل لا يامر بشيء يعود
عليه بصالح خاص به بل مطالبه عائدة بالنفع العام لجميع الشعب
نعم انه صادق في دعواه وان كان الامر بخلاف ذلك كله نعم انه
كاذب بمدعاه فعندما نظروا الى اوامره وجدوها طبق ما
يعهدونه مرضيا لملكهم وراوا قوانينه كذلك متكفله بخير البلاد
ونجاح العباد ورفع الفساد ولاصالح له خصوصي في كل ما يامر به

وينهى بل هو مشتمل على ما يجلب الخير ويدفع الضرر محمواً على
تعليمهم شكر الملك على انعاماته عليهم وبالحقيقة ذلك الشكر
عائد بالمنافع اليهم فعند ذلك جزموا بصدق ذلك الرجل بما
يدعيه وخضعوا له اتم الخضوع

وطائفة منهم قالوا لاشك ان جميع ما يدعيه هذا الرجل
يبتنا وما ينشره من القوانين وما هو عازم على اجرائه من التصرف
باحوال من يتبعونه من رعية ملكنا لا بد ان يعلم به ملكنا ومن
المحال ان لا يعلمه لظهوره علنا بين الخاص والعام ومثل ذلك لا يتم
كتمانهم ولو عن اقصى البلاد فان كانت دعواه صحيحة اقره
الملك على اعماله ولم يرسل اليه من يكذبه ويقبض عليه وعلى
من يتبعه ويعاقبهم اشد العقاب وان كان كاذباً في دعواه مزوراً على
الملك خطه وخنمه ومتلاعبا في رعيته حسب هواه فلا شك ان
الملك في اسرع وقت بعد ما يعلم خبره يرسل من يكذبه بدعاه
ويقبض عليه وعلى اتباعه وينزل بهم النكال الشديد لان هذا
الاقترا لا يكون حقيراً عند ملكنا الحكيم الحازم بل هو امر من
اعظم الامور يستحيل ان يعفو عنه او يتساهل فيه فصبر اولئك
القوم مدة من الزمان كافية لان يعلم الملك خبر ذلك الرجل
ومضت الليالي والايام التي لا يصدق العقل معها انه يخفى على

الملك خبره ومع ذلك لم يرد من جانب الملك من يكذب ذلك
الرجل ويقبض عليه وعلى من يتبعه وينزل بهم النكال ويمنع
الناس عن العمل بقوانينه التي نشرها بينهم في جميع الشؤون
والاحوال بل لم يزل ذلك الرجل يزداد اتباعاً يوماً ف يوماً ويعلو
شانه حيناً فحيناً فعند ذلك جزم أولئك الطائفة بصدق ذلك
الرجل واتبعوه أكمل الاتباع

وطائفة منهم لم تسبق افكارهم الى تلك الادلة التي وصلت
اليها افكار أولئك الطوائف السابقة وانما تأملوا في شان هذا
الرجل وفي متابعة أولئك الطوائف له وفي الوجوه والدلائل التي
حملتهم على تصديقه والتسليم اليه فقالوا ان هؤلاء الاقوام الذين
اتبعوا هذا الرجل لاشك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة
ومستعدون للاستدلال على الحقائق والتوصل للصواب وزام
قد تركوا عوائدهم المألوفة لهم والموروثة عن اباؤهم وهجروا اكثر
قوانين ملكهم التي كان قد سنّها في الزمان الماضي كل ذلك بسبب
تصديقهم هذا الرجل ولا شك ان هجر مثل تلك العوائد المذكورة
يصعب عليهم جداً وانهم يعلمون قطعاً ان تركهم لكثير من
القوانين التي كان سنّها لم الملك ان لم يكن بامره ورضاه يستحقون
انتقامه الشديد فتصديقهم هذا الرجل لابد ان يكون ناشئاً عن

تحرير ادلتهم التي اعتمدوها في تصديقه ولولا انها ادلة قاطعة
اوصلتهم الى الصواب لما كانوا جروا بمقتضاها ولما هجروا مألوفاتهم
وتعرضوا للانتقام ملكهم ولكانت عقولهم السليمة تمنعهم ان
يقدموا هذا الاقدام ويخاطروا هذه المخاطرة اعتماداً على دليل
ضعيف او هوى نفس وخيم العاقبة فانفاقهم جميعاً على تصديق هذا
الرجل مع تنوع ادلتهم لاشك انه حجة اخرى مستقلة تثبت دعواه
اذ ان من المحال الذي لا يصدق العقل ان يكون ذلك الاتفاق
من اولئك القوم العقلاء وتوفر تلك الادلة التي وضعت لهم
حاصلاً بوجه الصدفة ولا يقول بالصدفة في ذلك الا مكابر فحن
اعتماداً على جميع ما تقرر لدينا على هذا الوجه المشروح وهو اتفاق
هؤلاء الجماهير بهذه الكيفية التي لا تكون بوجه الصدفة ولا تنشأ
الا عن تثبت وتحقيق تام من اولئك العقلاء قد صدقنا هذا
الرجل فيما يدعيه وامثلنا جميع ما يامرنا به مقرين بانه رسول
ملكنا بلا اشتباه

وطائفة منهم كانوا ممن اغفلهم امر معاشهم واستغراقهم في
لذاتهم فهم لا يعلمون ان للناس ملكاً متولياً عليهم وان حقيقته
انه كبير له السلطة التامة على شؤون جميع الناس بحيث يتصرف
في احوالهم بموجب العدل حتى يمكنه ان يجمع الاموال الكثيرة

منهم التي لا يتوفر جمعها لغيره وانه يمكنه ان يقتنى التحف الفاخرة
 التي يمتنع على سواه ان يقتنيها لانفراده بانقياد الناس اليه مادة
 وادباً فيمكنه جمع قواهم الحسية والمعنوية الى قوته فيبلغ بذلك
 ما لا يباغفه غيره وكانوا ايضا من غفلتهم يظنون ايضا ان امور
 الناس ومجرى احوالهم ومعاملاتهم بمقتضى القوانين التي بين
 ايديهم كل ذلك ليس بتدبير ملك واختيار متصرف متسلط
 بل يتوهمون ان ذلك جميعه جار على طريق الاعتياد ومقتضى
 تقلبات الزمان وطوارق الحداث حتى صار ذلك ناموساً مألوفاً
 جارياً بلا تغلف الفته الطباع وخلافه عندها لا يستطاع فهم
 بالاحرى ان لا يعرفوا رسلاً للملك وكيفية ارسالهم ووضع القوانين
 من جانب الملك وانها باختياره وان له تبديلها بسواها فهو لاء القوم
 لما سمعوا دعوى ذلك الرجل التي ادعاها في بلدتهم على رؤس
 الاشهاد ونظروا الى شؤن اولئك الطوائف معه وانهم كذبوه
 اولاً وحاوروه ثم انقادوا اليه وصدقوه تنبئت افكارهم
 واستيقظت الباهد ومن يسمع يخل فقال بعضهم لبعض ان
 هذا الامر مهم جداً فان كان يوجد للناس ملك متسلط عليهم
 غاية التسلط وشانه في تلك السلطة ان يتصرف في احوالهم وان
 يجمع اليه قواهم ويتحلى بغناهم وهو الان مرسل هذا الرجل ويامرنا

باتباعه وبقينا نحن في غفلتنا هذه لانتمثل له امرا ولا نرفع له
 ذكرا فلا شك ان عاقبتنا تكون وخيمة علينا اذ لا بد ان هذا
 الرجل يبلغه حقيقة حالنا وعدم التفاتنا اليه فينتقم منا اشد الانتقام
 ولا يعذرنا بجهلنا وغفلتنا عن سلطانه فالصواب لنا ان نتأمل في
 كلام هذا الرجل ودعواه وفي شؤن هؤلاء الجماهير الذين
 خالفوه ثم اتبعوه حتى نتوصل الى حقيقة الحال أهو صادق فنتبعه
 ام كاذب فبالكذب نصدعه فاخذوا يتأملون في ذلك مع كامل
 التحري واتم البحث فبعد تأملهم الصريح وتحريهم الكامل وبمحموس
 التام عن حقيقة الصواب نتج لهم ما ملخصه اننا وان كنا لانعرف ان
 في الكون ملكا ولا نعرف خطه ولا ختمه ولا انشاء ولا شيئا من
 قوانينه حتى نقابل بها ما جاء به هذا الرجل ولا نعرف اخبار
 الرسل المتقدمين في شأنه ولا العلامات التي علموه بها فلا اقل من اننا
 نعتبر شهادة هؤلاء الجماهير الكثيرة الذين قالوا انهم يعرفون تلك
 الامور جميعها ويتحققونها وقد اتخذوها عمدهم في تصديق هذا الرجل
 وسلوكهم في سبيل يصعب عليهم سلوكه لولا تيقنهم بصدقه
 فاتفقوا على ذلك وهم عقلاء وتصريحهم بشهادتهم انهم يعرفون
 تلك الادلة ولا يرتابون فيها وانها كافية للتصديق وسلوك هذا
 الطريق الذي فارقوا فيه مألوفاتهم وبعض ما امرهم به الكبير

الذي دعوه باسم المالك هو دليل لنا كاف على صدق هذا الرجل
 فيما يدعيه فان ذلك كله لا يكون ناشئاً بطريق الصدفة او عن
 عيب او هوى نفس او مداينة تحمل اولئك الاقوام على الامر
 الخطير واذا اهملنا هذا الاستدلال وقطعنا النظر عن شهادة
 هؤلاء الاقوام في شان هذا الرجل وعن جميع ما اجروه معه فلا
 يمكننا ان نهمل النظر فيما احضره من التحف الفاخرة التي طلبت
 منه وشهد له طلابها بانها من عند المالك ولا توجد عند سواه ولا
 يمكن احضارها الا باذنه ونحن كذلك نرى انه ليس من شأن هذا
 الرجل قطعياً ان يوجد عنده مثل هذه التحف بل بمقتضى شأنها
 وعزتها وقلة امثالها تجزم عقولنا بانها لا توجد الا عند من له السلطة
 التامة والتصرف المطلق في اموال الناس قادر على جمع قواهم الحسية
 والمعنوية الى قوته حتى تبلغ درجة يمكنه معها ان يقتني مثل هذه
 التحف النفيسة فاحضار هذا الرجل لها عندما طلبت منه هو
 دليل كاف على وجود كبير متصف بتلك الصفات السامية
 يسمى ملكاً وانه هو الذي ارسل ذلك الرجل البنا وصدقه في
 دعواه بتسليمه له تلك التحف عندما طابت منه فاعتماداً على
 ذلك كله قد جزمنا نحن بوجود ملك للناس وبارساله هذا الرجل
 البنا وخضعنا له اتم الخضوع وانقدنا اليه كامل الانقياد

هذا وقد كان يوجد بين اهل تلك البلدة من كل طائفة من
 الطوائف المتقدمة اناس اخذتهم عزة النفس وعتو الانفة والتهاك
 على ما اعتادوا عليه موروثة عن ابائهم فتصوروا ان هذا الرجل
 اذا سلمنا له دعواه فلا بد ان يصير هو الامر علينا ونحن المأمورين
 له وكثير منهم قد كانوا امراء بين اقوامهم متميزين على اقرانهم
 فصعب عليهم تصديقه والخضوع له بسبب تلك الوسوس فاصروا
 على تكذيبه ظاهراً وقلوبهم مملوءة بتصديقه ولكنما غلب هواهم
 العاجل على عقولهم وهان عليهم انتقام الملك الآجل بما سكنت
 اليه نفوسهم من اختيارها الباطل وهكذا يوجد من الحمقاء من
 تراه عند انفعالاته النفسية من نحو عزة النفس او الغضب او
 الغيرة او التعصب الباطل يغمص الحق وينصر البطل ويهون
 عليه الخطر العظيم ثم يندم بعد ذلك حين لا ينفعه الندم ثم اخذ
 اولئك المعاندون يؤولون كل دليل من الادلة التي اعتمد عليها
 سواهم من اولئك الجماهير بتاويلات واهية وتمحلات ساقطة
 ويصرفون كلامها عن دلالتها بطرائق فاسدة لا يقبلها حريج
 العقل ولا يشهد بها الضمير الحر وتارة يغلطون اولئك الاقوام في
 استدلالهم بغير سند يعتمد عليه وغفلوا عن امر لا يغفل عنه الا
 البليد الجاهل بطرق الاستدلال ولا ينكره الا متجاهل مكابر

يدعى جواز وقوع المحال وهو انه لو سلم لهم بالفرض ومجازاة
 الخصم تأويل كل دليل على حدته لا يسلم العقل السليم والضمير
 الحر انه بطريق الصدفة قد توفرت تلك الدلائل لتصدق ذلك
 الرجل وتيسر له ان يصورها مع فسادها بصور الادلة الصحيحة
 ويموهها على اولئك الجماهير حتى اقنع افكارهم بتصديقه واخرجهم
 مما القوه الى غير ما القوه على ان بعض تلك الدلائل لم يكن ذلك
 الرجل مقيماً لها عليهم ولا ساعياً بتدوينها لديهم وانما اوصلتهم اليها
 عقولهم بعد التأمل والاستبصار ولا صنع له فيها البتة ووجود
 العلامات التي قالت الرسل قبله انها توجد فيه لا يصدق العقل
 ايضاً ان يكون في قدرته احداثها في نفسه واحواله وقد جهل
 هؤلاء المولون ان الاشياء المجتمعة لها حكم غير حكم كل فرد منها
 على انفراده فلها من القوة ما ليس له وهذا مسلم في المحسوسات
 والمعقولات فشهادة الفرد غير شهادة الافراد الكثيرة المجتمعة
 وهذه تفيد ما لا تفيده الاولى وتعطى من القوة ما لا تعطيه
 وكذلك الادلة الكثيرة المجتمعة على نتيجة واحدة تنفع الضمير
 وتبعده عن الركون للتأويل ما لا يفعله الدليل الواحد والدليلان
 فاذا سلمنا ان ذلك الرجل تيسر له تقليد خط الملك فكيف
 يصدق العقل انه مع ذلك تيسر له تقليد ختمه واشيائه وموافقة

القوانين التي سنّها الملك سابقاً واحضاره التحف التي لا توجد الا عند الملك ولا يمكن احضارها الا ارادته وكيف اتفق مع ذلك ان توجد فيه العلامات التي كانت الرسل المتقدمون ذكروا انها توجد في الرسول الذي في عزم الملك ان يرسله بعد حين وكيف خفي ايضاً امر دعواه على الملك بعد اشاعته في البلدة ومرور مدة كافية لبلوغ خبره للملك ولم يرسل اليه من يكذبه ويعاقبه وبالحق انه لا يصح على القول بتلك التأويلات واعتقاد الصدفة بتلك الموافقات الا مكابر جامد على هواه وتعصبه الا عني يستحق اهمال كلامه وعدم الالتفات اليه

وقد وجد من كذب ذلك الرجل فرقة لم يعملوا فكرهم في الاستدلال على صدقه او كذبه فغاية ما كانت منهم انهم بقوا متمسكين بما القوه من قديم الزمان موروثاً عن اسلافهم وقالوا انا لا نترك ما نحن عليه ولا نفارقه الى سواء تمسكنا اعمى وتعصباً اعشى وهؤلاء القوم لوقيل لهم ان هذا الرجل اذا كان صادقاً في دعواه يخشى عليكم من انتقام الملك بسبب عدم اتباعه لم يكن لهم من الجواب الا قولهم انه كذاب ونحن لا نصدق فيما يدعيه فهذا غاية ما عندهم من الجواب الناشئ عن الجمود البارد والفكر الخامد فهؤلاء الخاملون هل يظلمهم الملك بانزال انتقامه بهم لا والله لانه

لو قيل له عند ارادته عقاب من كذب رسوله ان هولاء معذورون
 في تكذيبهم اياه لعدم ظهور دليل لهم على صدقه كان له ان يقول
 لو كنت اراهم عديمي العقول فاقدني الادراك في امر معاشهم
 لكنت عذرتهم وعفوت عنهم ولكني اراهم في امور معاشهم
 وصوالهم الخاصة بهم ذوي عقول وتنبه تام وتيقظ كامل كاف
 لبلوغهم ما يريد فكأن عليهم ان يوجهوا هذه القوى التي
 يستخدمونها في تعيشتهم وصوالهم الى التسامح في دعوى ذلك
 الرجل والاستدلال بواسطتها على صدقه او كذبه كما يستعملونها
 في استدلالهم على اخصامهم عند منازعتهم في اغراضهم فاذن
 هم عندي غير معذورين بل تهاونهم في الالتفات الى كلام رسولي
 والتأمل في دعواه هو الذي اعمى عين بصيرتهم ووقعهم في خطأ
 تكذيبهم اياه وبذلك يستحقون انتقامي وسلب انعامي فانا انتقم
 منهم بهذا الوجه الظاهر الجاري على موجب العدل

ثم ان ذلك الرجل المدعى ارسال الملك اياه بعد اتباع اولئك
 الجماهير له لم يزل مهتماً باقناع الذين لم يصدقوه وهم الفرقة
 المكابرة المتعمدة عليه بالتاويلات الواهية والفرقة المكذبة له بدون
 التفات الى الدلائل فجعل دائماً يقدم لهم النصائح ويوضح لهم الادلة
 ويوقظ افكارهم لما فيه صلاحهم وهم مع ذلك لا يزدادون الا

نفوراً ومكابرة وجموداً فلما اعياء امرهم وتحقق انه لا ينجع فيهم عمل
البرهان وراهم قد انتصبوا له ولا تباعه اعداء الداء يترقبون الفرص
للأضرار والاذى جرد لهم السيف وناصبهم الحرب بأمر الملك
الذي ارسله

اذا المرء لم ينجع به النصيح لم يكن له رادع الا العصف فوق راسه
فاستعان بمن اطاعه على من عصاه وقامت بين الفريقين الحرب
على قدم وساق وحاصل الامر بعد ما استمرت الحرب بينهما بحال
سنة الله في خلقه اذ جعل الامر دولا انه انتصر ذلك الرجل
على مخالفه والعاقبة للمتقين فقتل بعضهم اذ لا دافع لاذاهم الا
القتل واتلاف المؤذى امر معقول مقبول وبقتلهم سلامة المدينة
من الدمار

(وقطعتك العضو المريض ان يكن به حياة المرء عين الواجب)
واستأسر بعضهم كسر الشوكة اذاهم بضرب الاسترقاق عليهم
وجزاء لمخالفتهم رضاء ملكهم واخضع بعضهم لامثال بعض اوامره
التي تكف بأسهم عن الاضرار به وباتباعه وشرط عليهم ان
لا يجاهروا بتكذيبه وان كانوا باطناً مكذبين حفظاً لابهته وحذراً
من انصداع افكار متبعيه وان يدفعوا اليه من مكاسبهم ما يكون
عوناً على تدبير شؤون البلدة وابقى مجازاة تكذيبهم له الى حضور

الملك يفعل بهم ما تقتضيه حكمته والبعض منهم خرج من البلدة
 والتجأ الى المعقل والجبال وهؤلاء ايضاً لم يهمل محاربتهم كلما
 امكنته الفرصة املاً في رجوعهم الى تصديقه وحذراً من كرم
 عليه وعلى اتباعه بالاذى عند قدرتهم عليه وقد انذرهم بانه وان
 خلصوا من انتقامه بتحصنهم فلا يخلصون من انتقام الملك متى
 حضر وظهر عليهم فانه يفعل بهم حينئذ ما يستحقونه بمقتضى
 العدل والحكمة

والبعض منهم الجأهم الخوف او الطمع الى التصديق ظاهراً
 واضمروا في قلوبهم الكذب فالحقهم ذلك الرجل باتباعه
 وعاملهم معاملة اشياعه لانه كن يقول اني مامور من الملك ان
 اعتبر ظاهراً من يتبعني لان البحث عن بواطنهم ربما افسد على
 كثيراً منهم بعد ان يكون صادقاً ويفتح لاعدائي باباً ان يقولوا
 عني اني مرتاب في اتباعي وغير مطمئن لهم وهؤلاء القوم المتلبسون
 متى انكشف حالهم للملك فيما بعد واطلع على بواطنهم وانهم لم
 يتبعوا رسوله الا خوفاً او طمعاً وهم يبعضونه اشد البغض ويتربصون
 الفرص لاذيته واذية اتباعه الصادقين فلا شك انه ينزل بهم اشد
 النكال ويذيبهم الالهوال اذ هم اعظم ضرراً من سواهم ولا يؤمن
 في جميع الاحوال اذاهم

والبعض منهم الجأهم الخوف او الطمع بما في ايدي ذلك الرسول
وايدي اتباعه من الاموال التي يجمعها لاصلاح شان المدينة الى
التصديق والخضوع ظاهراً وهم في الباطن مكذبون ولكنهم بعد ما
خالطوا ذلك الرجل واختبروا احواله وفهموا حقيقة القوانين التي
ادعى ان الملك ارسله بها وشاهدوا معاملته مع اتباعه بكل استقامة
وانه لا يامر الا بالخير ولا ينهي الا عن الشر انشرفت قلوبهم
لتصديقه ظاهراً وباطناً فصدقوه كذلك وصاروا من خيار اتباعه
واكرم انصاره

اذا احطت خبراً بجميع ما حررناه وفهمت رموزه وخفاياه وظهر
لك في شان هذا الرجل ان العقل الحر السليم الخالي عن الهوى
والتعصب الاعمى المطلق من قيود التقليد وخجل الخروج عن
الخطأ الذي اعتاد عليه يحكم بصحة دعواه وانه رسول الملك بلا
اشتباه لان اتفاق تلك الدلائل لا يكون بوجه الصدفة عند كل
ليب عاقل فاعلم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه
الصلاة والسلام قد نقل لنا بالتواتر اي نقل لنا الجماهير الكثيرة
الذين لا يحصى عددهم ويحيل العقل تواطئهم على الكذب
كاحالته مثلاً تواطئ الناس جميعاً على الاخبار بوجود مكة
وهي غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهم جراً عن

الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوه ونظروه راي العين
 واحاطوا باحواله وبما جرى له في مدة حياته مع الامر حتى تم له
 تصديق الالوف من اتباعه بكل ما جاء به انه بعد ما مضى له من
 العمر اربعون سنة بين قومه وقد عرفوه بالصدق والامانة حتى
 دعوه محمد الامين ولم يجر له في تلك المدة تعلم القراءة والكتابة
 ولم يجتمع مع اهل هاتين الخطتين اجتماعاً يمكنه معه ان يتعلمها
 منهم ويؤهلها ذلك لاكتساب جملة من معارف الامر وشرائع
 الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه في تلك المدة بمعانة شيء
 من ذلك قام بين جماهير العالم من العرب والعجم مع قلة ذات يده
 وقلة انصاره واعوانه وعدم سبق سلطنة في اجداده قد زالت
 فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل على الراسة فادعى ان الله
 سبحانه وتعالى اله العالم ارسله الى الناس كافة لاجل ان يباغهم شرعه
 الذي شرعه لهم ليتكفل بنجاحهم في الدنيا والاخرة وان هذا
 الشرع يناسب زمانه الذي بعث فيه الى انقضاء هذا العالم وانه
 ينسخ به كثيراً من احكام شرايع الرسل الذين بعثهم الله تعالى
 قبله فيما مضى من الزمان الذي كان هذا المنسوخ يناسبه وانه
 ينهاهم عن عوايد واخلاق قبيحة مضرّة بصوالحهم ورثوها عن
 ابائهم او زينها لهم الشيطان واقبح شيء منها عبادة الاوثان والنيران

والاحجار والاشجار وانه يامرهم بتوحيد الله تعالى واعتقاد
 اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه يعلمهم
 كيفية شكرهم لخالقهم على نعمه التي انعمها عليهم وبالحقيقة ذلك
 الشكر عائد بالمنافع اليهم الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير
 ويدفع عنهم الضرر مما حوته شريعته المرسل بها فعند ما سمع منه
 اولئك الجماهير عاليهم وداينهم وسلاطينهم وجبايرتهم هذه
 الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه اشد المعاداة وهجره
 منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان وتحول له الوداء
 اعداء والموافقون اخصاماً الداء ثم اخذوا في مجادلته ومحاولته
 وجرحه منج المجادلة الى طلب حجته وصار كل منهم يطلب برهانا
 على صدق دعواه ويتمحل له التعييز في كل ما يراه وهو عليه
 السلام ينصب لهم الدلائل ويحيب في المقترحات كل سائل ومن
 اعظم الحجج التي استند سيفه اثبات دعواه اليها وجعل معظم
 اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربي يسميه قرآنا
 ويقول انه من عند الله تعالى ارسله به اليهم وهو مشتمل على
 التصريح بانه رسول الله تعالى الى الناس كافة وانه صادق في كل
 ما يبلغ عنه سبحانه وهو متكفل ببيان الشريعة التي شرعها الله
 تعالى لهم وقد جعل عليه السلام يقدهم باقصر جملة منه يسميها

سورة بمعنى انه يستدل على انه من عند الله تعالى بعجز فصحاء
اللسان العربي منهم وبلغائه باجمعهم عن الاتيان بما يساوي اقصر
سورة منه في فصاحتها وبلاغتها واهل ذلك اللسان هم امرء
هاتين الخطتين وفطاحل هاتين الصنعتين وفيهم من بلغ فيهما اعلى
المراتب التي يعجز عن بلوغها كل من سواهم من البشر ولا توجد
فوقها مرتبة يمكن استيلاء القوة البشرية عليها ووصول العقل
الانساني اليها ثم بعد الاخذ والرد والاقبال والصد اخذ اولئك
الجماهير ينضمون الي محمد عليه الصلاة والسلام وينخضعون
لديه ويدخلون في دينه افواجا ويمثلون اوامره افراداً وازواجا
مسلمين له بالرسالة من عند الله الامن لم يرد الله تعالى ان يتولاه
واذا اردنا ان نمثل احوال اولئك الاقوام وشؤونهم معه عليه السلام
حسب ما تدل عليه الاخبار الصحيحة والآثار الثابتة وحسب
الامكانات العقلية التي لو فرض وقوعها تكون نتايجها كما سنقره
في هذه الرسالة اوصلنا التأمل الصادق الى تمثيل شؤونهم معه
عليه السلام بانهم كانوا في شأنه على طرائق مختلفة ومناهج متنوعة
سلكوها حسب استعدادهم وسمو افكارهم وحمودها فطائفة
منهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة العربيين الراجح في ذلك الزمان
بين الامة العربية سوقها فكانتا اشرف علومهم واكرم مفاخرهم وهم

امرأوها العالمون بأساليبهما الحاملون اعلامهما والمحيطون
 بأسرارها وبما هو في طوق البشر من مراتبهما وبما هو ليس
 في طوقهم من ذلك اصحاب الخطب الطنانة والقصائد الرنانة
 لما تمدهم عليه السلام باقصر سورة من القرآن الذي جاء
 به وادعى عجزهم عن معارضته ووصفهم بالضعف
 والقصور عن بلوغ تلك المنقبة واوكان بعضهم لبعض ظهيرا
 منهوا بذلك في كل محفل مشهراله في كل مجفل ومع ذلك
 يسفه احلامهم في عاداتهم وعباداتهم وبطعن في معبوداتهم التي
 عبدوها بضلالتهم اخذوا يتاملون في ذلك القرآن ويسبرونه
 بمسبار التبيان ونقلونه ظهرا لبطن ويتدبرونه تدبر الناقد البصير
 فظهر لهم ان هذا القرآن بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لا يدركها
 القوى البشرية ولو ان بعضهم كابر وعارضه لجاء بالفت البارد
 واصبح مخزية عند الصادر والوارد لان كل امر قوبل بما نفقه
 ويفضله بدرجات سامية تظهر للعقول دناءته وتتضع للافكار
 خداسته وتنحط في الانفس منزلته ولو كان في نفسه سميا فتحقق
 عندهم عجزهم عن معارضته ولو باقصر سورة منه فاقرأ بعجزهم بل
 بعجز البشر وان ذلك دليل على انه من عند خالق القوى والقدر
 فصدقوا جميعا دعوى محمد عليه السلام بالرسالة واتبعوه فيما جاء

به من عند الله على ما يرام

وطائفة منهم كانوا من اهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وتدبر اساليبه التي تروق ذوى الالباب ومشتملاته التي تاتي بالعجب العجائب فظهر لهم بعد التأمل الصادق في ذلك القرآن انه وجدت فيه خواص كاملة لا يمكن في العقل اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل واحوال الامم في شؤنها اجمع والاحاطة في جميع الفنون والاداب والحكم والسياسات وتحرى فيه عدم المضاربة والتناقض وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا ان يكون القائل هو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم وجدوا هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبله تاتي طبق اخباره كوعده اتباع محمد عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هي تحكيات من شاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر من غير ان يظهر ذلك من اصحابها بقول او فعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض اتباع محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وبعض اعدائه (كما في التفاسير وكتب الحديث) وهو مع اتساع مجاله في كل فن من

اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق واداب وترغيب
 وترهيب ومدح الاخيار وذم القجار وتحذير من قبائح السجاياء ومواقع
 الدنيا وتدير السياسات ومراعاة الوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة
 الاخصام وتبكيك الطعام واقامة الدلائل على وجود الباري تعالى
 وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف
 دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها ووصف عالم
 السموات وما في العالم العلوي من الايات من كواكب وامطار
 وسحاب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها
 وبحارها ونباتاتها وانهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات
 ومعادن وازهار واثار واشجار واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان
 يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار
 اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم
 يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن
 مشابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يقتدي
 به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الارجيز البدويه ولا
 من الخطب القسية ومع ذلك فهو في العقول مستحسن وسفي
 النفوس مستملح وفي الاذواق مستعذب وفي القلوب محبوب
 وللإسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اي الافواه سمعته علا وغلا

ولا يصح بضر ك الله تعالى في العقل السليم ان تجتمع كل تلك
الصفات فيه اتفاقا ولا يصدق بالصدقة في ذلك الضمير الحر
فقالوا ان الذي ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات في هذا
الكلام البديع انه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كانت بعضهم
لبعض ظهيرا فاتيان محمد عليه السلام به وهوامي ومن المحال عادة
ان ياتي به اكبر العلماء واحقق الفلاسفة واعظم المؤرخين واكبر
السياسيين دليل واضح على انه من عند الله تعالى ارسل محمدا به
ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه فتمن قد صدقنا دعوى محمد
عليه السلام بالرسالة من عند الله وآمنا بجميع ما جاء به فاصبحوا
من اتباعه واكرم اشياعه

وطائفة منهم لم يكونوا من اصحاب الفصاحة والبلاغة ولم يكن
عندهم قوة النظر والاحاطة بالصفات التي اشتمل عليها القرآن
الدال اجتماعها فيه على انه ليس من مصنوعات البشر ولكنهم
راوا محمدا عليه السلام ادعى الرسالة من عند الله وادعى ان
هذا القرآن من عند ربه وانه يتحدى اهل الفصاحة والبلاغة
بـقصر سورة منه ويدعى عجزهم عن معارضته ويشافهم بذلك في
كل مجمع ويقرعهم بقصورهم عنه على مرأى من عموم الناس
وسمع وراوا ان البعض من اهل الفصاحة والبلاغة الحائزين قصب

السبق في ميادينها قد اقرروا بالعجز عن معارضته وفارقوا دين
ابائهم وقديم عاداتهم واتبعوا محمدا عليه السلام في دينه وسلكوا
معه سبيلا يصعب عليهم سلوكه لولا تيقنهم بانه عليه السلام رسول
الله تعالى يامرهم بسلوك هذا الطريق وراوا ان بعضا اخر من اهل
الانتقاد والبصيرة ومعرفة الصفات الفاضلة للكلام قد شهدوا له
باجتماع صفات فاضلة شريفة في ذلك القرآن لا يمكن اجتماعها
في كلام الا ان يكون من عند الله تعالى فصدقوا محمدا لاجل ذلك
ايضا وفارقوا ما هم عليه واتبعوا سبيله وراوا بعضا اخر من اهل
الفصاحة والبلاغة المشهود لهم بالسبق في هذين الفنين من
جمهور اهلها قد اجمعوا عن المعارضة لذلك القرآن مع تحديه لهم
عليه السلام باقصر سورة منه ومناداته بين الملاة العام بعجزهم عن
معارضته وتقريرهم في كل ناد بذلك العجز ومع ذلك لم يظهر منهم
الا الاصرار على ما هم عليه والالتجاء الى مكافحته عليه السلام
بالحرب فتعرضوا لسفك دماهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم
وتخريب ديارهم وهجر اوطانهم فلو كان في قدرتهم معارضة ذلك
القرآن ولو بمقدار اقصر سورة منه كما تحداهم به لما كانوا اجمعوا
عن المعارضة وتعرضوا للبلاء العظيم فكان يمكنهم ان يولفوا
مقدارا من الكلام الفصيح البليغ مساويا في الفصاحة والبلاغة

لا قصر سورة من القرآن ويقولوا لمحمد عليه السلام هانحن قد
 عارضنا قرآنك وابطلنا برهانك فسقطت دعواك بعجزنا عن
 المعارضة وتبين ان الاتيان بمثل هذا القرآن في استطاعة الانسان فلا
 وايك ما فعلوا ذلك ولو فعلوه او جاءوا بما يقارب المساوي لنقل
 الينا لتوفر دواعيه كما نقل الينا جميع شؤنهم معه عليه السلام من
 هجوله وقذف وسفه عليه وعنف ومعارضة شعراء امته وخطبائهم
 وانما التجوا الى ذلك البلاء العظيم والخطر الجسيم وهم بلا شك
 اصحاب عقول تمنعهم ان يتركوا السبيل السهل المستطاع ويختاروا
 اوعر المسالك واصعب المناهج فاي عاقل يفعل ذلك ويسعى في
 اتلاف نفسه وماله وولده وتخریب دياره وهجران اوطانه بلا ضرورة
 تلجئه الى اختيار الاشق وارتكاب الصعب نعم

اذا لم تكن الا الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبها
 وحيث لا اضطرار فاي شي حملهم على تبشيم الاخطار ما حملهم الا
 عجزهم عن المعارضة والتعصب الاعمى الذي اشقام فاولئك القوم
 لما تأملوا في احوال هؤلاء الفرق الثلاث وتبصروا فيها تبصر
 الناقد البصير قالوا ان شؤن هؤلاء الفرق من اقرار الفصحاء البلغاء
 منهم بالعجز عن المعارضة غير متهمين بالمداينة وانقيادهم الى
 التصديق وقرار اهل المعرفة منهم ببلوغ القرآن الدرجة التي لا تنال

في الصفات الكالية واذعانهم ايضا بصدق محمد عليه السلام
 وظهور عجز بعضهم من اهل الفصاحة والبلاغة عن المعارضة
 باحجامهم عنها والتجائهم الى الصعب الاشق هو دليل كاف لنا
 على صدق محمد عليه السلام في دعواه الرسالة فنحن آمناء به
 وصدقناه

اقول كأن هولاء الطائفة قد كوشفوا باستدلال الجاحظ رحمه
 الله تعالى في بعض كتبه على صحة دعوى محمد عليه السلام
 الرسالة من عند الله بعجز العرب عن معارضته في القرآن الكريم
 ولننقل هنا كلامه في ذلك كلاما يأخذ بمجامع القلوب ويدفع
 الريب عن كل معجوب قال رحمه الله تعالى بعث الله تعالى محمدا
 عليه السلام أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت
 لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله تعالى
 وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبه ومار
 الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة حملهم
 على حظمهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم
 واعلامهم واعمامهم وبنى اعمامهم وهو في ذلك يعتمج عليهم بالقرآن
 ويدعوهم صباح مساء الى ان يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة
 او بايات يسيرة فكما اراد تحديهم بها وثقريعا لعجزهم عنها تكشف

حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا تعرف
 فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فها توها مقتريات فلم يرم ذلك
 خطيب ولا طمع فيه شاعر ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر
 ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم
 انه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع
 كثرة كلامهم واستفعال لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم
 وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان
 سورة واحدة وايات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ
 في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن
 الاوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على
 من هودون قريش والعرب في الراي والعقل بطبقات ولهم القصيد
 العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة
 ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المشور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان
 اظهر عجز ادناهم فمحال اكرمك الله ان تجتمع هؤلاء كلهم في الامر
 الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقرير بالنقص والتوقيف
 على العجز وهم اشد الخلق انفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم
 وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض
 فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين

سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويمجدون السبيل اليه وهم يبدلون اكثر منه انتهى
وطائفة منهم وهم غالبا الذين لاسبق لهم في الفصاحة والبلاغة ولم
تسم افكارهم الى الاحاطة بما حواه القرآن من الصفات الفاضلة
التي لا يمكن جمعها فيه لاحد من البشر ولم يلتفتوا الى عجز من عجز
عن معارضته من اهل تينك الخطتين واترارهم بذلك ولا الى حال
من حملهم العجز على الالتجاء الى المقارعة كانت انظارهم منصرفة
الى عالم الطبيعيات والى النواميس التي تجري على موجبها حوادث
الكون ويعلمون انه ليس في قدرة البشر تغيير شي منها قالوا نحن
نطلب من محمد (عليه السلام) الاتيان بامور تكون خارقة لتلك
النواميس اي خارقة للعادة المطردة في هذا الكون فان جاء بذلك
يكون صادقا لانه اذا خرقت العادة في ذلك على يديه عند طلبنا
ذلك منه يتبين لنا ان الله تعالى خرقتها له تصديقا لدعواه الرسالة من
عنده ويكون اجراء ذلك بمنزلة قوله تعالى صدق محمد فيما يبلغ
عني الا ترى انه لو قام رجل في حضرة ملك وخاطب الحاضرين
قائلاً ان هذا الملك يامركم ان تطيعوني فيما آمركم به فقالوا نحن
لا نصدقك في هذه الدعوى حتى يقوم هذا الملك الآن من مكانه
ويجلس في المكان الفلاني من هذا المجلس فلما سمع الملك كلامهم قام

من مكانه في الحال وجلس في ذلك المكان الذي ذكره ثم اذا طلبوا منه حركة اخرى تصدر من الملك تكون تصديقا له كنزع الملك التاج عن رأسه ووضعه على رأس اخر ففعلها الملك في الحال وهكذا حركة اخرى كمشي سبعة خطوات في المجلس ورجوعه لمكانه ففعلها ايضا فلا شك ولا ريب حينئذ ان تلك الافعال التي صدرت من ذلك الملك على خلاف عادته بمجرد سماع كلامه لا تكون بوجه الصدقة وانما هي بمنزلة قوله صدق هذا الرجل فيما يدعيه لديكم من اني امركم باطاعته ومن يقل خلاف ذلك ويدعي الصدقة في وقوع ذلك يعد من الحمقاء وان عجز محمد عن الاتيان بما نطلبه منه من خوارق العادات كان ذلك دليلاً على كذبه وتكذيب الله له فاخذوا يطلبون منه عليه السلام اجراء خوارق للعادات الجارية في هذا العالم باطراد فبعضهم طلب منه انشقاق القمر فاتي به طبق ما طلبوه وراه رأي العين حاضرهم وغائبهم ممن ورد من امكنة بعيدة متحدة الافق مع مكان الحاضرين فاخبرانه رأي انشقاقه مثل ما رأى الحاضرون

وانشقاق القمر ليس الا من قبيل ما يحصل عند الزلازل من انصداع الجبال العظيمة وانقلاب عاليها سافلها ومن قبيل ما يزعمه

بعض متأخري الطبيعيين من ان الارض وكواكب اخر منفصلات
 عن الشمس وسيعدن اليها يوما بما وكل ذلك من الجائز عقلا
 الداخل تحت تصرف الآله القادر وان كان غير معتاد سواء جعل
 له سبب ام لا وطول الزمان الذي يلزم ان يكون عوضا عن زيادة
 القوة في احداث الاعمال انما هو شرط في جانب القوة الناقصة
 اي قوة المخلوقات لا في جانب قدرة الآله التامة وانما جعل سبحانه
 تلك الازمنة والاسباب في اعماله ذات الاعجاب ابتلاء لاولي
 الالباب يفضل بذلك من يفضل ويهتدى اخرون الى الصواب
 وبعضهم طلب منه ان تسعي اليه شجرة وتكلمه وتشهد له بالرسالة
 فجاء بذلك طبق ما طلب منه

وبعضهم طلب ان يكلمه الضب ويشهد له بالرسالة ايضا ففعل على
 وفق ما طلب منه (وكلام ما ذكر يكون بخلق الله الكلام وصدوره
 من اذلك وهو من الجائز عقلا الداخل تحت تصرف القدرة الالهية
 بناء على المعتمد ان نحو الحياة والادراك والآت النطق ليست الا
 شروطا للنطق عادية يمكن حصوله بدونها او يكون بخلقها ثم صدور
 النطق عما ذكر بناء على انها شروط لازمة للنطق على ما قيل وهو
 ايضا تحت تصرف القادر سبحانه وتعالى)

وبعضهم شهد اتباعه عليه السلام حينما اعوزهم الماء في السفر فطلبوا

منه السقيا فوضع كفه في قليل من الماء فجعل الماء ينبع من بين
 اصابعه وهم يستقون منه حتى اكتفوا وهم كثيرون (وهذا يكون بخلق
 الله تعالى مقدارا من الماء ينضم الى ذلك القليل منه ويظهر
 للرئين انه خارج من بين اصابعه حيث يخلق هناك والله الخالق
 لا خالق سواه وايضا اذا كان انقلاب الهواء ماء هو داخل تحت
 تصرف قدرة الكيماويين فما بالك بقدرة خالق العناصر والكيميا
 والكيماويين) وهكذا من خوارق العادات التي جرت على يديه
 عليه السلام عند ما طلبت منه وقد نقل لنا ذلك بالاخبار الصحيحة
 التي جاء بها العدول وان يكن بعض منها على انفراده لم يبلغ حد
 التواتر فلا شك ان مجموعها بلغ ذلك الحد فانه بلا ارتياب صرح
 متواترا اجمالا انه عليه السلام اتى بخوارق العادات عند ما
 طلبت منه وهذا هو التواتر المعنوي المعتبر عند المحققين من العقلاء
 ولا ينكر تواتر ذلك الا مكابر لا يخجل من انكار الضروريات
 فهؤلاء القوم حين وجدوا انه عليه السلام قد جاء بما يطلب منه
 من خوارق العادات وخلاف النواميس الكونية التي لا يقدر على
 خرقها الا الله تعالى ايقنوا بتصديق الله له باجرائها على يديه عند
 طلبها منه فآمنوا به وصدقوه واعتقدوا رسالته عليه السلام (اقول
 وليعلم ان امثال هذه المعجزات ما كانت الا لقناع عقول من

قصرت افهامهم عن ادراك المعجزات الادبية كما مر في شان القرآن
 وسياتي في شان انتظام الشريعة المحمدية واشتمالها على ما يدل انها
 من عند الله تعالى وفي انطباق العلامات المذكورة في كتب
 المتقدمين على محمد عليه السلام وترجوع من يدعون ادراكهم
 للمعجزات الادبية ان لا تكون تلك المعجزات الحسية عقبة في
 طريق ايمانهم زعما انها تخالف علومهم التي درسوها في مدارسهم
 وترفضها عقولهم بل الصواب في شأنهم والحزم والاحتراص في سعيهم
 ان يعلموا ان هذه الخوارق ما جاءت الا لإقناع من قصر عن
 ادراك تلك الادبيات وان عليهم ان يقتنعوا بما ثقبه عقولهم ثم ما
 لا ثقبه ويرفضه البرهان العقلي القاطع يرجعون فيه الى التاويل
 الجامع بين النقل والعقل كما سياتي ان ذلك هو القاعدة في
 الشريعة المحمدية فيما ورد نقله وظاهره مخالف البرهان والافيصبيون
 كمن يرى الشمس في كبد السماء ويزعم ان الوقت ليل لانه
 تخيل له رؤية نجم طالع فيترك الدليل الواضح على وجود النهار
 ويتشبت بما تخيله من ذلك النجم الذي لم يتحقق وجوده كما تحقق
 وجود الشمس ثم لقصور تحققه ربما يكون مخطئا في رؤيته واعتقاد
 وجوده لسبب من اسباب الغلط فكان عليه ان يؤل رؤيته
 لذلك النجم ان لم يتحقق عدمه ولا يهمل الدليل الواضح على

وجود النهار وهو تلك الشمس المشرقة والله يهدي من يشأ الى صراط مستقيم

وطائفة منهم قالوا ان الله تعالى قد ارسل الينا رسلا فيما مضى من الزمان مصححين بشرائع شرعها لنا تنكفل باصلاح شؤوننا وتناسب الزمان الذي ارسلوا فيه وقد كان اولئك الرسل يقولون ويشيرون الى انه سوف يرسل الله الى الناس كافة رسولا بعد حين بشريعة تنكفل باصلاح شؤونهم وتناسب الزمان الذي يرسل فيه ويوجد في ذلك الرسول علامات هي كذا وكذا ولم يزل كثير من تلك العلامات مذكورا في الكتب التي بين ايدينا المنسوبة لاولئك الرسل فتحن ننظر في حال محمد (عليه السلام) فان كان ما جاء به من الشريعة طبق ما اخبر به الرسل المتقدمون ووجدنا فيه تلك العلامات التي قالوا انها تكون فيه نعم يقينا انه صادق في دعواه وان كان الامر بخلاف ذلك كانت دعواه ساقطة ولا يعبأ بكلامه فلما تأملوا في حاله عليه السلام وجميع شؤنه وجدوا ان شريعته متكفلة باصلاح شؤون الناس على اكل ما يرام (كما سيأتي شرحه في كلام الطائفة التالية لهذه الطائفة) ووجدوا فيه العلامات التي ذكرها الرسل على اظهر ما يكون عند من يرفع التعصب الاعمى والتأويلات الواهية ويروم الوقوف على الحق والخلاص من سوء

العاقبة والنصيحة لنفسه ولولامه قومه وعذله بنوه وتلك العلامات
 لم تنزل مسطرة في تلك الكتب الى الآن وتفصيل ذلك انهم وجدوا
 انه يصدق على محمد عليه السلام كناية اشعيا بقوله (١) ان الرب
 استعلن من جبال فاران ومعه الوف الاطهار وفي عينه سنة النار
 كما ان مجيء الرب من سينافي قول اشعيا كناية عن موسى واشراقه في
 ساعير كناية عن عيسى عليهما السلام لان جبال فاران هي مكة
 كما جاء في سفر التكوين عن اسماعيل عليه السلام انه سكن
 فاران (٢) وقوله معه الوف الاطهار كناية عن اتباع محمد عليه
 السلام الطاهرين من كل الشوائب كما هو مشاهد فيهم (٣) وقوله
 في عينه سنة النار كناية عن مشروعية الجهاد في شريعته ويصدق
 عليه ما في التثنية (٤) انه يقيمه الرب نبيا من وسط اخوتهم وليس
 اخوة اسرائيل الابني اسماعيل (٥) وانه مثل موسى يعني سيفه
 شريعته ومشروعية الاحكام والجهاد فيها (٦) وجعل كلام الرب
 في فمه هو ذلك القرآن الذي اتى به في غاية الكمال ويصدق عليه
 ما في يوحنا (٧) من انه الفارقليط والمعزى الذي يعلم كل شي يعني
 من الحقائق والمعارف التي نراه يعلمها اتباعه (٨) وانه هو المذكر
 بما قاله عيسى عليه السلام يعني من التوحيد والايان والتزهيد في الدنيا
 والترغيب في الآخرة (٩) وانه الذي يشهد لاجل عيسى عليهما

السلام يعني بالنبوة والرسالة وبرآءته مما قيل فيه (١٠) وانه لم يبحى
 حتى يذهب عيسى عليه السلام وكان الامر كذلك (١١) وانه يوبخ
 العالم على الخطيئة فانما نراه يوبخ كل ذي معصية واثم ويصدق عليه
 ما في المزامير وهو (١٢) كونه حسنا فانه في اعلى طبقات الحسن
 (١٣) وكون الحكمة منسكة على شفته وذلك ظاهر في ذلك
 القرآن الذي يتلوه والحكم التي يجلوها والمعارف التي
 يبرزها (١٤) وكونه متقلدا سيفا فهو ملتزم محاربة اعداء دينة
 (١٥) وكونه قويا فهو قوي الحجة متين السياسة قوي الجسم فقد
 صرع اشداء العرب (١٦) وكونه ذا حق (١٧) وكونه ذا دعة
 (١٨) وكونه ذا صدق فهذه الصفات الثلاث ظاهرة فيه (١٩) وكون
 نبلة مسنونة فاستعداده هو واتباعه للاعداء في أدوات الرمي امر
 معلوم وهم مأمورون في شريعته بتعلمه ومن نسيه منهم بعد ان
 تعلمه يحكم عليهم بالاثم (٢٠) وكون الشعب تحته فهو قد استولى على
 الشعب العربي تقريبا (٢١) وكونه محبا للبر (٢٢) وكونه مبغضا
 للاثم فكلا الامرين محقق فيه يشهد له بهما اعداءه
 (٢٣) وكون بنات الملوك تخدمه فهذه بنات امراء العرب يجلبن
 اسيرات اليه وهذه صفية بنت احطب صارت زوجته وهي بنت
 ملك من ملوك اليهود (٢٤) وكون الهدايا ترد اليه من الملوك فهذا

النجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وغيرها يقدمون له
 الهدايا (٢٥) وكون الاغنيا تنقاد له فهؤلاء اغنيا اتباعه يدفعون
 زكاة اموالهم للفقراء بمقتضى اوامره ويصدق ما في اشياء ايضا (٢٦)
 على صلاته التي فرضت في شريعته من انها تسيحة جديدة لانه
 لم يعهد في الشرائع الماضية عبادة تشاكلها (٢٧) وانه يعمدها على
 سكان اقاصي الارض واهل الجزائر والبراري فهي اول عبادة في
 دينه بعد الايمان لا يستثنى منها مكلف (٢٨) وان البرية ترفع
 صوتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قidar وهو احد اجداده في
 سلسلة النسب الذي بينه وبين اسماعيل عليها السلام وهي بلاد
 العرب وقد طبق ذكره تلك البلاد بل ملاً المسكونة من اغوار
 وانجاد (٢٩) وانه به يترنم سالع وهو سلع من رؤوس الجبال فهؤلاء
 اتباعه يهتفون بذكره في رؤس الجبال وقمم الاكام في الاذان والصلوة
 عليه والتسليم في كل آن (٣٠) وانه يخبر بحمده وهو الاذان في
 خمسة اوقات في اليوم واليلة يذكر فيه اسمه ويشهد له بالرسالة
 (٣١) وخروج الرب كجبار هو كناية عن الجهاد المشروع في شريعته
 ولما كان الاخلاص في الجهاد مؤكداً عليه غاية التاكيد حتى اخذ
 بتعريفه فقل ان الجهاد هو مقاتلة العدو لاء كلمة الله تعالى
 صح ان يكنى عنه بخروج الرب تعالى كجبار (٣٢) وهو يسير العمى

في طريق لم يعرفوها وهم العرب اجهل خلق الله في الاديان
 وقد سيرهم في طريق دينه الذي لم يعرفوه (٣٣) وهو يخزي عباد
 الاوثان والمنحوتة فهو اشد خلق الله عليهم وقرآنه مملؤ بتسفيه
 احلامهم والطعن في اصنامهم (٣٤) وهو القتل الذي خلق
 لاهلاك من اشرك بالله تعالى ويصدق عليه ما في متى (٣٥) من
 انه الحجر الذي رفضه البناؤون صار راس الزاوية لانه من نسل
 هاجر الذين كان بنو اسرائيل يحنقرونهم ويقولون عنهم ابناء
 الجارية ويصدق عليه ما في المشاهدات (٣٦) من انه الذي اعطى
 سلطانا على الامم وهو يرعاهم بقضيب من حديد لانا نراه قد اعطى
 ذلك السلطان كما هو مشاهد فيه فقد خضعت له اعظم القبائل
 اصحاب الانفة وقضيبه الحديد هو سيفه الذي زجروا ساق به
 من عصاه (٣٧) وهذا القرآن الذي جاء به اذا تاملنا هدايته
 لمنهج الخيرات فهو كوكب الصبح الذي يعطاه ويصدق عليه
 ما في المزامير (٣٨) ان الحبشة تجثوله فهذا اشيا قد آمن به (٣٩)
 وهذه ملوك اليمن تأتية بالقرايين (٤٠) وهذه الام تخضع وتدين له
 بالطاعة (٤١) وهو مخلص المضطهد البائس من هو اقوى منه لانا
 نراه يخرج على ظلم الاقويا للضعفاء وينهى عنه اشد النهي ويكف
 الظالم عن ظلمه مادة وادبا (٤٢) وهو ينقذ الضعيف الذي لا ناصر

له فانا نرى هذا شأنه كما هو مشاهد فيه (٤٣) وهو رؤوف بالضعفاء
 والمساكين كما هو معلوم من حاله ولا يزال يتوود اليهم حتى يعد
 نفسه منهم ويدعور به بذلك فهو يقول اللهم احيني مسكينا وامتنني
 مسكينا واحشني في زمرة المساكين (٤٤) وهو ينقذهم من
 الربا فقد شدد على منع الربا شفقة على المساكين الذين يحتاجون
 للاستقراض وحضا للاغنياء على عمل المعروف بالاقتراض وقد
 قال في بعض خطبه كل ربا تحت قدمي (٤٥) وهو يعطي من
 ذهب سبا وهي من احدى جهات اليمن فهذا خراجها يجبي اليه
 (٤٦) وهو يبارك عليه في كل يوم كما هي عبادة اتباعه فهم في
 كل يوم في صلواتهم يقولون ما ينوف عن العشرين مرة السلام
 عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويقولون ما ينوف عن عشر
 مرات وبارك على محمد وعلى آل محمد (٤٧) ونراه هو واتباعه
 مثل الزرع الكثير على وجه الارض في الاخذ في النمو من يوم
 قام بدعواه الى الان ويصدق عليه ما في اشعيا (٤٨) انه معضد
 مختار وهذا ظاهر فيه من تقدم احمره يوما فيوما (٤٩) وهو يسعى
 في اظهار الدين الذي ادعاه دين الله من غير ملال ولا كلال
 واظهر العلامات الجسدية فيه ما في اشعيا ايضا (٥٠) من وجود
 علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام وهو يسميه خاتم النبوة

(٥١) وانه يدعى اسمه عجيبا فانه اسمه محمد لم يسبق التسمية به
 لاحد من اجداده واسمه احمد لم يسم به احد قبله (٥٢) وهو
 مشاور الله تعالى لان دعواه انه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى
 يوحى (٥٣) وانه ابو العالم لان اتباعه كالابناء له في الطاعة وهو لهم
 كالأب في الشفقة والتربية (٥٤) وانه رئيس السلام لانه منع
 الحروب الجاهلية التي كانت بين العرب لاثرة لها الا اتلاف
 النفوس وجهاده لاعدائه انما كان لتثبيت الدين الذي يدعى انه
 دين الله تعالى ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل القتل انفى
 للقتل (٥٥) وان سلطانه يكثر يوما فيوما كما هو متاهد (٥٦)
 وانه يكثر سلامه لانه كلما ازدادت اتباعه راقى الاحوال وزالت
 الفتن الجاهلية (٥٧) وهو راكب الجمل اذ هو من العرب راكب
 الجمال كما ان راكب الحمار هو عيسى عليه السلام (٥٨) وانه بعد
 ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض كما فعله (عليه السلام)
 بها عند فتح مكة ودخوله الكعبة فصار يلقي الاصنام عنها فتتكسر
 ويصدق عليه ما في رؤيا يوحنا (٥٩) انه يدعى امينا وهذا الاسم
 قد استهر به حتى من قبل ان يدعى الرسالة فكان يقال له محمد
 الامين (٦٠) وانه يحكم بالعدل ويحارب وهكذا نرى حاله حتى
 انه يفرض على امته الحكم بالعدل ولو كان المرء يحكم على نفسه او

ولده ومحاربتة كذلك بالعدل لا يغدر اذا عاهد ولا يقتل في جهاد
صبيًا ولا امرأة ولا عاجزا عن مباشرة الحرب وتديرها ولا
منعزلا لما يعتقده من العبادة (٦١) والاجناد الذين يتبعونه
يلبسون بزايض نقيا وهكذا نرى احب الملابس اليه البياض وامته
على اختياره ويحب في شريعته لبس البياض في يوم الجمعة الذي
هو العيد الاسبوعي عندهم (٦٢) ومن فمه يخرج سيف ماض
لكي يضرب به الام ينطبق هذا على القرآن الذي جاء به فاناراه
قد ضرب به الام العربية واعجزهم عن معارضته (٦٣) وهذه الطيور
تأكل لحوم الملوك الذين يحاربونه ويقتلهم وهو امر مشاهد فكم
جندل من ملك اصبح طعمة للظير (٦٤) وقد اجتمعت عليه
ملوك الارض واجنادهم ليصنعوا معه حربا وكفانا شاهدا لذلك من
تجمع عليه من الاحزاب من ملوك خيبر والاعراب ويصدق على
اتباعه ما في المزامير (٦٥) ان معهم السيوف ذات الحدين وانهم
المنتقمون من الجبايرة (٦٦) وانهم يقودون الملوك ويسوقونهم
بالسلاسل والاغلال فقد فعلوا هذين الامرين بلا ارتياب (٦٧)
وانهم يشهجون على مضاجعهم اذ من ستم ان يشهجوا بذكر الله
تعالى عند ارادة المنام حتى يناموا (٦٨) وانهم يكبرون في كل
وقت فهذه صلاتهم لا يجوز لهم الدخول فيها الا بتكبير الله تعالى

مع تكرار التكبير في انتقالاتها وتكبيرهم في الاذان للصلوات وفي عيد الاصحى امر معلوم ويصدق عليهم ما في التثنية (٦٩) ان الله اغار بهم شعب اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل اذ العرب اجهل الشعوب قبلما اهتدوا بمحمد عليه السلام لا يعرفون من الاديان سوى عبادة الاوثان (٧٠) وانهم هم الذين اعطوا ولم يسالوا اذ هم لم يطلبوا شيئا من الشرائع ويصدق على بلد محمد وهي مكة ما في اشعيا (٧١) انها العاقر لانه لم يظهر منها نبي بعد اسماعيل عليه السلام (٧٢) وبنو الوحشة هم العرب اولاد هاجر التي هي بمنزلة المطلقة وقد وقع في حق اسماعيل كما في سفر التكوين انه سيكون وحشا وبنو ذات رجل هم اولاد سارا فقد ظهر سر الخطاب لمكة المدعوة عاقرا بان تسبح وتهل وتنشئ الشكر لان كثيرا من اولاد هاجر الوحشة التي هي بمنزلة المطلقة افضل من اولاد سارا التي هي ذات رجل (٧٣) وقد حصل لمكة من الوسعة بواسطة محمد عليه السلام ما لم يحصل لغيرها من المعابد (٧٤) وحصل لها التعظيم بتقديم القرابين في كل سنة ما لم يحصل لغيرها ايضا من المعابد الا نادرا فلما تم لهؤلاء الطائفة المقابلة بين ما جاء في الكتب المنسوبة للرسال المتقدمين من العلامات التي ذكروا انها تكون في الرسول الذي وعد الله تعالى

بارساله وبين شؤن محمد واتباعه ووجدوا انها باجمعها منطبقة
 عليها لم يشذ عنها شيء مع بلوغ العلامات ما يتوقف عن السبعين
 وهذا العدد من الكثرة بمكان حتى شاع ذكره عند ارادة المبالغة
 قال بعضهم لبعض ان اجتماع تلك العلامات لمحمد عليه السلام
 لم يكن حاصلًا لسواه من الرسل الذين جاؤا بعد ورود تلك
 العلامات في تلك الكتب الى زمن ظهوره وان وجد بعضها سيفي
 بعض الرسل الذين جاؤا قبله لكن لم يوجد فيه البعض الآخر
 منها ولا يصح ان يقال انه وجد فيه لظهور ان صفاته تخالف ذلك
 وتنافيه مثلاً من وجد منهم انه يحب البر ويبغض الاثم لم يوجد
 فيه ان تخضع له الملوك ويسوق العالم بقضيب من حديد او هو
 قاتل للاعداء ونحو ذلك ثم ان اجتماع تلك العلامات فيه (عليه
 السلام) لا يصح في العقل ان يكون بوجه الصدقة مع كثرتها وتنوعها
 ولا يقول بالصدقة الا مكابر متعنت ومن العيب والعناد وعدم
 التحرز من سوء المعاد اننا بعد ان وجدنا انطباق هذه العلامات
 الكثيرة على شؤن محمد (عليه السلام) ولا مانع يمنع من كونه
 هو المعلم بها لا عقلاً ولا عرفاً ولا عادة ولا شرعاً ان نقول لعل
 المعلم بتلك العلامات هو غيره وان ذلك الغير سيأتي بعد زمن
 آخر ونترك اتباع هذا الشخص الذي تحققت العلامات فيه وننتظر

شخصا اخر موهوما مشكوكا في مجيئه فلوان خادما اعطاه سيده
 كتابا وقال له ادفعه الى رجل يأتيك بعد حين ويقول لك انا
 الرجل الذي امرك سيدك بدفع الكتاب اليه وعلامة ذلك
 الرجل هي كذا وكذا وذكر جملة علامات يستبعد العقل اجتماعها
 في اثنين ثم لما جاء ذلك الرجل عند الخادم وطلب منه الكتاب كما
 قال سيده ورأى الخادم فيه تلك العلامات امتنع عن دفع الكتاب
 اليه واحتج على امتناعه بانه لعل مراد سيدي غيرك أفلا يجزم كل
 عاقل ان ذلك الخادم قد خالف سيده واستحق عقابه وترك الامر
 المحقق وانتظر الامر الموهوم بلا داع يدعو الى ذلك سوى
 الوسواس او شي اخر قريب منه فنحن ان تركنا اتباع محمد (عليه
 السلام) بعد انطباق تلك العلامات عليه واقمنا نتظر غيره (لا سيما
 ان مرت الميئات من السنين ولم يجيء ذلك الغير) يحكم علينا
 العقل السليم بما يحكم على ذلك الخادم من انحرافه عن مشي
 الصواب بلا ارباب فاذا كان محمد صادقا في دعواه ووجدنا
 فيه تلك العلامات وبعد ذلك لم نصدقه واقمنا نتظر غيره فماذا
 يكون جوابنا لربنا أن نكذب ونقول له لم تنطبق عليه العلامات
 التي علمته بها وهو سبحانه لا يخفى عليه شي ام نقول له اننا لم
 نصدقه لاننا انتظرنا شخصا غيره يجيء فيما بعد فاذا سالنا وقال

ما الذي حملكم على ذلك ولاي دليل استندتم في ترك تصديقه
 وانتظار سواه فما جوابنا سوى ان نقول هكذا فعلنا تركنا المحقق
 وانتظرنا الامر الموهوم أ يكون هذا جوابا منجيا عند ربنا لا والله
 فالصواب في حقنا ان نتبع محمدا ونصدق به بدعواه واذا فرض
 (وقد يفرض المحال للتوصل الى الحق في الاستدلال) انه غير
 المراد لله ولرسله بتلك العلامات واخطأنا باتباعه مع اجتماع
 تلك العلامات فيه كان لنا عذر وحجة عند ربنا اذ لنا ان نقول
 حينئذ ياربنا انت عليم بكل شي وتعلم الرسل الصادقين
 والمدعين الرسالة كذبا ولا يخفى عليك شي من حوادث المستقبل
 البتة فحيث انك تعلم انه سيأتي رجل كاذب في دعوى الرسالة
 وتوجد فيه جميع العلامات التي ذكرتها رسلك انها توجد في
 الرسول الصادق الذي ترسله لنا افلا يكون من موجب حكمتك
 التامة ورافتك ورحمتك علينا ان تنبهنا على لسان رسلك عن ذلك
 الكاذب وتحذرنا منه ولو بعلامة واحدة تميزه عن الرسول
 الصادق المراد بتلك العلامات ولا اقل ان نقول الرسل انه يأتي
 كاذب متصف بتلك العلامات قبل الرسول الصادق فاحذروه
 فحيث ياربنا لم يحصل لنا شي من ذلك فحكمتك تقتضي اعفاءنا
 من المواخظة والعقاب على اتباعنا غير مرادك لان عذرنا ظاهر

ولكن حاشا ربنا من تليس الامر على عباده لان التليس نقص
 في الحكمة وكل نقص في الحكمة محال على الله تعالى فالتليس
 على الله تعالى محال فلو كان المراد بتلك العلامات غير محمد
 لحصل علينا التليس منه تعالى لكن التليس لا يحصل منه لانه
 محال فلا يكون المراد غير محمد (عليه السلام) فهو المراد بها من غير
 شك ولا تردد فنحن اعتمادا على جميع ما قام لدينا من هذه الادلة
 بكل اطمئنان قد صدقنا محمدا عليه السلام واتبعناه لان صريح
 عقولنا قد حكم بصدقه بمقتضى هذه الدلائل التي ظهرت لنا
 اقول لو ان هؤلاء الطائفة حصلت مشاهدتهم لبقية العلامات
 المذكورة له عليه السلام في تلك الكتب وظهرت في ملك امته
 بعد زمنه بقليل او بكثير الى وقتنا هذا لزاد ابتهاجهم بتمام
 علاماته وتوفرت قوة حجتهم على مخالفهم وبيان ذلك انه صدق
 عليه ما في المزامير (٧٥) ان الشعوب سقطت تحته فقد اخضعت
 امته فارس والروم والبربر وسواهم واستولت على ممالكهم ولا يقال
 ان السقوط تحت امته لا تحته لان هذا التعبير مجاز معهود استعمال
 نظيره في كتب الرسل الا ترى ان الله وعد بني اسرائيل حين
 اخرجهم من مصر ان يملكهم الارض المقدسة وانما ملكها ابناؤهم لان
 نفس الذين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام قد ماتوا في

زمن التيه كما هو معلوم من تلك الكتب ونظائر هذا المجاز كثير
 (٧٦) وانه قامت بنوه عوضا عن ابائهم رؤساء في الارض فكم من
 ذريته عليه السلام امراء في اليمن والحجاز والغرب وغيرها يقوم
 ابناؤهم مقامهم (٧٧) وانه يذكر اسمه دورا فدورا فهو يذكر اسمه على
 ممر الايام بين امته في الاذان والصلوات وفاتحة كل خطبة وخاتمة
 كل دعاء (٧٨) وانه تحمده الشعوب فهذا حمده في ألسن الشعوب
 من امته من عرب وترك وفرنس وهنود وداغستان وافغان وقزاق
 وبربر وسودان وغير ذلك (٧٩) وانه لم يزل مباركاً وهو كذلك
 الى هذا الدهر كيفما فسرنا المباركة باحد معانيها وصدق عليه تفسير
 دانيال لرؤيا بخت نصر (٨٠) من انه عليه السلام اعطى السلطنة
 له ولا تباعه فقد تسلطوا في مدة قليلة شرقا وغربا وعلى بلاد
 فارس التي كانت هذه الرؤيا في شأنها (٨١) وانه الحجر الذي
 انقطع من جبل وسحق الخنزف والحديد والنحاس والفضة والذهب
 اي دول فارس المعلومه من كتب التاريخ فانها انسحقت بزمن
 امته ولم يبق لها باقية (٨٢) وان ذلك الحجر صار جبلاً وملاً
 الارض وعظيم سلطان امته كان كذلك ويصدق على شريعته
 ما في متى من قوله (٨٣) يشبه ملكوت الله بحبة خردل اخذها
 انسان وزرعها في حقل فنمت وصارت شجرة كبيرة فكان

امر شريعته كذلك لان ابتداءها كان في غاية الضعف لانه قام
 بها منفرداً مضاد القبائل والملوك فلم يال جهدا في رفع شأنها حتى
 نصر دينه وانتشرت شريعته ونمت نمواً عظيماً لاسيما بعد ما
 شرحتها علماء امته واستنبطت احكامها واوضحت حلالها وحرامها
 (٨٤) وان الملكوت نزع من غير امته وعطي لامته الذين يعملون
 اثاره فهذه شريعته لاتضاهيها شريعة من الشرائع احكاماً وعدلاً
 واداباً وهولاً اتباعه قائمون بها اعتقاداً وعملاً وصدق عليه ما في
 المزامير (٨٥) من انه يملك من البحر الى البحر فقد ملكت امته
 من بحر الهند الى اقصى بحر طنجة (٨٦) وانه يملك من النهر الى اقصى
 الارض فقد ملكت امته من نهر الاردن اشهر نهر عند بني اسرائيل
 في زمن داود الى اقصى بلاد العرب جنوباً وهي اقصى الارض
 اذ ليس بعد ذلك الا الاوقيانوس الجنوبي ويصدق على اتباعه ما
 في اشعيا (٨٧) من انه هرب اعداؤهم امام سيوفهم وقسيم وشدة
 حربهم (٨٨) وانه فني مجد قيثار وهو ابو العرب وقيل عدد
 قسيم وذلك بظهور امته الذين يعتمدون في التناصر على الدين
 لا على الجنسية ويصدق عليه (٨٩) انه انفتح به عين عمي واذا ان
 صم وذلك هداية تلك الام الجاهلية بشريعته (٩٠) وقد انفجرت
 في البرية مياه وانهار في القفر وصار السراب أجماً والمعطشة ينابيع

ماء وذلك بما اجراه خلقاؤه في الطريق الحجازية من المصانع
 والاسبلة (٩١) وصارت هناك سكة وطريق يقال لها المقدسة لانه
 يمر فيها اهل ملته الموحدون المقدسون من الشرك (٩٢) ولا يمر فيها
 نجس لانها محرمة على المشركين (٩٣) والسالك فيها لا يضل لكثرة
 علامتها وآثار الحجاج الذين يرون فيها كل عام الوفا مولفة (٩٤)
 ويسلك المغديون فيها ومغديو الرب فهم حجاج الكعبة وزوار قبر
 محمد عليه السلام كل عام (٩٥) ويرجعون ويأتون الى صهيون
 احدى البلاد القدسية التي كانت في مملكة داود عليه السلام
 يعني بهم الحجاج السوريين الذين يعودون من البلاد الحجازية
 الى بلادهم ومنها صهيون واظهر ما كان عودهم على هذا
 الوجه عند ما كان قسم من الحجاج ينعطفون في عودتهم من
 المزيريب الى البلاد القدسية كما يعلم من التاريخ ولم تزل آثار
 ذلك موجودة من البرك الكبيرة التي تشاهد قرب القدس وحبرون
 (٩٦) وهم بترنم وهو ذكرهم مولاهم على ما اولاهم من التوفيق لاداء
 فريضة حجبهم وزيارة قبر نبيهم عليه السلام (٩٧) وكونهم بفرح
 ابدى هو معلوم لكل من يخاطب الامة الاسلامية فانه يشاهد من
 الحجاج فرحا لا يماثله فرح من اي افراحهم حتى ولا فرح الاعراس
 عند اكثرهم فترى السرور ملاء قلوب الحجاج عند عودتهم وقلوب

اهلهم واحبايهم وفرقوا الهدايا واطعموا الاطعمة واجروا الصدقات
 كل منهم على قدر حاله ويدوم ذلك الفرح في قلب الحاج الى
 آخر نفس من حياته ولذلك سمي ابديا ومهما حدث عليه من
 المشاق في مدة سفر الحج فلا يزال طول عمره يتلذذ بذكر ذلك
 السفر المبارك ويدعو الله ان يمنحه اياه ثانيا ولو بلغه ثانيا يدعو
 بنواله ثالثا وهم جرا واذا اراد احد ان يثني عزم الحاج عند ارادته
 تكرار حجه ويقول له يا فلان يكفيك ما سبق لك فقد اديت
 فرضك يجاوبه باستغراب قائلا له وهل هذا الامر ثقل فيه رغبة
 الانسان ويرتوي من منهله الظمان هذا والله حال الامة الاسلامية
 في فرحها بزيارة الكعبة المكرمة وقبر رسولهم عليه السلام على رغم
 الاثقال التي يحملونها والحجر الصبي الذي يثقل عوائقهم ويضاعف
 نفقاتهم وكثرة من يموت منهم او يقتله قطاع الطريق ينسلون من
 كل حذب من اقصى كشغر وبخارى وخوارزم وافغانستان
 وبلخستان والهند والجاوى وداغستان والكرج والقوقاز وفارس
 والرومي والانضول وبلاد الروس والعراق والغرب واليمن
 والسودان وداخل افريقيا ومصر والشام يتكبدون حراهم واجروا ويهجرون
 المنام في الدياجر يسلكون القفار ويمتطون ليج البحار ويفارقون
 البنين والعيال ويهون عندهم اقتحام الاهوال وقد يمر على بعضهم

العام والعامان حتى يعود لاوطانه ويحظى بخلافه وكثير منهم من
يجع على الاقدام في تلك البوادي والاكام كل ذلك لرضاء
الرحمن وطلب الغفران فهم بكل افتخار اعظم من تمسك بالدين
ودفع الوهم باليقين (٩٨) وقوله عن اولئك العائدين الى صهيون
وعلى رؤسهم الابتهاج والفرح هو ظاهر في الحجاج بما ينالونه
من زيارة الكعبة المكرمة وقبر نبيهم عليه السلام فتراهم مبتهجين
فرحين بما اتاهم ربهم (٩٩) وقوله ويزول حزنهم يعني الذي كان
في قلوبهم قبل نوالهم مرغوبهم في تلك الزيارة المباركة (١٠٠)
وقوله ويزول التند يعني الذي كان يعتريهم ايضا قبل حجبهم لقلة
ذات ايديهم اولوانع اخرى فهذه تمام مائة علامة تنطبق على
احوال محمد عليه السلام واحوال امته وبها قد ظهر الصبح لذي
عينين وزال عن القلب الغين

ثم اقول لو بقيت هذه الطائفة الى هذا الزمان ايضا لكان لهم
استدلال من تلك الكتب على صدق محمد عليه السلام من اظهر
ما يكون وبيان ذلك انه ورد فيها كما في الزبور ان طريق المنافقين
تهلك وانه يهلك كل الذين يتكلمون بالكذب وان وجه الرب
على الذين يعملون المساوي لبيد من الارض ذكرهم وان سواعد
الخطاة تكسر وانهم يهلكون وان اعداء الرب اذ يمجدون ويرتفعون

يبيدون وكالدخان يفتنون انتهى فاي ذكر باد لمحمد عليه السلام
مع مرور ثلاثة عشر قرنا واسمه يذكره الالوف والملايين من امته
على المنابر وفي المآذن وفي الصلوات وكثير من العبادات في اقطار
الارض من مشارق ومغارب ومدن وقرى وقفار وبحار آناء
الليل واطراف النهار ولا يذكر اسم الله تعالى في الغالب الا مقرونا
به اسمه عليه السلام معظما مبيلا مدعوا له بكل خير محمود ابالاسنه
محبوبا في القلوب مفدى بالارواح محفوظ المقام مرعى الجناب
تسعى الى حضرة قبره الشريف كل سنة الالوف المؤلفة من ملوك وامراء
واعزة وكبراء واغنياء وفقراء يسامون عليه ويطلبون الشفاعة لديه
ويتبركون بلثم اعتابه ويتداوون بعفير ترابه ترفع اليه مدائح الشعرا
ومحامد القصحاء مزينة بذكر محاسن صفاته وباهراياته ولم تنزل
شريعته عليه السلام معززة عرفوعة المنار موفرة الانصار ثقبس
من انوارها الام وتهتدي بشموسها العرب والعجم واتباعه بفضل
الله تعالى ماثون الارض متبعون ما شرع لهم من سنة او فرض
وان خالف بعضهم بعضا في فهم بعض الاحكام من شريعته عليه
السلام عند ارادة توضيح المرام فهم متفقون على اصولها ذات
الاحكام من التوحيد والتصديق بالقران والحشر والنشر ووجود
دار السلام ودار الانتقام متماون على حبه وتعظيمه على ممر

الليالي والايام فاي هلاك هلكوا واي سواعد لم كسرت واي فناء
 كالدخان فنوا غايه ما يكون ان ينالهم حظمهم من الابتلاء في هذا
 العالم المنطبع على البلاء سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا
 وصورة استدلال هولاء الطائفة على صدق محمد عليه السلام
 لو بقوا الى هذا الزمان ان يقولوا لو كان محمد واتباعه ممن ذكر
 في كلام المزامير من الخطاة والكاذبين واعداء الرب لفعل بهم
 جميع ذلك النكال من ابادة الذكر والاهلاك والفناء كالدخان
 وكسر السواعد والالزم تخلف خبر الرب على لسان داود لكنه
 لم يفعل بهم شي من ذلك فهم ليسوا مما ذكر البتة واذا لم يكونوا
 ممن ذكر فيكونون من الطائعين والصادقين واحباب الرب
 وحيثئذ اذا نحن كذبناهم واردا نقض ما جاء به محمد عليه السلام
 نكون محاريين لله تعالى كما قال عملائيل معلم اليهود في حق
 الحواريين كما في اعمال الرسل وان كان يعني راي الحواريين
 وعملهم من الله تعالى فلا تقدر ان تنقضوه لئلا توجدوا
 محاريين لله تعالى انتهى وعند ما ينتظم لاولئك الطائفة هذا
 الاستدلال كنت تراهم من اكل الناس ايمانا دافعين كل وسوسة
 ترد على قلوبهم قائلين قبح الله الشيطان وقبح الله الهوى ما اغنانا
 عن التعصب الاعمي واسر الضمير واسترقاق الفكر ايليق بنا

الخجل من الحق يحسن بنا ترجيع العاجل الذي الفاني على
 الآجل العظيم الباقي يجعل بنا الركوب الى الغفلة عن النظر في
 العواقب والتقليد الفاسد والجمود البارد لا والله لا يرضى بذلك
 عاقل فانا لله وانا اليه راجعون والله الهادي الى سواء السبيل
 وطائفة منهم كانوا فلاسفة اخلاق واداب ولهم معرفة تامة في الشرائع
 التي شرعها الله تعالى للامم السابقة ودقة نظر في اسرارها وفوائدها
 وفطرة سليمة تميز بين الحسن والقبيح من الصفات والافعال
 والسياسات والاحوال فقالوا من المعلوم ان لكل رسول يبعثه الله
 تعالى آيتين تدلان على صدقه احدهما عقلية يعرفها اولو البصائر
 والافهام وهي ماله من الاصول الزكية والصور المرضية والاحوال
 الكمالية والعلوم الباهرة والدلائل القاهرة وثانيتها هي المعجزة التي
 تدركها الحواس تكون خارقة للعادة وهذه يطلبها احد رجلين اما
 ناقص عن ادراك ما تقدم ذكره من الاصول الزكية وما عطف
 عليها فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص
 ومع نقصه هو معاند فقصده بما يطلبه العناد فيقول للرسول المبعوث
 اليه لا اؤمن بك حتى تفجر لي من الارض ينبوعا او تكون لك
 جنة من نخيل وعنب وتفجر الانهار خلالها تفيجرا وتسقط السماء
 عليّ اوتاتي بالله وبالملائكة او يكون لك بيت من زخرف او

ترقي في السماء ولن أومن لرقيك حتى تنزل علي كتابا اقراه
فيقول له الرسول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا يعني
اني بشر عاجز وايجاد هذه المطالب وامثالها مفوض الى ربي ان
شاء ايدني بها وان شاء لم يفعل نعم ان منصبي الرسالة وقد بلغتك
ما امرني الله بتبليغه فاختر لنفسك ما تشاء ونحن لله الحمد والمنة
لسنا من القاصرين عن ادراك ايات الرسل التي هي من القسم
الاول بل نحن من ذوي البصائر والمعرفة وقد شاهدنا في محمد
صفات فاضلة هي من شأن الرسل الذين يرسلهم الله تعالى لهداية
الخلق وذلك كشرف النسب وحسن الخلق والخلق وذكاء وفطنة وقوة
حجة واستقامة معجزة فعلينا بعد ذلك ان نتروى في دعواه وننظر
فيما احتوت عليه شريعته التي يدعي انه مرسل بها من عند الله
تعالى فان كانت محتوية على الامر باعتقاد العقائد الصحيحة التي
تكون موافقة لما يعطيه البرهان الصحيح ولا يكلف الانسان بان
يدعن يصد يقينه وعلى الامر بالتخلي بالاخلاق الحسنة والاداب
المستحسنة والصفات الكاملة والاعمال الفاضلة والتدبيرات التي
تحفظ حسن نظام هيئتنا الاجتماعية والعبادات التي تحسن تادية
الشكر لنعم خالقنا علينا وايجابها يكون لحكم ترجع بالنفع اليها كما
هو سر العبادات التي تكون في شرائع الرسل لان الله تعالى غني

عن كل شي وكانت مشتملة على النهي عن اعتقاد العقائد الباطلة
 الخرافية المكلفة للانسان الاذعان بقصد ما تعطيه المشاهدة والبرهان
 وعلى النهي عن الاتصاف بالاخلاق الذميمة وخلع حلة الاداب
 والتدنس بصفات تدم وتعاب والاخذ بامور تخل بحسن هيئتنا
 وتفصم عقد نظامنا ولا تكلفنا باعمال تزعمها عبادات تكون كفرانا
 لنعم ربنا مخلة بالادب معه تعالى فهو رسول الله تعالى بلا شك لان
 هذا شان رسله تعالى وحالة شرائعهم عليهم السلام لاسيما اذا لم
 يكن في شريعته ما يرجع عليه بالنفع الخاص ويضر بالصالح العام
 فنؤمن به حينئذ ونصدق به وان كان الامر بخلاف ذلك فنرفض
 دعواه ونشدد له المعادة فتأملوا في شريعته وما اشتملت عليه
 واستقصوا في البحث والانتقاد فوجدوا ان شريعته عليه السلام
 تاجر بالاعتقادات الصحيحة الحق الخالية عن كل خرافة وعما
 يكون ضد اليقين وبالتخلق بالاخلاق الجميلة والتادب بالآداب
 النبيلة والاتصاف بالافاضة الكاملة والاخذ بالتدابير الفاضلة
 التي تحفظ هيئة امته ونظامها وتعود عليهم بالمنافع وتدفع عنهم
 المضار وبالعبادات التي تحسن تادية شكر النعم للخالق تعالى وهي
 تنطوي على حكم ترجع عليهم بالنفع الكثير وتنتهي عن العقائد
 الزائفة الخرافية المخالفة ليقين الانسان وعن التخلق بالاخلاق

الذميمة وخلع حلة الآداب والتدنس بالصفات التي تعاب وارتكاب
 اعمال سيئة التدبير تخل بنظام الامة وعن العبادات الباطلة المخلة
 بالادب مع الله تعالى والمنتجة كفران النعم لاشكرها وتفصيل ذلك
 انهم وجدوا الشريعة المحمدية محتوية على الامر بتوحيد الله تعالى
 ذاتا وصفات وافعالا واعتقاد انه تعالى متصف بصفات الكمال
 ومنزه عن صفات النقصان فتوجب على المكلف ان يعتقد بانه
 سبحانه وتعالى موجود حي عليم اكمل العلم مریدا تم الارادة قادر
 اعظم القدرة مستغن عن كل ما سواه مفتقر اليه كل ما عداه لا يشابهه
 احدا من خلقه ولا يشابهه احد منهم قديم ازلي دائم ابدى ليس
 لقدمه بداية ولا لدوامه نهاية حكيم يفعل الاشياء طبق الحكمة
 من غير وجوب عليه لا يكلف العباد بما ليس في وسعهم لا خالق
 سواه ولا مدبر غيره خلق الخلق من العدم وقدر احوالهم من القدم
 منزه عن الظلم ولا يتصور منه لان الظلم التصرف بملك الغير بغير
 رضاه وهو سبحانه المالك الحقيقي المطلق لجميع الكائنات خلق
 دارين غير هذه الدار احداها لنعيم من اطاعه والاخرى لعذاب
 من عصاه فهو يعيد الخلق بعد الفناء كما خلقهم بعد العدم ليشيب
 المطيع ويعاقب العاصي ان شاء والالم يكن من الحكمة ان يتساوى
 بعد الموت الغنى المترفة الجبار الظالم لغيره الكافر بربه مع الفقير

البائس الضعيف المظلوم المؤمن وإن له سبحانه وتعالى أن يتصرف
 بخلقه كيف يشاء لكن حاشاه أن تجري أفعاله على خلاف منهج
 الحكمة بل هي عين الحكمة وكل ما جاء منه فهو بحسب صدوره
 عنه حسن ارسل رسلا إلى البشر لهدايتهم إلى العقائد الصحيحة
 الحق في حقه تعالى لأن عقولهم وإن كانت تدل على وجوده تعالى
 واتصافه بالصفات الكمالية التي تستلزمها الألوهية ولكن كثيرا
 من صفاته العظيمة لا يمكن للعقول البشرية التوصل إلى اعتقادها
 إلا بتوقيفه تعالى بواسطة أولئك الرسل وكذلك في إرسالهم هداية
 الخلق إلى ما فيه صلاحهم واستكمال شؤونهم لأن حكمته اقتضت
 أن يخلقهم مطبوعين على أخلاق حسنة تساعد على انتظام
 حالهم وعلى أخلاق تخالفها لأجل أن يتسابقوا بها في عمار هذا
 الكون الذي قدر وجودهم فيه إلى أجل معلوم لكن لما كان تحديد
 الرغبة في السبق توجب وقوف كل راغب عند حده ويأسه من
 مجاوزته وبذلك تنعطل حركة المسابقة لم تعدل الأخلاق في أصل
 الفطرة فصارت تلك الأخلاق السيئة في معرض الطغيان
 والوصول إلى حد يصبح به ضررها أكبر من نفعها فاقضى الحال
 تلطيفها وإيقافها عند حدها النافع غير الضار فبعث الرسل لتلطيفها
 وكسر سورتها حتى تعود لدرجة يظهر فيها نفعها ويزول عنا ضررها

فكأنها تعود اخلاقا حسنة بعد ان كانت سيئة وذلك التلطيف
يكون من الرسل بآتين مؤثرتين في النفوس وهما الترغيب
والترهيب مما يقوى تأثيرهما من اقامة الدلائل على حسن الحسن
وقبح القبيح مثلا الطمع خلق سيئ ولكن لولاه ما تجشم الخلق اعباء
المكاسب والغرس والعمارة واذا ظفى نشاء عنه منازعات الخلق
وتولدت الشرور المبيدة فشرعية الرسول تطلقه وترده الى ارادة
السعي والتعيش بعد ان يكون ارادة التكثر والاستثثار وبذلك تتم
المسابقة في عمار الكون بلا ضرر ولا ضرار والى هذا الاشارة بقوله
عليه السلام بعثت لاتم مكارم الاخلاق ثم هولاء الرسل
طبعهم الله تعالى على الصفات الكاملة من الصدق والامانة والقيام
بالحق في جميع احوالهم مع البر والاحسان والتصبيحة لكل انسان
ونزهم عما لا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي والاتصاف
بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم وما
وقع منهم من صور المعصية وسماها الله معصية فهي امور طفيفة
لا تنقص مراتبهم ولا تحط بشؤونهم وتسميتها معصية ومعاتبتهم عليها
من جانب الله تعالى ليس الا بالنسبة لعلو مراتبهم وسمو مقاماتهم
عليهم السلام وحكمة وقوعها منهم الاشارة الى انفراد الله تعالى
وتوحيده بالكمال المطلق فهم مبرؤن من كل ما لا يليق وقوعه من

احد انقياء البشر فضلا عن وقوعه منهم وهم كل المخلق وصفوة
 الناس وذلك كالزنا لاسيما في محارمهم والتسلط على اعراض
 اتباعهم ومدانسة المومسات والكذب والخيانة والكفر وعبادة
 الاوثان حاشاهم من جميع ذلك والشرعية المحمدية تامر بالشناء عليهم
 وذكرهم بالتعظيم والتوقير ولزوم الادب معهم والعمل بما جاءوا به
 الا ما كان من احكام كانت تناسب ازمتهم فابدلت في الشريعة
 المحمدية بما يناسب زمنه عليه السلام بامر الله تعالى الذي قدر من
 الازل لكل زمن ما يناسبه من الاحكام وتامر ايضا هذه الشريعة
 المحمدية بتعلم القدر اللازم للانسان من العلم النافع في تصحيح
 الاعتقاد والعبادات والاخلاق والآداب وبعد امرها الامر الاول
 المؤكد بالايان وهو التصديق الجازم بجميع ما جاء به محمد عليه
 السلام قطعيا وبالاسلام وهو الخضوع والانقياد لجميع ما جاء به
 عليه السلام كذلك تامر بالتقوى وهي انقاء كل مضر للانسان
 في دينه وبالاخلاص في العمل لله تعالى وبالبر والاحسان في العمل
 وهو ان المرء يعبد ربه كانه يراه وبالتصحية لخلق الله تعالى وبالصبر
 وهو مقاومة الآلام والاهوال وبالرضى بما يرضى الله تعالى وبالحياء
 وهو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح وبالحلم وهو الطمأنينة
 عند سورة الغضب وبالعفو وهو ترك المجازاة للمذنب مع القدرة

عليها ما لم تكن حدا من حدود الله تعالى وبالغبطة في عمل الخير
 وبالسخاء والكرم وبالشجاعة وبالحمية وهي المحافظة على الحرم
 والدين من التهمة وبالنجدة وهي عدم الجزع عند المخاوف وبالايثار
 وبالروة وهي الرغبة الصادقة في الافادة بقدر ما يمكن وبالدعة
 وهي السكون عند هيجان الشهوة وبالقناعة وبالوقار وهو التأني في
 التوجه نحو المطالب وبالسكون وهو التأني في الخصومات والحروب
 وبالرفق وهو حسن الانقياد لما يؤدي الى الجميل وبمحسن
 السمات وهو محبة ما يكمل النفس وبالحكمة وبالشكر وبالخوف
 من الله تعالى وبالرجاء منه وبالتفويض اليه والتسليم وبالالفة وهي
 اتفاق الاراء في المعاونة على تدبير المعاش وبالفاء وبصلة الارحام
 وبالشفقة على خلق الله تعالى وبالاصلاح بين عباده وبالامانة
 وبانجاز الوعد وبالفاء بالعهد وبالحب في الله وبالبغض في الله
 وبمحسن الظن وبالرشد وبالسعي وبالأناة وبالمبادرة في عمل الخير
 وبالصلابة في امر الدين وبالاتس بالله وبالشوق اليه وبمحبة تعالى
 وبالعفة وبالورع وهو ملازمة الاعمال الجميلة وبالاستقامة وبالشهامة
 وهي الحرص على ما يوجب الذكر الجميل وبالركة وهي التأذي من
 اذى يلحق الغير مطلقا وبالنزاهة وهي اكتساب المال من غير
 مهانة ولا ظلم وانفاقه في المضارف الحميدة وبكظم الغيظ وبالخشوع

وبالعبودية لله وبالحرية وهي تحرير النفس من ربة الشهوات
 ومحاسبة النفس وبمعاتبتها وهكذا من كل خصلة حميدة وخطئة
 مفيدة (فعلى المرء ان يعالج نفسه للخلق بهذه السجايا ويجد في
 ابلاغها درجة الكمال) وتنتهي الشريعة المحمدية عن الكفر واتخاذ
 الشريك لله تعالى في العبادة وعن الفسق والعصيان لله تعالى
 في اوامره ونواهيه وعن اتباع الهوى وعن الرياء وهو العمل لاجل
 رؤية الناس وعن الكبر وعن الحقد وعن العجب وهو ان يرى
 الانسان نفسه بعمله بل عليه ان يرى الفضل لله تعالى الذي وفقه
 للعمل وعن الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن الغير وعن الشماتة
 بمصائب الخلق وعن العداوة لغير الله وعن التهور وهو ان يهجم
 المرء على ما لا يكون كفواله وعن سوء الظن بالله تعالى وعن الطيرة
 والتشاؤم الذي لا مستند له من الشرع وعن البخل وعن الشح وعن
 التقثير وعن الاسراف والتبذير وعن حب المال للحرام وعن الكسل
 وعن البطالة وعن العجلة في الامر وعن الفظاظة وعن غلظة القلب
 وعن الوقاحة وعن قلة الحياء وعن الجزع وعن كفران النعم
 وجحودها وعن السخط وعن الغضب وعن بغض العلماء وعن
 الجراءة على الله تعالى وعن الأمن من عذابه وسخطه وعن
 التأسف على ما فات من امر الدنيا وعن الضعف في امر الدين

وعن الطيش والخفة وعن العناد وعن مكابرة الحق وإنكاره بعد العلم به وعن التمرد والاباء وعن الشر وعن الطمع وعن الخمود وعن الاصرار على المعاصي وعن الغضب بالباطل وعن الحمية لغير دين الله تعالى وعن القنوط من رحمة الله تعالى وعن محبة الظلمة والفسقة وعن بغض الصالحين وعن قسوة القلب بحيث تمنع صاحبها عن اغاثة المضطرو عن آفات كثيرة للسان فمنها النسيمة وهي كشف ما يكره كسفه وافشاء السر والسخرية والاستهزاء والاستنصار والاستخفاف بالناس واللعن والسب والشتم والتعبير عن الامور المستعجبة بالعبارة الصريحة والطعن بالاسباب والمراء وهو الطعن في كلام الغير لا لظهار الحق والخصومة عناداً او الخوض في الباطل والشحاذة لغير مضطر والمنافقة باللسان وكلام ذي اللسانين بين المتعادين والشفاعة السيئة والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وغلظة الكلام والعنف فيه والسؤال والبحث عن عيوب الناس والدعاء للظالم بالبقاء والكلام الدنيوي في المساجد والمنابذة بالالقباب واليمين بغير الله وكثرة الحلف ولو على الصدق لاجل تعظيم اسم الله ورد عذرا فيه وعدم قبوله وتفسير القرآن برأيه وقطع كلام الغير لغير مصلحة شرعية ورد التابع كلام المتبوع ومخالفته وعدم قبوله ما دام كلام المتبوع لا يمنعه الشرع والتناجي

بين اثنين عند ثالث والتكلم مع الشابة الاجنبية ودلالة من يريد
 المعصية على طريقها والمزاح الذي يمنعه الشرع ويوصل الى الشر
 والكلام فيما لا يعني وافساد العبد عن سيده وافساد المرأة عن
 زوجها وكتمان الشهادة وشهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات
 وسب الاموات وسب السلاطين وترك الدعاء بصلاحهم وكنم
 العلم وتعمد الكذب على الله تعالى وعلى رسوله والكلمة التي تعظم
 مفسدتها وينشر ضررها وملازمة الفحش حتي يخاف الناس من
 شره والالحاح بالسؤال المؤذي للمستؤل ايداء شديدا والمن
 بالصدقة وكفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمة الخالق وترك
 المريض اقراره بما عليه من الدين والاقرار بنسب كاذبا او
 جموده كذلك والاستطالة في الاعراض وانتساب المرء الى غير
 ابيه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيبة وهي ان
 تذكر اخاك بما يكره في نفسه او فيما يخصه وهي اكثر آفات
 اللسان وقوعا ومن اعظمها ضررا وعن افعال واعمال قبيحة كثيرة
 ايضا منها نقض العهد وخلف الوعد والخيانة والمكر والخديعة
 والفتنة وهي ايقاع الناس باضطراب والاختلال والاختلاف بلا
 فائدة دينية وقتل النفس وقتل الانسان نفسه والزنا واللواطه
 واتيان احد ولو امراته في الدبر لان في هذه الامور الثلاثة تقليل

النسل ومخالفة الحكمة الالهية وفي الزنا ضياع الانساب الموءدي
 لترك التناسر وغش الغير في النسب وتمليك الاموال لغير مستحقها
 وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية الى غير ذلك من المفاسد
 التي يطول شرحها ومس المرأة الاجنبية والخلوة بها لان ذلك داعية
 الزنا وفعل مثل ذلك في الولد الامر د ووطئ الحائض لما فيه من
 الاذى وسفر المرأة في طريق تخاف فيه على بضعها وتشبه الرجال
 بالنساء والنساء بالرجال واظهار الجماع والتبتل اي ترك الزواج
 للقادر عليه ولا عذر له في تركه لان فيه تعطيل الحكمة الالهية
 في تكثير النسل وعضل الولي موليته عن النكاح وافشاء الرجل
 سر زوجته وعكسه وخروج المرأة مزينة والديانة والقيادة بين
 الرجال والنساء وشرب المسكرات لان فيه ذهاب العقل الذي
 هو افضل نعمة على الانسان والسكران مستعد للوقوع في كل معصية
 وارتكاب كل شنيعة والنفع المزعوم به لا يوازي اضراره والمقامرة
 التي تعرض المال للمخاطرة وانفاق السلعة بالخلف الكاذب
 وبخس الكيل او الوزن او الذرع ومطل الغني بالدين بعد مطالبته
 وانفاق المال في المحرمات وايداء الجار ولو ذميا والسرقه والغصب
 والربا الذي يفقد معه عمل المعروف من الدائن بالاقرض وسد
 حاجة المحتاج بالاستقراض وتلقي الجلب والسوم على السوم وخيانة

احد الشريكين لشريكه واستعمال العارية في غير ما اذن به
 صاحبها وتأخير اجرة الاجير او منعه منها بعد فراغه ومنع الناس
 من الاشياء المباحة لم عموما او خصوصا وتصرف في الطريق
 الخاص بغير اذن اصحابه او العام بما يؤذي والخيانة في الامانات
 والتصوير ووضع الصور الحيوانية في المكان تباعدا عن التشبه
 بعباد الحيوانات وصورها والاكتثار من الطعام بحيث يضر وترجيح
 احدى الزوجات على الاخرى ظلماً وعدوانا وتهاجر المسلمين
 فوق ثلاثة ايام والتداير والتشاحن واضاعة المراء اولاده وعياله
 والضرب لاحد بغير مسوغ شرعي وترويع احد بسلاح من غير
 مسوغ شرعي ايضا والسحر وتعلمه وتعليمه وطلب عمله والكهانة
 والتنجيم واتيان اصحابها والخروج على امام للمسلمين بلا تاويل او
 بتاويل يقطع ببطلانه ونكث بيعة الامام لفوت غرض دنوي
 وقبول الامارة مع علم المتولي بخيانة نفسه وتولية جائر او فاسق
 امر من امور المسلمين وعزل الصالح وتولية من دونه وجور ولاية
 الامور واحتجاب ولي الامر عن قضاء حوائج رعيته المضطرين اليها
 بنفسه او نائبه وظلم الامراء والقضاة لمسلم او ذمي بنحو ضرب او
 شتم وقبول القاضي هدية من احد لم يكن له عادة باهدائها له قبل
 توليته القضاء وقبوله الضيافة الخاصة واخذ الرشوة من محق او مبطل

ودفع الرشوة من مبطل لا من محق اضطرا الى دفعها والتوسط
 بالرشوة المحرمة وخذلان المظلوم مع القدرة على نصرته وهتك مسلم
 وتببع عوراته حتى ينفضح واطلاع المرء على دار غيره بغير اذنه
 ولو من ثقب والتسمع لحديث قوم يكرهون الاطلاع عليهم وترك
 الجهاد عند تعينه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقتل
 او ظلم او غدر من له امان او عهد او ذمة وترك الرمي بعد تعلمه
 وتوليته القضاء من يعلم قصوره عنه بالجور او الجهل والخصومة
 بباطل او بحق مع اظهار اللد و الكذب لا يذاء الخصم والتسلط
 عليه والخصومة لمحض العناد بقصد قهر الخصم وكسره وجور القاسم
 بقسمه وجور المقوم بتقويمه والجلوس مع الفساق والتغوط تحت
 شجرة مثمرة او على خفة نهر وترك التوبة عن المعاصي وهكذا من
 كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية او النفس او المال او العقل او
 الشرف مما لو اردنا الاحاطة به مع ذكر ادلته من القرآن والاحاديث
 المنقولة عن محمد عليه السلام لضاق لذلك المجلدات الكبيرة ثم
 ان هولاء الطائفة تاملوا بالعبادات التي اوجبها الشريعة المحمدية
 على اتباعها فوجدوها اعمالاً منطوية على تعظيم الخالق سبحانه
 واداء بعض شكره على نعمه التي لا تحصى مما اشتملت عليه من
 الاسرار والحكم والفوائد التي يفوز بها المتعبد وينال اعلى منازل

السعادة وذلك من تهذيب نفسه وتخليتها عن الاخلاق الذميمة
 وتخليتها بالسجاياء الحميدة وتذكاره بخالقه ليأمن من الغفلة عنه
 سبحانه بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فيعجز عن العصيان
 ويهجر امانى الشيطان وتلازمه المراقبة بان عليه رقيا مهيما قريبا
 ومن الاجتماع مع اخوانه في اوقات العبادات الداعي ذلك الى
 الالفة معهم والاطلاع على شؤونهم المحتاجة للتعاون والتوازر ومن
 اغاثة ذوي الحاجات وتصور حالهم المحزنة ليقضي ذلك بالشفقة
 عليهم والاحسان اليهم وتذكر شؤون الرسل المتقدمين وآلهم
 الذين ادوا عبادة ربهم وامتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه ليكون
 ذلك داعيا للاقتداء باعمالهم والنسج على منوالهم وتجديد الثناء
 عليهم وعلى متبعيهم ومن السعي في تكثير سواد المسلمين وهداية
 المخالفين واعلاء كلمة الله تعالى الى غير ذلك من الثمار الياينة
 والفوائد النافعة والتدابير الجامعة المنبثة في تلك العبادات ولا يعقلها
 الا العالمون ومن نظر الى ظواهر تلك العبادات وغفل عن حكمها
 واسرارها وفوائدها واثمارها كان كمن نظر الى صدفة مملوءة بالدرر
 النفيسة فيحسبها قطعة حجر فلا يلتقي لها بالا ولا يروق منظرها في
 عينه حسنا وجمالا فيفوت ذلك الجاهل انفس نفيس ينفق في
 تحصيله الذهب الا يريز ويفادي به كل عزيزور بما بعض الجملة

المطموس على بصيرته يستقبح تلك العبادات فهو كالريض الذي
يتكر طعم الماء ويحكم بمرورة الحلواء فليته اذا استصعبتها نفسه
الساقطة الهمة يعتقد بها اعتقاد المريض بالدواء المر يحكم بنفعه
ويتكلف تجرعه فقاتل الله الجهل وقبح محياه من صاحب سوء
مشوّم الطالع على اهله يوقعهم بالخسران ويلعب بهم ككرة الصبيان
وتفصيل بعض ما ظهر لهذه الطائفة من اسرار العبادات في الشريعة
المحمدية انهم وجدوا ان تلك الشريعة قد امرت كل مكلف من
اتباعها باداء عبادة تسمى الصلاة وهي عبارة عن اقوال وافعال
مبتدأة بتكبير الله تعالى مختتمة بالتسليم ياتي بها المكلف كالمثل
بين يدي الله تعالى وقد شرعت ان يدعو المنادي المكلفين اليها
عند حضور اوقاتها بافصح الفاظ مشتملة على اشرف معاني فيبدأ
بتكبير الله تعالى اربع مرات كانه يقول ايها الناس كل ما انتم فيه
من رغائبكم الدنيوية والاخروية الحسية والمعنوية فله تعالى اكبر
واحق برغبتكم في جنابه من كل مرغوب فيه ثم يشهد له سبحانه
بانفراده بالالوهية مرتين كانه يقول لا يقضى حوائجكم الدنيوية
والاخروية حقيقة الا الاله الحقيقي الذي من اخص اوصافه
التي ينفرد بها استغناؤه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه
اليه والله تعالى قد انفرد بمقام الالوهية الحقّة فعليكم ان تقصدوا

جنابه في طلب حوائجكم الدنوية والاخروية وتلتجئوا الى حضرته
 ثم يشهد لمحمد عليه السلام بالرسالة مرتين كأنه يقول ان هذا
 الرسول الذي هو الواسطة بينكم وبين ذلك الاله العظيم سيفي
 هدايتكم لمصالحكم الدنيوية والاخروية وقد علمتم بالمشاهدة او
 بالدليل ما عليه ذلك الرسول من النصيحة لكم والهداية الى سبيل
 الخير فعليكم اذن ان تسعوا لاداء ما شرعه لكم وهذا كم اليه من
 هذه العبادة الجليلة المتكفلة لكم بالخيرات الحسان ثم يطلب منهم
 الاقبال على تلك الصلاة مرتين وهو كالتصريح بما اشار اليه اولا
 بالتكبر والتشهد من لزوم الالتجاء الى حضرة ذلك الاله العظيم او هو
 كالنتيجة لما تقدم كانه يقول اذا كان ذلك الاله اكبر من كل
 كبير ومنفردا بالالوهية وقضاء حوائج الخلق وذلك الرسول
 الناصح قد هداكم الى عبادة ذلك الاله ووعدكم ببلوغ امانيتكم بها
 فعليكم ان تقبلوا عليها وتدخلوا حضرة ذلك الاله الجليل وتوسلوا
 اليه وتطلبوا قضاء حوائجكم الكلية والجزئية منه عند اداء تلك
 الصلاة ثم يشير الى ثمراتها وما احتوت عليه على وجه الاجمال
 فيقول حي على الفلاح مرتين كانه يقول ان فلاح المرء هو اعظم
 رغائبه وان الفلاح الدنيوي والاخروي منوط بهذه العبادة لما تفيد
 من تهذيب الاخلاق واستحضار عظمة الخلاق ونوال الثواب يوم

المآب فاقبلوا عليها واغتنموا فلاحها ثم بعد ذلك كله يستدرك
 ذلك المنادي ويريد صرف هم المكلفين لا كل الرغائب فانهم
 اذا قبلوا على هذه العبادة فلا يجعلوا مطمح انظارهم الاجتناب
 الحق تعالى والقرب الى حضرة فليكن هو المقصد الاعلى والمرام
 الاسنى في هذه الدار وفي دار القرار ولذلك يعيد التكبير مرتين
 وافراده تعالى بالالوهية فيقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ثم ان
 السامعين لذلك المنادي يقولون مثل قوله كأنهم يصرحون بموافقته
 على ما يسمعون منه ويقولون صدقت فيما تقول لكن عند طلبه منهم
 الاقبال على الصلاة والاقبال على الفلاح لا يقولون مثل قوله لان
 تلفظ المأمور بلفظ أمره الذي أمره به يعد كالسخرية بل يقولون
 لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كأنهم يقولون ان تحصيل هذا
 الخير العظيم من الدخول في تلك العبادة ونوال فلاحها لا طمع
 لنا فيه الا بحول الله تعالى وقوته فنحن نستعين به تعالى وليس قولهم
 ذلك عن قصد التكره لما دعوا اليه كما يستشكله بعض الجهالة ثم
 عند اجتماعهم في المكان الذي يخصص لاداء تلك العبادة يعيد
 عليهم ذلك المنادي تلك الالفاظ المتقدمة التي دعاهم بها اولاً
 لتأكيد تلك المعاني في نفوسهم وليسمع من لم يكن سمع اولاً بل
 حضر بسبب غير سماعه النداء وليكونوا على اتم الاستحضار لدخول

تلك الحضرة الجليلة حيث قد قرب وقت دخولها ولهذا يزيد على
 تلك الالفاظ قوله قد قامت الصلاة مرتين اي قرب وقت قيامها
 ثم ان هذه الشريعة شرطت لهذه العبادة شروطا وسنت لها آدابا
 فشرطت لها طهارة بدن المصلي وثوبه ومكانه من اعيان مستندرة
 ترد من خارج البدن او من داخله وطهارة بدنه من احوال
 اعتبارية تسمى احداثا يعتبر قيامها في بدنه عند حدوث امور
 مخصوصة وكأن في ذلك الاشارة والتنبية للمصلي على انه عند
 دخوله في الصلاة التي هي بمنزلة حضوره بين يدي مولاه ودخوله
 في حضرته لإبداء شكره وطلب برة يلزمه ان يكون نظيف الجوارح
 من الاعمال الذميمة التي يكون منشؤها من ميله وشهوته او من
 وساوس ترد عليه من غيره وان يكون طاهر القلب من الاخلاق
 السيئة غاسلا جميع تلك الادران بماء التوبة والندم كما ان من
 يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا يجتهد ان لا يقع نظر الملك على
 شيء منه تسميز منه نفسه ثم في غسل الجسد بالماء تنشيط يصل
 اثره للروح اذ العلاقة بينه وبينها لا تنكرفكل تاثير باحدهما يظهر
 في الاخر فترى الروح عند تلك الطهارة قد انشرفت وزال
 كسلها كأنها نشطت من عقال لاسيما عقب مباشرة النساء وفيها
 من الفوائد الطبية ما لا يخفى ثم ان الشريعة قسمت طهارة

بدن المكلف من الاحوال الاعتبارية التي تعتبر قيامها في بدنه
 وتسميها احداثا الى قسمين طهارة كبرى وهي غسل جميع الجسد
 وطهارة صغرى وهي غسل اعضاء منه مخصوصة ومسح اخرى
 فوجب غسل جميع الجسد عند خروج مني ولو حكما كما في
 حالة الجماع بلا احساس بانزال او عند خروج دم الرحم بالحيض
 او النفاس لان هذه الاعيان المستقدرة واردة من جميع البدن
 فتعتبر الشريعة بخروجها ان حالة اعتبارية تسمى حدثا اكبر قد
 حلت في جميع البدن فكانها تشير بغسله وتطهيره الى التوبة والطهارة
 من الذنوب التي تنسب الى البدن جميعه لا الى عضو مخصوص
 لاسيما الاخلاق السيئة وايضا ان هذه الاعيان هي مادة تكوين الولد
 فالمني مادة تلقيحه وتصوره ودم الرحم مادة غذائه ونموه والولد
 الذي يحدث بسببها يحتمل ان يكون ثقيا ويحتمل ان يكون
 شقيا فباعتبار النظر للاحتمال الاول يكون التسبب في تكون
 الولد من الاعمال الممدوحة شرا الموعود عليها بالثواب الجزيل
 للزوجين المتباشرين لاسيما ان كانت مباشرتهما على نية صالحة
 يقصد بها تكثير نسل الموحدين المطيعين لله تعالى وباعتبار النظر
 للاحتمال الثاني تظهر الاشارة الى المكاف عند خروج هذه الاعيان
 منه ان هذه الاشياء المنفصلة منك المشترك فيها جميع جسدك هي

مادة اتكوين ولد يحتمل ان يعصى الله تعالى ويكفر به فتنبه
 بغسل جسدك الى التوبة من تأهلك لهذا الذنب الذي انت في
 معرض الوقوع فيه فكأن المكلف يقول بلسان حاله ياربي اني
 بمشاهدة هذه الاعيان التي خرجت مني واشترك فيها جميع جسدي
 تمثل وتشخص عندي اني متأهل للتسبب بوزو ولد يكون لك
 عاصيا فانا اغسل جسدي واجعله عنوان توبتي اليك من هذا
 التأهل الذي انا متصف به وهذا من باب التباعد عن الوقوع في
 المعصية والمبالغة والتشدد في التوبة منها ولو كانت بالقوة لا بالفعل
 واما عند خروج بقية الاعيان المستقدرة من البدن التي لم يشترك
 فيها جميع الجسد حقيقة كخروج دم من غير الرحم وخروج شيء
 من احد السيلين غير المني والدم المذكور او حكما كما عند تماس
 الفرجين من غير ادخال فاعتبرت الشريعة ان حالة اعتبارية
 تسمى حدثا اصغر حلت في اعضاء مخصوصة من الجسد وكأنها
 تشير بالطهارة الصغرى المسماة وضوءا وهي غسل بعضها ومسح
 الاخر الى التوبة من ذنوب تلك الاعضاء المخصوصة وفي تخصيصها
 وترتيب تطهيرها سر عجيب يروق ذوي الالباب ويان ذلك
 انه ليس في البدن ما يتحرك للمخالفة اسرع من هذه الاعضاء فكأن
 في غسلها التنبيه للمتعبدين على الاعتناء بطهارتها الباطنة وهي التوبة

من ذنوبها الكثيرة الوقوع واما ترتيبها في التطهير فعلى ترتيب
 سرعة الحركة في المخالفة فما كان منها اسرع في التحرك في المعصية
 من غيره امر المكلف بغسله قبل ما بعده فامر بغسل الوجه اولا
 وفيه الفم والانف والعينان فيبدأ بغسل فمه اولا لان اللسان اكثر
 الاعضاء واشدها حركة في المخالفة لان به التلفظ بالكفر والغيبة
 والنميمة والفحش وغير ذلك من أفات اللسان فيغسل الفم يتذكر ان
 طهارة الظاهر انما هي اشارة الباطن فيتوب الى الله تعالى ويقطع عما
 تكلم به لسانه ثم بالاستنشاق يتذكر كذلك ويتوب مما شم بانفه
 وكذلك يتوب مما نظرت عيناه مما حرم عليه نظره ثم يؤمر بغسل
 اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت اليدين او لمستا
 فاذا جاء الى طهارتهما ابتداء بطهارتهما باطنا فيتوب مما تحركتافيه ثم
 يؤمر بمسح راسه وكأنه انما أمر بمسحه ولم يؤمر بغسله لاجل انه لم يقع من
 نفس الراس مخالفة وانما هو مجاور لما وقعت منه وهو اللسان والعينان
 فاعطى حكما بين حكمين وأمر بمسحه ولم يؤمر بغسله وكأنه لما كان
 السمع قد بطرؤ على الانسان في غالب الحال وهو لا يعتمد
 خفف امر الاذنين فامر بمسحهما ولم يؤمر بغسلهما وبهذين المسحين
 يتذكر فيتوب ويظهر الباطن مما سمعت الاذنان ومما وقع من
 الراس من مجاورة تلك الاعضاء المخطئة ومثل ذلك يقال في مسح

الرقبة ثم يؤمر بعد ذلك بغسل الرجلين لان العينين اذا نظرنا وتكلم
 اللسان وتحركت اليد وسمعت الاذن حينئذ تسمى الرجلان
 فالرجلان اخر الجميع في المخالفة فجعلنا اخر الجميع في الغسل
 وبغسلهما يتذكر ويقدم طهارتهما الباطنية فيتوب مما سعتا فيه من
 المخالفة ثم كأن لتثليث الغسل للاعضاء المغسولة المباشرة للمخالفة
 عمدا في الغالب سرا دقيقا وحكمة فائقة وهي المقابلة لاركان التوبة
 الثلاثة وهي الندم على ما وقع من الذنب والاقلاع عنه والعزم
 على عدم العود اليه فكأن كل غسلة تنبيه على ركن من هذه
 الاركان ثم بعد فراغ المتوضي من الوضوء وتحصيل ما امر به
 من تطهير الباطن بالتوبة شرع له ان يقول اللهم اجعلني من
 التوايين واجعلني من المتطهرين فكأن فيه اشارة له ان يسأل الله
 تعالى قبول ما قد اتى به من التوبة والتطهير والتفضل به عليه ثم
 اذا تعسر الماء على مريد الصلاة فقد عوضته الشريعة بالتمسده وهو
 مسح الوجه واليدين بظاهر من جنس الارض وهذه هي الاعضاء
 التي ينزهها الانسان عن ملامسة ذلك غالبا زيادة عن غيرها
 ففي ذلك المسح بعض الذلة والانكسار للنفس فكأن الاشارة فيه
 الى العبد انه اذا تعسرت عليه اركان التوبة ولم يوفق لها فلا اقل
 من التجائه الى الذلة والانكسار من روية معاصيه فقد يكون ذلك

سببا لعفو مولاه تعالى كما قيل رب معصية اورثت ذلّا وانكساراً
خير من طاعة اورثت عزّاً واستكباراً على ان ذلك المسمع بملاحظة
الاشارة المذكورة تحقيق باغراء العبد بتحصيل تلك الاركان ثم لما
كانت الرجالان في اعضاء الوضوء هما محل الاسراف بالماء ومظنة
المشقة خفف الامر باباحة مسح خفيهما الملبوسين بالماء بشروط
مخصوصة ولا تفوت بمسحهما اشارة التذكير للتوبة من معاصيهما ثم
شرطت هذه الشريعة لهذه الصلاة ستر العورة وفيه من الادب
الظاهر ما لا يخفى وفيه اشارة الى ان العبد عند دخوله في الصلاة
ويتمثله في حضرة مولاه اذا لم يتيسر له الطهارة من المخالفة بالمعاصي
والاخلاق السيئة بالتوبة التامة فلا اقل من ان يعالج اضعاف
تلك المخالفات واخماد سورتها حتى تبقى كالمستورة وان كان
لا يخفى على علم الله شيء وفي الستر ايضا منع دواعي الشهوة للجماع
بحجب النظر عن اعضائه وما يقرب منها ولما كان النظر الى
جميع بدن المرأة داعيا لتلك الشهوة شرط لها ستر جميع جسدها
الاما احوجت الضرورة الى كشفه من الوجه واليدين والقدمين
اذا كانت حرة والافهذه الاعضاء واعضاء اخرى تقتضي الخدمة
كشفها غالبا وفي التزام سترها نوع من الحرج اذا كانت رقيقة
وشرطت لها ايضا استقبال المصلي جهة الكعبة لان العبد قد خلق

ذا جهات ألوفها عند اداء اعماله وهي الامام والخلف واليمين
 والشمال والفوق والتحت فلو فوض اليه امر الاستقبال وخير في
 اي جهة اراد عند اداء هذه الصلاة التي يطلب فيها حضور
 القلب مع الله تعالى وجمع الضمير في خدمته تعالى لغلب على نفسه
 الاضطراب والحيرة فلا يدري اي الجهات هي اقرب واوفق
 لاقبال مولاه عليه واجابة دعاه فلفظا من الله تعالى وتنزلا لعقل
 العبد وفطرته التي فطر عليها عين له في توجيهه جهة الكعبة المكرمة
 التي هي بقعة من الارض شرفها الحق وكرمها وله ان يفضل ما يشاء
 من ملكه اذ هو الفاعل المختار والمالك المطلق وسماهايته وهو سبحانه
 غني عن المكان ومنزه عنه وبهذا التعيين يجمع قلب العبد عند
 مناجاة ربه وتطمئن نفسه بانه استقبل افضل الجهات واقر بها
 واوفقها لاقبال ربه عليه وحظوته باجابة دعاه فقد تبين ان الصلاة
 وما تحنوي عليه من نحو ركوع وسجود يقصد بها جناب الحق تعالى
 عند استقبال الكعبة وليس المقصود بها الكعبة فان الشريعة تحكم
 على من يقصد بسجوده غير الله تعالى بالكفر والعياذ بالله تعالى
 فتوهم قصد الكعبة بتلك العبادة يعد من اقبح الجهل الفاحش ثم ان
 تلك الصلاة مفتحة بالتكبير كما تقدم وهو قول العبد الله اكبر
 ويرفع عنده يديه حذاء اذنيه والمرأة قبال كتفها وفي ذلك مع تعظيم

الله تعالى والاتيان بما هو بمنزلة التحية والسلام على حضرة الملك
والاستئذان بالدخول عليه اشارة للعبد ان يستحضر ان مولاه الذي
هو عازم على التمثل بين يديه اكبر من كل شيء ولا يداينه شيء
في العظمة والكبريا فعلى العبد ان يطهر قلبه من كل ما سوى مولاه
من علائق الدنيا ورغائب الآخرة واكد هذا المعنى باشارة رفع
اليدين كالذي يكف يديه عن تناول ما هو حاضر امامه كأنه
يقنع ان كل ما سوى مولاه حاضر نصب عينيه ويكف يديه
عنه قائلا الله اكبر من كل شيء فلا اختار عليه سواه وها انا فارقت
رغائبي وعزمت على الدخول في حضرة وفي بلوغ الرجل في رفع
يديه حذاء اذنيه والمرأة قبال منكبيها اشارة الى انحطاط رتبها
عنه في الاقتدار على كف النفس عن رغائبها فكأن كلاً منهما
يترجم ويشير الى منزلته في ذلك الاقتدار على ان اكتفاء المرأة
بحذاء المنكين اقرب لسترها اللائق بشانها ثم بعد ذلك التكبير
يتمثل العبد قائماً قيام الخادم بين يدي مولاه واضعاً يديه بهيئة
الادب مطرقاً نظره الى الارض صافاً قدميه لا يتحرك منه عضو
ولا يميل منه طرف ثم يشرع في الاستفتاح وهو تسبيح ربه وتنزيهه
والثناء عليه وتعظيم اسمه والتنويه بعظمته سلطانه وافراده بالالوهية
وهو بمنزلة استفتاح الخطاب للملوك بذكر الالقاب التي تذكر قبل

مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتجليل والله المثل الاعلى فالتكبير
افتتاح دخول الحضرة الالهية وهذا استفتاح خطاب الحق تعالى
ثم لما كان الشيطان مسلطا على العبد وحريصا على تفريق قلبه
بوساوسه وتشويش مناجاته مع ربه يريد العبد ان يتحصن من
ذلك العدو الالذ فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بعد ان
يطمئن قلبه باعادة مولاه اياه من ذلك العدو المبين ولم يبق الا
التشرف بمناجاة ربه سبحانه يشرع في قراءة الفاتحة وكأن الاشارة
في قراءتها ما يأتي وهو انه يتدنى بالتوسل اليه سبحانه بالتشرف
الوسائل وهو اسمه العظيم الاعظم الذي لم يسم به سواه متيمنا بذكره
وحيث يرى انه في مقام هو فيه احوج ما يكون الى الرحمة
والاحسان بجلال النعم ودقائقها اذ هو مقام الطلب لرغائبه ونوال
امانيه ياخذ بوصف ربه بانه الرحمن الرحيم كأنه يشير الى انه
لا وسيلة له في اجابة دعاه الا الرحمة العامة المطلقة من جانب
مولاه ثم يستحضر عظمة الحق سبحانه وسعة انعامه على خلقه لاسيما
نعمة التربية التي تلازم العبد من اول نشأته فيأخذ بالثناء
عليه لذاته العلية المستحقة اسنى المحامد ولنعمه الوفية التي من
أكملها نعمة التربية بادرار الارزاق الحسية والمعنوية والامداد
بابقاء الوجود ثم يلاحظ ان كثيرا لا يراعون قدر هذه النعمة ولا

يوفونها شكرها ولعل ذلك العبد من اولئك الكثير فيعود ويتبع
الى جانب الرحمة الالهية ويصف ربه بها اشارة الى ان هوله
لا يسعهم الا تلك الرحمة الواسعة ثم يلاحظ ان البعض منهم
لا يزيده الاحسان الا بطراً ولا يصلحه الا المعاملة بالعدل والتاديب
فينعطف العبد الى وصف مولاه بصفة الجلال بانه مالك ومالك
يوم الدين والجزاء فكما ينبغي للعبد ان يرجوه اعظم الرجاء ينبغي
ان يخافه اشد الخوف ثم ياخذ العبد في عرض عبادته وخدمته
على جناب ربه سبحانه التي هي بعض الشكر لنعمه تعالى ويلاحظ
اثنين مهمين الاول انه مقصر في ايفاء تلك العبادات فيعرضها مع
عبادة اخوانه الموحدين الذين كثير منهم بلغ على قدر طاقته
البشرية ايفاء عبادته باخلاصه فيها لعل عبادته ذلك العبد تقبل
في ضمن عباداتهم لانه سبحانه نهى عن تفريق الصفة بين المتبايعين
فالرجاء به سبحانه ان لا يفعل ما نهى عنه فيرد عبادته ذلك المصلي
ويقبل عبادته سواء والثاني ان المشركين اشركوا في عبادته ذلك
الاله المستحق الافراد بالعبادة فياتي ذلك المصلي في عرض
عبادته بصيغة تفيد حصر العبادة به تعالى ثم ينظر الى حاله فيجد
انه عاجز اشد العجز عن القيام بتلك الخدمة واداء ذلك الشكر ان
لم يعنه الحق تعالى ويخلق افعاله ويسدد اعماله ويوجد في قلبه

الباعث ويدفع عنه المانع وانه لا يقدر على ذلك سواء تعالى فيطلب
 الاعانة منه تعالى بعبارة تشعر بانه لا يستعين بسواه ثم يلاحظ ان
 المقبول عند مولاه من الخدمة ما كان على منهج الاستقامة خاليا
 من كل عوج فيطلب منه سبحانه الهداية الى الطريق المستقيم ليحظى
 في عبادته بالقبول ويبلغ اسمى الوصول ثم ان الخلق مفترقون
 ثلاث فرق منهم من هدى الصراط المستقيم اعتقاداً وعملاً ففازوا
 في ذلك بنعمة الله تعالى عليهم ومنهم من زاغ في طريق العمل
 فاستحقوا غضب الله تعالى ومنهم من زاغ في طريق الاعتقاد فاصبحوا
 ضالين عن الصواب فبعد ان طلب المصلي الهداية الى الصراط
 المستقيم يرغب ان يكون في ذلك الصراط رفيق الفرقة المنعم عليهم
 بصحة الاعتقاد وحسن الاعمال ليقتبس من انوارهم ويقتطف من
 اثمارهم وفيه الاشارة الى حاجة العبد الى المرشد في طريق الحق
 ورغبته في التباعد عن اهل الفسق وذوي الضلال فكأن المصلي
 يقول ياربنا ندعوك انا واخواني الموحدون ان يكون ذلك الصراط
 المستقيم الذي طلبنا الهداية اليه صراط القوم الذين انعمت عليهم
 بصحة العقائد وحسن الاعمال لنكون في رفقتهم ونفوز بركة صحبتهم
 لاصراط المغضوب عليهم بما جنوه من الاعمال السيئة ولا الضالين
 بما اعتقدوه من العقائد الباطلة فهولاء باعدنا عنهم لئلا تسري الينا

بلوهم ونصاب بما اعتراهم ثم يختم ذلك الدعاء بطلب الاجابة لما
 دعا به مولاه اذ هو اكرم مسئول واقرب مجيب فيقول امين اي
 استجب لنا ياربنا كما وعدتنا على لسان رسولك ثم لما كان المريض
 عند طلبه من الطبيب المعالجة يصره باخذ الدواء ويعده بالشفاء
 وهو عليه ان يمثل ويستعمل ذلك الدواء صار الحال كأن العبد
 في طلبه الهداية من مولاه تعالى الى ذلك الصراط المستقيم يطلب
 الدواء الكافي لشفائه من امراض الاعمال والاعتقادات السيئة
 فيقول الله تعالى له خذ دواءك من كلامي واتل شيئاً منه فهو الدواء
 الوحيد الشافي الكافي لجميع الامراض من الفسق والشرك والرياء
 والكبر والحسد والحقد وغير ذلك اذ فيه الدلائل الوافية والمواعظ
 الكافية فبتلاوته تجد دواء دائك وشفاء بلوائك فياخذ المصلي
 بتلاوة شيء من القرآن غير الفاتحة التي كانت كشكوى المريض
 للطبيب واسارة الطبيب بالدواء المفيد ثم بعد اخذه ذلك الدواء
 وهو تلاوة شيء من كلام الله تعالى ينظر الى عجزه وضعفه واحتياجه
 الى مولاه في هدايته لذلك الدواء وحصول الشفاء ويتصور انه
 لا قادر على ذلك سوى مولاه الذي انتهت اليه الرغائب فيغفر
 المصلي حينئذ راعياً ممثلاً بصورة عجزه مكبراً مولاه تعالى ثم يسبح
 مولاه العظيم الذي استغنى عن كل ما سواه وافتقر اليه كل ما

عداد وهذا غاية العظمة ثم بعد تمثيله لعجزه واقرار به بافتقاره وتنويه
 بعظمة مولاه الذي انتهت اليه الحوائج ينهض من صورة ذلك
 التمثيل لاداء الحمد والشكر لمولاه الذي من عليه بالدواء الشافي من
 الداء ويوطن نفسه بانه وان يكن هو في غاية الضعف ونهاية الحقارة
 ومولاه في غاية العظمة والكبرياء فهو سبحانه سميع مجيب يسمع حمد
 من يحمده فلذلك يقول تأنيسا لنفسه سمع الله لمن حمده ثم يعرض
 حمده ويقول اللهم ربنا ولك الحمد ثم يرى ان نعم مولاه عليه
 لا تحصر وهو عاجز عن اداء عشر معشار شكرها ولو قطع الابد
 طاعة وخضوعا فكأن لسان حاله غدا عند ذلك يقول ياربني اني
 عاجز عن اداء شكر نعمك وانت غني عن كل شيء فاي عمل
 يكون مكافأة لعظيم افضالك وانت الكبير المتعالي فما عندي الا
 جهد المقل وهو اني اضع اشرف اعضائي واعزها علي واكرمها
 لدى وهو وجهي على الارض تعظيما لجلالك وتنويها برفيع كمالك
 وهذا غاية اقتداري ونهاية استطاعتي على ان ذلك لا يزيد في
 عظمتك وكبرياتك شيئا اذ انت اكبر من كل كبير فيخسر ساجدا
 معظما مولاه قائلا لله اكبر ويضع جبهته على الارض وفي ذلك السجود
 يرى نفسه قد بلغ غاية الخضوع وانه ما فعل ذلك الا لتعظيم مولاه
 الاعلى فوق كل علي فينطلق لسانه قائلا سبحان ربي الاعلى ثم يرفع

من سجوده لاستحضاره عجزه عن استيفاء تعظيم معبوده وأوقضى
 عمره ببذل مجهوده قائلاً الله أكبر كأنه يشير إلى أنه لا يدرك شأ
 عظمته وكبريائه تعظيم المعظمين وتكبير المكبرين ثم بعد رفعه
 من السجود كأنه يجد أن تلك الحالة السجودية هي غاية شرفه وأكمل
 مجده وأنه لم يقض أربه من ذلك المرام السامي ويتذكر أن إبليس
 امتنع أشقائه عن السجود مرة واحدة فيعود فيسجد ثانياً داخل تلك
 الحضرة السجودية معظمها موله بالقول والعمل والطوية بخالفاً
 الشيطان في حميته الشيطانية ثم يرفع من ذلك السجود الثاني لاداء
 بقية ما أمره موله به من أنواع أخرى من العبادات ويجري في أكمال
 الصلاة على المنوال المتقدم لحكم وأسرار يطول شرحها حتى يتم ما
 فرض عليه موله فيها من الأقوال والأفعال المشتملة على الفوائد
 التي في سواها لا تنال ثم يجلس جلوس العبد على ركبته متهيئاً
 للخروج من تلك الحضرة والرجوع إلى حالته التي كان عليها قبل
 دخوله في هذه الخدمة لتحصيل ضروراته التي فطر على السعي في
 طلبها والتفرغ لعبادات أخرى مدعو إليها فيأخذ بتقديم التحيات
 وعرض الصلوات والطيبات لدى موله رب الأرض والسماوات
 مثلما يسم المفارق لحضرة سلطانه عند خروجه من ديوانه ثم كأنه
 يتذكر فضل من كان سبب هدايته لدخول تلك الحضرة وتشرفه

بتلك الخدمة وهو رسول الله (عليه السلام) فيسلم ويترحم ويبارك
عليه قائل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يرغب
الى الله تعالى بالأمان له ولاخوانه المتعبدين على ما انعم به عليه
واولاه من انوار هذ العباداة وفوائد تلك الخدمة فيقول السلام
علينا ثم يتذكر اخوانه الذين كان في اول تلك العباداة عرض
عبادته مع عبادتهم رجاء القبول فصار عليه لهم حق خصوصي
معقول فيدعوهم بالأمان على نعم مولاهم عليهم ويقول وعلى عباد
الله الصالحين ثم كأنه يمثل لديه مشاهدة ان المنعم الحقيقي هو
الله تعالى وان الواسطة العظمى لبلوغ هذا الخير هو محمد رسول
الله (عليه السلام) فيشهد من صميم قلبه بتفرد الله بالالوهية ويشير
برفع احدى اصابعه المسماة بالمسبحة الى ذلك التفرد حتى يكون
موحداً اعتقاداً وقولاً وعملاً وفي ذلك الاشارة الى ان التفرد
بالالوهية هو المنفرد بالانعام ثم يشهد باكمل المراتب وهي
العبودية لله تعالى وباشرف المناصب وهي الرسالة لمحمد رسول الله
عليه السلام ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله ثم ينعطف للدعاء لهذا الرسول الكريم الذي كان الواسطة
بذلك الخير العظيم فيطلب له الصلاة والمباركة عليه وعلى آله
جزاء هدايته للمؤمنين كما صلى وبارك ربه على ابراهيم وعلى آله

جزاء هدايته للامم السابقين ثم يلحظ ذلك المصلي افتقاره لمولاه في كل ضروراته الدنوية والاخروية فيعيد الدعاء والتضرع فيطلب لنفسه جميع ما يحتاج اليه ثم لما لم يبق الا الخروج من تلك الحضرة لاداء ما كلف به من بقية الطاعات والسعي في احتياجاته المعاشية التي كلفه الله تعالى بها حسبما رتب في هذا الكون من ربط المسببات بالاسباب يفارق تلك الحضرة بتحويل وجهه مع بقاء قلبه على توجهه كأن لسان حاله يقول لولا الضرورة لما تجرعت ألم هذا الفراق وبارحت تلك الخدمة الشريفة والضيافة المنيفة التي قد حوت الوان العبادات من ذكر ودعاء وتعظيم الحق تعالى وسجود وركوع وتذلل وخشوع واشتملت على طرائف اسرار وبواهر انوار فيطل بالتفاتة على عالمه الذي كان فارقه ويتوجه الى اخوانه من مؤمني الانس والملائكة ويقول السلام عليكم ورحمة الله ثم يأخذ بعد ذلك في اداء تكاليفه وتحصيل احتياجاته ثم لما كان الانسان عند قيامه من منامه يصبح كالبعوث بعد الموت لان النوم موت الادراك والاحساس فيجد ان الله تعالى قد احياه من بعد تلك الحالة النومية الشبيهة بالموت وقد عوض عليه بهذا المنام ما كان خسره من جسده وقوته بسبب حركات اعضائه في اعماله وجولان افكاره في همومه فاصبح مرتاحا نشطا بعد ان كان

تعباً كسلاتاً وقد حمّاه مولاه في تلك الحالة النومية من اذى
 المؤذيات وشرور العاديات واتم هضم طعامه الذي رزقه اياه وجعله
 غذاءه بدورة عجيبة وحركة غريبة وتدير يحار فيه الفكر وهو
 لا يدري ما هو جارٍ هناك ولا بما جلب له من المنافع ودفع عنه
 من المضار غاية ما سقى هو فيه انه دفع ذلك الجسم الطعامي في
 معدته وفاز بلذته وربما لا يخطر بعد ذلك في فكره الى غير ذلك
 من النعم التي يعجز عن حصرها اللسان والقلم فيكان عليه بطريق
 الحتم لاداء الشكر ان يبادر عند يقظته الى خدمة الصلاة المذكورة
 فيصلي صلاة تدعى صلاة الفجر ثم بعد ما يمضي عليه نصف النهار
 وقد وجد نعم الله عليه عظيمة المقدار من اثار الكون لهدايته
 لسبيل معاشه وامداده بحواسه التي يميز بها النافع من الضار وبالقدرة
 والاستطاعة على مقاصده وقد فتح له باب الكسب ورزقه حاجته
 من الغذاء الى غير ذلك من النعم المستحيلة الاحصاء فكان عليه
 ان يعود الى اداء بعض الشكر فيصلي صلاة تسمى صلاة الظهر
 ثم عندما يجدد النهار قد قارب الزوال وقد تواردت عليه في ضمنه
 نعم عظيمة المثال وقد عزم على عوده لمسكنه بطينا بعد ما فارقه
 خميصاً تحتم عليه العود الى تلك الخدمة بل النعمة فيصلي صلاة تسمى
 صلاة العصر ثم عند ما ولي النهار واقبل الليل الصالح لسكونه وراحته

ولم يكن النهار سرمداً لا يجد فيه إلى السكون والراحة سيلاً بل
انقضى مملوئاً بالنعم ولطائف الكرم كان عليه الرجوع إلى تلك
العبادة بل السعادة فيصلي صلاة تسمى صلاة المغرب ثم حينما
حوم الظلام ولم يبق إلا المنام ووجد أن النعم التي تواردت عليه
من الصباح إلى ذلك الآن يعجز عن شكرها وجميع ما آداه من
العبادة ما قام بمقابلة عشر عشرها ورأى أن يجاهد هذا الوقت الصالح
لراحته مع أمنه من المخاوف وأيوائه في مسكته على الفراش الوارف
من جملة النعم التي لا تحصى بادر إلى أداء صلاة تسمى صلاة العشاء
قياماً ببعض الشكر الذي يعجز عن إيفائه مدة العمر لأنه لو دام
آناء الليل ولحظات النهار في خدمة مولاه لم يكن إلا مقصراً
ولا يدعي إلا عاجزاً ثم إن تلك الصلوات الواجبة لأداء الشكر
جعلت في الحضر عشرين ركعة عشرة نهارية وعشرة ليلية وردت
في السفر للتخفيف إلى أربع عشرة ستة في النهار لأنه محل حركة
السفر وثمانية في الليل لأنه محل قرار المسافر وسكونه وقد ضمت
للصلوات الخمس صلوات أخرى غير واجبة تدعى سنناً لتكميل
ما عسى أن يطرأ من النقص في الصلوات الواجبة ثم للعناية برمضان
شرع فيه عشرون ركعة أخرى تسمى التراويح لزيادة التكميل
لصلواته هذا وإذا تأملنا في هذه الصلوات الخمس وجدنا فيها فوائد

وحكما لا تحصى من تهذيب النفوس لاسيما نفوس الجبابرة
 والمتكبرين الذين يأنفون من مس الارض لاذيالم فضلا عن
 جباهم ومن تمرينها على الخضوع ومن تذكير الغافلين والمنهمكين
 في هموم الدنيا بخالقهم والرقيب عليهم اذ لولا انقيادهم الى تلك
 الخدمة والقيام بين ايدي رب النعمة لمرت عليهم الايام بل الاعوام
 والرجل منهم لا يخطر في باله ان له الها عليه حسيبا رقيبا وناهيك ما
 في هذه الغفلة من التأهل لارتكاب كل مخالفة وتجشم كل شر (هذا
 وما فكيف لو) ومن تجديد التوبة في كل وقت صلاة ومن هنا
 يظهر سر كون الصلاة وصلة بين العبد وربه وكونها تنهى عن الفحشاء
 والمنكر كما جاء في القرآن الشريف ثم في صلاة الجماعة واتباع المصلين
 لامامهم في جميع اعمال الصلاة تمرين النفوس على الاطاعة والانقياد
 الى الرئيس كما نرى رؤساء الجنود يمرنونهم على اعمال يعلمون انهم
 لا يمكنهم مراعاتها وقت الحرب وانما القصد منها ألفة نفوس الجند
 للاطاعة والانقياد لامر الرئيس (وقد ادرك هذا السر رستم قائد
 جيش الفرس عندما رأى الصحابة يصلون خلف امامهم ويتحركون
 لحركته ويسكنون لسكونه فقال في حق سيدنا عمر ما قال مما هو
 منقول في كتب التاريخ) وفي صلاة الجماعة ايضا اجتماع المسلمين
 مع بعضهم في اوقات تلك الصلوات كما في غيرها من العبادات

وذلك انه على اهل كل محلة ان يجتمعوا في اليوم واللييلة في مسجد
 محلتهم خمس مرات في جماعة هذه الصلوات وعلى اهل البلدة
 ان يجتمعوا في الاسبوع مرة في صلاة الجمعة واهل البلدة وما
 جاورها يجتمعون غالبا في العام مرتين في صلاة العيدين كما ان
 على اهل الاقطار ان يجتمعوا في العمر مرة من استطاع منهم في
 اداء الحج كما سيأتي عند الكلام على فريضة الحج وقد شرعت
 الشريعة المحمدية لاتباعها في بعض هذه الاجتماعات ان يخطبهم
 امامهم بالخطب المشتملة على المواعظ والزواجر والتذكير بما جاء
 به رسولهم واوجبت عليهم الاستماع لتلك الخطب والانصات
 فتراهم جاثين على الركب مطرقين الرؤوس منصتين مستمعين لا
 تبدو منهم حركة كأن على رؤسهم الطير لا يظهر منهم تصفيق
 استحسان ولا تصفير استقباح علما منهم ان جميع ما يتلوه عليهم
 خطيبهم هو وفق شريعة رسولهم نعم لو فرض خروجه عن حدودها
 (وهذا لا يكون) كان عليهم ان يردوه اليها يساح ذلك لكبيرهم
 وصغيرهم ثم لكثرة فوائد هذه الصلاة في الشريعة المحمدية شددت
 النكير على كل من يتركها وصفته بالشد الاثم وحكمت عليه بالنكال
 الشديد في الدنيا والاخرة حتى جعلت تركها عنوان الكفر كما جعلت
 المواظبة عليها عنوان الايمان ومن هنا يظهر جهل من يتساهل في

امر هذه الصلاة من احاط به الكسل او استولى الشيطان على قلبه
 وانطمست عين بصيرته فراح ينظر القشر وفاته نظر الباب حتى
 ان بعض الجهالة من تاركها يعتذرون عن تركها بمخافات واهية
 ويقولون ان ربنا غني عن المداينة ولا حاجة له بهذه الصلاة
 فقل لهؤلاء الاغرار نعم ان ربنا غني عن كل شيء ولكن انتم يا ضعفاء
 العقول لستم باغنياء عن الفوائد التي تشتمل عليها الصلاة وقد
 اوجبها الله عليكم لا تخافكم بها لانواله شيئاً منكم أأنتم اغنياء عن
 التهذيب والتذكير بربكم وتجديد التوبة والتمرين على الاطاعة
 وثمرات الاجتماع مع اخوانكم الداعي ذلك الى الالفة والتعاون الى
 غير ذلك من فوائد الصلاة لا اخالكم تدعون الاستغناء عن ذلك
 وان افضى بكم الجهل والعناد الى ادعاء هذه الدعوى فلا اراكم
 حينئذ الاحمقاء يستحقون الاسقاط والاهمال من عداد الرجال
 فانتم بعد ذلك كالمرضى الذين يامرهم الطبيب الناصح بتناول الدواء
 النافع وهم يمتنعون عن تناوله ويقولون للطبيب انت غني عن
 تناولنا هذا الدواء نعم ان الطبيب غني عن ذلك ولكن هل هؤلاء
 المرضى غنيون عنه لا يكون صدور ذلك القول منهم الا من
 هذيان المرض الذي تعنت عقولهم ثم قل لهؤلاء الظالمين لا تفهم
 بحرمانها فوائد الصلاة لاي داع تتركون الصلاة ان كنتم تتركونها

جحوداً واستقباحاً لما بعقولكم الفاسدة فاعلموا ان الشريعة المحمدية
 قد حكمت عليكم بالكفر وخلع ربة الايمان فلا كلام لنا معكم
 حينئذ في شان الصلاة اذ ليس بعد الكفر ذنب ولكن علينا ان
 نصيحكم بتجديد ايمانكم وتوبتكم من الكفر وان كنتم تتركونها كسلاً
 فما ابرد ذلك الكسل وما اسعجه في النفوس تأملوا يا جهلاء ان
 اليوم اربع وعشرون ساعة ترحون فيها بشهواتكم وملذاتكم والسعي
 على ما ربكم الدنوية والاوقات التي تلزم لاداء هذه الصلوات اذا
 جمعت تبلغ الساعة او الساعتين ا يكون من الانصاف وسداد
 الراي وحسن التدبير ان تنشطوا لنوالكم تلك الشهوات الزائلة
 والمآرب الفانية اثنين وعشرين ساعة وتكسلوا عن نوال تلك
 الفوائد النافعة الدائمة قدر ساعة او ساعتين اقل من عشر اليوم
 ا هذا نصيكم لانفسكم ا هذا نتيجة عقولكم التي تدعون انها عقول
 سليمة تهتدون بها في مناهج الصواب من يتأمل فيكم الخير بعد ما
 غشتم انفسكم من ينتظر عدلكم اذا كنتم لنا حكماً من يطمئن
 لامانتكم اذا كنتم بيننا تجاراً من يحسبكم من عداد اخوانه المسلمين
 وقد هدمتم ركناً من اعظم اركان الدين الاسلامي ما عذرکم
 عند ربكم في ترك هذه الصلاة وقد امرکم باقامتها المرات العديدة
 في كتابه العزيز اما تخرجلون من رسولكم الذي كانت قرة عينه

عليه السلام في الصلاة والله اني لا اعجب ممن يتركونها وهم يدعون
 الدين الاسلامي ويظهر من محاوراتهم ان لهم عقولا وآراء سديدة
 في امر الدنيا ولكن عندما تذكر لهم الصلاة اراهم عبي البصائر عن
 ثرائها تنقلب عقولهم كعقول الاطفال فلا تاويل لذلك عندي
 الا ان معهم الخبل المفرد في شان هذه العبادة وهو نوع من الجنون
 والجنون فنون وتالله اني لا أخجل عندما ارى بعض هؤلاء
 ممن ينسب للعقل والفتنة والبروءة جالسا في مجلسه معرضا
 عن الصلاة مع اخوانه الذين قاموا لاداء الصلاة في ذلك
 المجلس اعراض الثور عن كيمان الذهب الابريزيا للعارو بالخجل
 من افعال السفل اما يعلم ذلك البهيم ان كل من شاهده في
 هذه الحالة من اخوانه المومنين يعتقد به الفسق ان لم ينسبه
 للكفر وتخط منزلته من قلبه ويتصوره ضعيف الدين واهي
 اليقين مرذول المقام بين اخوانه المسلمين مسلوب العدالة مردود
 الشهادة اما يحس ذلك الجاهل بالمثل الخجل في نفسه من تلك
 الحالة السافلة نعم انه يحس ولكن الشقاء غلب عليه والشيطان
 لعب به وليعلم ذلك الغر ان اخوانه المسلمين وان لم يصرحوا له
 بقبیح حاله لمناع من الموانع فترجمة حاله في نفوسهم هي من
 اقبح التراجيد فاقبل كلمة يذكرونها عند سنوح فرصة للتصريح

قولهم (تارك صلاة قليل الدين) فانا لله وانا اليه راجعون ثم وجد
هؤلاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على من كان غنيا
من اتباعها الزكاة وهي اداء جزء من اموالهم في كل سنة الى فقرائهم
قياما بحق الشفقة والرحمة وشعائر الانسانية وتطهيرا لنفوسهم من
رذيلة البخل ومع ذلك وعدتهم بالشواب الجزيل على اداء ذلك
القدر القليل وقد عين مقدار ما يجب عليهم على وجه لا يظهر به
نقص في اموالهم واذا اكملوا اداءه لاتجد بينهم فقيرا يعوزه امر كفايته
ثم ان هذه العبادة مع حصول هاتين الفائدةين وهما سد حاجة
الفقير وتطهير نفس الغني والفة نفسه للعطاء الذي هو من اكرم
الاخلاق يسبر بها مقدار حب المزي لله تعالى في اخراج محبوبه
وهو المال من يده ابتغاء لمرضائه عز وجل ومن هنا ينتبه المؤمن الى
ان التحيل في اسقاط الزكاة عنه غير مقبول عند الله تعالى لان في
التحيل فقد المنفعتين المذكورتين فاي سد حاجة للفقير في التحيل
ولم يصل ليده ما يغني فقره واي تطهير لنفس الغني من داء البخل
ومحبوبه لم يخرج من يده

ووجد هؤلاء الطائفة ايضا ان الشريعة المحمدية اوجبت على
المكلفين من اتباعها صيام شهر واحد من السنة اي امتناعهم نهائيا
فيه عن الاكل والشرب بمباشرة النساء وفي ذلك ثمرات جمّة من

اجلها تهذيب نفس الصائم بكبحها عن شهواتها اطاعة لخالقه تعالى
فيتسلط عقله على نفسه بعد ان كانت مسلطة عليه ويظهر لها انها
صارت محكومة بعد ان كانت حاكمة فتأس من اطاعته لها فيما
حرمته الشريعة من المضار وكأنها تقول اذا عجزت عن التسلط
على عقل صاحبي عند صيامه في تناوله الطعام والشراب النافعين
المملوكين له وفي مباشرة زوجته الآمن ضرر يحصل بمباشرتها
فكيف يمكنني التسلط عليه في تناوله طعام الغير او شرابه بغير رضاه
وذلك يقبح كل القبح او في تناوله الشراب المسكر المذهب للعقل
والمخل بالشرف او في مباشرة غير زوجته التي يحصل بمباشرتها
اضرار كثيرة من معارضة الناس وخلط الانساب وضياع الذرية
وادخال الحقوق على غير اهلها ثم قالوا لو تأملنا في حالة اتباع محمد
(عليه السلام) عندما يجلسون في شهر صيامهم قيل الغروب وامامهم
طعامهم وشرابهم ونفوسهم تائقة اليهما وهم ينظرون اليهما من طرف
مشوق ومع ذلك لو رغب الواحد منهم سيما الاثقياء باعظم
الرهائب على ان يتناول من الطعام ذرة او من الشراب قطرة لم
يفعل الا ان تغرب الشمس لقنا انهم من اقدر الناس على كبح
نفوسهم في طاعة مولاهم ومن هنا يتبين ان من لم يات بهذه العبادة
الصومية ممن غلب عليه شقاؤه واسرته شهوته لا يحق له ان يعد نفسه

من الرجال اصحاب العزم والحزم بل يعلم انه ضعيف القوة العقلية
ساقط الهمة عبد بطنه ورقيق فرجه وان عقل المرأة الصائمة اقوى
من عقله واهمتها اعلى من همته وعندها من شهامة النفس ما ليس
عنده منه ذرة ومن اجل فوائد الصوم ايضا تصور الصائم حالة
الفقير المحزنة عندما يحس بألم الجوع فيرق قلبه اليه ويعطف
بالتصدق عليه فان الغني المترفة لولا معاناته الصوم لربما كان يمر
عمره ولا يتصور ألم الجوع فاذا وقف الفقير الجائع بين يديه وطلب
منه الاحسان وشكى له الم جوعه لا يدري ما حقيقة هذا الالم فاي
شفقة تكون عنده عليه فبالصيام يعلم ما في الجوع من الآلام فيبادر
بالصدقة على الفقراء والايتام

ثم وجد هؤلاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على
المستطيع من اتباعها عبادة الحج وهي زيارة الكعبة المشرفة واما كن
تجاوزها بافعال واقوال مخصوصة وفي ذلك من الاسرار والحكم ما
يعجز عن حصره حكماء العرب والعجم فمنها اجتماع المسلمين الوفا
مولفة في تلك الاماكن في كل سنة وذلك يدعو الى التعارف
والتألف فتراهم هناك انواعا متنوعة من عرب وترك وفرنس وهنود
وداغستان وقزاق وافغنستان ومغاربة وبربر وسودان وجاوى
وغير ذلك من امم البشر كلهم على دين واحد ومقصد واحد وهو

طلب الغفران من الرحيم الرحمن ومن حكم الافعال التي يكلفون
 في اجرائها في تلك الاماكن تذكرا ما جرى لرسول الله المكرمين
 وعباده الصالحين في تلك البقاع المشرفة كتذكرا ما جرى لسيدنا
 آدم ابي البشر وزوجته حواء عليهما السلام هناك بعد هبوطها من
 الجنة وما اهمهما الله تعالى من الالتجاء اليه حتى تاب عليهما
 وكتذكرا ما جرى ايضا هناك لسيدنا ابراهيم الخليل وولده اسماعيل
 عليهما السلام والسيدة هاجر عليها الرضوان مما يدل على ما لهم
 من الاطاعة لمولاهم والصبر على ما به ابتلاهم فلم يحيدوا عن كل
 ما يستوجب رضاه وناهيك ما ابتلى به سيدنا ابراهيم الخليل عليه
 السلام من امره بذبح ولده وثمرة كبده فاطاع ذلك الوالد الشفوق
 ورضخ للحكم ذلك الولد البار مسلما باذهاق روحه وسكنى ضريحه
 وطرد الشيطان عنه لما حاول ان يوسوس له في وادي منى فباء
 ذلك اللعين بالخسران فانعم الله على الوالد والولد بالفداء وابدل
 حزنهما بالهناء الى غير ذلك من الاعمال المرضية من اولئك الكاملين
 وما انعم عليهم رب العالمين فتذكرا اعمال اولئك الاخيار
 وبمحاكاتهم في تلك الديار تنبعث الانفس لتذكرا بقية افعالهم
 وعباداتهم وسجايهم واطاعتهم لمولاهم فتشتاق للاقتداء بهم والتخلق
 باخلاقهم في كل مرضي لخلاقهم وترغب في الشناء عليهم والدعاء

لهم على ما سنوا وشرعوا من الاعمال المرضية وما هدوا اليه من سبيل
 التوبة وطرق الانابة ومكارم الاخلاق من الصبر والرضى والتسليم
 والاداب مع رب الارباب ثم ان اعمال الحج فضلا عن التذكار
 موضوعة على وضع عجيب وترتيب غريب فيه التنزل من حضرة
 الحق تعالى لا فكار البشر وعقولهم والمراعاة لما الفوه من العوائد مع
 ملوكهم وامرائهم عندما يرفعون اليهم شكواهم ويلتجئون الى حماهم
 من سطا عليهم وأذاهم وحينما يطلبون احساناتهم وادرار انعاماتهم
 وبذلك التنزل تطمئن نفوس العجاج عندما يجرون تلك الاعمال
 التي وعدهم الله تعالى عليها الغفران بان الله تعالى يغفهم من جيوش
 ذنوبهم وعاديات سيئاتهم ويقبل شكواهم ويتفضل عليهم بنوال
 منام وبيان ذلك ان البشر اعتادوا على انه اذا دهمهم عدوهم
 وعجزوا عن مقاومته او جارت عليهم حوادث الزمان من قحط
 وجذب واعوزهم طلب معاشهم التجهوا الى منازل ملوكهم فوردوا
 عليها شعنا غبرا حفاة عراة على قدر ما اثر بهم الحوادث مستغيثين
 ضارعين محترمين في طريقهم كل ما ينسب الى ملوكهم ومنازلهم
 من خدم وحشم وغير ذلك حتى الحيوانات والنباتات فعند وصولهم
 الى تلك المنازل ياخذون في الطواف حولها والتردد على ابوابها
 حتى يؤذن لهم بالدخول على الملك والتمثل بين يديه وبث الشكوى

اليه متوسلين اليه باكرم الوسائط منوهين بالثناء عليه وذكر ما له
 عليهم وعلى اسلافهم من عظيم الاحسان والرحمة والشفقة يعم بذلك
 قاصيم ودانيهم واذا سمح لهم بتقيل يده قبلوها بكل رغبة وادب
 ووجدوا ان ذلك من علامة قبولهم ونوال مامولهم وبعد ذلك يعدهم
 الملك باجابة دعاهم ودفع بلواهم ولاجل تمكين ولائهم لسلطانه
 وتثبيت عبوديتهم لعظمته وتطمين نفوسهم بانه من عادته اغثة
 رعاياه والاحسان اليهم فيذكرهم بما اجراه مع ابائهم واسلافهم عند
 ما وردوا قديما الى ابوابه واسيغاثوا بجنابه واجروا هناك في حضرته
 خدما وادرا عليهم نعمافيا مرهم بمباشرة تلك الخدم التي سلفت من
 ابائهم في حضرته وباجرائهم تلك الخدم تنطع نفوسهم على العبودية
 له والولاء لجنابه كما هي العادة من الفة النفوس للجري على سنن
 الالباء والتخلق باخلاقهم ثم بعد ادائهم تلك الخدم ينزلهم في منزلة
 الضيافة ويدر عليهم انعاماته الوافرة ويزيل شعثهم ويخلع عليهم
 الخلع ثم يقومون ببابه ويتوسلون اليه بنجاز وعده الكريم بالاغاثة
 مما دهمهم فتصدر اوامره بذلك ويغيثهم من اعدائهم ويدفع
 عنهم اسباب اذاهم ويبلغهم مطلوبهم وينحهم مرغوبهم وياذن
 لهم بالرجوع الى اوطانهم ومساكن خلائهم فيعودون للتشرف بمنزله
 العظيم للقيام بما عليهم من الثناء والتعظيم ويقبلون يده الكريمة

ويفارقون حضرته ودموعهم من ألم الفراق ديمة فالله سبحانه سيفه
تنزله لعقول البشر ومجاراتهم على ما اعتادوا عليه مع ملوكهم عند
الالتجاء اليهم من مصائبهم خصص بقعة من الأرض وفضلها وسماها
بيته وهي الكعبة المكرمة وهو سبحانه منزله عن المكان وغني عن
البيت وسمى حجرا اسود في احد اركانها يمينه وكلتا يديه يمين ويده
ليست كأيدي الخلق بل هما على ما يعلمه ووصف به نفسه وشرع
سبحانه في الشريعة المحمدية لاتباعها حيث لا بد ان تدهمهم جيوش
الذنوب وتجور عليهم عادات الخطايا ويفتقروا الى احسانات
الحق تعالى ان يرد المستطيعون منهم الى ذلك البيت شعنا غبرا
تاركين لبس المخيط هاجرين الطيب وتنعمات تطيب كاشفين
رؤسهم مستغِيثين بربهم من ذنوبهم وخطاياهم ضارعين اليه بنوال
منهم محترمين حتى ذلك البيت لا يقطعون حشيشه ولا اشجاره
ولا يقتلون وحشه ولا اطياره حتى اذا بلغوا ذلك البيت المعظم
والمنزل المكرم طافوا حوله طواف المستغيث وتشبثوا باستاره تشبث
المستجير ثم قبلوا ذلك الحبر المبارك المسمى بيمين الله تعالى مع
اعتقادهم انه حجر لا ينفع ولا يضر وانما الضار النافع هو الله (كما
قال عمر بن الخطاب عند ما قبله ما معناه اني اعلم انك حجر
لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم بقلبك ما قبلتك تنبها منه رضى الله عنه للافكار على
 حقيقة الاعتقاد في شريعة المختار) ثم بعد ذلك ينصرفون الى
 اعمال هناك عديدة هي تذكرا لاعمال اسلافهم المتقدمين من
 سيدنا آدم وزوجه حواء والسيد الخليل وولده اسماعيل وامه
 هاجر عليهم السلام من نحو السعي بين الصفا والمروة والوقوف في
 عرفة ثم في مزدلفة ثم النزول لمنى ورمي الجمار المثل اخزاء
 الشيطان عندما تعرض لولد خليل الرحمن الى غير ذلك من
 الاعمال التي من جهل اسرارها من ذلك التذكار والاقتداء في
 الخدمة باوائك الابرار اضطربت افكاره لطلب حكمتها والسؤال
 عن فائدتها ومن فهم ذلك باشرها مطمئن القلب منشرح الصدر
 راغب في حصول ثمراتها متشوقا الى الفوز بفوائدها في ميقاتها
 فايحباب الحق تعالى على الحجاج تلك الاعمال بعد وصولهم للكعبة
 المكرمة والطواف بها الطواف الاول هو بمنزلة صرف الملك رعاياه
 المستغثين به الى اداء الخدم التي باشرها اسلافهم في حضرته
 لاجل تثبيت عبوديتهم وولائهم وطبع نفوسهم على التخلق باخلاق
 ابائهم فالحجاج في تلك الاعمال التي يجرونها في تلك الاماكن
 المكية يتمكن من نفوسهم العبودية لرب البرية جريا على سنن ابائهم
 الاخيار وساداتهم الاطهار ولقد سميت تلك الاعمال تعبدية لالانها

خالية عن الحكم والاسرار بل لانها بظواهرها يكون الاتي بها اكامل مثل
 امر مولاه بغير منفعة تغشاه تعبد او اطاعة على انه لو فرض خلوها
 عن الحكم فالامثال بادائها يشف عن غاية الخضوع والعبودية
 لله تعالى كأن لسان حال العبد يقول عند ادائها ياربي اتى امثل
 ما تأمرني به وان لم تظهر له ثمرة خضوعا لعظيم سلطتك وتعظيما
 لعلو شانك وهذا شان العبد المطيع يمثّل الامر ولا يسأل عن
 الحكمة والسر وهذه الحالة هي المقصد الاعلى والمقام الاسنى الذي
 يتبغيه الشريعة المحمدية لاتباعها في جانب مولاهم جل وعلا وهو
 الحال الذي يعده صاحب هذه الشريعة عليه السلام من اشرف
 اوصافه واكمل نعونه ويقول ما معناه اني عبد اجلس كما يجلس
 العبد ونهي عن الاطراء في مدحه فقال ما معناه باختصار
 لا تطروني ولكن قولوا عبد الله ورسوله وقد وصفه ربه بوصف
 العبودية في اشرف مقام ذكره فيه فقال تعالى (سبحان الذي اسرى
 بعبده) فكان له في ذلك اكمل المبرة واوفر المسرة (ومن هنا يتبين
 للعاقل اللبيب سقوط ما ينسب لبعض الاغرار كالمعري من الشعر
 الذي قاله في اعمال الحج المذكورة فانه لو ثبت عنه لسلبه اسم
 العاقل فضلا عن الفيلسوف الذي لا يخفى عليه حكم الشرائع
 واسرارها) ثم بعد اداء العجاج تلك الخدم ينزلون في دار ضيافة

مولا هم بوادي منى ويزيلون شعشم فيلبسون الثياب ويتمتعون
 بالاطياب ويزيلون زوائد الشعور ويستريحون جميع ما كان في
 تنعمهم من المحظور ويقضون ايام العيد السعيد باكل وشرب
 وتضيعة الضحايا التي تملأ لحومها الاودية والجبال ويشبع منها
 الوحوش والاطيار فضلا عن الفقراء ذوي الاضطرار فهناك ضيافة
 الحق تعالى اذ هو الرزاق وصاحب الملك الحقيقي والاموال
 بايدي الخلق بطريق العارية لامالك سواء ولهذا حرم صيام يوم
 العيد لان صيامه اعراض عن ضيافة الله تعالى ثم بعد تمام تلك
 الخدم وقضاء الوطر من تلك الضيافة المباركة يرجعون للطواف
 بالبيت المعظم وهو كطلب اكمال التفضل بالاحسان ونوال الغفران
 والغوث من جيوش الذنوب وعوادي العصيان وكطلب الاستئذان
 بالرجوع الى الاوطان وعند ذلك يؤذن لهم بالرجوع الى اوطانهم
 وهذا الاذن هو عنوان الاجابة وقبول التوبة والاناة والتفضل
 عليهم والاحسان بالرحمة والغفران واغاثتهم من عوادي العصيان
 كما بشرهم بذلك رسولهم عليه السلام فيوجهون العزم الى الانصراف
 الى ديارهم وعندهم انهم قد نالوا المنى وزال عنهم العنا لكنهم قبيل
 المسير ينعطفون لوداع البيت المعظم ويطوفون به طواف الوداع
 واداء الشكر لما وجدوه من النعم في تلك البقاع ويفارقونه ودموعهم

منسكبة وافئدتهم للفراق مضطربة شاكرين مولاهم على ما اولاهم
 داعين من هدام بكمال مناهم راجعين القهقري وعليهم من
 اسف الفراق ما يذهب بالكري تم عند ورودهم بلادهم تمتلئ
 قلوبهم بالفرح الابدي (الذي ذكر في المزامير) لما نالوه من نعم
 الغفران والاحسان والامان من عادية العصيان ولواردنا ان
 نستقصي جميع اسرار الحج المندرجة في مفردات اعماله لاستغرق
 ذلك مجلدات وضاعت عن مطالعته الاوقات فما ذكر شذرة من
 عقد نحر ونقطة من ماء بحر والله الهادي الى سواء السبيل

ثم نظر اولئك الطائفة فوجدوا ان الشريعة المحمدية اوجبت على
 اتباعها قتال من خالفهم في الدين عند سنوح الفرصة ليدينوا
 بدينهم او يخضعوا لسلطانهم وتسمى ذلك القتال جهاداً وقد
 اجرته على موجب العدل كما قيل عن محمد عليه السلام في
 الكتب السالفة انه يحارب بالعدل فنهت عن قتل الصغير والمرأة
 والهرم والمنزل لما يعتقده عبادة الا اذا كان احدهم هواء منكيا في
 الحرب او في تدبيرها والقصد من ذلك الجهاد اعلاء كلمة الله تعالى
 وهداية المخالفين لذلك الدين حتى اذا دخلوا فيه ساواهم المسلمون
 في جميع الشؤون والحقوق والاحوال لا يميز في جميع ذلك عربي
 على عجمي بل الكل اخوان متناصرون وكل فرد منهم بالنسبة

لبقية اخوانه المحمدين كالعضو الواحد من الجسد اذا تألم اشتكى
 له الجسد كله وذمتهم واحدة ومقصدهم واحد وهو توحيد الله
 تعالى وافراده بالعبادة وطلب رضاه واذا لم يهتد اولئك المخالفون
 لا رغبة ولا رهبة قاتلهم المسلمون حتى يرضخوا لاحكامهم فيحكمون
 عليهم بما يعود على الهيئة الاسلامية بالنفع ودفع المضرة ويدخلونهم
 في ذمتهم بمعنى انهم يحافظون على دمائهم واموالهم واعراضهم
 لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ويتركونهم وما يدينون ويفوضون
 حسابهم في الآخرة الى الله تعالى فهذا الجهاد لو قيس بالجهاد الذي
 ينسب لبعض الشرائع السابقة لوجد انه قد احتوى على تخفيفات
 كثيرة قد خلت عنها تلك الشرائع لان الشريعة المحمدية لم
 تأمر باستئصال جميع الاعداء حتى الاطفال الصغار كما كان في
 تلك الشرائع ومن يعلم احكام الشريعتين في الجهاد يظهر له الفرق
 ويحكم بان جهاد الشريعة المحمدية في غاية العدل

وهكذا تلك الطائفة استقصت عبادات شريعة محمد عليه السلام
 جميعها فوجدتها على اتم ما يرام من كونها اعمالا مشتملة على تعظيم
 الخالق ورحمة المخلوق ومنافعها عائدة الى المتعبد لا الى المعبود لان
 الحق تعالى لا يناله نفع من خلقه اذ هو الغني المطلق عن كل
 ما سواه

ثم تأمل هؤلاء الطائفة في احكام هذه الشريعة وما سنته من الضوابط الكلية لتأمين ذوي الحقوق على حقوقهم ودفع التعديات من الاضرار وذوي الاطماع على احد من الامة او اهل الذمة فوجدوا ذلك على اكمل وجه واقوم سبيل

وكذلك وجدوها قد سنت احكام الزوجية على اكمل نظام فبينت حقوق الزوجين على بعضهما عند الاجتماع وعند ارادة الافتراق واجازت لها الافتراق لدفع ما عسى ان يحصل عليهما من الضرر ان منعها منه من نحو النفور الشديد لاسباب كثيرة مشاهدة بين كثير من الازواج ومن ارتكاب الزنا والوقوع في الدياثة اذا غلبت الشهوة على احدهما مع نفوره من الآخر ومن حرمان النسل لاحدهما اذا كان العقم من الآخر وجعلت سلطة الفراق بيد الرجل لتمييزه عن المرأة بالتثبت وسعة البال ووفور تحمل الاثقال يعلم ذلك من سبر اخلاق النساء والرجال ولان الرجل هو المكلف بالاتفاق على المرأة فلا يسمع بفراقها وضياع ما انفق الا اذا اضطر غاية الاضطرار ولا عبرة بمن يشذ من الحمقاء الاغرار وفرضت على الزوج النفقة لانه اقدر على الكسب من المرأة بحسب تركيب بنيته وقبوله لتجشم اعباء المكاسب واستحسننت لها القيام بمصالح البيت الداخلية وتربية الاولاد كما على الزوج ان

يسعى في مصالحه الخارجية وحيث أصبحت بذلك غير مضطرة
للخروج من بيتها وهي محل الشهوة ومطمح نظر الرجال فلاجل
سد باب الفتنة وكف دواعي الزنا المحقوت شرعا وعقلا امرتها
بالحجاب والستر وكان ذلك من اشرف نعمتها واكرم مفاخرها
تتباهى به كلما استكمل فيها فالحجاب صيانة ومحافضة عليها
كالشيء النفيس الذي يضمن به على الانظار ويحجب بالحجب
والاستار وليس هو كما يظن بعض الجهلاء انه لظن السوء بها فان
ذلك يقال لو امرت بكف بصرها عن رؤية الرجال في كل حال
وامرت الرجال بالحجاب عن النساء وليس ايضا كما يزعم بعض
الاغبياء ان حجابها هو حبس وتضييق عليها وملاشاة لحررتها
فان المرأة المسلمة تشب على الحجاب من اول نشأتها وتالفه من
بادي فطرتها فتجده كاللازم لطبيعتها وتعتاده اعتيادا محبوبا مألوفاً
وتعبر من يتساهل فيه من النساء وتنسبهن للطيش والوقاحة وقلة
الحياء على انها تقبله بانه حكم الشريعة الالهية فترجوه الثواب
ونوال الاجر من الملك الوهاب فكيف بعد جميع ما ذكر يقال ان
المرأة في الشريعة المحمدية مظلومة او محبوسة حاشا لله ما عليها من
الحيف ادنى شيء بمقتضى احكام هذه الشريعة والصواب ان
يقال انها في هذه الشريعة محفوظة منصانة من انظار الفسقة واميال

الفجار والسنة السفهاء يغار عليها من مرور النسيم على انه لا يخلو
 الامر من وجود امرأة غير كاملة في الأداب والتدين فبالحجاب
 لا ترتاب النفوس بامانتها على نسب ذريتها ولا يدخل الشك على
 زوجها فيعلم ان من تلده هو ولده مطمئن القلب لذلك ليس
 للشيطان عليه سبيل في الوسوسة التي يتوصل اليها فيما لو كانت
 المرأة تخرج غير مستترة وتخالط الاجانب ومع ذلك كله فالشريعة
 المحمدية قد اجازت للمرأة الخروج لبعض امور ضرورية من زيارة
 ارحامها والتعلم لاحكام دينها اذا لم يعلمها الزوج ونحو ذلك مع
 التستر الذي يمنع نظر الفساق وتهيج النفوس المغتامة للتعرض لها
 بما يشين العرض والدين والذي يحكم به العقل السليم الخالي عن
 التعصب الدني ان الحجاب للمرأة من احسن الاحكام وانفع
 الوسائل لصالح الزوج والمرأة بل لعموم الامة يقطع مادة الفساد
 من البلاد ومن هنا ترى البلاد التي تحجب ساوها لايهم رجال
 السياسة فيها بتخصيص اماكن للزواني يردها الفساق لان شهوات
 فساقها غير مهيبة بروية النساء ولا طامحة لمنازعة اهل العرض في
 سائهم واما البلاد التي لا تحجب نساؤها فتري رجال السياسة
 فيها يرتكبون تخصيص اماكن للزواني ولا يمنعون الفساق عنهن
 حتى صار والعياذ بالله تعالى الاولاد النغول يقاربون في العدد

اولاد النكاح هناك ويحجج اولئك السياسيون لارتكاب هذا
الامر الفظيع بانه حصن للحرائر فلولاً خشيتهم وخشية اهل العرض
على نسائهم من منازعة الفساق الذين تشهيج شهواتهم بروية النساء
المتبرجات وخوفهم ان يغلبوهم عليهن لما ارتكبوا ذلك الامر القبيح
فياللعار ويالللشمار على اولئك السياسيين الذين يسوسون بلادهم
ويحصنون نساءهم باعمال البهائم فلو اخذوا بحجاب النساء لكان
يغنيهم عن ذلك الامر المحقوت فقد ظهر ان خروج المرأة غير
مستترة ضرر عظيم ولو سلم ان الحجاب ضرر عليها لكان عدمه
اضر وارتكاب اخف الضررين هو الموافق للمعقول وللمنقول فما
بالك وقد ظهر انه لا ضرر عليها في الحجاب كما يحكم به ذوو
الالباب

ثم نظر اولئك الطائفة في احكام المعاملات في الشريعة المحمدية
من نحو البيع والشراء والاجارة والشركة والمدائنه وقسمة
التركات على طريق الحكمة من ترجيح من هو اشد حاجة وامس
قربة وادخل في التناصر فظهر لهم ان جميع ذلك موضوع على
اكمل نظام واثم ترتيب من كل ما يسير بهذه المعاملات في منهج
العدل ويرفع المنازعات

ثم نظروا الى القصاصات والحدود والعقوبات والتعازير التي

وضعتها تلك الشريعة لحفظ الانفس والاموال والاعراض والعقول
فوجدت جميع ذلك على وفق الحكمة متكفلا بالصيانة والامن
وكأنها والله اعلم تشير بذلك الى ما ياتي من الحكم وبيانها ان من
يعلم انه اذا قتل غيره قتل به يمتنع عن قتله فيجيا الاثان ولذلك
ورد ان في القصاص حياة ومن يعلم انه اذا سرق تقطع يده الخائنة
يمتنع عن السرقة فيامن كل ذي مال على ماله وما احسن جواب
بعضهم عن قول بعض الملحدين

يد بخمس مئين عسجدوديت ما بالها قطعت في ربع دينار

وهو

عز الامانة اغلاها وارخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري
ولما كان الزنا معافيه من القبائح هو قتل الولد الذي يتولد منه
لانه يكون عديم النسب فاقد النصرة من العشيرة وكثيرا ما يموت
لعدم وجود من يريه جعلت الشريعة جزاء الزاني اذا كان محصنا
بالزواج القتل بالرجم حتى ترد العقوبة على كل عضو من اعضائه
التد بقضاء تلك الشهوة التي تعم الجسد واذا لم يكن محصنا عذرت
بعض العذر فاكتفت بضربه مائة جلدة تفرق على اعضائه المشتركة
بلذة تلك الشهوة الا ما كان من عضو يتولد بضربه الموت او
تشويه الخلقة وكانت الجلدات مائة اشارة الى ان الولد الذي كان

يمكن ان يتولد منه وقد تعرض لقتله بالزنا يجوز ان يعيش مائة
 سنة وهو العمر المتاهل له الانسان بحسب تركيب بنيته وبطوء
 نموه كما قاله بعض الاطباء ولكن تعرض عليه اسباب الموت من
 حوادث المعيشة فيموت باجله الذي قدر له قبل بلوغ تلك المدة
 وقد تكون هي اجله المقدر فيبلغها فكأنه جعل في مقابلة كل سنة
 متاهل ذلك الولد ان يعيشها جلدة لذلك الزاني الذي اضاعه ثم
 لما كان الانسان متاهلا ان يعيش المائة ومن المعلوم ان عقله قبل
 بلوغه خمس عشرة سنة سن البلوغ غالبا في اول عمره لا يكون
 معتبرا في التكليف الشرعية لعدم كماله كما انه يضعف جدا في اخر
 عمره بمعدل خمس سنوات لو عاش المائة فيكون عقله المعتبر الكامل
 القوي متوفرا له مدة ثمانين سنة فاذا تعرض لاخلاله بشرب الخمر
 الذي يعرضه للذهاب او الضعف وهو اكبر نعمة يعطاها الانسان
 بعد الايمان تحكم عليه الشريعة بضرب ثمانين جلدة فكأنها جعلت
 في مقابلة كل سنة من السنين التي تتوفر فيها نعمة العقل جلدة
 واحدة وتشير اليه بذلك العدد بان النعمة التي تتوفر عليك ايها
 الشارب للخمر في تلك المدة قد تعرضت لزوالها فلذلك جوزيت
 بهذا الجلد ثم ان الانسان قبل سن بلوغه وهو خمس عشرة سنة
 لم يكن مكلفا فلا يشان في امر العرض كما يشان البالغ وفي السنين

الخمس الاخيرة من عمره فيما لو بلغ العمر المتاهل له وهو المائة نظرا
 لانشطاط شهوته وقواه قلما ترتاب فيه النفوس في امر الفاحشة
 فيستبعد ان يشان في عرضه ايضا في تلك المدة غالبا فبقيت مدة
 كمال المحافظة على شرف العرض هي ثمانون سنة من عمر الانسان
 الذي هو متاهل ان يعيشه فلذلك جعلت الشريعة حد من يقذف
 غيره في شان العرض ثمانين جلدة كأنها تشير بذلك العدد الى المدة
 التي يكمل فيها محافظة المرء على عرضه وكأنها تقول للقاذف انك
 تعرضت لشين عرض المقدوف الذي تكمل محافظته عليه في تلك
 المدة من عمره فحوزيت بذلك الجلد بمقابلة كل سنة بجلدة ثم ان
 الشرائع المتقدمة على الشريعة المحمدية بعضها حكم بالقصاص
 في القتل وبعضها حكم بالعفو والشريعة المحمدية جمعت بين
 الحكمين فاجازت، لولي المقتول ان يقتص من القاتل او يعفو
 ورغبته بالعفو بانه اقرب للتقوى (وهكذا تراها في كثير من
 الاحكام جمعت ما تفرق في الشرائع المتقدمة ولخصت زبدها
 وما ذاك الا لانها خاتمة الشرائع فجعلها الله جامعة لمحاسنها) ثم نظر
 هؤلاء الطائفة الى الآداب التي جاءت بها الشريعة المحمدية
 فوجدتها مكملة في كل باب فقد استوفت آداب الاكل وآداب
 الشرب وآداب المنام وآداب الكلام وآداب الجماع وآداب

قضاء الحاجة وآداب المجالسة وآداب الحضر وآداب السفر وآداب
 الزوجية وآداب ذوي الارحام مع بعضهم وآداب الجيران وآداب
 الاصحاب وآداب جميع المسلمين مع بعضهم وآدابهم مع اهل
 ذمتهم الى غير ذلك مما يعرف من البحث والتمعن في تلك الشريعة
 ثم اخذ هؤلاء الطائفة في انتقاد سياسة محمد عليه السلام والبحث
 عما اذا كان يامر بشي يعود عليه او على ذريته بصالح خصوصي
 ام لا فبعد التنقير والبحث عن ذلك بكل دقة لم يجدوا منه عليه
 السلام امرا ولا في شريعته حكما يترتب عليه صالح خصوصي له او
 لذريته وما كان ظاهره ذلك تبين لهم بعد التدقيق ان باطنه مبني
 على حكم تعود بصالح العموم مثلاً الصفي الذي كان يأخذه من
 الغنيمة قبل قسمتها انما يخص به نفسه ظاهراً في اول الامر تنويهاً
 بمنصب رياسته وهذا معهود مألوف بين الاتباع والمتبوع وهو مما
 يمثل في النفوس عظمة المتبوع وابهته وهو مقصود من مقاصد
 سياسة البشر ثم آخر الامر كان عليه السلام يصرفه في حوائج الفقراء
 فكان اظهار اختصاصه به اولا لتخصيل تلك الابهة للرياسة ولكف
 ايدي الاغنياء عنه وايصاله للفقراء وتوسعهم به على وجه لا يجعل
 في نفوس الاغنياء ضغينة على الفقراء بترجيحهم عليهم وانفاقه ذلك
 بل جميع ما كان يرد عليه على الفقراء والمساكين الا قدر الكفاف

له ولعياله امر متواتر عنه (حتى خرج من الدنيا ولم يورث عياله
 درهما ولا دينارا بل انفق في الصدقة كل منقول ووقف في سبيل
 الله ما كان له من عقار) وقد ساوى بين عياله وعيال اصحابه في
 النفقة الضرورية من خزينة المسلمين ولم يوص بالخلافة عنه
 لاحد من ذريته وانما فوض ذلك لراي المسلمين ولو شاء ان ينص
 على ذلك لما خالفه في ذلك مخالف الى اخر الدهر واعظم من ذلك
 كله انه لم يزل يوصي اهله وجميع اصحابه بالتحرز من ولاية الاحكام
 والغرور بمناصب الدنيا وزخارفها

ثم ظهر لهؤلاء الطائفة انه عليه السلام ما دام رسول الله ومعصوما
 من الظلم والجور وقادرا على العدل بين الزوجات مهما كثرن فقد
 اباحت له شريعته ان يتزوج منهن ما شاء من العدد كما كانت
 الرسل قبله كداود وسليمان وغيرها عليهم السلام ولكن لما كان
 من شان البشر غير الرسل العجز عن العدل بين الزوجات متى
 كثرت حجرت شريعته تزوج اتباعه فوق الاربع وكأنها والله اعلم
 اباحت لهم اصل تعدد الزوجات لان الذكور في معرض النقص
 عن عدد النساء لتعرضهم لمخاطر الاسفار والحروب ومشاق الارثاق
 فلو منعوا من التعدد لبقى العدد الزائد من النساء معطلات عن
 النسل ثم ان الرجل مستعد لاداء النسل من سن بلوغه الى اخر

عمره ولو عاش مائة سنة والمرأة تياس من سن الخمسين او الخمس
 والخمسين بقطع مادة الحيض وفقد البزور من مبيضها لطفاً من
 الله تعالى بها حيث ان الحمل والولادة والارضاع تضعف قوتها
 فمقدار استعدادها للنسل من سن البلوغ الى سن الياس خمس
 وثلاثون سنة غالباً فلو منع الرجل من التعدد لربما عطلت المرأة عليه
 اداء نسله مقداراً عظيماً من عمره فاباحة التعدد له تخلصه من
 غائلة هذا التعطيل ومن هنا يظهر سر جواز الطلاق حتى لا تعطل
 عليه مدة من استعداداته للتناسل فيما لو ايسر زوجته او كانت
 عقيماً وهو لم يقدر على التعدد فيستبدل بزوجه غيرها وان كان
 العقم منه لا يتعطل عليها نسلها (وقد مرت حكمة كون الطلاق
 بيد الزوج فارجع اليها) وكأن حكمة حصر التعدد بالاربعة لمقابلة
 كل واحدة بنوع من انواع المكاسب التي يرتزق منها الانسان
 وينفق على زوجته وهي التجارة والصناعة والفلاحة والامارة وقد
 تكون احداها وافرة فتقوم مقام البقية وشرطت في الاربعة العدل
 ايضاً حتى لو خاف الرجل الجور بين اثنتين تحظر عليه الجمع
 بينهما وتبيح له الواحدة ولو خاف الجور على الواحدة بنحو ظلمها
 او عجزه او قصور يده عن الاتفاق عليها تحجر عليه ان يتزوج
 الواحدة ايضاً ولما كانت الرقيقات مجلوبات لبلاد ليس فيها ذكور

بمقابلتهن لعدم تمكن الارقاء من نكاحهم لشغلهم بالخدمة اباحت
 للمالكين لمن التسري بما فوق الاربع منهن اثلا يتعطل نسلهن ولم
 تج للمملوك ان يصير زوجا لما لكته لان ملكها له يقتضي ولايتها
 وتسلطها عليه وصيرورته زوجا لها يقتضي ولايته وتسلطه عليها
 وذلك من التناقض السياسي في المعاشرة بمكان يقتضي عدم
 انتظام امر الراحة والوفاق بينهما وهذا خلاف مقاصد هذه
 الشريعة العادلة

ثم وجدوا ان شريعته عليه السلام قد حرمت نكاح ازواجه من
 بعده ولدي التدقيق ظهر لهم ان ذلك لحكم جليلة

اولا تعظيم شأنه عليه السلام وتعظيم شان الرسل بين اتباعهم امر
 معهود في الشرائع المتقدمة ولزوم ادب معه وهو مستحسن ايضا
 فان الانفس البشرية تاتي نكاح ازواجهم من بعدهم ولم تجعل
 لغيره هذه المراعاة من علماء الامة وكبرائها لئلا يضيق امر التناسل
 ثانيا سد باب التداخل في امر الخلافة من غير مستحقها فانه لو
 ابيح تزوج ازواجه من بعده عليه السلام لكان من ينكح واحدة
 منهن ولو غير اهل للخلافة يستولي على نفوس العامة ويخضع
 عقولهم بان معي زوجة رسولكم ولي بذلك الحق في الخلافة والتقدم
 على غيري ثم يسند اليها كل ما يروج مقاصده عند العامة الهيج كما

شاهد نظير ذلك في ثقلبات الدول ممن نكح نساء الملوك بعد موتهم واستند بذلك في التداخل في امر الملك كما يعلم من التاريخ ثالثا لو ابيح ذلك لانتفع به باب الفتنة بين اتباعه من بعده لان كل واحد منهم يرغب ان تكون معه زوجة رسوله يتبرك بقربها ويتمن بذريتها ويمجوا سني الشرف ويفاخر بذلك الاقران ويتعلم منها ما خفى على كثير من ذوي العرفان وبهذا يقع التغاير وتقوم الفتنة بينهم على قدم وساق فسادا لهذا الباب حجرت الشريعة هذا الامر على وجه الصواب رابعا لاشك انه يلحق زوجاته عليه السلام بنكاح غيره من بعده ما يزي بمقامهن من انحطاط الرتبة والقدر وتسقط عظمتهم من قلوب الامة جميعا لان المرأة التي كانت مع رسول الله ثم تقترن بسواه ولو انه اعظم رجال الامة تكون كالمنحلة من الاوج الى الحضيض وبذلك تنفر منهن النفوس وترتاب بمحدثهن لدخولهن تحت كنف من لم يجب له العصمة فيتخيل للعقول انهن يجرين على هواه في اقوالهن واعمالهن ويروجن افكاره بما ينقلن عن رسول الله عليه السلام (حاشا حضراتهن من ذلك وانما هوشي تخيله العقول عند ذلك وترتاب من اجله) وحيث تفقد الامة ثمرات كثيرة من علومهن التي نقلها عنه عليه السلام المفيدة لاحكام

شرعية جلية اخذت من اقواله وافعاله بنقل تلك النساء المخالطات
 له في اكله وشربه ونومه وجميع شؤنه في خلوته ومباشرة نسائه
 الى غير ذلك وان غالب هذه الاحكام لا تعلم الا من جهتهن ولو
 اقترن بغيره من بعده لانتحط عظمتهم في الانفس كما قدمنا
 وضعفت الثقة باخبارهن كما قررنا ففانت تلك العلوم كما اوضحنا
 الى غير ذلك من الحكم والاسرار المنطوية تحت الحكم بذلك
 التحريم فضررهن الخاص بمنعهن من النكاح بعده عليه السلام
 لا يقوم بمقابلة تلك الاضرار العامة فليس ذلك الحكم لغاية نفسية
 او لافكار منحلة دنية كما اوضحه البحث والتدقيق حاشاه عليه
 السلام من ذلك ما هذا الحكم الامحض تشريع من الله تعالى
 لاسرار عالية وحكم سامية

فلما تم انتقاد هؤلاء الطائفة لشرعية محمد عليه السلام ولسياسته
 وظهر لهم جميع ما تقدم من حسن الانتظام وبدائع الحكم العظام
 قال بعضهم لبعض الحق احق ان يتبع لاشك ان ما جاء به محمد
 عليه السلام هو شرعية من عند الله تعالى والا فان محمدا رجل
 ابي ناشيء بين الامة الجاهلية لم يفارق اوطانه الا شهرا قلائل في
 سفر قريب لاتصلح مدته لتحصيل اقل القليل من العلوم ولم يجتمع
 على احد من اهل المعارف في مدة حياته في بلده ولم يعثر عليه انه

عاني تعلم شيء من الشرائع او قوانين الدول فمن اين له ان يستنبط
عقله هذا الترتيب الغريب العجيب الذي احاط بكل حكمة
باهرة واحتوى على كل خصلة حميدة فاخرة وتكفل بانتظام حال
البشر وصالح احوالهم وطهارة نفوسهم وعمار ديارهم وكف اشرارهم
وبكل شيء يعود عليهم بالخير ويدفع عنهم الضير مع تلك العقائد
في حق رب البرية السالمة من كل خرافة ودنية وفي حق الرسل
الاخيار هداة الانام عليهم الصلاة والسلام ولو كان محمد من اعقل
الخلق واحذق البشر واكبر الفلاسفة واعظم السياسيين العالمين
بوضع نظم الامم لما صح في العقل امكان التصديق باقتداره
على الاحاطة بجميع ما جاء به الا ان يكون مرسلا من جانب الله
تعالى وهو الذي هداه الى جميع ذلك واطلعه عليه وافهمه اسراره
وامره بتبليغه فانا نرى اكبر الفلاسفة مهما بلغوا في المعرفة والاحاطة
في الفنون انما ينبغون في فن او فنين فهذا جالينوس نبغ في السياسة
البشرية وارسطو في الحكمة النظرية والالهيات وابقراط في الطب
واقليدس في الهندسة وفلان بكذا وفلان بكذا واما ان واحدا منهم
احاط بكل فن او بمعرفة كل ما هو صالح للبشر فهو شيء لم يكن
البتة واما محمد (عليه السلام) فشريعته قد احاطت بجميع ما
يتكفل بخير البشر لم تغادر منه شيئا كما تقدم لنا بيانه فما كان امس

حاجة واشد لزوما فصلته وشرحته على أكمل بيان وما كان اقل في
 الاحتياج اليه وليس من الضروريات المعاشية او التهذبية رمزت
 اليه واشارت الى طرق تعلمه من اربابه وسهلت السبيل اليه من
 نحو الفنون الحسائية والهندسية والصناعات ونحو ذلك يعلم هذا
 الامر منها من اطلع عليها اطلاع الناقد البصير لا من نظر اليها بعين
 البغضاء او لحظها بطرف العجالة واطل على بعض مباحثها فظن انه
 احاط بها احاطة الجفون بالقل وهو لعشر معشارها ما فهم ولا
 عقل فصدق هولاء الطائفة محمدا عليه السلام في جميع ما جاء
 به وامنوا برسالته من عند الله واصبحوا من اشياعه الاخيار
 واصحابه الانصار

اقول ان هذه الطائفة قد فتحت بابا للاستدلال على صدق محمد
 عليه السلام يبقى مفتوحا الى يوم القيام فلكل من كان ياتي بعد
 عصره الى اخر الزمان ان يستدل كما استدل فیتضح له
 الطريق كما اتضح لها فاذا غاص في بحار هذه الشريعة المحمدية
 ونظر فيها نظر الناقد البصير المطلق من اسر الضمير عاد وهو بها
 مؤمن وبصدق صاحبها مستيقن ولقد اتسع ذلك الباب لمن
 جاء بعد العصر المديدة من بعثة محمد عليه السلام سيما من جاء
 بعد ضرور ثلاثة عشر قرنا فانه فضلا عن اتضاح الحق لديه بما في

تلك الشريعة من المزايا الدالة على انها من عند الله يحد انها لم تنزل
 محفوظة الموارد مطردة القواعد لم تختل منها قاعدة فيحكم العقل بان
 هذه القاعدة لم تبق مناسبة لهذا الزمان ولم تختلف ثراتها ولم تطمس
 اياتها كما هو مسلم عند ذوي العقول السليمة من داء التعصب
 والاختبار اقوى دليل على ما نقول ولو كانت من وضع البشر
 لاختلت وفسد نظامها كما تختل نظمات البشر بمقتضى اختلاف
 الزمان

ولا يهولنك ما يهذي به بعض الحمقاء حتى ممن ينتسب الى هذه
 الشريعة وهو في الحقيقة مارق منها مروق السهم من الرمية قد
 طمس على بصيرته وعمى قلبه جاهل بحقيقة شأنها وعلو مكانها لم
 يعلم منها الا الاسم فتسول له نفسه الخاملة ويخيل له عقله الفاسد
 ان الزمان قد صار محتاجا لبعض قواعد خلاف قواعدها وضوابط
 خلاف ضوابطها وانها ما بقيت كافية لحاجة هذا الزمان فيلتجئ
 للاخذ ببعض قواعد بعض الامم اماهي قاصرة المنفعة واهية الاحكام
 ان اسندت من جهة مالت من جهات واما هي في الحقيقة من
 اصل قواعد تلك الشريعة الكاملة اخذها اولئك الامم والبسوه
 حلة غير حلتها الاسلامية فيظن ذلك الجاهل المغرور انها شي
 جديد اخترعته تلك الامم وضمنته بدائع الحكم ولو كان من اهل

المعرفة في الشريعة المحمدية التي انتسب اليها لظهر له ان في هذه
الشريعة قواعد فاضلة كاملة وافية باحتياج هذا الزمان وكل زمان
لا تذكر عندها تلك القواعد القاصرة ولا يعبأ بها عند مقابلتها او
لظهر له ان القواعد الكاملة عند اولئك الامم هي من جملة القواعد
التي اشتملت عليها الشريعة المحمدية غاية الامر انهم ابرزوها بصورة
غير صورتها الاسلامية واذا كانوا لم ياخذوها من الشريعة المحمدية
فقد صادف وصول عقولهم اليها لانها من مستحسنات العقول مع
ان الشريعة المحمدية تشتمل عليها ايضا فكان يحكم ذلك الجاهل
ان قواعد الشريعة المحمدية تغني الامة عن الاخذ بسواها الا انه
يحتاج في ذلك للمعرفة في الشريعة المحمدية والتبحر في ابوابها ولا
يكفي مجرد اللبس من طرف ضعيف فمن اراد ان ينشر قواعد مفصلة
مشروحة قريبة لفهم العامة لتصلح شأننا من شؤونهم فعليه ان يكاف
علماء الشريعة المحمدية المتبحرين فيها ان يجمعوا له منها ما يقوم
بمطلوبه وفي برغوبه فيجثونه بالمطلوب الكافي الوافي من تلك
الشريعة طبق المراد لصوالح العباد كما جرى ذلك عند ما طلب
السلطان الاعظم نصر الله دولته جمع كتاب مجلة الاحكام العدلية
في المعاملة الجارية بكثرة بين الناس من العلماء يكون سهل الفهم
على الحكام والاختصاص فأتوا بما يفي بالمراد من ذلك

ولا يهولنك ايضا ان بعض من ينتسب الى هذه الشريعة تراهم
مختلي النظام فاقدى الاداب فاسدى السياسة عديمى التدبير فرما
تخيل لمن لم يعلم حقيقة حالهم وما جنوه على انفسهم من مخالفة شريعتهم
ان يقول كيف ان المسلمين يدعون ان الشريعة المحمدية تقوم
بمصلح من يتبعها وتهذيبهم غاية التهذيب وانا نرى هؤلاء القوم قد
انغمسوا في الشرور وتراكت عليهم انواع الشقاء مع انهم منتسبون
لهذه الشريعة فاين اصلاحها وتكفلها بانتظام حال اتباعها فقل لـ
يا قليل الانصاف من ادعى منا ان الشريعة المحمدية تكفلت
باصلاح حال من ينسب اليها بالاسم ويخالفها بالاقتداء والعمل
فلا يجري على احكامها ولا يتحلى بادابها كلا والله لم تكفل هذه
الشريعة الا باصلاح من تمسك باحكامها وتخلق باخلاقها وجرى
على اديابها كما صرح القرآن الكريم بذلك والاحاديث النبوية وقد
اخبرت تلك الشريعة ان من خالفها في تلك الامور تنوارد عليه
انواع الشقاء واصناف البلاء حتى انه يجد من ذلك ما لا يجده
غير اتباعها المنتسبين اليها تبديلا لانتقام الاخرة بانتقام الدنيا
لردع عن المخالفة وللتذكير بالرجوع الى التوبة ولتمحيص ذنوب
من يريد الله به اللطف لشفاعة بعد صفات حسنة ترافق تلك
المخالفة فتكون واسطة لتكفير الذنوب بورود تلك البلايا الدنوية

العاجلة وانا اضرب لك مثلاً لمن يخالف الشريعة المحمدية بمن
ينسب اليها فلا يجد من ثراتها شيئاً فاقول هو كرجل عنده مكتبة
عظيمة مشتملة على الكتب النفيسة المحتوية على الاداب والاخلاق
الجميلة والاعمال الفاضلة وهو لا يفتح منها كتاباً ولا يستفيد منها
فائدة يتصور في العقل ان يصير ذلك الرجل مهذباً فاضلاً سعيداً
بمجرد وضع تلك الكتب في داره وتصفيها في مكتبته وتذهيب جلودها
وتوقيع اوضاعها لا والله لا يكون ذلك الرجل الا كمثل الحمار
يحمل اسفارا لا يدري ما هو حامل ولا يستحق الاسم الجاهل

فان قال قائل ان نرى بعضاً ممن يعده الناس من علماء الاسلام غير
مذهب الاخلاق ولا كامل الصفات بل هو متهافت على الدنيا
وادرائها اكثر من الجهلاء متكالب عليها تكالب كلاب البيداء
مضر للبشر متجاهر بالضرر فاي تهذيب حصل لهذا الشرير من
تلك الشريعة واي ثمرة اكتسبها بل لو لم يعد في صف العلماء
لقصرت يده عن كثير من الشرور فاقول ان هذا المذكور لم
يدرك من الشريعة المحمدية الا القشور وفاته الباب وثمرات
الاداب فاذا حققت امره تجده قد اتقن شيئاً من علوم اللغة
العربية التي جاءت هذه الشريعة فيها من نحو صرفها ونحوها
وبيانها مما هو وصلة الى فهم الشريعة لا هو عينها ومروراً على

كتب الشريعة بمقاصد ماقطة ونية زائفة وهو مصمم على الاطلاع
 على ما للشريعة من احكام ليتوصل بها الى رضى الحكام والى اكل
 المال الحرام من العوام الذين لا يفرقون بين الضياء والظلام وقد
 حفظ من اداب الشريعة المحمدية ومواعظها ما يزين به زخارف
 الكلام لالان تكون دواء لذائه وشفاء لبلوائه فلا يتخلق باخلاقتها
 الرفيعة ولا يتأدب بادابها البديعة ولا ينزجر بمواعظها عن احواله
 الشنيعة فغاية مقصده نوال ما رغبت فيه نفسه من تلك المقاصد
 الدنية فمثله كطبيب يعلم تشخيص الامراض وادويتها ومعالجتها ولكن
 لا يلتفت الى تشخيص دائه العضال ولو التفت اليه لياخذ دواءه
 ولا يصبر على معالجته بل همته مصروفة الى جلب الاموال من
 ذوي الاعراض ولا له الى مرضه ادنى التفات فبالله عليك كيف
 يشفى هذا الطبيب من دائه العضال وهو بهذا الحال من الاهمال
 اىكون مجرد معرفته علم الطب كافيا لشفاء دائه لا والله الصبح عند
 ذلك ان يقال ان علم الطب لا ينفع في شفاء الامراض حيث ان
 هذا الطبيب لم يشف من دائه مع علمه بالطب وتركه المعالجة
 لاأخال ان احدا يجزأ على ذلك القول الفاسد الا ان يكون
 مختل العقل وليعلم ان من كان بتلك الحال ممن يعد في صف علماء
 الاسلام وقد تهتك بخالفة الشريعة المحمدية بين الانام هو وامثاله

تدعوم هذه الشريعة بعلماء السوء وهم اضر على المسلمين من
اجهل الجهلاء بل من الذالاعداء قلل الله من بين المسلمين
امثالهم ونسخ ظلالهم وايدل المؤمنين بهم علماء فضلاء ائقياء قادة
للمحق هداة للصدق متصفين بالصفاء الكاملة متخلقين بالاخلاق
الفاضلة محافظين على اداب الشريعة متابعين رسولهم في كن ما
سنه لهم من المناهج البديعة فهولاء كثر الله من امثالهم واثابهم على
اعمالهم وجزاهم عن الامة المحمدية احسن الجزاء فهم علماء الاخرة
الذين خصص الله تعالى خشيته بهم واثني عليهم في كتابه الكريم وعلى
لسان رسوله عليه من الله اسنى الصلاة والتسليم وهولاء في استقامة
احوالهم ونجاحهم في اقوالهم واعمالهم من آثار اتباعهم للشريعة
المحمدية لم يتركوا للمعارض مجالا ولا للخصم مقالا كما لا يخفى
على ذوي الالباب

ثم اقول لمن اغتر بعلماء السوء فظن انهم علماء الشريعة الذين يرجى
صلاحهم واصلاحهم اني يا صاحبي اعذرک في اغترارك بهولاء
الشياطين الذين يزینون ظواهرهم بما حفظوه من العلوم الرسمية
والفاظ الاحكام الشرعية ولكن ان كنت نبيها فلا اخالك تغتر
بفرقة اخرى اصبحوا فارغين من كل معرفة خالين من كل استقامة
انما هم جهلاء اغرار تزويوا بلباس العلماء وتحلوا بشعار الاثقياء حيلة

على الدنيا وشبكة لاصطياد حطامها فتري عليهم عائم كالابرار
وجيبا كالاخراج والعلم عند الله فشأنهم (تغيير شكل لاجل
الاكل) وقد يتجرو بعضهم على مناصب العلم من التدريس والافتاء
والقضاء ويغتر بهم هيج العامة الذين لا يعلمون الارض من السماء
فانا لله وانا اليه راجعون فايك ان تحتج في مناقضتك ايها الخصم
بهؤلاء الملبسين فان آلة تلييسهم ضعيفة جدا وينكشف حالهم
بكلمة واحدة فيظهر بها انهم كالانعام بل هم اضل هذا وقد بقي
من الملبسين قوم قد يضررون اهل الدين الاسلامي اشد الضرر
ويروج تلييسهم على العامة فيفسدون عقائدها وهي لا تشعر بل
تظن بزخارف هؤلاء الدجالين انها قد وصلت الى حقائق الامور
وفازت على العلماء الاعلام في المعرفة وهي في ضلال مبین وحقيقة
هؤلاء الدجالين انهم يدعون وصولهم الى معرفة علوم واسرار في
الشرعية المحمدية تخفى على العلماء الاعلام وان الله خصهم بها
بسبب الوسائط الفلانية ويترجمون عن تلك المعارف والاسرار
بعبارات هي محض كفر وضلال بمقتضى قواعد الشريعة المحمدية
لكن تلك العبارات تشابه بعض الكلام الذي ورد عن بعض
العارفين من علماء هذه الشريعة المشهود لها بصحة العقيدة واستقامة
الحال على منهج الدين المحمدي وقد اطلعهم الله تعالى بواسطة

تقواهم واقتفائهم اثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على
 معارف واسرار في هذه الشريعة لم يطلع عليها غيرهم من لم
 يعمل كعملهم ولم يستقم كاستقامتهم وهي في الحقيقة لاتنافي الشريعة
 المحمدية في شي بل هي من الشريعة توخذ من رموزها وتفهم من
 اشاراتها غاية الامر ان بعض تعبيراتهم عنها كانت موهمة لمخالفة
 الشريعة وما كان ذلك الا لضيق الالفاظ اللغوية عن الافصاح
 عنها فاصبح التعبير في ادائها موهما ما يخالف الشريعة وليس الحال
 كذلك واشبوت استقامة هؤلاء العارفين التزم العلماء تاويل ما
 يوهم من كلامهم وتطبيقه على قواعد الشريعة المحمدية بما يدفع عنهم
 الريب في عقائدهم واما اولئك الملبسون الحائدون عن منهج
 الاستقامة في الشريعة الساعون على تحصيل شهواتهم وبلوغ
 ما ربه الفانية فقد ادعوا مناصب هؤلاء العارفين واصبحوا يتكلمون
 بكلمات تشبه كلامهم وهم عنهم بمعزل ما عندهم من تقواهم ذرة
 ولا من معارفهم قطرة فالحذر الحذر من الركون الى كلام هؤلاء
 الملبسين الضالين المضلين وقد كثر عددهم في هذه الايام فكم
 افسدوا من عقائد وكم اخطوا من حرام فعلى كل مؤمن متبع
 للشريعة المحمدية ان يعتقد ما جاء به صريح القرآن والسنة الصحيحة
 ويعتمد في كل ذلك كلام العلماء الاعلام المسلم بمعرفتهم واستقامتهم

من الخاص والعام ويهجر ما سوى ذلك من وساوس الاوهام
 والله يتولى هداانا اجمعين بحرمة سيد المرسلين اللهم امين
 وطائفة من اولئك الجباهير لم تسبق افكارهم الى تلك الاستدلالات
 التي وصلت اليها افكار الطوائف السابقة ولكنهم تملوا في حال
 محمد عليه السلام وفي متابعة اولئك الطوائف له بعد ما كانوا
 مخالفين وفي الوجوه والدلائل التي حملتهم على تصديقه والانقياد
 اليه فقالوا ان هؤلاء الطوائف الذين اتبعوا محمدا (عليه السلام)
 لاشك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة وعندهم الاستعداد
 للاستدلال على الحقائق والتوصل الى الصواب ونراهم اولا قد
 نفروا من تصديق دعوى محمد (عليه السلام) غاية النفور وكذبوه
 اشد التكذيب حتى خلانته واقاربه من اعمامه واولادهم وعشيرته
 اجمعين ولا سيما منهم من يعتقدون باديان الرسل المتقدمين وبين
 ايديهم كتبهم المنسوبة الى اولئك الرسل واخذ جميعهم بتوبيخه
 وثقريعه على هذه الدعوى التي ادعاها وحاولوه بالرجوع عنها
 والكف عن تسفيه احلامهم والطعن باصنامهم واعتقاداتهم واحثالوا
 عليه باطماعه بانهم يشاركونه في اموالهم ويزوجونه اكرم بناتهم
 اذا هورجع عما هوفيه ثم انهم بعد جميع ذلك النفور وكل ذلك
 الامتناع اخذوا يتركون عاداتهم المألوفة لهم والموروثة عن ابائهم

ويرفضون اعتقاداتهم لاسبابهم من يعتقدون باديان تنسب
الى الرسل المتقدمين فان هولاء بعد ما تشددوا في النفور غاية
التشدد تمسكوا بما لديهم من الدين السماوي والكتب الالهية
عادوا فاقبلوا على تصديق محمد احسن الاقبال اعتمادا على ما
ظهر لهم من شهادات الكتب التي عندهم بصدقه عليه السلام
وانطباق العلامات المذكورة فيها عليه وقد تركوا كثيرا من احكام
الشرائع التي يعتمدونها عند ما اخبرهم محمد بان شريعته ناسخة
لها ولا شك ان ترك مثل تلك العادات المألوفة يصعب جدا
عليهم فلا يهجرونها الا لموجب قوي وداع قاهر وانهم يعلمون قطعاً
ان تركهم لكثير من احكام شرائع وسلم المتقدمين ان لم يكن
بامر الله تعالى ورضاه يستحقون منه اشد الانتقام فايمانهم بمحمد
وتصديقهم برسالة لا بد ان يكون ناشئاً عن تحرير ادلتهم التي
اعتمدوها في تصديقه ولولا انها ادلة قاطعة وبراهين ساطعة اطمانت
بها نفوسهم واذعنت لها عقولهم وتوصلوا بها للصواب لما كانوا
جروا بمقتضاها ولما هجروا ما لوفاتهم وتعرضوا للانتقام الله تعالى
حسب زعمهم الاول ولكانت عقولهم السليمة تمنعهم ان يقدموا
على الباطل وان يخاطروا هذه المخاطرة ويعتمدوا على دليل ضعيف
او يميلوا لهوى نفس سيئة العاقبة ولا داعي هناك من نحو الانفعالات

النفسية التي تدعو في بعض الاحيان الى ارتكاب خلاف
الصواب بل الذي في انفسهم من الافعالات النفسية والتعصبات
النسبية والدينية تدعوهم الى التكذيب لا الى التصديق وتحملهم
على الاصرار على ما هم عليه لاعلى الانتقال عنه فاتفقهم جميعا على
تصديق محمد عليه السلام مع تنوع ادلتهم انواعا مختلفة الطرائق
متفقة على نتيجة واحدة لاشك انه حجة مستقبلة تثبت دعواهم وتدل
على صدقه اذ من المحال الذي لا يصدق العقل السليم ان يكون
ذلك الاتفاق من اولئك العقلاء المتعصبين لعاداتهم واعتقاداتهم
وتوفر تلك الادلة حاصلا جميع ذلك بوجه الصدقة ولا يقول
بالصدقة في مثل ذلك الا معاند مكابر ف نحن اعتمادا على ما تحصل
لدينا من هذا الاتفاق من اولئك الطوائف ومن توفر تلك الادلة
مع ان ذلك لا يكون بوجه الصدقة قد صدقنا محمد عليه السلام
فيما ادعاه وامثلنا جميع ما يامرنا به مقررين بانه رسول الله بلا
اشتباه

اقول ملخص استدلال هؤلاء الطائفة بصورة القياس الاستثنائي
المستثني فيه نقيض التالي لنتج نقيض المقدم هكذا لو لم يكن محمد
صادقا لما اتفق هؤلاء العقلاء المخالفون المتعصبون على تصديقه
ولما توفرت لهم تلك الادلة لكن قد اتفقوا على تصديقه وتوفرت لهم

تلك الادلة فيكون صادقا فإيمان هذه الطائفة ليس بالتقليد لاولئك
الطوائف كما يتوهم بل هو بالاستدلال ايضا كما علمت
وطائفة منهم كانوا طبعيين ماديين دهريين اي انهم يعتقدون ان
مادة العالم ازلية ليست مخلوقة وانه لا اله للعالم اوجده من العدم
ورتبته على هذا النظام وانما تكونه على هذه الكيفية المشاهدة التي
يجار فيها الفكر وتنوعه بهذه الانواع ليس الا من تركيب عناصره
وتفاعلها بمقتضى نواميسه القائمة فيه وحيث لم يعتقدوا بوجود اله
للعالم فبالضرورة لا يصدقون بالرسل المدعين انهم مرسلون من عند
الله تعالى الذي هو آله هذا العالم فعند ما سمعوا محمدا عليه السلام
يدعي ارسال الله تعالى له وشاهدوا احوال اولئك الجماهير الذين
كذبوه اولاً ثم صدقوه وسمعوا بدلائلهم التي استدلوا بها على صدقه
مع اختلاف انواعها وتخالف طرقها وما نتج عن ذلك كله من
الانقلاب العجيب في العالم البشري من ترك اولئك الجماهير
لعاداتهم ومالوفاتهم ومعتقداتهم واتباع ذلك الرجل الامي الفريد
الوحيد الذي قاوم بدعواه اولئك الالوف ولا ناصر له ولا معين
حادثا ليس بالقليل يستحق التفات الافكار وتمعن الا نظار والبحث
عن اسبابه وكيفية تسببه عنها وانتقاد حقيقة هذا الامر هل حصل
عن تصورات يقينية او عن تخيلات وهمية تنبته افكارهم

وتيقظت الباهمه (ومن يسمع يحل ومن يشاهد يفكر) فقال
بعضهم لبعض ان هذا الحادث مهم جدا ونحن نبحث عن اقل
قليل يحدث في الكون بالتفتيش عن اسبابه ومقتضياته وحقيقته
وغايته والذي نقرر اعتماده عندنا ان كل حادث وانقلاب في
العالم البشري لابد ان يكون ناشئا عن مقتض اقتضاه كما الحال في
حوادث المادة واثارها فانه لا اثر منها الا وهو ناشئ عن سبب
ومقتض يقتضيه ا بعد ذلك نغض الطرف عن هذا الحادث
العظيم من نجاح محمد بهذه الدعوى التي ادعاها واتباع اولئك
الجماهير الذين باتباعهم حصل انقلاب في العالم الانساني يقل
نظيره في التاريخ البشري ونكتفي بقولنا ظنا وتخمينا لا علما وتحقيقا
ان هذه الدعوى من محمد هي تحيل على الرئاسة وذلك الاتباع
من اولئك الجماهير مبني على الاوهام اما علينا ان نستعمل فلسفة
التاريخ ونبحث عن الاسباب التي اوجبت هذا الانقلاب
والانقياد لهذا الرجل الامي الوحيد الفريد فهب ان دعواه تحيل
على الرئاسة فما نقول في سبب ذلك الاتباع والانقياد من اولئك
الطوائف الكثيرين المتعصبين لما هم عليه من العادات والاعتقادات
فان قلنا سبب هذا الانقياد هو العصبية لم يصح ذلك فان عصبية
اولئك الجماهير انما هي لما هم عليه من العادات والاعتقادات وهذه

تقتضي مخالفة محمد لا موافقته وان قلنا ان السبب عصبية عشيرته
له وطمعها بنواله الرأسة اذا هونج في دعواه لم يصح هذا ايضا لانا
نرى عشيرته اشد الناس مخالفة له عندما قام يظهر دعواه ومن
اتبعه منها فانما كان اتباعه له آخر الامر بعد ما تم نجاحه وكثرت
انصاره وقليل منها من اتبعه في اول امره وعلى هذا الحال
فليست عصبيتها هي السبب البتة على انه لو فرض عصبيتها له في
اول امره لم تكن لتؤثر في انقياد اولئك الجماهير الكثيرة وهي
دونهم في القوة والاقتدار ونفوذ الكلمة فلوانه اعتمد عليها وقاوم
بها عصبيتهم لكان قد عرضها للهلاك ولا نسحقت بقوة اولئك
الالوف المؤلفة كما يعلم ذلك من الاطلاع على عددها وعددهم
ومنزلة اقتدارها واقتدارهم وان قلنا ان السبب هو طمع اولئك
الجماهير في الثمرات التي تحصل لهم اذا هم اتبعوه ونجح في دعواه
وبلغ سلطانه ما بلغ فلا يصح هذا ايضا فمن اين ايمن اولئك
الجماهير ان محمدا (عليه السلام) ينجح في دعواه وتحصل له
السلطنة وقد قام في اول امره وحيدا فريدا صفر اليدين من كل
سبب موصل للنجاح ومعرضا نفسه لسخرية عموم العالم وسبتهم اياه
الى الحق بانه يدعي دعوى دون نوالها خبط القنادي قوم
يتقدون في رجل انه كاذب في دعواه وهو وحيد فريد خال عن

الاسباب المرجو بها نجاحه ثم يتركون ما هم عليه من عاداتهم المألوفة
واعتقاداتهم المرجو لهم بها سلامة الدنيا والاخرة ويتبعونه طمعا بانه
اذا نجح تحصل لهم ثرات فانية وان فاتتهم ثرات باقية لا يفعل ذلك
الا المجانين واولئك الاقوام جميعهم لا يصح في العقل الحكم عليهم
بالجنون قطعاً وان قلنا ان السبب هو الخوف فلا يصح ايضا لانه
لم يحصل لاولئك الجماهير ادنى خوف من محمد في ابتداء امره
لانه حينئذ كان فريداً لا رفاق ولا صحب نعم قد حصل خوف
لبعض من اتبعه ولكن بعد ما تم نجاحه وكان له من الاتباع الالوف
المؤلفة الذين اتبعوه بدون ادنى خوف فهؤلاء ما سبب اتباعهم وان
قلنا ان السبب فصاحة لسانه وسحر بيانه فقد خاب عقول اولئك
الجماهير بقوة نطقه وموه عليهم الحجج الكاذبة التي اقامها على صدقه
فلا يصح هذا ايضا لان اولئك الجماهير لم يتبعه جميعهم بسبب حجج
تلاها عليهم وزينها لهم بزخارف بيانه كما يعلم من الرجوع الى استقصاء
استدلالاتهم على صدقه بل بعض حجبهم لاصنع له بها وليس في
قدرته اقامتها وتحصيلها افي قدرته ان يوجد في نفسه وفي احواله
العلامات المذكورة في كتب بعض اولئك الجماهير التي يقولون
انها كتب رسل قد سبق ارسالهم اليهم واخبروهم انه سياتي رسول
توجد فيه تلك العلامات وقد شاهدوها جميعها فيه (عليه السلام)

أني قدرته ان يجمع جميع تلك الصفات الفاضلة في قرآنه التي
يعجز عن جمعها أكبر الفصحاء وأعظم الفلاسفة وهو رجل أمي
تربي بين أمة جاهلية ثم يقيمها حجة على صدقه أني قدرته ان
يرتب تلك القوانين التي يقول انها شريعة بذلك الترتيب العجيب
الغريب التي يعجز العقول بحسن انتظامه وهو على ما فيه من الامية
والخلو عن معارف الام والاطلاع على قوانين الممالك والدول ثم
يقيم ذلك حجة على صدقه أني قدرته ان يخرس السن فصحاء
اولئك الجماهير وبلغائهم عن معارضة اقصر سورة من قرآنه حتى
اقر بعضهم بالعجز وبعضهم التجأ الى محاربه وعرضوا انفسهم لبلاء
الحروب ولم ياتوا بالمعارضة التي هي أسهل ما يكون عليهم لو
كانت في امكانهم وما ذاك الا عن العجز عنها وان قال قائل ان
عجز اولئك الجماهير عن المعارضة ما كان الا من تسلط الوهم
عليهم فانه عند ما قال لهم انكم تعجزون عن معارضة اقصر سورة
من قرآني تسلط عليهم الوهم وتصوروا انفسهم عاجزين فعجزوا
بالفعل وافعال الوهم لا ينكر تاثيرها في العقل الانساني فلا يسلم
قول هذا القائل ولا يقبله العقل السليم لان الذي نعهده من افعال
الوهم في البشر انه يتسلط على جماعة او جماعتين وفي مقام او
مقامين وفي يوم او يومين او شهرا او شهرين اما تسلطه على جماهير

مجمرة وفي كل مقام ومجتمع وفي السنين العديدة التي تنوف
 عن عشرين سنة وعلى الجماعة الحاضرين عند ورود سبب الوهم
 وعلى الجماعة الغائبين البعيدين عن ذلك المقام وانما يجرد بلوغهم
 الخبر بما جرى مع غيرهم يحمل بهم من الوهم ما حل بولئك الغير
 فلم يعهد ان للوهم هذا التسلط العمومي المستمر في كل مقام وفي
 سنين عديدة والعقل السليم لا يسل ان للوهم هذه الخاصة بدون
 سبب خارج عنه يقوى به على ذلك على ان الامور الموهومة لا بد
 ان الافكار على طول الزمن تخلص من ثوهمها وتكشف حقيقة
 الامر فيها ولو بعد حين لان الافكار لا تحاول امرا الا انكشف
 لها وهولاء الجماهير لاشك انهم بخالفة محمد ومضادتهم له
 حريصون على كشف الحقيقة في شأنه واثبات تكذيبه ومع هذا
 لم يصلوا الى شيء من ذلك وبقي امر عجزم عن معارضة قرآنه
 امرا مستمرا ثابتا لم يظهر للوهم فيه ادنى تأثير فاذن لا يكون ذلك
 العجز منهم الا حقيقيا لا وهميا وان اورد على منع جواز عموم
 الوهم واستمراره ان علماء الهيئة القدماء قد كان وهمهم في دوران
 الفلك وثبوت الارض عموميا مستمرا الميئات من السنين
 يدفع ذلك الايراد بان عموم الوهم واستمراره فيهم كان لسبب
 قوي يدعو الى ذلك وهو ما يعطيه النظر والمشاهدة من دوران

الفلك وسكون الارض وعدم وجود الآلات التي اعانت المتأخرين
 على كشف الحقيقة (على ما زعموا) وما نحن فيه لاسبب معه
 يوجب الوهم على العموم والاستمرار وما سببه (على زعم الخصم)
 الا قول محمد لا أولئك الجماهير انكم تعجزون عن المعارضة وهذا
 السبب ليس فيه من القوة ما يقتضي العموم والاستمرار للوهم
 كما هو ظاهر ومسلم عند المنصف فظهر الفرق بين ما كان مع
 القدماء من علماء الهيئة وبين ما نحن فيه (اقول اذا كان عموم
 الوهم واستمراره مقدار ما ينوف عن عشرين سنة غير مسلم عند
 العقل بدون سبب قوي يقتضي عمومه واستمراره فعمومه واستمراره
 مقدار ثلاثة عشر قرنا بلا سبب قوي يقتضيهاها ابعد عن
 التسليم عند العقل السليم بمراحل فقد حرت الى الان هذه المدة
 والمعادون والاختصاص لدعوى محمد عليه السلام من علماء الفصاحة
 والبلاغة والشعراء والمنشئين وافرو العدد محاولون اطفاء نور
 شريعته ولا مانع يمنهم ولم يزالوا مسر بلين بسر بال العجز ومرتدين
 برداء الضعف عن معارضة اقصر سورة من القرآن العزيز ولا
 يزالون ولن يزالوا بعد الان نقول هذا على رؤس الاشهاد وفي كل
 زاد) وهكذا بقي أولئك الطائفة يبحثون عن سبب يكون هو الذي
 اوقع أولئك الجماهير في الخطاء باتباع محمد عليه السلام فلم يجذوا

بل قام في انفسهم انه بعد استقراهم في هذا الباب لا سبب هناك
 للغلط فقالوا حينئذ هل احطنا نحن بحقيقة كل ما يتصوره العقل
 ويقوم في الازهان وكل علمنا لكل شيء لا وحق الشرف الانساني
 لم يحيط علمنا بجميع الحقائق المتصورة بل القسم الاكبر من نواميس
 هذا الكون المادي المشاهد لنا لم يزل محجوبا عنا علمه وكل يوم
 يتجدد لنا في تلك النواميس علم جديد والذي تطمئن به نفوسنا
 ان ما علمناه منها انما هو نقطة من بحر في جانب ما لم نعلمه منها فاذا
 كان الحال كذلك وكنا منحطين هذا الانحطاط في معرفة
 الحقائق ولم يتفق لنا الوصول الى درجة الاحاطة بمعرفة كل حقيقة
 تنصور من هذا الكون فضلا عن كون الاحاطة لازما من لوازم
 ذواتنا فما الذي يؤمننا ان تكون هناك في نفس الامر حقائق وراء
 هذا العالم المادي لم نطلع عليها ولم نعلم عنها شيئا اما لعدم بحثنا عنها
 لانصراف افكارنا وانشغالها في العالم المادي واعتيادها على ذلك
 حتى صار يتخيل لنا انه لا عالم وراء هذا العالم واما لعدم عثورنا على
 دليل يدل عليها واما لفقد الوسائط فينا التي توصل الى معرفة
 عالم غير هذا العالم المشاهد لنا فمن كان منا قبل اكتشاف الكهرباء
 يتصورها ويتصور اثارها ويصدق بذلك كله حتى ابرزتها الصدفة
 وحققتها التجارب مع انها من عالم الطبيعيات ومع ذلك فلا نزال

عاجزين عن مشاهدتها بالبصر غاية الامر اننا نستدل على وجودها
 باحساسنا بآثارها على ان ما اشتهر بيننا من القول باننا لا نصدق
 بوجود شيء حتى ندركه باحدى حواسنا الخمس لم يمكننا التزامه
 دائما بل نخرج عنه عند الحاجة فهذه مادة الاثير قد صدقنا بها
 واثبتناها ولم يكن ادراكها باحدى حواسنا قطعاً وانما الذي الجأنا
 لاثباتها احتياجنا الى معرفة حقيقة النور واثباتها قلنا ان النور هو
 حركة هذه المادة الاثيرية السارية في جميع الكون (الاثير عندهم
 غاز منتشر في الخلاء مائي خلاله ساكن بذاته ما لم تفعل به بعض
 الاجسام كالكوكب فيهتز ويتموج بفعلها فيه كما يهتز الهواء من
 تأثير الجسم به للصوت وينتقل اهتزازه الى عضو البصر فيؤثر به
 ويورثه الشعور بالمرئيات وقالوا ان العوامل او القوى الكيماوية
 وهي الحرارة والكهربائية والمغنطيسية ما هي الا انشاق من الاثير
 وهو الاصل الذي يجمع المواد الاربع غير القابلة للوزن في مادة
 واحدة وهي النور وهذه الثلاثة) على ان هذا القول المشتهر بيننا
 لا يعتمد عليه فاي مانع من وجود اشياء تعجز حواسنا بنفسها عن
 ادراكها وقد تحقق ذلك بالموجودات المكسكوية التي لا تدرك
 الا بالالات البصرية واي مانع من وجود اشياء لاصلاحية في
 حواسنا لا ادراكها ولو بالواسطة بل يحتاج ادراكها الى حاسة اخرى

لم توجد فينا كما في الاثير المذكور واذا كانت حواسنا في هذا
 العجز في العالم المادي فكيف يستبعد عجزها عن ادراك اشياء في
 عالم وراء هذا العالم المشاهد لنا فلا انصاف الانصاف اننا قاصرون
 في سبيل المعرفة اعظم القصور وان وسائط العلم فينا لحقائق الاشياء
 التي يتصورها العقل غير كاملة البتة فيجوز في العقل ان هناك
 حقائق كثيرة في نفس الامر لم نزل جاهلين بها وغافلين عنها
 ووسائطنا الى معرفتها مفقودة او عديمة الشروط واذا نصرنا
 الانصاف وخذلنا الاعساف نرى ان رفضنا اوجود عالم وراء عالم
 الطبيعيات ما هو الا ضرب من المجازفة وحكم بغير دليل لان
 غاية ما اوصلنا اليه البحث اننا لم نجد دليلاً على وجود عالم وراء
 هذا العالم ولا دليلاً على ارتباط هذا العالم بعالم وراءه واما انه قام
 دليل معنا على عدم وجود عالم وراء هذا العالم المادي او على عدم
 ارتباط هذا العالم به فلا وحق شرفنا الانساني ومن المعلوم المسلم
 عند كل ذي بصيرة انه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود في
 نفس الامر ولا يلزم من عدم وجود الدليل عدم وجود المدلول فلا
 يلزم من عدم وجود الدليل على ذلك العالم او من عدم وجدانه
 عدم وجوده في نفس الامر هولاء القدماء منامضت عليهم الالوف
 من السنين وهم يبحثون عن الشي الذي يصدر عنه الرعد والبرق

ولم يصلوا الى دليله الصحيح ولم يعلموا حقيقته وما لزم من عدم
 وجدانهم اياه ولا من عدم وجدانهم دليله عدم وجوده في نفس
 الامر وقد وجد المتأخرون دليله وعرفوا حقيقته (وهي الكهربائية
 على زعمهم) وهي من لوازم الكون الفعالة فيه العجائب فعلى جميع
 ما تقدم من قصور معارفنا لحقائق الاشياء وان لم يقم معنا دليل على
 عدم وجود حقائق وعوالم وراء هذا العالم المادي فقد بقي ذلك في
 نفس الامر في حيز الامكان فما الذي يؤمننا ان دعوى محمد من
 جملة تلك الحقائق الممكنة الوجود وانها موجودة في نفس الامر
 ونحن نجعل حقيقتها وحقيتها ونظنها تحيلا على الرأسة ونظن ان
 انقياد اولئك الجماهير لمحمد مبني على الوهم لا مستند لم يقيني
 فما المانع بعدئذ ان محمدا صادق في دعواه واولئك الجماهير
 انكشفت لهم الادلة التي اوصلتهم الى تصديقه ونحن ما لنا بصحتها
 ادنى المام واذا كان الحال كذلك وكان محمد عليه السلام مرسلا
 من جانب آله لهذا العالم وسوف يتحقق جميع ما يخبر به ومن جملة
 ذلك انه لا بد من البعث والنشور للعالم الانساني ويجازي ذلك
 الاله من اتبع محمدا بالثواب الدائم ومن كذبه بالعذاب الابدي
 فاي صواب نكون حصلناه واي ثمرة نستحوذ عليها من اتعابنا وابحاثنا
 في علومنا الطويلة العريضة من فلكيات وجويات وجولوجيات

ونباتيات وحيوانيات وكما ويات وغير ذلك افلا يكون حينئذ
 قد اشتغلنا بالدنى الزائل وتركنا العظيم الدائم وحق علينا ان يقال
 كما في المثل الجاري (لقد خسرت صفقتنا) والذي يهيج افئدتنا
 ويبعث بنا الى الخوف من الوقوع في سوء الاختيار انه اذا صح قول
 محمد واتباعه في البعث كان الخسار علينا وحق لنا ان نجري
 الدموع دما وان صح قولنا في عدم البعث وذهاب البشر بلا اعادة
 لم يكن عليهم من الخسران ادنى شيء كما قال احدهم في الطبيب
 والمنجم اللذين على اعتقادنا في انكار البعث شعر

قال المنجم والطبيب كلاهما لن يبعث الاموات قلت اليكما
 ان صح قولكما فليست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
 فالصواب في حقنا ان نحترز وناخذ بالحزم ونترك الجمود على
 تكذيب كل ما سمعناه مما يغير معارفنا وناخذ في البحث عن دعوى
 محمد التي ادعاها وعما اوجب تصديق اتباعه له والنظر في دلائلهم
 ولا ضرر علينا في ذلك ولا مانع يمنعنا منه بل الجائز ان يكون
 عاقبة هذا البحث دفع الضرر عنا فعند ذلك صادق جميعهم على
 هذا الحكم الذي قرأهم عليه لوضوح دلائله التي تقدمت وانبعثوا
 بهمة ونشاط للنظر في دعوى محمد عليه السلام والبحث عنها اهي
 صادقة ام كاذبة وعما اوجب تصديق اتباعه له من الدلائل التي

اعتمدها ليظهر لهم أهي صحيحة موصلة لهم كما اوصلت تلك الجماهير الى تصديقه ام فاسدة فترقع بظهور فسادها الشبهة فاول ما نظروا فيما جاء به محمد عليه السلام وادعى انه من عند الله تعالى انه هذا العالم وسماه شريعة فوجدوا فيه كثيرا مما ينافي علومهم الطبيعية التي يعتقدونها وعندهم انها من اليقنيات فمن ذلك ماورد في تلك الشريعة ان مادة العالم حدثت بعد ان كانت معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع الكائنات على هذا النظام هو الاله وانه قادر على ملاقاتها واعدامها من الوجود كما اوجدها بعد العدم وان هذا الاله خلق الانسان نوعا مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق انثاء واسكهما في دار تسمى الجنة ثم اهبطهما الى الارض لمخالفتها ما نهاها عنه وان للانسان نفسا تسمى روحا هي غير جسده وان لها تعاقبا بجسده ينشأ عنه حصول حياته وعند ما تنفصل عنه يحله الموت وان تلك الروح باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتثألم وان الانسان بعد حلول الموت فيه وفنائه يعيده ذلك الاله ويعيد تعلق الروح به ويثيبه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض ويعذبه على اعماله الشرية هناك وانه يجري نعيمه في دار خلقها تسمى الجنة وعذابه في دار خلقها تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب

عالم الارض والسموات وبعثهم بعد الموت ويخلدون فيها وان
 الذي يقوم به اللذة والالام عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة
 فيه هو مجموع الروح والجسد وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل
 الانسان وعندها من الادراك ما يكفي لتعيشها وليس عندها من
 الادراك والعقل مثل ما عند الانسان فلذلك كلف بعبادة ذلك
 الآله دونها وان ذلك الآله خلق اجساما نورانية تسمى الملائكة
 قادرة على التشكل وانها تترامنا ولا نراها وهي خيرية وتفعل
 افعالا تعجز عنها القوى البشرية وهي الواسطة بين ذلك الآله وبين
 اخيار البشر المسمين بالرسل في تبليغهم اوامره كما انه اوجد
 اجساما اخري تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصهم من
 نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على
 افعال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم ولا خيرية
 صرفة ولا هي واسطة بين ذلك الآله وبين الرسل وتسمى جنا
 وانه خلق سبع سموات فوقنا مملوءة بالملائكة وانه ينزل المطر من السماء
 وانه خلق جسما كبيرا يسمى كرسيه فوق تلك السموات وجسما اخر
 اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافة
 عظيمة وان الملك يقطعها بمدة قصيرة جدا وان جميع ما يحدث
 في هذا العالم في ارض او سماء او في داري الجزاء فهو بقضائه

ونقديره اي بان يعلمه ويريده ويبرزه الى الوجود بقدرته وقد
 خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلما لاثبات ما
 يكون وتسطيره لا عن حاجة الى ذلك ثم جميع ما يقضيه فهو
 بخلقه يوجد ويكون لخالق سواء وانه وان يكن قد ربط المسببات
 بالاسباب وجعل الاولى تنشأ عن الثانية فهو الخالق للثنتين يخلق
 السبب ويعقبه بخلق المسبب وجميع الاشياء انما يوجد تأثيرها
 المشاهد لنا بخلقه وايجاده ولا شي يوتر بطبعه او بقوة اودعت فيه
 وانه موجود قديم دائم يستحيل عليه العدم واحد احد في ذاته
 وصفاته غني عن كل ما سواه مفتقر اليه جميع ما عداه لا يشبه
 شيئا من جميع الموجودات ولا يشبهه شي من امره اتم الارادة
 عالم اكل العلم يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن لا يعزب عن علمه شي
 قادر على كل شي من الجائز العقلي مهما كان عظيما جسيما حي
 متصف بصفات الكمال التي تليق به منزله عن صفات النقصان
 الى غير ذلك مما وجدوه في تلك الشريعة المحمدية مما يخالف
 معتقداتهم التي اوصلتهم اليها علومهم او مما لا تدل عليه تلك العلوم
 بحسب ما وصلت اليه عقولهم فكادوا عند ذلك ينفرون عن عزمهم
 الذي عزموا عليه من البحث عن دعوى محمد عليه السلام وتبين
 امرها ويرجعون الى الجمود على التكذيب لولا حكمهم السابق

الذي اجمعوا عليه من ان الصواب في حقهم البحث عنها وتبين امرها
تحرزا من الوقوع في الخطا واخذوا بالحزم لما الجأهم الى ذلك من
ظهور القصور في معارفهم وعدم احاطتهم بكل حقيقة يتصورها
العقل فبقوا ثابتين على العمل بموجب ذلك الحكم وقالوا لنبحث
اولاً عن هذه المسائل التي وجدناها في شريعة محمد مخالفة
لاعقاداتنا المأخوذة من علومنا اولا دليل في علومنا عليها قبل ان
ننظر في الادلة التي اعتمدها اتباعه في تصديقه فلعنه يظهر لنا
فساد ما جاء في شريعته من تلك المسائل بسبب بحثنا فيها
ويتبرهن لدي اتباعه ذلك فيكون دحضا لدعواه من اول الامر
ونكفي مؤنة البحث في ادلة اتباعه او سواها لكن خطرهم عند
ذلك اننا اذا اخذنا في البحث عن هذه المسائل فيما بيننا ربما
يصعب علينا ظهور الصواب لاحتمال ان المراد بها غير ما يتبادر
الى الفهم او يكون له وجه صحيح يطابق علومنا ونحن لا ندركه
فالاولى ان نجتمع مع عالم من علماء اتباع محمد ونذاكره في هذه
المسائل ونطلب منه بيانها فاما ان يظهر لنا فسادها واما ان يظهر
لنا صحتها وبالمذاكرة مع ذلك العالم لا يصعب علينا فهم المراد منها
فاجتمعوا مع عالم من علماء اتباع محمد عليه السلام من اضعفهم
فهما واقلم علما فشرحوا له قصتهم وما اعتمدوا عليه من المفاوضة

معه في تلك المسائل فقال لهم ان شئتم فاشرحوا لي اولا لمخلص
 مذهبكم واعتقادكم في هذا العالم واصل وجود هذه الكائنات فلعلي
 اجد بين ذلك وبين المسائل التي تنكرونها في شريعة محمد عليه
 السلام توفيقا واظهر لكم فساد بعض ما تعتقدونه او غير ذلك مما
 يرفع الخلاف من بين او انفصل عنكم صفر اليدين فاستصوبوا
 هذا الراي منه وقالوا له اسمع خلاصة مذهبنا وما اوصلتنا اليه
 علومنا اعلم ان لقدمائنا في اصل هذا العالم وتكون تنوعاته من
 سماويات وارضيات مذاهب شتى ولكن الذي قرع عليه الامر الان
 وكشفه لنا الاختبار والدليل ان اصل هذا العالم من سماويات
 وارضيات امران المادة وقوتها (حركتها) وهما قديمتان متلازمتان
 من الازل لا يتصور انفكاك احدهما عن الاخرى اما المادة فهي
 الاثير المالى الخلاء وهو الهيولى في ابسط ما يمكن تصورها واما
 القوة فهي حركات اجزائها الفردة المتماثلة في الذات المتخالفة في
 الصفات المتغيرة في الاشكال ونقول انه ليس لتلك الحركة سبب
 الا نفسها ثم ان الاجرام السماوية وهى الكواكب والكائنات
 الارضية من جمادية وحيوانية ونباتية تكونت من المادة بواسطة
 حركتها وحدثت بعد ان لم تكن حدوث المعلول عن علته بمقتضى
 الضرورة وليس للمادة ولا لحركتها ادراك وقصد في تكوين شيء

منها فبتجمع تلك الاجزاء على كفيات مخصوصة حصل مادة
 سديمية اي اجسام صغيرة وتجمعت على بعضها بناموس الجاذبية
 وتكونت كرة ودارت على محورها والتهبت بمقتضى نواميس اخرى
 فكانت تلك الكرة هي الشمس ثم اخذت بقية الكواكب تنفصل
 عنها بمقتضى دورتها وتكون كرات وتدور على محاورها ومن جملة
 ارضنا التي نحن عليها ثم بعد انفصالها ودورانها على محورها مدة من
 الزمان اخذت تبرد قشرتها وتكون طبقاتها وتتولد المعادن
 والحيوانات والنباتات بسبب حركة اجزاء المادة وتجمعها على
 بعضها على نسب وكفيات مخصوصة وقد ثبت لدينا حدوث الحيوان
 والنبات بعد ان لم يكونا باكتشافات علم طبقات الارض وذلك
 ان تلك الاكتشافات اظهرت لنا ان اخر طبقة وصلنا اليها من
 طبقات الارض خالية من الحيوانات والنباتات واثارها وانه مر
 على الارض زمن ليس فيها من الاجسام الحيوية شي وبعد ذلك
 اوصلنا البحث والاكتشاف ومشاهدة اعمال الكيمياء الى انه بتجمع
 اجزاء المادة بواسطة حركتها تكونت العناصر التي تزيد على الستين
 وتجمع بعضها وامتزاجه على نسب مخصوصة تكونت المعادن
 والاجسام الحيوية واول مكون لهذه هو مادة زلالية مكونة من
 عدة عناصر بين الجامد والسائل لها قوة الاغذاء والانقسام والتوالد

سميها برتوبلاسم (اي المكون الاول) وبانقسامها تكونت الخلايا التي تتركب منها الاجسام العضوية وحدث بتجميعها ابسط الحيوانات وابسط النباتات وما الحياة الا ظاهر من ظواهر تفاعل تلك العناصر وامتزاجها الكيماوي وليست شيئا اخر تحمل في الجسم كما يقول به الحيويون منا وليس للحيوان روح غير حياته هذه ثم اخذت تتوالد وتتكاثر تلك الحيوانات والنباتات البسيطة بما لازمها من اربعة نوااميس الاول تباين الافراد فكل فرد لا يشابه اصله تماما ومن جملة التباينات الذكورة والانوثة الثاني انتقال التباينات من الاصول الى فروعها مع الاخذ بتباينات اخرى فحدث عن ذلك بين الافراد القوي والضعيف والمتحمل للكوارث الخارجية وغير المتحمل والذي تناسبه الظروف والذي لا تناسبه الثالث تنازع البقاء بين الافراد فيهلك الضعيف وغير المتحمل والذي لا تناسبه الظروف ويبقى ما هو بخلاف ذلك والرابع الانتخاب الطبيعي وهو اختيار الطبيعة وحفظها للاحسن والاكمل فبكروور الملايين من السنين وصلت الحيوانات والنباتات الى ما وصلت اليه بحركة اجزاء المادة الاضطرابية والجري على هذه النوااميس الاربعة حتى ان الانسان نفسه ما هو الا حيوان من جملة الحيوانات ترقى في التحسين بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما هو عليه الان وبمقتضى مشابهته

للفرد لا يمنع ان يكون قد اشتق هو و اياه من اصل واحد واخذ
 هو في الترتي عنه حتى فاق عليه وهو من احدث الانواع الحيوانية
 فوجوده من زمن محدود بملايين من السنين معدودة وان كان
 انواع كثيرة وجدت قبله بملايين كثيرة وما عقله وادراكه
 الانساني الالفعل من افعال مادته بتفاعل اجزائها المتحركة
 وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة والحركة خاليا عن العقل
 والادراك ثم ان عقله لا يخالف عقول بقية الحيوانات الا بالكم ولا
 يخالفها في الذات والحقيقة ثم بقية المسائل التي وجدناها في شريعة
 محمد (عليه السلام) من بعث الانسان بعد الموت ووجود دار
 للنعيم ودار للعذاب ووجود الملائكة والجن والسموات والعرش
 والكرسي واللوح والقلم وافعال الملائكة العظيمة وامثال ذلك
 (اي من المسائل التي تقدم ذكرها) فانه لا دليل في علومنا عليها
 فلا نعتقد بها بل البعض منها ترفضها علومنا وتدل على استحالتها
 لانها خارقة للنواميس الطبيعية التي وجدناها في الكائنات فعدم
 اعتقادنا بها ضربة لازب هذا مذهبنا بالاجمال وهو اخر ما قر عليه
 راي الجمهور من ائمة الطيغين فهات ما عندك ايها العالم المحمدي
 ونحن لكلامك من السامعين فعند ذلك قال لهم ذلك العالم
 المحمدي اعلموا يا اخواني في الانسانية ان ديني المحمدي واختياركم

اياي في المفاوضة لظهار الحق ها امران يوجبان على تمحيض
 النصح لكم والتدقيق في اظهار الحق ولكن عليكم ان تصغوا الى
 كلامي وتعو ما اقول بدون تعصب وبغير جمود فان ذلك يعني
 عين البصيرة ويستر عنها شمس الحقيقة كما يستر الغمام عن البصر
 شمس النهار فاذا تركتم التعصب لمذهبكم والجمود على اعتقاداتكم
 واخلصتم ضمائركم من اسر هذين الامرين المسترفين للضمائر فاني
 اشرح لكم ما يظهر الحق ظهور الشمس في رابعة النهار (ان شاء
 الآله الذي لا اعتقد فاعلا في الوجود سواء) فاقول الى بعد التامل
 الصادق في مذهبكم هذا الذي شرحتموه لي وجدت ان اساسه هو
 اعتقادكم بقدم المادة فحيث اعتقدتم قدمها لم يلجئكم ظاهر الامر
 الى الاعتقاد بوجود آله احدثها وحيث وجدتم تنوعاتها السماوية
 والارضية وثبت عندكم انها حادثة ولم تسلم عقولكم بمحدثها عن
 نفس المادة فقط اذ لا يظهر للعقل صلاحيتها لذلك احتجتم الى
 اثبات حركة اجزائها الفردية وبنيت على المادة وتلك الحركة
 تكون تلك التنوعات ولو انكم اعتقدتم بمحدث المادة لألجاكم الامر
 الى الاعتقاد بوجود آله احدثها ورجح وجودها على عدمها ثم مني
 نظرت بعد ذلك الى تنوعاتها كنتم تقولون حينئذ ان ذلك الآله
 الذي احدث المادة هو الذي احدث تنوعاتها اذ لا موجب لاثبات

منشأ لها سواء ولم تحتاجوا الى اثبات حركة اجزاء المادة وتجشموها
 القول بان تلك التنوعات نشأت عن المادة والحركة بوجه الضرورة
 بدون قصد ولا روية ولا ادراك ولا تدبير حتى بلغت ما بلغت من
 النظام العجيب الغريب الذي يحكم صريح العقل بانه محتاج الى اتم
 القدرة واكمل العلم واسمى الحكمة والتدبير فالذي اراه في هذا
 المقام اني اذا اقيمت لكم البرهان على ابطال قدم المادة واثبات
 حدوثها واحوجكم الحال حينئذ الى الاعتقاد بوجود آله احدثها
 من العدم واوصلكم ذلك الى ان تنوعاتها هي بفعل ذلك الآله
 وانها تدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتديره لا يصعب عليكم
 بعد ذلك التصديق بشي من بقية المسائل التي وجدتموها في
 الشريعة المحمدية مخالفة لاعتقاداتكم ومرفوضة بمقتضى علومكم فاعلموا
 اني وجدت في مذهبكم المتقدم ثلاث قضايا اعتقدتموها اعتقادا
 جازما وبالتامل في شأنها بالنظر السديد يظهر انها لا يمكن التصديق
 بثبوتها جميعا في نفس الامر اذ بعضها الذي ثبوتها قطعي بالمشاهدة
 يقتضي التصديق بثبوتها ان لا يصح التصديق بثبوت البعض الاخر
 (فالقضية الاولى) من تلك القضايا انكم قلتم بقدم المادة وقدم
 حركة اجزائها الفردية وانها متلازمتان من الازل لا تنفكان عن
 بعضهما (القضية الثانية) انكم قلتم بحدوث تنوعات المادة من

سماويات وارضيات لاسيما الانواع الحيوية منها فان اكتشافاتكم
 لطبقات الارض الزمتكم بالحكم ان انواع الحيوانات والنباتات قد
 حدثت في الارض بعد ان لم تكن وقد رثم حدوثها بالملايين من
 السنين وحكمتم بمقتضى ذلك ان الانسان من احدثها حيث ان
 آثاره لم توجد الا في الطبقات العليا من الارض ولم يوجد له
 آثار في الطبقات السفلى وذلك يدل على تاخره في الحدوث وقد
 اختلفتم في تقدير مدة حدوثه كما وجدته في كتبكم (القضية
 الثالثة) انكم قلتم ان جميع التنوعات للمادة قد حدثت عنها بواسطة
 حركة اجزائها الملازمة لها من الازل على وجه الضرورة وبمقتضى
 التواميس التي اكتشفها ولم يكن للمادة ولا لحركتها اختيار في ذلك
 ولا ارادة والمعنى في ذلك كما هو مصرح به في كلامكم السابق ان
 التنوعات حدثت عن المادة وحركتها حدوث المعلول عن علته
 فالتنوعات معلول وهما علة لها (العلة في الحقيقة عندهم هي الحركة
 ولكن لما كانت لا تنفك عن المادة ولا تنفك المادة عنها حتى قالوا
 لا تصور احداها بدون الاخرى اعتبرتا كشيء واحد هو العلة
 وانما جاز هذا للتلازم الحاصل بينهما) اذا تقرر جميع ذلك فاعلموا
 ان كل عقل سليم يحكم صريحا بان الشيء لا يتخلف عن علته
 المستلزمة له البتة فان كانت علته حادثة كان هو حادثا عقبها

بدون تاخروان كانت قديمة كان هو قديما تابعا لها في القدم
 لايتاخر عنها ايضا والالزم وجود العلة بدون المعلول وهو محال
 اذا ثبت هذا فاقول ان قولكم بقدم المادة وحركتها اللتين هما علة
 التنوعات الكونية من جماد ونبات وحيوان يلزم منه قدم هذه
 التنوعات المعلولة لها وانتم لا تقولون بقدمها حسب ما ثبت
 في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم لطبقات الارض وان قلتم
 ان لزوم هذه المعلولات لهذه العلة لا يلزم منها استكمال الوجود
 دفعة واحدة لارتباط العلل والمعلولات بعضها ببعض وتحول
 بعضها الى بعض فالحياة مثلا يستحيل ان تظهر قبل ان يكون
 الماء والماء قبل تكون عنصريه وهما الهيدروجين والاكسجين
 وهما قبل اجتماع اجزاء المادة على كون يتالف منه ذلك فوجود
 الحياة يتوقف على وجود الماء ولو لحظة قبلها ففي قياس اي عقل
 يصح وجودها ووجود سائر المركبات معا قلنا اذا كانت العلة
 الاولى من هذه العلل وهي المادة وحركة اجزائها حادثة
 يلزم لها مدة بحسب نواميس النشوء الذي تقولون به لاجل
 استعدادها واجتماع الاجزاء على كون يتالف منه العناصر
 ثم الماء ثم الحياة ولا يصح في قياس العقل حسب تلك النواميس
 ان توجد الحياة قبل الماء والماء قبل العناصر والعناصر قبل تجمع

اجزاء المادة (هذا على سبيل المجازاة لعقولهم واما في عقول
 اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فيصح ذلك حيث يحال فعلة
 على قدرة الآله القادر على ذلك) واما اذا كانت العلة الاولى
 قديمة كما زعمتم فكيف يصح الحكم بان تلك المعلولات لها حادثة
 مع ان علتها موجودة من الازل فما دامت علتها توجب حصولها
 بالاضطرار فما الذي اخر حدوثها الى مدة كذا مليوناً من السنين
 ولاي شيء لم توجد قبل ذلك وان قلتم حتى استعدت العلة
 لحدوث المعلولات فاقضى الحال مدة كذا مليوناً للاستعداد قلنا
 لكم ولم لم يحصل الاستعداد قبل تلك المدة التي عيتموها له مع ان
 العلة الاولى القديمة هي مقتضية له ايضاً وما الذي اخره واي شيء
 احثه بعد ذلك وكلما ترفيتم في تطويل مدة حدوث المعلولات
 ومدة الاستعداد لحدوثها نقول لكم ولم لم يكن الحدوث والاستعداد
 قبل ذلك وهم جرا والمخلص انه لاشك ان الاستعداد ناشئ عن
 العلة الاولى بالاضطرار فيكون كعلول لها وتلك العلة قديمة فيلزم
 ان يكون قديماً ويتبعه قدم التنوعات المعولة والا يلزم وجود
 العلة في الازل بدون المعلول وهو محال فاما ان تقولوا بقدم تلك
 التنوعات المعولة وتكذبوا ما ثبت في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم
 لطبقات الارض وانتم لا تقولون بذلك واما ان تقولوا ان المادة

وحركتها فاعلثان بالاختيار فخصصنا زمانا لحدوث التنوعات وانتم
 ايضا لا تقولون بذلك وتشكرونه اشد الانكار كما راينه في كتبكم
 ولو فرض ان بعضكم يقول به يلزم عليه القول بان لكل جزء من
 اجزاء المادة علما وادراكا يؤهله ان يتخبر به مع بقية الاجزاء على
 كيفية اجتماعها معه ليحصل النوع الفلاني او النوع الفلاني مخبرة
 نقصر عنها مخبرة مجلس الاعيان ومجلس الشيوخ في العالم السياسي
 واشكالات اخر ترد على ذلك يطول بنا الشرح ان اوردناها الان
 واما ان تبينوا سببا لتاخر تلك التنوعات عن علتها وتكونها من
 كذا مليوننا ولا ارى عندكم من بيان ذلك عينا ولا اثرا ودونه
 خرط القتاد واما ان تقولوا بحدوث المادة وحركتها التي تزعمونها
 وهو المطلوب ونظم الدليل بوجه الاختصار هكذا لو كانت علة
 التنوعات وهي المادة وحركتها قديمة لكان الاستعداد لها قديما ولو
 كان الاستعداد قديما لكانت التنوعات قديمة لكن التنوعات غير
 قديمة فلم يكن الاستعداد قديما ولما لم يكن الاستعداد قديما لم تكن
 العلة المذكورة قديمة وهو المطلوب ثم اذا قلتم (ولا اخالكم تجثروئن
 على ذلك) ان الاستعداد حادث والتنوعات حادثة ولكن المادة
 وحركتها قديمتان اقول لكم وقبل الاستعداد ماذا كانت المادة
 وحركتها تفعلان في الازل وكيف يمر على المادة الازل وهي

متحركة حركة عقيمة غير منتجة وما الذي هيا لها بعد ذلك العقم
الممتد الازلي الغير المحدود ان ينتج عنها ذلك الاستعداد من زمن
محدود ثم تلك التنوعات كذلك ولا اخال ان عندكم جوابا غير
السكوت فالحق بعد ذلك كله ان المادة وحركة اجزائها التي
تزعمونها وتثبتونها لتفهموا كيف تنوعت الانواع حادثتان وجدتا
بعد ان لم تكونا ثم ههنا ادلة اخرى برهانية تدل على حدوث المادة
ولكنها ليست مبنية على اكتشافاتكم كالدليل المتقدم ولا بأس
بايراد واحد منها حسن ظن بكم ان عقولكم لا تقصر عن فهمه
والاذعان له لاسيما اذا وفيتم بوعدهم برفض التعصب الذي تاملته
منكم وذلك انه لا يخفى ان المادة لا تخلو عن صورة تقوم بها ولا
يمكن ان يتصور وجود المادة خالية عن كل صورة (كما انه لا يمكن
ان يتصور وجودها خالية عن التحيز واخذ قدر من الفراغ) فلا بد
انها تكون ذات صورة اما اثيرية او سديمية او عنصرية او معدنية
او نباتية او حيوانية ولذلك قلتم انها في وجودها الاول الذي هو
قبل تنوع الانواع منها كانت في ايسر ما يمكن تصوره وان
الصور التي تلبسها المادة انما هي ناشئة عن الحركة التي تتحركها
وان الحركة والمادة غير منفصلتين فهذا صريح بانكم لم تعتبروها
في ذلك الحين خالية عن جميع الصور لان عقولكم لا تقبل ذلك

ثم ان كل صورة تقوم في المادة لاشك انها حادثة لانها تزول
ويطراً عليها العدم ولو كانت ابسط صورة كالصورة التي فهم من
كلامكم انها كانت للمادة قبل تنوع انواعها لانه شهود عدمها وخلفها
الصور النوعية بعدها وكل ما يطراً عليه العدم ويقبله يستحيل
عليه القدم لان القديم لا يزول كما سيأتي لان قدمه اما لأن ذاته
تقتضي وجوده اي انه ليس له سبب الا نفسه وهو القدم الذاتي
واما لان علة قديمة غير ذاته تقتضي وجوده وهو القدم غير الذاتي
وغير ذلك لا يتصور ان يكون قديماً وما دام المقتضى لوجود الشيء
سواء ذاته او شيء اخر قائماً او حاصلًا فكيف يمكن طرؤ العدم والزوال
على ذلك الشيء فالقديم بنوعيه لا يمكن طرؤ العدم عليه ولا يقبله
البتة اذا تقرر هذا فنقول ما دامت الصور اللازمة للمادة حادثة
فلا يمكن ان تكون المادة قديمة لانا اذا ترقينا الى ابسط صورة
كانت في المادة لا يمكن في العقل ان تكون قبلها صورة ابسط منها
نقول هذه الصورة حادثة بدليل قبولها العدم فقبل حدوثها ماذا
كان حال المادة فاما ان تقولوا انها كانت بدون صورة وهو محال
لما تقدم من استحالة وجود المادة بدون صورة واما ان تقولوا انه قبل
هذه الصورة كانت صورة ابسط منها وهو خلاف المفروض من ان
هذه الصورة هي ابسط ما يمكن من الصور وليس فوقها ابسط منها

واما ان تقولوا ان المادة قد حدثت مع هذه الصورة فتكون
 حادثة لا قديمة وهو المطلوب وبعبارة اخرى نقول ان المادة
 ملزومة لتلك الصورة او لما خلفها من الصور النوعية التي اتت
 بعدها وتلك الصور وما خلفها لازمة لا تنفك عن المادة كما بين
 العلة والمعلول وحينئذ يقال لو كانت المادة الملزومة قديمة لكانت
 هذه الصور اللازمة قديمة لعدم جواز انفكاك اللازم عن الملزوم
 لكن هذه الصورة ليست بقديمة بدليل قبولها لعدم فالمادة ليست
 بقديمة ايضا اذ ان رفع التالي يقتضي رفع المقدم كما هو مبرهن عليه
 في المنطق ويدركه كل ذي عقل سليم

ثم بعد تمام ما تقدم نقول ان الحادث لا بد له من امر يحدث عنه
 ويترجح به وجوده على عدمه ويخرج به من ظلمة العدم الى نور
 الوجود والافيلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المحالات البديهية وان
 افضى بكم الحال الى القول بجواز الترجيح بلا مرجح فاقول لكم اذا
 سمعتم رجلا يقول اني رايت ميزانا من ادق الموازين التي اخترعها
 البشر وهو متساوي الكفتين في الثقل وبينما كفتاه متوازيتان
 او اليسرى مائلة وبالغة بميلها الى الارض بسبب ما اذ رجحت
 اليمنى على اليسرى حتى صدمت الارض وارتفعت اليسرى الى
 غاية ما يمكن من ارتفاعها وقد حصل ذلك بدون مرجح للكفة


الراجحة لا قوة حيوان ولا مصادمة هواء ولا جسم آخر سقط فيها
 ولا شي من جميع ما يصلح لترجيحها فان صدقتم قول هذا القائل
 فاني اعلم حينئذ انكم باغتم درجة من العناد لا يسوغ عندها المحاورة
 معكم وان لم تصدقوه وقلتم ان ذلك من المحال قلت لكم هذا هو
 الترجيح بلا مرجح الذي قدمت لكم انه من المحالات البديهة ولا
 فرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت
 حسية او عقلية في ان الترجيح بلا مرجح محال في الجميع كما هو
 ظاهر للتأمل واذا تنبهتم لكثير من محاوراتكم في علومكم تجدون
 انفسكم كثيراً ما تلتجئون الى هذا الاصل وهو استحالة الترجيح بلا
 مرجح عند محاجة اخي امكم فاذا ادعى شخص ان الحادث الفلاني
 الطبيعي قد وجد بدون سبب نتج عنه ووجود فلتة من فلتات
 الطبيعة نقولون له هذا غير ممكن والتحقيق عندنا ان ما يسمى فلتة انما
 هو بحسب الظاهر حيث لم يعلم سببه وفي الحقيقة لا بد ان يكون
 وجوده عن سبب وناموس من النواميس الطبيعية قد خفي
 علينا فكلماكم هذا هو عين الاعتماد على استحالة الترجيح بلا مرجح
 وبهذا ظهر انكم تقولون بهذا الاصل ولا تنكرونه وانما اظلت لكم
 في تقريره مع بداهته ووضوحه لاني رايت بعض ضعفاءكم ينكرونه
 ويقولون لا مانع من الترجيح بلا مرجح وقاحة ناشئة عن الجهل

لا يرتكبها الاكل بليد قاصر القوى العقلية اشبه الناس بالسوفسطائيه
المنكرين حقائق الاشياء حتى المشاهدات زاعمين انها
خيالات

هذا فاتباع محمد عليه السلام بعد ما ثبت عندهم ان المادة
حادثة بادلة كثيرة منها ما قدمته لكم هنا وخصصتكم به حيث
يناسب اكتشافاتكم واصول علومكم او انه واضح لا يتوقف على
مقدمات يصعب فهمها على عقولكم وثبت عندهم ان الترجيح بلا
مرجح محال قالوا لا بد من شي حدثت عنه تلك المادة وترجع به
وجودها على عدمها وهذا الشي لا بد ان يكون موجودا لان المعدوم
لا يوجد عنه شي مالا اضطرارا ولا اختيارا كما هو بديهي عند
العقل فاعتقدوا بوجوب وجود هذا الشي الذي نشأت عنه
المادة التي هي اصل العالم واستحالة عدمه لامتناع حدوث الموجودات
عن المعدوم ولا امتناع اجتماع الوجود والعدم وشموه الاله العالم ثم
قالوا ان هذا الاله لا بد ان يكون قديما والافلو كان حادثا لاحتاج
الى ما يحدث هو عنه لامتناع الترجيح بلا مرجح وهكذا يقال فيما
حدث عنه وهم جرا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من
الدور والتسلسل محال فما ادى اليهما وهو حدوث ذلك الاله يكون
محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما

اما الدور فهو توقف وجود كل من الشئيين على وجود الاخر فيلزم
 ان كلا منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود
 ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الاله الذي توقف عليه وجود
 المادة توقف وجوده عليها اما بلا واسطة واما بواسطة بان توقف
 وجوده على شيء اخر وذلك الشيء الاخر توقف وجوده على وجود
 المادة فيلزم ان المادة وجدت قبل وجود الشيء الذي كان سبب
 وجودها فيلزم انها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان
 ولا يقول به عاقل وهذا هو الدور الحقيقي الذي لاشك في بطلانه
 واما الدور المعني الذي هو عبارة عن توقف شئيين على بعضهما
 لانهما معا لولان لعل واحدة كوجود النهار وضياء الكون المعلومين
 لطلوع الشمس فهو غير محال وليس كلامنا فيه واما التسلسل فهو
 ترتب امور وتعاقبها في جانب الازل لانهاية لها وانما حكم العقل
 باستحالته لاستلزامه عدة محالات وما يستلزم المحال يكون محالاً
 وقد ذكر اتباع محمد عليه السلام في كتبهم جملة ادلة على بطلانه
 مفصلة مشروحة ولكن نحن نقتصر هنا على ما يقرب لافهامكم منها
 ونذكر مما يناسب ذلك دليلين فنقول لاشك ان كل عقل سليم
 يحكم انه من اجلي البديهيات ان العدد الناقص لا يساوي في عدة
 افراده العدد الزائد عليه وهو ظاهر الاستحالة ويحكم بان المقدار

الذي يكون محصوراً بين حاصرين لا بد ان يكون متناهي واجتماع
كونه محصوراً بين حاصرين وكونه غير متناه محال فاذا سلمتم
هذين الحكيمين ولا شك في تسليمكم اياها لبدايتهما فاقول اولاً
لو جاز وقوع التسلسل وهو تعاقب امور لانهاية لها في جانب
الازل لساغ لنا ان نفرض سلسلتين من تلك الامور احدهما
مبتدأة من هذا الزمان والاخرى من قبله بالف سنة مثلاً ولا شك
ان الاولى تكون زائدة على الثانية في عدد مخصوص ثم نأخذ
باسقاط امر من كل منهما اعني ان نسقط من الاولى واحداً ومن
الثانية واحداً وهلم جرا فاما ان تفنى واحدة من السلسلتين دون
الاخرى وهو خلاف المفروض واما ان تفنى معاً فقد بطل عدم
التناهي في جانب الازل الذي هو التسلسل وهو المطلوب واما
ان لا تفنى واحدة منهما فيلزم مساواة الناقصة للزائدة عليها وقد
قلنا ان مساواة العدد الناقص للزائد عليه محال فقد ظهر ان عدم
تناهي الامور في جانب الازل الذي هو التسلسل يستلزم المحال
فيكون محالاً وثانياً لو كان التسلسل جائزاً لساغ لنا ان نفرض
خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقى مثلث ذاهبين الى
غير نهاية فاجزأواهما بمنزلة امور متعاقبة في جانب الازل غير متناهية
ثم نفرض المسافات التي بينهما خطوطاً تمتد كلها امتد الخطان

المذكوران هكذا  فاذا قلنا بعدم تناهي الخطين يلزم منه عدم
 تناهي امتداد المسافات بينهما التي اعتبرناها خطوطا فلا بد ان
 نقول بوجود خط من تلك الخطوط غير متناه وهو محصور بين
 حاصرين اذ لا شك ان تلك المسافات محصورة بين حاصرين وهما
 الخطان وقد قدمنا ان المقدار الذي يكون محصورا بين حاصرين
 لا بد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا كذلك مع كونه غير
 متناه محال فما ادى اليه وهو عدم تناهي الخطين المفروضين الذي
 هو التسلسل محال فاذا تأملتم فيما حررته لكم في ابطال الدور
 والتسلسل واستحالتهما وانعمتم النظر ظهر لكم ان ذلك الاله الذي
 هو مصدر المادة لا يمكن ان يكون حادثا عن شي اخر والا يلزم
 اما الدور فيما لورجعنا وقلنا ان وجوده متوقف على وجود المادة
 واما التسلسل فيما اذا قلنا ان وجوده متوقف على وجود شي اخر
 والشيء الاخر متوقف على آخروهم جرا الى غير النهاية وكل من
 الدور والتسلسل محال كما تقدم فما ادى اليهما وهو كون ذلك
 الاله حادثا يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما
 اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم وقدمه هو المطلوب
 ثم بعد ثبوت قدم ذلك الاله يقول اتباع محمد عليه السلام ان
 قدمه ما هو الا امر يقتضي وجوده في الازل اما ذاته فهو قديم

لذاته واما امر آخر غير ذاته فهو قديم لغيره ولا دليل على انه قديم لغيره ولا داعي اليه ولو قيل به لانتقل الكلام الى ذلك الغير هل هو قديم لذاته او لغيره وهكذا فيازم اما التسلسل وهو محال واما الانتهاء الى قديم لذاته فعلام الهرب منه فالحق ان يقال ان ذلك الآله قديم لذاته اي ان ذاته تقتضي وجوده من الازل (نظير ذلك قولكم ان مقتضي الحركة لاجزاء المادة هو نفس الحركة لا مقتضي لها سواء كما رايته في كتبكم فلا تستغربوا هذا القول بان الآله قديم لذاته بمعنى ان ذاته تقتضي وجوده) وحينئذ فيقال ما دامت الذات التي تقتضي وجود الآله قائمة فلا يجوز ان تقبل العدم والزوال والا يلزم قيام المقتضي لوجود الشيء مع عدم وجود ذلك الشيء وفنائه وهو محال فثبت بهذا ان ذلك الآله يستحيل عليه العدم والفناء ويجب له البقاء فهو باق الى غير نهاية

ثم يقولون ان هذا الآله الذي هو مصدر المادة اما ان يكون حدوث المادة عنه بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما ان يكون حدوثها عنه بطريق الارادة والاختيار اي انه هو الذي اراد وجودها واختاره وعين له الوقت الذي وجدت فيه لاجائز ان يكون حدوثها عنه بطريق العلية لانه لو كان ذلك وهو قديم للزم ان تكون المادة قديمة ويتبعها قدم التنوعات اذ حيث

لا اختيار ولا ارادة هناك فلم تكن التنوعات الا بطريق المعلولية
 فلا يجوز ان تكون حادثة متاخرة عن عاتبها وقد ثبت حدوث كل
 من المادة وتنوعاتها فلم يكن حدوث المادة عن ذلك الآله
 بطريق المعلولية فلم يبق الا انها حدثت بارادته واختياره وتخصيصه
 لها الوقت الذي اوجدت فيه فقد ثبت بهذا ان ذلك الاله مرید
 مختار وجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية
 والاضطرار

ثم ان ذلك الآله بارادته لوجود تلك المادة قدر حج وجودها على
 عدمها وخصص زمانه واما احداث نفس الوجود وابرازها من
 العدم فهو لا يكون بالارادة وقد قلنا انه لا يكون بطريق العلية فلا
 بد ان يكون بطريق الصنع والفعل فتلك المادة ما حدثت الا بفعل
 ذلك الاله وصنعه قابلة لتلك التنوعات المحيرة للافكار وحينئذ
 يقول اتباع محمد عليه السلام ان ذلك الاله الذي اوجد تلك
 المادة (الغامضة الحقيقة على عقول فلاسفة البشر كما يظهر من
 الاطلاع على الاختباط الواقع في كتبهم في تحديدها وكشف
 حقيقتها) التي تنوعت الى تلك الانواع العجيبة الغريبة من
 سماويات وارضيات جمادية ونباتية وحيوانية قابلة التطور من طور
 الى طور والاستحالة من صورة الى صورة لاشك انه قادر اكمل

القدرة وعالم اتم العلم سواء كان هو الذي نوع تنوعات المادة الى
 انواعها وطورها الى اطوارها واوجد منها تلك الكائنات الغريبة
 مع ذلك الاحكام العجيب كما هو اعتقاد اتباع محمد عليه السلام
 او انه اوجد المادة الصالحة لتلك التنوعات والتطورات بموجب
 النواميس القائمة بها وحركة اجزائها الفردية كما نقولون انتم من ان
 تلك التنوعات حصلت عن حركة اجزائها جارية على نواميس
 مخصوصة فعلى كل من الامرين تحصل الدلالة القاطعة على كمال
 قدرته وعلمه لان الذي يوجد شيئاً بسيطاً ثم يقبله الى انواع لا تعد
 ولا تحصى ويستخرج منه الغرائب والعجائب مع غاية الاثقان والاحكام
 او الذي يوجد شيئاً بسيطاً قابلاً بمقتضى نواميس قائمة فيه ان
 يؤل الى انقلابه الى انواع تفوق الحد غرابة مثقنة محكمة لا يشك
 عاقل بوجوب قدرته وعلمه واستحالة عجزه وجهله مثلاً اذا راينا
 ساعة من الساعات التي يستعمل بها الوقت وكل منا يعرف ما تحتوي
 عليه من التركيب العجيب المبني على قواعد هندسية وقياسات
 نظامية ونواتيس ميكانيكية في غاية الضبط ونهاية الاحكام فكما
 نعلم ان لها صانعا صنعها واتقنها نعم قطعاً ان ذلك الصانع ما صنعها
 الا وهو ذو قدرة كافية لصنعها وذو علم كاف لا تقاها واحكامها
 سواء كان هو الذي صنع اجزاءها وركبها حتى تم عملها او هو صنع

اجزاءها على طريقة تركيبها ويتم عملها ولو قيل لنا ان
 الذي صنع هذه الساعة رجل اعشى اصم مقطوع اليدين والرجلين
 جاهل ابتر لا يدري شيئا من علم الهندسة ولا شيئا من فن
 الميكانيكات لكذبنا ذلك القائل اشد التكذيب ولم تدعن له عقولنا
 باقل التصديق وقلنا ان من يصدق هذا القول هو احمق الحمقاء
 هذا ثم اقول لكم انكم لما لم تهتدوا الى العلم بوجود من اوجد المادة
 واعتقدتم قدمها ثم رايتم تنوعاتها وتطوراتها التي حدثت فيها بعد
 ان لم تكن ولم تهتدوا ايضا الى العلم بوجود من احدث تلك
 التنوعات والتطورات احتجتم الى البحث عن موجب نشأت عنه
 تلك التنوعات اذ العقل لا يقنع انها حدثت عن المادة بمجرد
 لان كل حادث لا بد له من سبب صالح لحدوثه ومجرد المادة
 ليس كذلك فبعد هيامكم في كل واد قلتم ان اجزاء المادة الفرقة
 المختلفة الاشكال متحركة حركة ازلية وبسبب تلك الحركة اخذت
 تجتمع تلك الاجزاء على كيفيات واورضاع شتى فنتجت تلك
 التنوعات فاقنعتم عقولكم بان تلك الحركة هي سبب تلك التنوعات
 مع انكم لم تروا تلك الاجزاء لا بالعين المجردة ولا باكبر المعظمت
 للرئيات (ولن تروها) ولم يحصل لكم ادنى احساس بحركتها (ولن
 نحسوا) وانما الذي الجأكم الى القول بها وبحركتها هو مجرد

احتياجكم الى فهم كيف تنوعت تلك الانواع وما اكتفيتم بذلك
 حتى قاتم ان لتلك الاجزاء اشكالا متغايرة حتى يصح لكم ان تقولوا
 انه باجتماعها مع تغاير اشكالها تظهر الانواع والصور وانتم مع ذلك
 كله لم تروا نفس الاجزاء فضلا عن رؤية اشكالها بل كل ذلك
 فرض و تقدير حملكم عليه الاحتياج الى فهم كيف حصلت الانواع
 فانتم ها هنا قد تركتم قاعدتكم التي طالما نسمعكم تطنطنون بها وهي
 انكم لا تسلمون الا بالذي يؤديكم اليه الاحساس والمشاهدة
 فنراكم هنا قد التجأتم الى الاستدلال بالدليل النظري العقلي بدون
 احساس ولا مشاهدة ونحن لا ن شكر عليكم هذا الطريق من
 الاستدلال العقلي فانه طريق لنا ولجميع الحكماء الاساطين ولكن
 نذكركم ان قولكم انا لا نعتمد الا على الاحساس والمشاهدة قول لم
 يتم لكم الجري عليه (ولن يتم) وان قاتم ان الحال الجانا هنا حيث
 قد شاهدنا اثار تلك الاجزاء وحركتها وهي التنوعات واستدلنا
 بتلك الالار على موثرها نقول لكم وهكذا نحن وسائر اهل الملل
 نستدل على وجود آله للعالم بمشاهدة اثاره وهي هذه الكائنات فلم
 نراكم تستصعبون فهم استدلالنا ويسهل عليكم استدلالكم مع
 ان استدلالنا هو المقبول عند العقل كما سيأتي بيانه
 هذا ثم نرجع الى صدد ما كنا فيه ونقول واما اتباع محمد عليه السلام

فلما ثبت عندهم حدوث المادة وثبت ان لها محدثا احدثها واوجدها
 من العدم على ما هي عليه من قبول التنوعات والتطورات وثبت
 عندهم بذلك ارادة ذلك الموجد وقدرته وعلمه لم يحتاجوا بعد ذلك
 الى ان يلتمسوا اثبات شيء اخر غير ذلك الموجد لاجل فهم كيف
 تنوعت تلك الانواع فقالوا ان ذلك الاله الموجد للمادة على ما
 هي عليه من قبول التنوعات المتصف بالارادة والقدرة والعلم هو
 الذي نوع من المادة بعد ايجادها تلك الانواع وابتدع هاتيك
 الصور التي تختار فيها الفكر اذ حيث لا بد من موجب لحدوث
 تلك الانواع فاحالة احدثها على ذلك الاله المريد القادر العليم
 هو المقبول عند العقل دون احواله على حركة اجزاء المادة التي
 لا توصف بارادة ولا قدرة ولا علم بل بمجرد الاتفاق في تجمع الاجزاء
 على الكيفيات المخصوصة ثم جريها على نواميس لا يدري العقل
 كيف لازمتها وبعض تلك النواميس وان كان في امكان العقل
 ان يلتمس لملازمته موجبا وذلك كوراثة الفروع للتباينات التي
 في الاصول كما تقدم في تقرير مذهبكم ولكن ليس في امكانه ان
 يلتمس موجبا للملازمة بعض اخر منها وذلك كالتباينات التي لا بد
 ان توجد في كل فرع يخالف فيها اصله اذ لكل عاقل ان يقول
 اي داع للزوم تباينات الفروع للاصول وان لا يتفق موافقة

فرع لاصله بدون تباين عنه في شي ما مع ان المامول في العقل
 ان الفروع توافق الاصول ولا تخالفها فلو لا ان هناك شيئا يوجب
 تلك التباينات دائما لما كانت ناموسا ملازما واما مجرد حركة الاجزا
 فلا مقنع فيه للعقل انه يوجب تلك التباينات على الدوام اذ
 لا يظهر فيها ادنى صلاحية لذلك الاستمرار كما هو ظاهر لكل
 فكر سليم

وفي هذا المقام مثال لا يخلو عن توضيحه وهو اننا اذا علمنا ان رجلا
 صنع اجزاء آلة بخارية ثم وجدناها بعد ذلك مركبة و آخذة في
 الدوران وفي عملها الخاص بها فاي الامر ين يقبله العقل أقولنا ان
 الذي صنع اجزاء تلك الآلة هو الذي ركبها وادارها ام قولنا ان
 تلك الاجزاء بواسطة حركة قائمة بها اخذت تتركب مع بعضها
 على طول الزمان حتى تم تركيبها لاشك ان العقل يقبل الاول
 ويرفض الثاني من دون شك ولا ريب وها هنا انما يقبل العقل
 ان الذي اوجد المادة قابلة لتنوعاتها هو الذي نوعها منها لانها هي
 بحركة اجزائها وناموس الوراثة وناموس التباين بدون ان يكون
 لموجد المادة صنع تنوعت تلك التنوعات المحتاجة لاتم القدرة
 واسمى العلم والحكمة فانصفوا يا اولي الالباب

وبعد جميع ما تقدم في اثبات ارادة آله العالم وقدرته وعلمه قال

اتباع محمد عليه السلام بأمر يجب التنبيه عليه هنا وهو أنهم قالوا
ارادة ذلك الآله وقدرته انما يتعلقان بالجائز عقلا اي بالامر الذي
يصدق العقل بان يكون موجودا وبان يكون معدوما مهما كان
عظيما جسيما فالآله بارادته يخصصه بوجود او بعدم وبغير ذلك
من الشؤون والاحوال وبقدرته يبرزه على طبق ما يخصصه بارادته
واما الامر الواجب عقلا اي الذي لا يصدق العقل بعدمه كلازمة
الحيز للجرم والامر المستحيل عقلا اي الذي لا يصدق العقل بوجوده
كالجمع بين النقيضين فارادة ذلك الآله وقدرته لا يتعلقان بهما
البتة لا ايجادا ولا اعداما لان الواجب عقلا حاصل حتما ولا يمكن
خروجه عن الوجود فلا يتعلقان به ايجادا لانه تحصيل حاصل
ولا اعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود والامر المستحيل
معدوم حتما ولا يمكن دخوله في الوجود فلا يتعلقان به لا اعداما
لانه تحصيل حاصل ولا ايجاد الاستحالة وجوده ودخوله في الوجود
واما علم ذلك الآله فيتعلق بكل امر تعلق انكشاف سواء كان
ذلك الامر جائزا عقلا او واجبا او مستحيلا فذلك الآله يعلم بعلمه
كل شيء ايا كان وسواء كان حاضرا او ماضيا او مستقبلا اما
الحاضر فتعلق علمه به ظاهر سواء كان واجبا او جائزا او مستحيلا
فان المستحيل حاضر في التصور فيعلمه ويعلم استحالاته واما الماضي

المنقطع الوجود فهو من الحوادث التي حدثت بإيجاده وعدمه
 باعدامه ولا غرابة بان من صنع شيئا ثم اعدامه يبقى تعلق علمه
 به واما المستقبل الذي لم يوجد بعد فتعلق علمه به ايضا ظاهر فانه
 ما دام ذلك الشي سيجد ولا يحدث الا بتعلق ارادته بتخصيصه
 وقدرته بابرازه لان كل الحوادث آثار افعاله فلا بد انه يعلمه قبل
 ان يوجد حيث انه اراده ولا غرابة في ان انسانا عزم على عمارة
 دار بكيفية مخصوصة بعد شهر مثلا انه يعلم ما سوف يصنعه في تلك
 الدار لكن الفرق بين علم ذلك الانسان وعلم الآله ان ذلك الانسان
 ربما لا يتيسر له صنع تلك الدار لمانع ما فيصير علمه السابق غير
 مطابق للواقع واما الآله فلا مانع يمنعه من افعاله التي يريد ان
 يفعلها فلا بد ان يفعلها فلا يزال علمه مطابقا للواقع ولا يمكن تخلفه
 البتة ومن هذا المقام تفهمون ما ورد في الشريعة المحمدية ان كل
 شي من الحوادث بقضاء وقدر لانه ما دام ان كل حادث في
 الكون هو بصنع آله العالم على وفق ما سبق به علمه فلا بد ان
 تتعلق به قدرته ايجادا على وفق ما سبق به علمه وهو القضاء ولا بد
 ان يتعلق به علمه ازلا ويحدده بحده الذي يوجد عليه وهو القدر
 (تفسير القضاء والقدر بما هنا هو احد تفاسير ثلاثه ذكرها الباجوري
 في حاشية الجوهرة وهذا تفسير لما تريديه) ومن هنا ايضا تفهمون

ما ورد في تلك الشريعة من ان الرسل والاولياء يخبرون بالغيب
ومستقبل الامور لانه اذا كان آله العالم يعلم الغيب والمستقبل من
الحوادث حيث ان كل حادث بصنعه وبتعلق ارادته وعلمه فلا
مانع من انه يعلم بذلك الغيب او المستقبل احدا من اولئك
الرسل والاولياء وان قلنا ليس من طبيعة علم الانسان ان يعلم شيئا
منها لذاته لكن لا مانع من اعلام الآله له به فما كان ذلك من
اولئك المذكورين الا باعلام الآله لهم وهم يخبرون بذلك وليس
احد منهم يدعي علم الغيب بذاته لانه فضلا عن كون علمهم
لا يقتضي ذلك فالشريعة المحمدية تعد ادعاء علم الغيب بالذات من
أكبر المحظورات وتوجب تكفير من يدعيه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام قالوا ان آله العالم الذي ثبت لدينا
وجوده وقدمه وبقاؤه وقدرته وارادته وعلمه يجب ان يكون حيا
اذ الميت لا يعقل وصفه بارادة ولا قدرة ولا علم كما هو ظاهر فقد
ثبت له صفة الحياة واستحال ان يوصف بالموت ثم قالوا ان هذا
الآله لا يمكن ان يشابه المادة في خاصة من خواصها التي من طبيعة
نفس المادة ان تكون لازمة لها لا تنفك عنها وهي الصفات العامة
اللازمة لجميع انواع المادة او من طبيعة نفس المادة ان تقبلها سواء
وجدت في جميع انواع المادة او في بعض مركباتها وهي الصفات

العامّة غير اللازمة او غير العامّة وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتعيز والتركيب والتجزئ والتولد عن الغير وولادة الغير والا اتصال والا انفصال والحيوانية والنباتية والجمادية والانتقال من حيز الى حيز والا تفعالات النفسية وامثال ذلك لانه لو شابهها في شيء من تلك الخواص لكان مادة مثلها لان الشيء الذي يشابه شيئا آخر في خاصّة من خواصه ومقتضيات ذاته وطبيعته يكون مثله البتّة ولو كان ذلك الآله مادة لجاز عليه ما جاز عليها من الحدوث لانه ما جاز على احد المثليين يجوز على اخر وقد قام الدليل على وجوب قدمه واستحالة حدوثه فقد ثبت بهذا ان ذلك الآله لا يجوز ان يشابهها فوجب ان يخالفها وهذا معني ما يعتقده اتباع محمد عليه السلام من ان آله العالم يجب له المخالفة للحوادث ويستحيل عليه المشابهة لها فلا هو مادة ولا يجوز اتصافه بشي من خواص المادة كما تقدم

ثم حيث تبين انه ليس جوهرًا ولا جسمًا فلا يحتاج لمكان يقوم فيه ولا عرضًا فلا يحتاج لمحل يحل فيه ويتقوم به وايضا لو كان عرضًا واحتاج الى محل يتقوم به لكان صفة ولو كان صفة لما صح اتصافه بالصفات التي تقدمت وهي القدرة والارادة والعلم والحياة وقد قام الدليل على اتصافه بها فلا يصح ان يكون صفة فليس هو عرضًا

محتاجا الى محل يحل فيه ويتقوم به وهو المطلوب ثم حيث ثبت انه
 قديم فلا يحتاج الى موجد يوجده وهذه المعاني وهي عدم احتياجه
 الى المكان والمحل والموجد هي معنى ما يعتقد اتباع محمد عليه
 السلام من ان آله العالم يجب له القيام بنفسه ويستحيل عليه القيام
 بغيره وعلى هذه الصفة دليل آخر وهو انه لو احتاج الى مكان
 او محل يحل فيه او موجد يوجده لكان من الواجب ان يكون كل
 مما ذكر موجودا قبله ولا يكون مصنوعا له وقد قام الدليل على انه
 هو القديم قبل كل شيء من الالكوان وكل شيء منها مصنوع له
 فكيف بعد ذلك يفتقر الى شيء منها ولا يشكل ما مر من انه لا يشابه
 المادة في شيء من خواصها بانه يشابهها في انه موجود ومريد وعالم
 وقادر وحي وامثال ذلك مما ثبت له من الصفات فان انواع المادة
 توصف بذلك لان اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان صفاته
 المذكورة لا تشارك صفات انواع المادة الا بالاسم لمشابهة الآثار
 وتخالفها في الحقيقة غاية المخالفة لان صفاته المذكورة عندهم هي
 صفات قديمة ليست اعراضا واما صفات انواع المادة التي تشاركها
 في الاسم فهي اعراض واحوال للمادة حادثة زائلة ولا يخفى ان
 المشابهة في الآثار لا تقتضي المشابهة في الحقيقة ولا تستلزمها على انه
 شتان ما بين آثار صفاته وآثار صفات تلك الانواع من عظمة آثار

صفاته وشمولها وكمالها وحقارة آثار تلك الصفات وقصورها ونقصها
كما يعلم ذلك بالمقابلة بين آثار الطرفين

ثم ان اتباع محمد عليه السلام بعد استدلالهم على وجود آله للعالم
والزامهم اياكم بالتصديق بوجوده بمقتضى ما تقدم من الدليل
لا حاجة لهم ان يقيموا دليلا في مقابلتكم بان هذا الآله واحد
لا شريك له في الالهية وفي تخصيص العالم بايجاده لانكم كنتم
لا تصدقون بوجود آله واحد فالزموكم بالتصديق بوجوده فهم في
ما من منكم ان تدعوا بوجود آله اخر سواه اذ من الواضح لديكم ان
تقولوا انه بعد اثبات وجود آله للعالم بدلالة آثاره عليه اي داع
يدعو الى اثبات وجود غيره مع انه يكفي لايجاد هذا الكون آله
واحد متصف بتلك الصفات التامة الكافية للايجاد والاحكام لكنهم
حيث يعتقدون ان ذلك الآله واحد ويستحيل ان يكون له
شريك في الالهية وعقائدهم لا يبنونها الا على الدليل القاطع سواء
كان دليلا عقليا او دليلا نقليا يلزمهم ان يقيموا الدليل عقليا او
نقليا على وحدانية ذلك الآله وانفراده بايجاد العالم واستحالة وجود آله
سواه وكذلك اذا انتصبوا لمخاصمة الفرق الذين يقولون بتعدد الالهة
ويعتقدون بوجود الهين للعالم او ثلاثة او اكثر فيلتزمون حينئذ ايضا
بالزام هؤلاء الفرق بالاقرار بوحدانية آله العالم ان يقيموا الدليل

على وحدانيته واستحالة آله سواه لكن دليلهم في مقابلة هؤلاء الفرق
لا يكون الا عقليا لان هؤلاء لا يؤمنون بالدليل النقلي فلا تجدي
نفعاً اقامته في مقابلتهم

اما الدليل النقلي على وحدانية آله العالم الذي يعتمد عليه اتباع محمد
عليه السلام فهو كثير في القرآن الذي جاء به محمد عليه السلام
واخبرانه من عند آله العالم فاكثر سورة محتوية على التصريح
بتوحيد الآله وانفراده بالايجاد بل على دلائل على توحيدة عقلية
برهانية واقناعية توافق عقول العامة الذين تقصر عقولهم عن ادراك
البرهان وانما جاز لا تباع محمد عليه السلام ان يعتمدوا في اعتقادهم
توحيد الآله على الدليل النقلي لان التصديق برسالة محمد عليه
السلام وبصدق جميع ما جاء به لا يتوقف على اعتقاد وحدانية
الآله اذ لم ان يصدقوا برسالته من جانب من اوجد العالم لقيام
الدلائل الدالة على صدق دعواه سواء كان ذلك الموجد واحدا
منفردا بالايجاد ام لا ثم بعد تمام تصديقهم له برسالته يخبرهم بان
الذي ارسله هو واحد منفرد بالايجاد لا شريك له في ذلك

واما الدليل العقلي الذي يقيمه اتباع محمد عليه السلام على
وحدانية آله العالم في مقابلة الفرق الذين يقولون بتعدد الالهة
ويعتمدون في اعتقادهم وحدانيته ايضا فله صور كثيرة وطرق شتى

وانا اذ كررنا دليلا واحدا من ذلك في هذا المقام حبا بالاختصار
فاقول ان اتباع محمد عليه السلام يقولون في هذا المقام لو تعدد
آله العالم كأن يكون هناك آلهان (او اكثر اذ لا فرق في هذا
الاستدلال) لما وجد شي من العالم لكن عدم وجود شي من العالم
باطل لانه موجود بالمشاهدة فما ادى اليه وهو التعدد باطل واذا
بطل التعدد ثبت الوجدانية وهو المطلوب وانما لزم من التعدد
كأن وجد هناك آلهان عدم وجود شي من العالم لانهما اما ان
يتفقا واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجداه لئلا يلزم اجتماع
مؤثرين على اثر واحد وهو محال لاستلزامه انه ان حصل بايجاد كل
منهما وجود للعالم مستقل فيلزم انه وجد بوجودين وهو انما وجد
بوجود واحد فقط كما هو ظاهر وان لم يحصل بايجاد كل منهما
الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلا منهما لم يوجد به بانفراده بل
بمشاركة الاخر كما لو سلطت قوتان على دحرجة حجر لا تكفي كل
منهما بانفرادها لدحرجته بل يلزم لها اجتماعهما فكل من هاتين
القوتين محتاجة للاخرى فهي مركبة معها وقد صارتا قوة واحدة
تنسب اليهما الدحرجة ولا تنسب لواحدة منهما على الاستقلال
فعلى هذا يكون هذان الآلهان قد ركبا وجعلا آلهما واحدا ينسب
اليه الايجاد ولا ينسب لكل منهما على الاستقلال لانه جزؤه

الموجد لا موجد مستقل وآله العالم انما هو موجدته واذا قيل ان
 الآله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد مر ان التركيب
 محال على الآله الموجد للعالم لوجوب مخالفته للمادة وانواعها في
 صفاتها التي تختص بها ومنها التركيب ولا جائز ان يوجداه مرتبا
 بان يوجداه اخدها ثم يوجداه الآخر لئلا يحصل تحصيل الحاصل
 وهو محال كما تقدم ولا جائز ان يوجد احدهما البعض والآخر
 البعض الآخر للزوم عجزها حينئذ لانه لما تعلق قدرة احدهما
 بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته
 وهذا عجز والعجز على الآله محال وان اختلفا بان اراد احدهما ايجاد
 العالم والآخر اعدامه فلا جائز ان ينفذ مرادهما لئلا يلزم عليه
 اجتماع الضدين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما دون الآخر للزوم
 عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لان عقاد المائلة بينهما وايضا
 اذا نفذ مراد احدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو الآله
 دون الآخر وتم دليل الوحدة اية وقد ذكر في القرآن الكريم هذا
 الدليل مجملا مختصرا فقال (لو كان فيها الهة الا الله لفسدتا) اي
 لو كان يقوم في خلق السموات والارض الهة غير الله اي وان كان
 الله معهم لفسدتا يعني لم توجد اي لكن عدم وجودها باطل لمشاهدة
 وجودها فبطل ما ادعى اليه وهو وجود جنس الالهة غير الله فثبت

انه ليس فيهما آله غير الله بل هو المتفرد بالآلوهية وهو المطلوب
وليس المحال وجود جمع من الآلهة بل مجرد التعدد كما اشرنا اليه
بقولنا جنس الآلهة ثم ان ما تقدم من فرض تجويز الاتفاق بين
الالهين انما هو ببادئ الرأي وعند التأمل لا يصح صلح بين الهين
اذ مرتبة الآلوهية تقتضي الغلبة المطلقة والاستبداد التام كما اشار
اليه في القرآن المجيد بقوله (اذن لذهب كل آله بما خلق ولعل
بعضهم على بعض) (هذا واني اكرر التنبيه بان هذا الدليل وامثاله
انما ثقام في مقابلة من يعتقد بوجود آله للعالم ويعرف عظم مرتبة
الآلوهية ولكنه يدعي التعدد فيردع عن دعوى التعدد بهذا
الدليل وامثاله واما من لم يعتقد بوجود آله للعالم فانما يصح اقامة
هذا الدليل في مقابلته بعد الزامه انه لا بد للعالم من آله اوجده
ثم تعريفه مرتبة الآلوهية وما تقتضيه من العظمة والاستقلال والا
فلا تراه مباليا بعجز الآله ولا بما يازم من بقية المحالات التي تقدمت
في الدليل المتقدم فليتنبه)

ثم ان اتباع محمد عليه السلام وجدوا ان هذه الصفات التي
ثبتت لاله الموجد للعالم وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة
للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والعلم والارادة والقدرة والحياة
هي التي عليها مدار الآلوهية ووجود آله متصف بها يكفي لتعليل

وجود هذه الاكوان ويقتنع بذلك كل عاقل ولكنهم تأملوا بعد
 ذلك في شان ذلك الآله سبحانه وفي بديع مصنوعاته وما احدثت
 عليه من كمال الاثقان فقالوا اذ كانت مصنوعاته في هذا الكمال
 ايكون هو سبحانه ناقصا في صفة من الصفات الكمالية كلاً اننا في
 جميع ما نتصوره لانجد الشي يوجد مثله فضلا عن ان الناقص
 يوجد ويتبدع الكامل او ان الكامل يوجد اكل منه هذه الحيوانات
 منها صنعت وابتدعت نراها عاجزة عن صنع مثلها في الحيوانية
 بل ما يقرب من مثلها هذا الانسان وهو اعلمها واقدرها في الصناعة
 منها صنع وابتدع فانه لا يقرب في مصنوعاته من الكمال الذي
 هو قائم فيه فضلا عن ان يصنع مثله او اكمل منه فلا يقدر على
 صنع نبات فضلا عن صنع حيوان او انسان غاية ما يصنعه انه
 ينحت صورة جمادية خالية عن كل حياة او يركب تركيبا كيمياويا
 يجمع فيه العناصر مع بعضها ولا يبلغ من الحياة ادنى مبلغ او يركب
 آلة ميكانيكية تتحرك بسبب نواميس الميكانيكيات حركة غير
 دائمة ولا حياة هناك ولا احساس واذا اراد التصرف بشي من
 الحيوان او النبات بتغيير صورته فلا قدرة له على ذلك الا باستعمال
 النواميس الموضوعة للتغير في ذلك الشي من جانب الآله سبحانه
 وفي الحقيقة ليس التغيير الحادث هناك صنعاً له وماله فيه الا انه

اكتشف على الناموس الذي ينشأ التغير عنه وسلطه على الامر الذي يريد تغييره ولو كان ذلك بصنعه وخلقه لكان يعلم شؤونه قبل بروزه فيعلم قدره وكيفيته بكل تدقيق والحال ليس كذلك بيان ذلك ان الانسان اذا اراد ان يجعل فرخ الطائر مشوها في خلقته يسلط الحرارة على جانب من البيضة بقوة ويضعفها عن جانب آخر فيظهر الفرخ منها بتشويه مخصوص فذلك التشويه ليس صنعا لذلك الانسان والالكان يعلم قدره وكيفيته وتحديداه وموضعه من الفرخ بكل تدقيق قبل ان يخرج من البيضة والحال ليس كذلك غاية الامر انه بالتجربة او الصدفة اطلع على ناموس تغير الفرخ في البيضة وتشويهه فصار يستعمله في سبيله كالذي يعلم ان الماء يروى الظأ فعندما يظما يرسل الماء في معدته فيرتوي ويذهب ظمؤه أيقال ان هذا المرسل للماء هو الذي اوجد الارواء واذهب الظأ ويعد ذلك من مصنوعاته كلاً غاية ما فعل انه ارسل الماء في المعدة والماء عندما وصل اليها نشأ عنه تبريد حرارتها وذهاب العطش وما لذلك المرسل فيما حدث من ذلك ادنى تأثير ومن هنا يظهر بالطريق الاولى ان زارع الزرع مهما سعي في بروزه وبدو ثمرته للوجود باستعمال النواميس المعروفة لذلك لا يقال عنه انه اوجد هذا الزرع وابدى ثمرته وكونهما على

ما فيهما من التركيب العجيب والخواص البديعة فليس شي من
 ذلك مصنوعا له على سبيل الحقيقة نعم طريق المجاز لا حجر فيه
 وهكذا يقال في جميع ما يتسبب الانسان في وجوده باستعمال
 نواميس الاكوان لا صنع له فيها الا تسيير النواميس في سبلها ثم
 الاثار تنشأ عنها (وسياتي ان اتباع محمد عليه السلام يقولون ان
 الاثار تنشأ عن نواميسها بخلق الله تعالى لا بتاثيرها كما سياتي
 تحقيقه) فاتباع محمد صلى الله عليه وسلم لما تين لهم ما تقدم من ان
 الشي لا يصنع مثله فضلا عن انه يصنع اكمل منه قالوا لا بد ان
 الآله الموجد للمادة على نواميسها العجيبة التي تهيوها للتطورات التي
 لا تحصى والمبدع منها تلك الانواع البديعة التي لا تستقصى يجب
 ان يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت له بالدليل وفي كل
 صفة كمالية تليق به تعالى والا لكان مثل مصنوعاته او دونها وذلك
 خلاف ما علمه العقل وصدق به فاعتقدوا حينئذ ان ذلك الآله
 سميع بصير متكلم متصف بكل صفة كمالية تليق به تعالى اذ لا يقبل
 العقل ان يكون اصم اعمى ابكم وهو الذي ابدع السمع واناظر البصر
 واطلق اللسان بالكلام ولا ان يكون ناقصا في صفة كمالية وقد
 اوجد نظيرها في مصنوعاته على اكمل وجه لكن جميع ما اعتقدوه
 له من الصفات يعتقدون انها ليست كصفات الحوادث ولا تشبهها

في الحقيقة وان شاركها في الاسم لمشابهة الاثار وقد تقدم ان
 مشابهة الاثار لا توجب مشابهة ما نشأت عنه فسمعه سبحانه ليس
 بصياخ بل هو صفة قديمة قائمة بذاته تنكشف بهامسموعاته وبصره
 ليس بمقلة بل هو صفة قديمة قائمة بذاته تنكشف بها مبصراته وكلامه
 ليس بحرف ولا صوت بل هو صفة قديمة قائمة بذاته يفهم عنه بها
 ما يريد افهامه لاحد مصنوعاته وهكذا القول في بقية صفاته التي
 تقدمت من العلم والارادة والقدرة والحياة فهي صفات قديمة قائمة
 بذاته تعالى يتعلق منها ما كان له تعلق بالاشياء حسب اقتضائه
 تعلق انكشاف او تخصيص او احداث والافلو كانت صفاته تعالى
 كصفات الحوادث لكان حادثا مثلها وقد قام الدليل على وجوب
 قدمه تعالى واستحالة حدوثه وقد تقدم شرحه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند ما امنوا برسالته من عند ذلك
 الا له سبحانه بسبب الدلائل التي قامت معهم على صدقه وجدوا
 في شريعته اثبات ما يوصلهم اليه الدليل العقلي من تلك الصفات
 التي مر ذكرها لآله العالم مما يتوقف عليه امر الالوهية ومما يقتضيه
 عظمة شانها من الصفات الكمالية وغير ذلك من صفات العدل
 والرحمة والكرم والهداية والاحسان الي امثال ذلك مما طفحت به
 نصوص تلك الشريعة وقد يوجد فيها اثبات صفات له تعالى لا يوجد

عند العقل دليل على اثباتها ولا على نفيها فاعتقدوها لورود النص
 بها في الشريعة المحمدية لان المخبر بها وهو محمد عليه السلام صادق
 مجزوم بصدقه لما قام لديهم من الدلائل القاطعة على صدقه والعقل
 لا يحيلها وكذلك ورد في هذه الشريعة اثبات اشياء للاله سبحانه
 مما يوهم الجسمية وذلك كالوجه والعين واليد والاصبع والقدم
 فاعتقد اتباع محمد عليه السلام اثباتها له تعالى ولكن حيث قام
 الدليل العقلي والنقلي على تنزيهه تعالى عن الجسمية لم يعتقدوا
 معانيها المتبادرة واعتقدوا ان لها معاني تليق به تعالى ليست كالمعاني
 التي في الحوادث وفوضوا علم حقيقتها اليه سبحانه فيقولون مثلاً له
 تعالى يد ليست كأيدينا وعين ليست كعيننا وهم جراً هو سبحانه
 اعلم بحقيقة المعنى من ذلك فهم بذلك مزهونون له تعالى ومفوضون
 اليه سبحانه واجمال الاعرانهم اعتقدوا اتصاف اله العالم سبحانه بكل
 كمال يليق بشانه وتنزيهه عن كل نقص لا يليق به سبحانه حسبما
 دلم عليه العقل وافادهم اياه الشرع المحمدي ثم ان هذا الشرع كما
 جاءهم باثبات صفات الاله سبحانه جاءهم ايضا باثبات اسمائه تعالى
 التي سمي بها نفسه ومنها لفظ (الله) الذي هو الاسم الخاص به
 الذي لا يطلق على سواه وهذا اللفظ وان كانت اللغة العربية تطلقه
 على موجد العالم سبحانه قبل بعثة محمد عليه السلام ولكن جاءت

شريعته باطلاقة عليه تعالى فصار تسميته به سبحانه عند اتباع محمد
 عليه السلام تسمية شرعية اعتمدوا بها على نص الشرع المحمدي
 لاعلى مجرد اللغة العربية وهكذا بقية اسمائه تبارك وتعالى ثم ان
 الشريعة المحمدية كما عرفت اتباعها بوجود الله تعالى واتصافه بتلك
 الصفات الكاملة مما يدل العقل على اثباته ايضا وعلى جوازه وباسمائه
 الكريمة فقد هديهم الى طرق الاستدلال على وجوده واتصافه
 بتلك الصفات وعظمتها بدلائل عقلية برهانية ودلائل اقناعية
 تشرح لها الصدور وتطمئن عندها القلوب فانفتح لهم بذلك باب
 واسع ومهيئ رحب وانا اريد ان اذكر لكم شيئا من ذلك مما يدل
 على وجود آله العالم سبحانه واتصافه بتلك الصفات الكاملة وعظمتها
 وعظمتها واتساع اثارها مما يري في القلوب تعظيم شأنه جل جلاله
 والتصديق بقدرته على اعظم المصنوعات واكبر المبتدعات وقبل
 ذلك اقدم لهذا الامر مقدمة لها ارتباط به ونفع فيه فاقول لا يخفى ان
 للمادة وانواعها صفات عامة وذلك كالتمييز الشامل لجميع الاجسام
 وصفات خاصة وذلك كقبول الانطراق للعديد والانقصاص للزجاج
 فانها خاصان بنوع دون نوع من الاجسام والذي يظهر من كلامكم
 في كتب علومكم ان الصفات العامة لاتنفك عن شيء من انواع المادة
 اصلا ويستحيل انفكاكها عن شيء منها واما الصفات الخاصة فالذي

يظهر من كلامكم ان كل صفة منها قد تنفك عن صاحبها بسبب
من الاسباب الطبيعية فتقولون ان الحديد مثلا تفارقه صفة قبول
الا نظراق وتختلفها صفة قبول الا نقصاف اذا تقع في المحلول الفلاني
والمغناطيس تفارقه صفة جاذبية الحديد عند حصول الزلزلة وعلى
ذلك صنعت الآلة المنبهة على قرب الزلزلة ليحترس منها فهذا تصریح
منكم بانفكاك الصفة الخاصة عن صاحبها بسبب من الاسباب
الطبيعية كما قدمنا واما اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون في
الصفات العامة التي يتبرهن عندهم ثبوتها في جميع انواع المادة
اننا بالتأمل فيها نجدها تنقسم الى قسمين قسم منها لاينفك عن جميع
انواع المادة ويستحيل انفكاكه عنها وهذا لا تتعلق قدرة الله تعالى
باعدامه منها مع تحققها في الوجود لان قدرته تعالى لا تتعلق باعدام
الواجب اي الامر الذي يجب وجوده ويستحيل عدمه وذلك كالتميز
لجسم اي اخذه قدرا من الفراغ فلا يمكن ان يوجد جسم غير
متميز وقسم منها يجوز عقلا ان ينفك عن جميع الانواع فلا مانع
من ان قدرة الله تعالى تتعلق باعدامه من جميع الانواع او من اي
نوع منها لانه من الجائز العقلي الذي هو تحت تصرف قدرته
تعالى وذلك كالجاذبية العامة للاجسام وكجاذبية الملاصقة اي القوة
الجاذبة لاجزاء الجسم الفردية من جنس واحد كالحديد حتى

تتلاصق ويتكون الجسم وامثال ذلك فانهم يقولون ان هذا القسم
ان ثبت حصوله في الاجسام فهو ليس واجبا لها بل حصوله فيها على
سبيل الجواز العقلي يمكن للعقل ان يتصور وجوده فيها وان يتصور
عدمه منها فاي مانع يمنع من تصورنا الجسم خاليا عن الجاذبية
العامة فلا يجذب غيره ولا غيره يجذبه واي مانع يمنع من تصورنا
الجسم خاليا عن جاذبية الملاصقة ويكون تلاصق اجزائه بسبب
اخر غيرها على ان قولكم بها مع مصاحبة قوة الدفع لها اي القوة
التي تندفع بها الاجزاء حتى تبقى بينها مسام وتمانع القوة الخارجية
اذا ضغطت الجسم كما هو مشروح في كتبكم يشبه ان يكون
قولا باجتماع الضدين وان قلتم لا يمكن ان يتصور تكون الاجسام
الا بها قلنا يمكن عندنا بقدرة الله تعالى وان قلنا ان هناك سببا
نقول يمكن ان يكون ذلك السبب غيرها فما المانع من ان الاجزاء
الفردة التي قلتم بها في الاجسام وانها ذات اشكال متغيرة
هي ذات فتوات وذات تجاويف فعند اجتماعها تتداخل الفتوات
في التجاويف وتتماسك فان كانت تلك التجاويف غير ضاغطة
على الفتوات او ضعف ضغطها بسبب مثل الحرارة يوجب
اتساعها كان الجسم سائلا او غازيا وان كانت ضاغطة عليها
او اشد ضغطها بسبب مثل البرودة تصالب الجسم على قدر

الضغط وصار جامدا ويعلل عن تدافع الاجزاء حينئذ بانه متى
كان تجاوز فيها ضيقة لا تدخل فيها التتواتر بتمامها فتبقى خلايا بين
الاجزاء وهي المسام الموجودة في كل جسم وهذا التعليل لتمامها
اجزاء الاجسام المتحدة الجنس وهو ان ذلك لوجود تتواتر وخلايا
في الاجزاء الفردية يظهر هو ايضا للعقل في تلاصق الاجسام المختلفة
الجنس كما بين الورق والصمغ فان التعليل به اقرب للعقل من
تعليلكم ذلك التلاصق بقوة تسمى قوة الالتصاق تكون بين الاجسام
المختلفة الجنس كما قدمنا ولما كانت الاجزاء الفردية عندكم ذات
اشكال متغيرة وان لم تقبل القسمة فعلا فهي تقبلها عقلا كما في
كتبكم صح لنا الزامكم بفرض التتواتر والخلايا بخلاف الاجزاء
الفردية عند اتباع محمد عليه السلام فانها لا يصح فيها ذلك ولا تظنوا
اني اقول بوجود التتواتر والخلايا في هذه الاجزاء الفردية واني
عليه ذلك التعليل لاني لا آمن من ورود اشكالات عليه ولكني
ذكرته على سبيل الاحتمال لاريكم تعليلكم في اي منزلة من اثبوت
وان غيره اقرب منه والمخلص ان اتباع محمد عليه السلام لا يقولون
ان ما تقدم من الصفات العامة وامثاله مفقودة من الاجسام
وينكرون وجودها فيها ويحوجونكم الى حشد البراهين عليها ليس
الامر كذلك وانما يقولون انها بعد ثبوتها ليست واجبة عقلا بل

هي جائزة الوجود لها وجائزة العدم منها اذ العقل لا يحيل وجودها ولا عدمها وما دامت كذلك فهي تحت تصرف قدرة الله تعالى القادر على جميع الجائزات العقلية كما تقدم فكما اوجدها يقدر على اعدامها مع وجود الاجسام حتى جاذبية الملاصقة فانها ليست بضرورية لتكون الاجسام كما يلوح من كلامكم بل يقدر سبحانه وتعالى على جمع اجزائها الفردة بدونها بسبب او بدون سبب وان كانوا يقولون بالاول قياسا على عادته سبحانه في هذا العالم من ربط كل شي بسبب عادي اي جرت عادته بايجاده عنده

واما الصفات الخاصة فاتباع محمد عليه السلام يقولون مثل قولكم انها ليست واجبة لموصوفاتها بل جائزة الانفكاك عنها لكن انتم تقولون ان تلك الصفات تفارق موصوفاتها لتغير وضع اجزائها الفردة بسبب طبيعي موجب لذلك ومفارقتها لها تحتاج الى زمن كاف لها قد يكون قصيرا وقد يكون ممتدا بالسنين او بالوفها واما اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون ان تلك المفارقة يحتمل ان تكون لتغير وضع الاجزاء الفردة للجسم ويحتمل ان تكون لامر آخر ما دام الواقع لم يتبرهن عندهم حقيقته واذا قام عندهم برهان على شي قالوا به وايا كان فهو بخلق الله تعالى والاسباب التي قلتم انها موجبة لذلك يقولون انها اسباب عادية اي انه جرت عادة

الله تعالى بايجاد مسببها عندها وليست موجبة له ولا مؤثرة فيه
 وان سمعتموهم ينسبون الامر الى سببه فليس اعتقادهم انه يؤثر في
 وجوده بطبعه بل مرادهم بتلك النسبة ان الله تعالى يخلق ذلك
 المسبب عند وجود ذلك السبب على طريق عادته في هذا العالم
 ولو اراد ان يخلق السبب ولا يخلق المسبب او يخلق المسبب بدون
 السبب لفعل وما دامت تلك الاسباب غير مؤثرة ووجود المسببات
 بخلقه تعالى فهم يقولون في الزمان الذي قلتم انه يلزم لفارقة
 الصفات لموصوفاتها ما هو الا بطريق العادة له تعالى ولو اراد ان
 يحدث المفارقة بلحظة لفعل ولا يحتاج الى زمن ممتد مثلا اذا قلتم
 ان الحديد اذا نزع في السائل الفلاني تفارقه صفة الانطراق وتخلفها
 صفة الاتقصاف لتغير وضع اجزائه الفردة بسبب النقع ويحتاج ذلك
 لزمن كاف وذلك السائل مؤثر بطبعه في ذلك التبدل موجب
 له وذلك الزمان لازم لا يتم الامر بدونه قال ائباع محمد عليه السلام
 ان ذلك التبدل حصل بفعل الله تعالى بان اعدم صفة الانطراق
 واوجد صفة الاتقصاف سواء كان ذلك لتغير وضع الاجزاء ام
 لامر اخر لم نعلمه وذلك المحلول ليس مؤثرا بطبعه في ذلك التبدل
 ولا موجبا له وانما جرت عادة الله تعالى باحداث التبدل عند النقع
 فيه والزمان الذي يتم فيه التبدل ليس شرطا واجبا بل الله تعالى

يقدر على احداث التبدل بلحظة كما يقدر على احداثه بدون تقع
 الحديد في ذلك السائل وهكذا القول بان النار تحرق الجسم الفلاني
 والماء يروي العطش وامثال ذلك يقول اتباع محمد عليه السلام
 لاشي من ذلك مؤثر بطبعه بل الله تعالى يخلق الاثار التي تنشأ
 عن هذه الاشياء عندها بشروط واحوال عادية وهو قادر على خلق
 تلك الاثار بدون وجود شي مما تنشأ عنه كما هو قادر على اعدامها
 مع وجود ما تنشأ عنه ومع توفر الشروط ودفع الموانع والذي
 حمل اتباع محمد عليه السلام على القول بما تقدم من عدم تأثير
 الاشياء بطبعها بل بخلق الله تعالى هو اولا ما قام عندهم من الادلة
 على تفرد الله تعالى بخلق جميع ما يحدث في هذا الكون فلو كانت
 الاشياء مؤثرة بطبعها في وجود الاثار التي تنشأ عنها لكانت
 خالقة لها وقد قام الدليل على استحالة الخلق لغير آله العالم وهو الله
 تعالى ولا سيما ان بعض تلك الاثار تكون متقنة محكمة بحكم العقل
 بان حصولها على هذا الاحكام لا بد ان يكون عن روية وعلم وادراك
 تام للذي احداثها واثبت هذه الصفات لتلك الاشياء الجمادية مما
 لا يقول به عاقل مثال هذا النبات المحتوي على التكونات العجيبة
 من جزور وساق واغصان واوراق وازهار وثمار واعضاء تناسل
 وبزور باشكال واللوان وطعوم وخواص تختار عندها الافكار

وينشأ جميع ذلك عن التراب والماء والهواء فعقول ائباع محمد
عليه السلام بل سائر العقول السليمة لا تقبل ان هذه التكوينات
المحتاجة للعلم والقدرة والتدبير قد احدثها التراب والماء والهواء
الخالية عن هذه الصفات فلذلك يحيلون احدثها وخلقها على القادر
العليم سبحانه الذي قام الدليل عندهم على انه هو الذي اوجد
اصل المادة من العدم قابلة لتلك التطورات وثانيا على فرض غرض
النظر عما تقدم من تفرد الله تعالى بالخلق قد نظروا الى هذه
الاشياء التي تنشأ عنها الآثار وتاملوا في حقيقتها فوجدوا انها ليست
مقتضية لتلك الآثار اذ لا شيء فيها يلزم العقل باعتقاد انها مقتضية
لها مثلا الحرارة تذيب الثلج والبرودة تجمد الماء واذا نظر الى حقيقتيها
لم يظهر للعقل وجه اقتضاءها لذيئك الاثرين كما يظهر وجه اقتضاء
الجسم للتحيز ووجه اقتضاء الجسمين ان لا يتداخلا ويحلا في حيز
واحد مثلا فاذا قالوا لكم ولم لم يكن الحال في الحرارة والبرودة
بالعكس ماذا يكون جوابكم تقولون هذا طبع كل منهما فيقولون
لكم ولم لم يكن طبع كل منهما بالعكس تقولون لان الحرارة تضعف
قوة الملاصقة والبرودة تقويها فيقولون لكم ولم لم يكن الامر بالعكس
وهلم جرا فما يسعكم بعد ذلك الا ان تقولوا ما كان اختصاص كل
منهما بخاصته الا بتخصيص مختص فيقولون لكم ان ذلك المختص

هو الله تعالى الذي اوجد المادة وهو الفاعل المختار الذي خص
 ما شاء بما شاء وبعد ذلك كله يقولون ما دام ان الاشياء ليست
 موثرة بطبيعتها والتاثير بخلق الله تعالى فالزمان المفروض لحصول
 الاثار ليس شرطا ضروريا بل هو شرط عادي فالله قادر على
 خلق الاثر بلحظة كخلق البصر او اقرب لانه قد ثبت بالدليل
 ان قدرته تامة ولا تشابه قوى الحوادث فلا يحتاج الى الزمان في
 اعماله كما يحتاج قوى الحوادث التي كلما اشتدت قصر زمن عملها
 وكلما ضعفت طال زمنه وايضا لو كانت قدرته تحتاج الى الزمان
 في اعماله كما يحتاج سائر القوى لكننا نرى المصنوع الذي يشتمل
 على العظم ودقة الصنعة وكثرة الاشكال والتراكيب والخواص
 لا يحصل دائما تكونه الا في زمان اطول من زمان تكون المصنوع
 الذي لا يشتمل على شي من ذلك والحال ان الامر ليس كذلك
 لانا نرى النبات الفلاني من النوع الاول يبرز للوجود في مدة
 قصيرة والنبات الفلاني من النوع الثاني قد يبرز للوجود في مدة
 طويلة اضعاف مدة بروز الاول فهذا يدل على ان امتداد الزمان
 ليس شرطا في ايجاد الله تعالى للمخلوقات والا لكان الامر بالعكس
 فيما مثلنا ثم لا تظنوا من قول اتباع محمد عليه السلام ان هذه
 الاشياء ذات الاثار لم يكن تسبب تلك الاثار عنها الاعاديا وان

الزمان لتكون تلك الاثار هو شرط عادي ايضا انهم يقولون
بكثرة انخراق العادة في ذلك حتى تطالبوهم بذكر الشواهد الكثيرة
على انخراقها فانهم لا يقولون بهذا اصلاً انما يقولون التسبب عادي
والزمان شرط عادي والله قادر على خرق العادة فيها وليس ذلك
بمحال ولكن خرق العادة في ذلك لم يعهد منه تعالى الا لنحو معجزة لنبي
او كرامة لولي على حسب ما نقل لهم متواترا او شاهدوه من رسولهم
محمد عليه السلام عندما ادعى الرسالة وظهرت على يده المعجزات
بخرق العادات فاذا تقرر ما تقدم من هذه المقدمة ووعيتموه بافتدكم
فاقول تعالى حتى ننظر في مادة هذا العالم وانواعها وما اشتملت عليه
من الصور الغريبة وما تنطوره به من الاطوار العجيبة لنعلم ان قيام
ذلك فيها من صنع المادة وحركة اجزائها ام من تاثيرات بعضها
ببعض ام من صنع آله عليم مرید قادر حكيم يخصصها بما يشاء
ويطورها كيف اراد اعمالا بغاية العظمة ونهاية الاحكام والتدبير
مما يدل على ان عظمته وعظمة صفاته لا تحد ولا تدركها العقول
ولا تحيط بها الافكار وكل عمل بعدها من جائزات العقل هما
بلغ في العظمة وتسامي في الدقة وتعالى في الاحكام فهو في جانب
عظمة ذات هذا الاله وكمال صفاته حقير هين واضح بين سبحانه
ما اعظم شأنه وما اكمل سلطانه بيده الخلق والتدبير وهو على كل

شي قد ير

لننظر الى عالم الكواكب فنجد على ما نصت عليه كتب الهيئة عندكم
ان كلا منها اختص بخاصية لم توجد في سواه فالبعض منها صغير
جدا والبعض منها كبير جدا حتى ان ارضنا بالنسبة اليه كحبة رمل
بالنسبة الى كرة قطرها ذراع او اكثر فان كان قطر ارضنا سبعة
الاف وتسعمائة واثنى عشر ميلا ومحيطها الاستوائي اربعة وعشرين
الفا وثمانماية وتسعة وتسعين ميلا فقطر الشمس ثمانية واثمان وخمسون
الفا وخمسمائة وثمانون ميلا ومحيطها مليونان وستماية وثمانية وسبعون
الفا وخمسمائة ميل وجرمها مثل جرم ارضنا بمليون ومائتين وتسع
 وخمسين الفا وسبعماية مرة ومنها القريب الينا والبعيد عنا بملايين
من الاميال ومنها ما يومه وسنته دون يومنا وسنتنا ومنها ما هو
اكثر من ذلك بكثير حتي ان سنة زحل تسع وعشرون سنة من سنينا
وسنة اورانوس اربع وثمانون سنة نبتون مائة واربعة وستون وكسور
ومنها ما هو بطيء السير في فلكه ومنه ما هو سريع السير حتي
ان المشتري يجري ثلاثين الف ميل في الساعة فيجري تسعة اميال
كلما تنفس الانسان مرة وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه
على محوره اربعمائة وسبعة وستون ميلا ومنها ما نوره احمر ومنها ما نوره
اصفر ومنها ما نوره ابيض ومنها غير ذلك ومنها ما نوره اصلي كالشمس

والثواب ومنها ما نوره مكتسب من نور غيره كالقمر وبقية السيارات
 ومنها ما يخلو عن الحرارة ومنها ما فيه حرارة تبلغ قدرا عظيما فشمسنا
 على قول بعضكم لو جمعت حرارتها لكانت كافية لان تذيب في
 يوم واحد مقدارا من الجليد يغطي كل وجه الارض وشمكه احد
 عشر ميلا والذي يصل من حرها الى الارض هو جزء من الفي
 مليون وثلثماية وواحد وثمانين مليونا ومنها الثوابت وهي شمس
 اضواءها ذاتية كشمسنا تضيء على عوالم تتعلق بها وهي ليست ثابتة
 كما يتوهم من اسمها بل هي متحركة لكن لفرط بعدها عنا لا تظهر لنا
 حركاتها الا بعد قرون كثيرة فتبقى على نسبة بعضها الى بعض
 وضعا ومنها ما هو ناء عن الشمس يبعد عنها على توالي الايام ومنها
 ما هو دان اليها كذلك ومنها المتغير يزيد ضوءه تارة وينقص اخرى
 ومنها الوقتي اي الذي يظهر زمانا قد يكون ممتدا ثم يختفي ولا يعود
 اصلا ومنها ما نوره لا يصل اليها الا بعد سنين او مئآت من السنين
 مع ان نور شمسنا يصل اليها بمدة ثمانى دقائق وبغض ثوان مع ان
 الشمس تبعد عنا ما ينوف عن تسعين مليون ميل ومنها ما تظنون
 ان فيه سكانا ومنها ما لا تظنون فيه ذلك ومنها الشمالي ومنها الجنوبي
 ومنها المتوسط ومنها الليلي ومنها النهاري ومنها ما يتسع وجهه المنير
 تارة ويضيق اخرى ومنها ما ليس كذلك ومنها الكاسف ومنها

المكسوف ومنها ومنها وهي قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية العامة كما
تقولون ولعلها بناموس اخر من نواميس الكون التي اجراها خالقه
فيه سائرة في ابراجها ومنازلها على غاية الضبط والاحكام بحركات
مختلفة ودورات متنوعة تضبط بها الاوقات ويعلم منها السنوات
والاشهر والايام والساعات وتمتاز الفصول بترتيب تختار فيه العقول
والمرجع في الجميع الى الفاعل القادر مغا فيه من منافع المخلوقات
من نبات وحيوان ومعدن تربو بحرارة انوارها وتتهيا لها الاغذية
على قدر حاجاتها الى غير ذلك مما يعجز عن احصائه اللسان وتكمل
لديه الفكر ويخسأ البصر فاذا كانت متساوية في اصل المادة
وليست مادتها تقتضي تخصيص كل منها بما اختص به عن سواء
فيقال بعد ذلك ان الذي خص كل منها بما اختص به ورتبها على
نظامها العجيب مشتملة على المنافع حسب مصلحة المخلوقات مع ذلك
الاتقان هو حركة اجزائها الفردة الخالية عن كل معرفة وارادة
وتدير ام يقال ان الذي ابدعها كذلك هو العليم المريد القادر
الحكيم

لننظر الى الجو وما يحتوي عليه من الكائنات فترى فيه الهواء
الجوي الذي فيه حياة النبات بما يمتص منه وحياة الحيوان بتطهير
دمه بالاستنشاق ودخوله الى رثته ولما كان الاحتياج اليه اشد

من جميع ما سواه كان كثيرا وافرا سهل المأخذ مهيئة الآت تناوله
 على اكمل ما يكون لقبول سرعة العمل وهكذا نرى الحكمة جارية
 في ان الشي كلما اشتدت الحاجة اليه كان اوفر واسهل يظهر ذلك
 بالتأمل في هذا الهواء ثم الماء ثم الغذاء ثم عقاقير الدواء ثم احجار
 الزينة والبهاء ثم وشم ونجد فيه الرياح وتصر يفها ومنافعها واختلافها
 وما اختص به كل منها من الخصائص فمنها الشرقي والغربي
 والشمالي والجنوبي وما بين ذلك ومنها الرطب واليابس والحر
 والبارد والشديد والضعيف والليلي والنهاري والمنتظم في اوقات
 مخصوصة وغير المنتظم والبطيء في سيره والسريع فيه من سبعة
 اميال في الساعة الى واحد وتسعين وقد تبلغ سرعته في الساعة مائة
 وعشرين ميلا او اكثر لكنه نادر ومنها الزوبعة والاعصار قائمة
 بمنافع سكان الارض فتسوق السحاب الى مواقع مظرة وتلقيح الاثمار
 بنقل مادة التلقيح من اعضاء الذكر الى اعضاء التأنيث وتروح
 الارواح وتلطف الحرارة وتسوق السفن في البحار وتنشر بزور
 النباتات على سطح الارض الى غير ذلك مما يعجز الحاسب ويوهن
 الكاتب ونجد فيه السحاب وما اشتملت عليه من الصنع العجيب
 والتكون الغريب حتى استطاع الهواء حملها ونقلتها الرياح الى
 الامكنة المحتاجة الى وبلها ويضجها البرق والرعد اللذان يظن ان

من حكمتها تحليل مياهها بسبب حرارة النور وحركاته التموجية
 وحركات الرعد الارتجاجية معافيهها من دلالة سكان البوادي
 على مواقع سقوط المطر ونرى الثلج ينعقد بسبب البرد ويقع اكثره
 على الجبال ليقيم مدة يتحلب ماؤه الى بواطنها ومخازنها التي سيفي
 جوفها فتخزنه لمنافع المخلوقات وتخرجه من منافذها فيجري ينابيع
 وانهارا ترتوي بمائها الارض والحيوان في مدة الصيف وتنشأ عنه
 الرياض والجنان اذ لو كان السحاب لايلقي على الارض الا المطر
 لانهدر بسرعة من رؤس الجبال (والسيل حرب للمكان العالي)
 قبل ان تمتلي مخازنها بمقدار ما يكفي لجري الينابيع والانهار الى
 غير ذلك من كائنات الجوء التي الف في علمها مجلدات ولنذكر
 هنا النور لانه لما كان امتداده انما هو في الفضاء جاز لنا ان نذكره
 في كائنات الجو قنرى ما اشتمل عليه من النواميس العجيبة التي
 احتملت علما مستقلا وذلك كانعكاسه وانحلاله الى سبعة ألوان
 وغير ذلك معافيه من منافع الحيوان والنبات من النمو والصحة
 وقتل الجراثيم السامة وكشف المرثيات وثمرات اخرى لا تحصى ثم
 انه مع ظهوره بنفسه للبصر واظهاره غيره فقد خفيت حقيقته عليكم
 واضطربتم في تفسيره قال اكبر مشاهيركم انه ذرات صغيرة جدا
 تنتشر عن الجسم المنير ورد عليه متاخروكم بادلة واضحة وقالوا انه

اهتزاز اجزاء المادة الاثرية السارية في الكون فهو عبارة عندهم
 عن حركة الاجزاء المذكورة واعتمد جمهوركم الان على هذا التفسير
 وبنيت عليه الصروح ولقائل ان يقول ما بال تلك الاجزاء الاثرية
 تحرق حركتها لوح بلور بسماكة كثير من الاذرع واذا طلي احد
 وجهيه بطبقة رقيقة من الحبر الاسود مثلاً عجزت تلك الحركة
 عن خرقها كأنها صدت بأسوار خانية او جبال حملايا هلا خرفت
 تلك الطبقة الرقيقة غير الصلبة كما خرفت اللوح السميك الصلب
 وان قلتم ان اللون قد ابطال تلك الحركة بطبعه قلنا لا مانع ان يكون
 ذلك بخلق الله تعالى ولكن ينوالنا على تفسيركم هذا كيف قويت
 تلك الحركة على خرق اللوح السميك الصلب وعجزت عن تلك الطبقة
 الرقيقة غير الصلبة وان قلتم ان اللون يتشرب النور قلنا لكم ينوالنا
 لئلا مامعنى تشرب اللون للنور الذي هو حركة اجزاء بعبارة واضحة
 يقبلها العقل وايضا ان صناعتكم قد اخترعوا دهايا اذا عرض لنور
 الشمس بعض دقائق اضاء في الظلام طول الليل فعلى تفسيركم
 للنور ان قلتم ان تلك الحركة المنبعثة عن الدهان في الظلام من
 انعكاس النور قلنا ينوالنا كيف دامت تلك الحركة ناشئة عن الدهان
 مع ان الحركة الاصلية المنبعثة عن الشمس قد انقطعت عنه
 وفارقت من ساعات وهذا خلاف ما يعهد من ناموس الانعكاس

وان كان خلاف ذلك فينبوه وبعد ذلك كله لسنجاز مين بيطان
تفسيركم هذا بل هو جائز الصحة ويكون من جملة مخلوقات الله
تعالى وتحت تصرفه ولكن القصد تنبيهكم على ان من اعظم ما
تجزمون به ما ليس قطعيا وبعد جميع ما تقدم نقول ما الذي خصص
كلام من كائنات الجو بما خصصه واحكم فيها المنافع على اكل صنع
وانم ابداع فاحيا بها الارض بعد موتها وانمي سكانها واظهر لانصارهم
مرئياتها ايقال هي حركة اجزاء المادة ام الصدفة ام الضرورة ام غير
ذلك من الكلمات المبهمة المعنى الغامضة التفسير ام العليم الخبير
المريد القدير

ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه جغرافيتها الطبيعية وكائناتها
الجمادية والنباتية والحيوانية فنرى البحر الذي تبلغ مساحته ثلاثة
ارباع سطح الارض اي مائة واربعة واربعين مليونا وسبعماية
واثني عشر الف ميل مربع وهو مسكن الام المائية ومصدر الجواهر
البحرية من كل ما يكون غذاء ودواء وزينة وقد اشتمل على ما
تشتمل عليه اليابسة من جبال واودية ووعور وسهول واكام
وتلال وهضاب وبطاح واجام وحدائق مختلفة الاشجار وحيوانات
صغار وكبار تنمو وتسكن في اماكن مخصوصة حسب اجناسها
وانواعها وصنوفها وللبحر اعماق تفوق التصديق ولم تعلموا تحقيقا اعماق

مكان فيه غاية ما وصلت اليه قياس عمق منه بلغ نحو تسعة اميال
ولم تعرفوا له قرارا ومن عجائبه المد والجزر والتيارات السطحية
والتيارات السفلية والامواج التي كالجبال والجبال التي تعوم على
وجهه من الجليد عند القطب الشمالي وملوحته التي هي من احكم
التدبير اذ لولاها لانتن ماوه فاهلك الحرث والنسل وقد سخر
للشركيون متنه ويخوضون لجته ويتواصلون في طرائقه ورياحه
المختلفة

ونرى اليابسة وما تكونت هي منها فاولها الجبال التي هي مخازن
المياه التي تروي النبات والحيوان وهي مأوى الطيور والوحوش
ومنبت الاشجار الصلبة الشامخة التي هي مادة الاخشاب والوقود
وهي الحواجز للبقاع المسكونة تحفظها من الرياح الباردة والحارة
ثم منها ذو المناظر البهجة والنباتات المزهرة ومنها الاجرد الوعر الذي
سلبت الامطار تربته وبقيت صخوره تشبه هيكل عظام جرد
عنها اللحم فكانت تلك الصخور مادة العمران من الدور والحصون
ومنها الجبل الناري الذي يقذف الحمم وينير الافاق في الظلم
ومنها ومنها مما يقضي على الانسان بالعجب

وثانيها الاودية وهي منبت احسن الاشجار ومجنى الازهار والثمار
ومنشأ السرور وانسراح الصدور ومع ان منها ما يعد جنة نعيم

لا ترى فيه الاظلا ظليلا وماء سلسبيلا ولا تسمع الا صفير بلبل
وهديل حمام وبنام ظباء وسمج يام حول تلك الرياض المزهرة
والاشجار المثمرة والجداول المنحدرة من كل ما يجلب المسرة ويهدي
للعين قرة فمنها ما هو كدرا الجحيم ليس فيه الا الموت الزؤام وباليات
العظام وذلك كوادي الموت الذي هو قرب جاوا فهو واد بطنه
رمضاء محرقة وقفر بلقع لانبات فيه ولا حيوان فلا يحمله طائر ولا
تدب فيه دابة ولا يكمن فيه وحش الا ويعالجه الموت الاحمر ولا
يرى فيه الا الرمم البالية من عظام الحيوانات وهوالك الحشرات
وقد نسب ذلك فيه الى شجرة سامة لا يوجد فيه سواها من النبات
والذي صح عندكم ان ذلك لانه في جوار جبل ناري فيصعد من
منافسه هواء سام بكمية زائدة تقتل الحيوان وتمتلك بالنبات فمن
جعل بعض وديان الارض دار النعيم وجعل بعضها دار الجحيم
احركة اجزاء المادة ام المريد العليم الذي يخص ما شاء بما يشاء انه
خبير حكيم

وثالثها الكهوف التي هي مأوى الحيوانات ومتنفس الجبال من
البخارات التي في بواطنها ومن غرائبها الكهوف التي تبرد في الصيف
حتى تجمد المياه التي داخلها وتسخن في الشتاء فيأوى اليها كثير
من الحيوانات التي لا تقوى على برد الشتاء فسيحان اللطيف الخبير

ومن غرائبها كهوف الموت التي لا يدخلها حيوان الا مات في الحال
لأنها متنفس جبل ناري قد جمد و بقي من متنفسه هواء سام يقتل
من يستنشقه فمن الكهوف حصون ومنها منون فسبحان الفاعل
المختار

ورابعها السهول التي هي جامعة غالب المادة التي تقوم بها النباتات
لغذاء الحيوان ثم هي متنوعة التربة يناسب كل منها لتنمية نبات
لا يناسب سواه فاو كانت نوعا واحدا لنقصنا نباتات كثيرة ونراها
بين الصلابة والرخاوة فلو كانت صلبة كالصخر لما صلحت لذلك ولو
كانت رخوة جدا لغاصت فيها اقدام الحيوانات وما صلحت لمسعاها
ولا لسكناها فمن خصص الصخور بالصلابة فكانت مادة العمران
وخصص غيرها بالتوسط بين الصلابة والرخاوة فصلحت لزراعة
غذاء الحيوان اليس هو الحكيم الخبير والمدير العليم

ونرى من كائنات الارض المعادن التي تولدت في احشائها مختلفة
الخواص متباينة الانواع والاصناف صالحة مع اختلافها وتباينها
لمنافع سكان الارض فمنها الجامد والسائل والصلب وغير الصلب
وقابل الانطراق وغير قابله وقابل الذوبان وغير قابله والثقيل
والخفيف والاصفر والابيض والاحمر والاسود وغير ذلك وكم فيها
من مصالح للبشر باتخاذها الات لطعامهم وشرابهم واسلحتهم وبيوتهم

وفلاحتهم وزراعتهم وادويتهم (ولما كان الحديد من انفعها وهو
 اشدّها خفاء في الارض لا يشابهه معدن في الخفاء كما في كتب
 المعادن خصصه الله تعالى في القران بذكر المنّة به والاشارة الى
 نعمة الهداية اليه فقال تعالى وانزلنا الحديد فيه باش شديد ومنافع
 للناس ولم يذكر معدنا سواه بذلك) ونرى من خواصها غرائب
 تعجز عقولنا عن تعليلها تعليلها يقينا بل غاية ما يوصلنا اليه البحث
 فيها ان نقول هكذا خاصيتها وان قلتم نحن لا نقول ذلك بل لا بد
 ان نقف على التعليل اليقيني قلنا لكم هذا المغناطيس المعدن
 الغريب صاحب خاصية الجذب لمثله وللحديد والفولاذ انتم تقولون
 ان سبب جذبه لما ذكر هو من حركة اجزائه الفردة وترتيب
 اوضاعها واقول ان هذا التعليل وان جاز ان يكون هو الواقع بخلق
 الله تعالى واكنكم اتيتم به مبها غير مقنع للعقل اذا وردت عليكم
 السوالات الاتية وهي اولا لما نتج عن تلك الحركة والوضع جذب
 ما ذكر ولم ينتج عن ذلك جذب بقية المعادن من نحو الذهب
 والنجاس او ضحوا لنا توجيه ذلك وثانيا كيف ان المغناطيس اذا
 التصق بقضيب من حديد وجذبه اكسبه خاصية ذلك الجذب
 من دون ان يخسر من قوته شيئا فيصير ذلك القضيب يجذب
 كجذب المغناطيس ما دام ملتصقا به واذا انفصل عنه بطلت منه

تلك الخاصة وتقولون لتلك الحالة التي طرأت على الحديد تمنع
 موقت واما اذا التصق المغناطيس بقضيب من الفولاذ اكتسب
 ذلك القضيب خاصية ذلك الجذب ودامت فيه ولو انفصل عن
 المغناطيس وكذلك اذا ذلك قضيب الفولاذ بالمغناطيس اكتسب
 تلك الخاصة دائمة ويقال لذلك تمنع صناعي فاوضحوا لنا كيف
 حصل ذلك الاكتساب بمجرد ملاسة المغناطيس لقضيب الحديد
 والفولاذ اتغيرت اوضاع اجزائها ولو كانا بطول ممتد واذا كان
 الامر كذلك فهل رجع الوضع لاصله في قضيب الحديد ولو في
 لحظة من الزمان وبقي في قضيب الفولاذ ام الحال غير ذلك
 واوضحوا لنا هذا الفرق بين الحديد والفولاذ بل والحديد الصلب
 فانه بحكم الفولاذ يكتسب خاصية الجذب وتندوم معه بعد الانفصال
 ثالثا انكم تقولون ان قوة الجذب في المغناطيس في طرفي القطعة
 منه وكلما اقتربنا لوسطها نجد ان القوة قد ضعفت حتى تكاد
 تعيب عند الوسط تماما واذا قسمت تلك القطعة من عند وسطها
 رجع الطرف الذي عند القطع ذا قوة قوية كما في الطرف الاصل
 فاوضحوا لنا كيف ضعفت القوة عند الوسط وقويت في الطرفين وكيف
 قويت في الطرف المفصول بعد القطع أبالقطع تغير وضع الاجزاء
 مع ان وضعها لا يتغير باقوى العوامل الخارجية ام الامر كان لغير

ذلك وايضا اذا لمس المغناطيس قضيب الحديد او الفولاذ من
طرفه وتمغنط القضيب فلا بد ان تكون القوة في الطرف الاخر
من ذلك القضيب تامة واما القوة في وسطه فهي قريبة التلاشي
فماذا تقولون ان الحركة وتغير وضع الاجزاء قد وصلا الى ذلك
الطرف عن طريق غير الوسط ام مرا على الوسط فضعفا عنده
ثم قويا بعد مجاوزته وما الذي اعاد لهما تلك القوة بعد الضعف
ورابعا تقولون ان المغناطيس يفقد قوة الجذب عند حصول الزلزلة
ثم تعود اليه بعد مضيتها وعلى ذلك عملت الآلة التي تنبه على قرب
حصول الزلزلة فيعترس منها فاوضحوا السبب لتغير وضع الاجزاء
وتبدل الحركة عند الزلزلة وكيف كان ذلك ولم كان ذلك
والذي اراه انكم لاتقدرون على اجوبة شافية عن تلك الاسئلة
التي تقدمت بل غاية ما تنتهون اليه ان تقولوا هكذا خاصة
المغناطيس لهما تلك الاعمال واقول لكم ان اتباع محمد عليه السلام
يقولون ايضا هكذا خاصة المغناطيس لهما تلك الاعمال اذا شاهدوها
وتبرهنت عندهم ولكن يسالونكم من الذي خصصها بذلك أحرمة
الاجزاء بما ينشأ عنها من ترتيب وضعها تعمل تلك الاعمال الباهرة
التي عجزت عقولكم عن تعليلها بما يقنع العقل ام الذي خصص
ذلك التخصيص واثقن تلك الاعمال هو القادر العليم والمريد الحكيم

اي الامر ين احق ان يعتقد (انصفوا) وبالحق ان المغناطيس من
 اعجب الاشياء وفوائده من احسن القوائد واكمل العوائد اذ
 بالابرة المغنيطيسية سلكت البحار والقفار وامن السفار من الاخطار
 اذ هي المرشد الامين والهادي المبين فسبحان من هدى الانسان
 سبل الرشاد بقطعة معدن من دواني الجماد

ونرى من كائنات الارض النبات ذلك العالم الذي اشتمل على
 العجائب والغرائب وحير الالباب بما اودع فيه من النظام المحكم
 والاسرار والحكم واغرب شانه وكل شؤنه غريبة كيفية تمثيله لاجزاء
 الارض والماء والهواء لبنيته وتطويرها باطواره بينما هذه الاشياء
 عديمة النمو والحياة اذ نراها قد دخلت في تركيب النبات فانقلبت
 جسما ناميا متغذيا ذا حياة نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من
 قبل ثم ننظر الى ذلك الجسم النباتي فنراه من وجه عديم الارادة
 فاقد الادراك اشبه شي بالجماد وننظر اليه من وجه اخر فنراه
 قد ضرب بعروقه في بطن الارض لتناول الغذاء فهو وان لم يسع
 على اقدامه كالحيوان في طلب رزقه ولكن يبلغ في باطن الارض
 ما لا يبلغه الحيوان وترى اغصانه تنعالي او يتعرش بشوكه ولبالبه
 على المرتفعات لينتفع بنور الشمس كالحيوان المتسلق على الاشجار
 لطلب الاثمار وبينما نقول انه لا يتغذى الا باجزاء الارض والماء

والهواء نرى منه النباتات المفترسة وهي التي تنبت في غيرها من
 النباتات وتتغذى بعصارتها كما يعيش بعض الحيوان على بعضه
 ومنها ما احتوت اوراقه على عصاري يغري الذباب ان يسقط عليها فاذا
 سقط على ورقة منها احسست به وانطبقت عليه ولا تتركه حتى
 تمتص رطوبته ثم تتركه ميتا لم يبق منه سوى القشر فهذا نبات
 يتغذى بحيوان اخذا بثار العالم النباتي الذي يتغذى به العالم
 الحيواني وبينما نرى ان النبات لا بد ان تعلق جزوره اما في
 الارض واما في بنية غيره من النباتات التي يفترسها نرى النباتات
 الهوائية وهي اعشاب لا اصول لها في التربة تتعلق على غيرها وتناول
 غذاءها من الهواء ومن عجيب امرها ان زهرها قد يشاكل الفراش
 والنحل وغيرها من انواع الذباب واذا حركها الهواء يظنها الرائي
 فراشا يحوم على الاشجار او نحلا يسعى في جنى العسل من الازهار
 ومن ازهارها ما يشاكل الرتيلاء ومنها ما يشاكل الانسان الى غير
 ذلك من الصور المختلفة ومما نظرت به بعيني وان كان ليس من
 النباتات الهوائية بل ينبت من بصيالات في الارض نبات يحمل
 زهرة هي صورة طير اصفر براس وعينين ومنقار وعنق وصدر
 وجناحين منتشرين بعض الا انتشار منتصب القامة كما ينتصب
 الديك وعند اسفل بطنه صورة نحلة بلون سنجابي واضعة فمها بطنه

كأنها تمتص منه شيئاً وهي ذات راس وعينين وظهر منقوش
 وجناحين ممتدين من اصل فخذ الطير فهما مشتركان بين ان
 يكونا فخذين له وجناحين لها وكل تلك الاعضاء التي فيها واضحة
 بينة لانها تقارب الاعضاء مجرد مقارنة منظر يستوقف الطرف
 ويشهد بوحداية خالقه وقدرته واحكامه وتوجد هذه الزهرة في
 بركة بيروت في محل يقال له ظهور الاشرفية ويسمونها بعض اهل
 تلك الجوار بزهرة الطير وبعضهم بزهرة النحلة وقد وجدت بعضهم
 يعمل لتكون تلك الازهار على صورة الحيوانات بتعاليل واهية
 فاطلب منهم تعليل تكون هذه الزهرة بما يقنع العقل ولا اراكم
 تقدرين على ذلك ولا اري مقنعا للعقل الا احالة تكوينها على صنع
 القادر المريد الحكيم العليم لا على حركة اجزاء المادة ولا على ناموس
 التباينات ولا على امثال ذلك من الامور العمياء الصماء البكماء
 وبينما نرى ان بعض النبات لا يحس باشد الملامسات ونحكم بان
 من جملة الفوارق بينه وبين الحيوان الاحساس في الحيوان دونه
 اذ نرى النباتات الحساسة ومنها السنط الحساس الذي اذا لمس
 او حرك احس وانضمت وريقاته وتشج سائر اوراقه ومنه النبات
 المقترس للحيوان الذي تقدم ذكره فانه يحس بوقع الذباب عليه
 فيمسكه ويمتصه وبينما نرى ان النبات لا يتحرك الا بفاعل خارجي

كالهواء والحيوان اذ نرى النبات المتحرك بنفسه اغير قاسر ظاهر
 فهذا النبات يتحرك بنفسه حركات يرسم بها سيف الهواء مخاريط
 هندسية فورقته مؤلفة من ثلاث وريقات اكبرها العليا في الوسط
 والصغريان تحتها على الجانبين تتحركان مدة حياتها ليلا ونهارا
 في الحر والبرد والشمس والظل والصحو والمطر لاتنقطع حركتهما
 ترتفع الواحدة منها وتنخفض الاخرى على التوالي بحركة مستديرة
 ومنه ما لاتتحرك ورقته الوسطى الا صبا حاوم ساء بخلاف الجانبيتين
 فان احدهما ترتفع والاخرى تنخفض طول النهار وقاتم انهم وجدوا
 على جانب نهر الكنج في الهند نباتا يتحرك وريقاته كذلك سثن
 حركة في الدقيقة فهو ساعة حية نامية لاتقف ولا تكاف صاحبها
 شيئا من النفقة ومشركو الهند يقدسون هذا النبات وينسبون
 اليه قوة آلهية وما هو الا شاهد على افراد خالقه بالربوبية ومنه ما
 يتحرك زهره مع حركة الشمس في قبة الملك وهو كثير في بلادنا
 ويسمونه بالفلك وبعابد الشمس لان زهرته المستديرة المؤلفة
 من دوائر بدیعة الاصباغ محكمة الصنع محاطة باهداب نحيوط
 الحرير وفي وسط نوع منه شي كعقرب الساعة تستقبل تلك الزهرة
 الشمس في اول شروقها ولا تزال تتحرك لاستقبالها كلما ارتفعت
 الشمس لقبة الفلك حتى تبلغ الهاجرة فتكون تلك الزهرة حينئذ

سطحية الوضع ثم كلما مالت الشمس الى المغرب مالت معها حتى
تفارقها في المغيب فسبحان المبدع الخبير ثم في تباينات النبات ما
يحير الافكار وبشهادة بان مبدعه فاعل مختار لا يحكم عليه ناموس
ولا تدخل قدرته تحت تحديد ينبيء عن الاضطراب وعدم الاختيار
وذلك انا نرى منه ما يبلغ من الكبر والارتفاع مبالغا يفوق الحد كما
في ارض لبنان وام الاجمة التي توجد في اميركا طولها ثلاثماية قدم
او اربعةماية قدم وقطر بعضها عند الارض ثلاثة عشر قدما وسمك
قشرها ثمانية عشر قيراطا ومن اشجارها ما جوف ساقها وطرح
فكان الفارس يدخل جوفها منتصبا على صهوة حصانه فلا يمسه
وبعض الاشجار في اسكتلندا بلغ محيطها تسعين قدما وحسب
عمرها بمقابلتها باصغر اشجار نوعها فكان خمسة الاف سنة وفي
كاليفورنيا شجرة صنوبر طولها ثلاثماية قدم ومحيطها ثلاثون قدما
وعمرها ستة الاف سنة واغرب من ذلك كله شجرة عندم في احدى
جزائر كناريا في الاقيانوس الاثنتيك لا يحيط بساقها عشرة رجال
يمدون ايديهم حولها يمس كل منهم انامل مجاوره بانامله وقد مر
على اكتشاف تلك الجزيرة ما يقرب من اربعةماية سنة ولم يتغير
منظر تلك الشجرة فان نمو هذا النبات بطيء كما يشاهد من نمو
صغاره فكم مر عليها من القرون قال بعضهم اني اقول انها كانت

نشمو منذ قرون كثيرة قبل خلق الانسان ونرى من النبات عالما
 على غاية الصغر قد اظهره المكرو سكوب وذلك كالطحلب الذي
 يعلو وجه الماء والعفونة التي تلتصق بالجدران وغيرها فكل ذلك
 يظهر تحت المكرو سكوب كانه بستان او مرج او غابة كثيفة تحمل
 مع صغرها ودناءتها زهرا وبزرا ينتشر مع الهواء من جملة الهباء
 ويقع على الجدران وغيرها فاذا وافقته الاحوال استفرخ ونما وازهر
 وبزر والعين المجردة لا تراه الا كالغبار الاخضر ونرى من النبات
 ما يتقابل فيه الانحداد ففي اختلاف اشكاله واشكال اوراقه
 وازهاره وثماره وبزوره وروائح وطعومه والوانه ومنافعه ومضاره
 ما يفوق الاحصاء فمنه الشجر والنجم والعشب والصفى والشتوي
 والريعي والخريفى والسهلي والجبلي والمكثفي بماء المطر والمحتاج الى
 سواء والمختص باقليم والذي يعيش بكل الاقاليم ومن اوراقه
 المستدير والمستطيل والمسنن والعريض والرفيع ومع اشتراكها
 في لون الخضرة فخصرتها مختلفة لا نجد خضرة نوع تشبه خضرة
 نوع اخر وازهاره اكثر اختلافا واوفر تبيانا في الاشكال والالوان
 فمنها المستدير والمستطيل والمفرد والمضاعف واشكال شتى لا تحصى
 ومنها الالبيض والاحمر والاصفر والازرق والاحضر والمنقش بابدع
 النقوش والمجتمع فيه الضدان او الانحداد من الالوان وروائح

من ابداع الخواص فمنها المستطابة التي تنعش القلوب والمستكرهة التي
 تميمت النفوس ويكفي بالتنبيه على اختلافها انا لانجد رائحة زهرة من
 نوع تشبه رائحة زهرة من نوع اخر تمام الشبه واختلاف اثماره باشكالها
 والوانها وروائحها وطعومها واقدارها مما يتيه العقل في تيمائه فمنها الكبير
 والصغير والعريض والطويل والمستدير والكروي والمحدب والمسنن
 وغير ذلك ومنها الاحمر والاصفر والابيض والاسود والازرق
 والمتنقش وغير ذلك ومنها ذو الرائحة التي لم توجد في زهره ولا
 ورقه من كل رائحة زكية واخرى على الانوف يليه ومنها الحلو
 والحامض والمز والمرومحو ذلك من الطعوم التي لا تستقصى ومن
 غريب امر الاثمار انك ترى قشرها بطعم ولون ورائحة لا توجد في
 اللب وفي اللب من ذلك ما لا يوجد في البزر وفي البزر من ذلك
 ما لا يوجد في كامل اجزاء الشجرة ومن الاثمار ما يحتوي على البزور
 المختلفة الاشكال والروائح والطعوم والالوان ومنها ما يخلو عن
 البزور ومنها ما هو مغلف بغلاف او اكثر ومنها ما ليس كذلك
 ومنها صغير واصله شجر كبير كالجميز ومنها ما هو كبير واصله من
 الاعشاب كالبطيخ ومن النبات ما يعطي ثمرته بشهرا واول ومنه
 ما لا يعطي ثمرته الا بعد سنين ومنه ما ينتفع بعروقه او اصوله او ورقه
 او زهره او ثمره او بزره او قشره او عصاره وما ينتفع منه بشيئين

او اكثر من ذلك وما ينتفع منه بجميع ذلك ومنه ما اصله نافع
 وثمره ضار او ورقه او زهره ومنه بالعكس فيجتمع في النبات الواحد
 الداء والدواء وبالاختصار نرى الشجرة الواحدة قد تتخالف
 خواص عروقها وساقها وقشرها وورقها وزهرها وثمرها وبزورها فلا
 تجد خاصة من تلك الخواص تنطبق تماما على خاصة اخرى منه
 وكل انواع النبات تسقي بماء واحد وقد تغذى بتربة واحدة
 وتمتص ما يلزمها من هواء واحد واعضاؤها انما هي قسمان اعضاء
 النمو وهي الجزور والسوق والورق واعضاء التناسل وهي الزهر
 والثمر والبزير ثم انه من هذه الاعضاء البسيطة القليلة العدد
 تتألف الالوف من النباتات البالغة بحسب ما وصل اليه احصاء
 النباتين ما ينوف عن ثمانين الف نوع وهي التي تكسو جبالنا
 وتلوانا واوديتنا وحدائقنا خضرة وتزينها بازهارها وثمارها وتخزننا
 فواكه وحبوبا وتلبس اجسادنا وتعمريوتنا وسفنتنا وتعالج امراضنا
 وتشعل نيراننا وتحفظ امتعتنا وتفعل وتفعل الى ما يكبو في مضمار
 احصائه القلم ويرتمي اللسان باليكم اكل تلك الصور وجميع تلك
 الاطوار وترتب تلك المنافع وظهور هاتيك الاسرار مع اتحاد
 اصل المادة واتفاق جميع الاسباب الجوهرية يكون مصدرها حركة
 اجزاء المادة مع الضرورة العمياء او الصدفة الصماء او النواميس

التي لاتعلم ولا تشاء ام ذلك كله من ابداع مبدع قادر وحكيم قاهر
 وعليم يعلم بما صار وبما هو صائر نعم ان جميع تلك الغرائب وعموم
 هاتيك العجائب ترفع اعلام الشهادة بان للعالم آلهما عليا وصانعا
 حكيميا يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ثم ان النبات وان كان كل
 نوع منه نعمة انعم بها الخالق سبحانه على خلقه ولكن بعضه تعظم فيه
 النعمة وتسمو فيه المنة وان يكن كل فرد منه غريبا ولكن قد
 يكون بعضه اعرق في الغرابة فلنذكر من ذلك طرفا بالتفصيل
 فنقول من النعم المستغربة في عالم النبات شجرة الخبز في جزائر
 الباسفيك تحمل ثمرات كروية قطرا صغرها اربعة قراريط وقطر
 اكبرها سبعة وثقلها اربعة وعشرون درهما وهي تجنى مدة ثمانية
 اشهر متوالية من كل سنة وهي خبز لاهل تلك الجزائر يقتاتون به
 كما تقتات بالخبز الصناعي وهو جل طعامهم اعده لهم الباري تعالى
 من دون عناء ما نكابه في تدير خبزنا وفي هذه الشجرة منافع
 اخرى فموائدهم من اخشابها وثيابهم من قشورها وقواربهم من
 سوقها ومن ذلك شجرة الحليب وهي شجرة يوجد منها في الهند ما
 يسمى هياها يخرق ساقها فيخرج منه حليب جيد اختر من حليب
 البقر وفي برازيل شجرة منها تسمى (ما سارندوبا) تزهر في شباط
 وتثمر ثمرا طعمه كشراب الليمون ويستخرج من ساقها لبن ابيض

شهري الفخر من حليب الماشية يتغذى منه السكان ويتخذونه جل
 قوام حياتهم ومن ذلك شجرة القشدة وهي شجرة هندية وافريقية
 تحمل ثمرها كالكشدة قواما وطعما يبقى شهرا في البلاد الحارة
 في الانية ولا يتغير لونه ولا طعمه ومن ذلك شجرة النارجيل اي
 الجوز الهندي فان منافعا قل ان تحويها شجرة فقد قيل انه يتخذ
 من جوزها قبل نضجه شراب وبعد نضجه ما يحكي الحليب وتطبخ
 اوراقها كالخضر ويتخذ من عصارة ازهارها سكر ومن اخشابها
 وقشر جوزها اوان وصحون وجفان وتشاد من اخشابها ايضا
 البيوت وتسج من اوراقها حصر ومظلات ويتخذ من خيوط اليافا
 ثياب ومناخل وقلوع وحبال ومن دهن جوزها زيت ومن نشارة
 انشايها حبر للكتابة ومن اوراقها قراطيس للكتابة ايضا وشجره
 النخل لا تقصر كثيرا عنها في وفرة المنافع فترى ثمرها يؤكل زهرا
 وبسرا ومذنبا ورطبيا وتمر وهو فاكهة وقوت وذخيرة ويتتفع
 باخشابها وجريدها وعراجينها واليافا حتى بنواها فيطحن ويعمل
 قوتا للجمال فسبحان المنعم المتفضل على عباده بغرائب نعمه وعجائب
 مننه القادر على تنويع الانواع وتطوير الاطوار وخاتمة الكلام
 في عالم النبات ان نقول ان احق الناس بالاستدلال بشؤون النبات
 على وجود الصانع القادر العليم الحكيم اهم العلماء النباتيون الذين

ملؤوا المجلدات في شروح احواله وشؤونهم فتراهم قد خاضوا في
 البحث عن كيفية استفراخه ونموه والتغيرات التي تطرأ عليه
 من اول زرعته الى ان يبلغ غايته وعن كيفية تناسله وتلقيحه جنينه
 بمادة اللقاح التي هي كنى الحيوان وعن تشرح ابنية جذوره وسوقه
 واغصانه واوراقه وبراعمه وازهاره واثماره وبزوره وعن اعضاء
 كل منها ونظومات قيامها فيه وخواصها ووظائفها ومنافعها وثقلباتها
 وعن مدد حياته واختلاف انواعها وعن انقسامه الى صفوف
 وعيال واسباط واجناس وانواع وتباينات وافراد الى غير ذلك مما
 يحير العقول ويدل على عظمة قدرة خالقه وحكمة مصوره جل وعلا
 فتبارك الله رب العالمين فهؤلاء العلماء يكاد العقل لا يصدق بوجود
 طبعين منهم منكرين للخالق سبحانه كيف وقد اطلعوا على
 تفاصيل هذا العالم ودقائق صنعه المحتاجة الى صانع قادر ومدبر
 حكيم عليم

ثم نرى العالم الحيواني من سكان هذه الارض ذلك المصنوع الذي
 بلغ اعلى منازل الغرابة واسمى درجات الاحكام والاثقان بينما
 نرى النبات الذي مثل بالغذاء والنمو المواد الجمادية الى بنيته
 النباتية ناجما على وجه الارض اذ نرى الحيوان قد التقمه وسلمه
 لآلة فمه فسحقته وهضمته بالسحق ومزجه باللعب ليحصل به بعض

الهضم ثم ازدرده الى معدته وامعائه فهضمته اتم الهضم بسبب الحرارة
 والعصارات المفرزة هناك واستخلصت منه المادة المغذية وجرت
 هناك اعمال تختار عندها العقول ثم انتقلت تلك المادة المغذية
 الى اعضاء سوى المعدة والامعاء واخذت تنطور باطوار بسبب اعمال
 تلك الاعضاء فلبست صورة الدم ثم بعد تنظيفها بالدورة الدموية
 اخذت تنوزع على جسد الحيوان فدخلت اقسامها في بنية كل
 عضو منه عوضا عما يتحلل من ذلك العضو ولبست حصة منها صورة
 منى الحيوان وبزوره ثم بعد التلقيح لبست صورة علقية ثم مضغية
 ثم اخذت تتصور وتتشكل وتنمو لها اعضاء يقوم كل منها بوظيفة
 الى ان يكمل تكوينها كالحیوان الذي تطورت تلك الاطوار داخل
 بنيه وحلت فيها الحياة الحيوانية الحساسة فكانت حيوانا طبق
 اصله سميعا بصيرا شامًا ذائقا لامسا ثم ينفصل عن اصله وياخذ في
 السعي على رزقه حسب نوعه وقد تنموفيه قوة الادراك على قدر
 ما يحتاج اليه في تدبير معيشته وقد تزيد عن ذلك بمراتب حتى
 يصير ذلك الحيوان عاقلا عالما وحكيما مدققا يجول فكره في كل
 شي ويتصرف في كثير من الكائنات في هذا العالم فتبارك الخلاق
 العظيم الذي ينشي هذا المصنوع من الماء والطين وهذا المخلوق العجيب
 مع اشتراكه مع النبات في بعض الخواص كالنمو والاغذاء والتوالد

قد فارقه في ان له ادراكا واحساسا بحواس ظاهرة وباطنة ليست
 في النبات وفيما هو اعظم من ذلك كله وهو القوة العاقلة التي
 يستدل بها ويستنبط ثم هو ينقسم الى اجناس وانواع واصناف
 متفاوتة اشد التفاوت في صفاته فمنه ما بلغ غاية عظمة في الكبر
 كالفيل الذي علو الكير منه اثنتا عشرة قدما ومنه الصغير جدا حتى
 لا يرى الا بالمكروسكوب الذي اظهر عوالمه المتوعدة في الصغر فتلك
 المخلوقات الخفية تسمى النقايات لانها اكتشفت اولاً في نقاعة
 الاعشاب ومع ان الوفا وربوات منها تسبح في قطرة من الماء دون
 ان تزدهم او تتصادم فلها الحياة وكل آلتها وهي اجناس وانواع
 وصنوف وصور مختلفة فمنها النقايات الفصفورية التي يجتمع منها
 خلق كثير لا يحصى على وجه البحر فتسمع وتثوقد كسيل من نار وكلها
 لاتنام ليلاً ولا نهاراً ولم ترقط في حال السكون الا قبل خروجها
 من جراثيمها وقد تبين من بحث علماء الحيوان ان مائة وستين
 مليوناً من صغارها لم تبلغ ثقل قمحة واحدة وان في قطرة واحدة
 من الماء ما يزيد عن كل اهل الارض من البشر وراقبوا بعضها
 فروا الواحدة منها قد تلد الوف الالوف في زمن قصير ثم ان
 لتلك النقايات اعضاء كثيرة مختلفة وعندها معرفة في طلب
 معاشها وميل الى ما يلائم ونفور عما يضر ونباهة تنقي بها الاخطار

ولا يصدم واحدًا صاحبه أو يزاحمه مع أن الوفا وملايين وربوات
تسبح في قطرة واحدة من الماء كما قدمنا وهي سرية الحركة جدا
والغاية في صغرها ما ذكره بعضهم أن نوعا منها لا يزيد الواحدة منه
على جزء من ألفي جزء من الشعرة ولكل منها أعضاء خادمة
لحياتها فتبارك الخلاق القدير ومن الحيوان ما يعيش عمرا طويلا
وما يعيش عمرا قصيرا وقد تخالف في مدد أعمارهم تخالفا غريبا
واختص كل منه بمدة لا يصل العقل إلى علة ثبوتها له على وجه
قطعي فنرى الحيوانات الجماء تعمرا أكثر من القرناء والجريئة أكثر
من الجبانة والمائية والبرية أكثر من الهوائية لكن الرخمة والنسر
والبيغاء والغراب تعيش قدر ما يعيش الإنسان وما اشتهر أن
النسر الذهبي يعيش مئتي سنة والسلحفاة مائتين وعشرين والقيط
أكثر من مائة سنة والضفادع البرية والمائية أطول حياة من سائر
الحيوانات التي تعدلها في الحجم وقد راقب بعضهم ضفدعا ستا
وثلاثين سنة ولم يظهر شيء من علامات الكبر فيه والفرس يعيش
غالبا ثلاثين سنة ولم يعلم أن فرسا بلغ الستين وإن معدل عمر الغنم
خمس عشرة سنة ومعدل عمر الكلب عشرون وهكذا لكل
حيوان من كبير وصغير عمر يخصصه ولم يتوقف طول أعمارها وقصرها
على المسكن والمعيشة أو كبر الجسم أو صغره ولا على غير ذلك كما

رايت فاذن لا بد لها من مخصص مخصص كل منها بعمره الذي
 جعله له وهو الخالق الذي ابرزها من العدم ومخصصها من القدم
 يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن الحيوان ما يعيش في الهواء وما
 يعيش في الماء وما يعيش على سطح الغبراء وما يعيش في اثنين من
 ذلك ومنه ما يمشي على قدميه ويداه آلتان لاعماله وتناوله غذاءه
 او هما جناحان يركب بهما متن الهواء ومنه ما يمشي على اربع ومنه ما
 يمشي على اكثر من ذلك حتى يبلغ عدد العشرات كالحشرة المسماة
 ام اربع واربعين ومنه ما يمشي على بطنه بواسطة الفلوس التي
 عليها ويتسلق الاشجار والجدران وذلك كالحية ومنه ما يتناول
 غذاءه بيديه وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه
 كالفيل وما يتناوله بلسانه كالخرباء التي تمد لسانها الطويل المبتل
 بمادة لزجة تخطف به الذباب وامثاله من الهواء ومنه ما تنقف بيوضه
 في داخل جسده عن جنينه ويتم خلقه فيه ثم يلد كالكثير
 الحيوانات البونية ومنه ما تخرج بيوضه منه ثم يتخلق جنينه فيها
 مهياً له داخلها جميع ما يلزم له من الغذاء وذلك كالطير وبعض
 الحيات والحردون ومنه ما لا يتم تلقيح بيوضه بمنى ذكره الا اذا
 وصل المنى اليها داخله محفوظا من الهواء وان لحقه الهواء فسد
 ومنه ما يلقي ذكره منيه على بيوضه بعد ان تلقيها انثاء خارج

جسدها وذلك كبعض الاسماك فلا يفسد منه بالهواء ولا بالماء
 ومنه ما يرضع اولاده بما يعده الخالق من الحليب في ثدييه او ثديته
 التي تكون على عدد اولاده غالبا ومنه ما يزرق اولاده زقا كالحمام
 ومنه ما يسعى باولاده ويدلهم على اقواتهم كالذجاج ومنه ما يشترك
 في تربيتهم الذكر والانثى منه وذلك عندما تكون اولاده غير قادرة
 على السعي في اول ولادتها وذلك كالعصافير والحمام والانسان لان
 انفراد الواحد بالتربية مع سعيه لرزقه ايضا يكلفه فوق طاقته ومنه ما
 تنفرد انثاه بالتربية وذلك عندما تكون اولاده قادرة على السعي
 مع امها كالذجاج والحجل ومنه ما يبني الاعشاش لاولاده بكيفيات
 غريبة اما نقرا في الاشجار واما عمارة بالطين واما غير ذلك ومنه ما
 يحملهم على ظهره كالحيوان الآكل النمل في اميركا او يحملهم في
 جراب عند بطنه يخرجهم منه وقت حاجة السعي على القوت
 ويدخلهم فيه عند المنام وهو حيوان في استراليا ومنه ذو المخرج
 الواحد تشترك فيه فضلاته ويوضه ومنه ما ليس كذلك ومنه ما
 سفاده في وقت معين لا يعدوه ومنه ما سفاده لايعين في وقت
 ومنه ما يعلو انثاه عند السفاد ومنه ما يدابرها ومنه ما يلصق جنبه
 بجنبها ويحاكمها حتى تلقي بيوضها وهو يلقي منه على تلك
 البيوض فيلقحها وذلك كبعض الاسماك ومنه ما يوضه تحاكي

بنقوشها الوانه كالخجل وبعض الدجاج الهندي المسى بين
 الناس بدجاج فرعون فان بيوضه مخططة بالوان تحاكي ريشه ومنه
 ما بيوضه بيضاء او بلون اخر غير مشوب بغيره لا تحاكي ريشه في
 شيء ثم ان بيوضه مختلفة الاشكال والهيئات والمقادير فمنها الكروي
 والمستطيل والكبير والصغير وغير ذلك ومنه ما يلد الواحد ومنه
 ما يلد الكثير حتى يبلغ عددا عظيما ومنه ما يكسي جسده بالريش
 الذي يحفظه من الحر والقر ويناسبه في طيرانه بتكوينه المحكم لتنظر
 الى ريش الجناحين للطائر حيث لا بد من امتداده مقدارا كافيا
 لحمل جسده في الطيران فقد جعلت اوائله الثخينة مفرغة لتخف
 عليه في الطيران ولكن مع تفرغها قد جعلت مادتها صلبة لدنة
 لتحمل الفواعل ولا تنقص بسهولة وجعلت اواخر هذا الريش
 مملوءة بمادة لينة خفيفة لا تثقل حملها ذلك تدير عجيب تجزم عند
 مشاهدته العقول بحكمة صانعه سبحانه ومع ذلك فقد اعطى الطيران
 غير ذي الريش وهو حيوان مكسو بالوبر ويطير بجناحين مكونين
 من جلد رقيق وبخالف بقية الطيور ايضا بانه ذو فم باسنان واكف
 صغيرة نابتة على جناحيه وذلك هو الخفاش الذي له خواص
 الحيوانات اللبونية فيشابهها في هيكله ومنه وتوالده وارضاعه
 وبخالفها بانه يطير في الهواء كسائر الطيور فسبحان من لا يحكم عليه

في مصنوعاته ناموس ولم تقصر قدرته على طريقه واحدة من طرق
 العمل فيلزمها ولا يتجاوزها الى غيرها بل يفعل ما يشاء وينوع
 مخلوقاته على ما يريد ومنه ما هو مكسو بالصوف او بالشعر او بالوبر
 او بالعظم كالسحفاة او بالقشور الغضروفية ومنه ما ليس عليه الا
 الجلد والبشرة ثم في اختلاف هياته واشكاله ما يدهش العقول
 فمنه الطويل والمستدير ونصف الكره ومنه طويل اليدين قصير
 الرجلين كالظرافة ومنه بالعكس كالارنب ومنه قصير العنق ومنه
 طويله حتى ان بعضه يلف عنقه كما يطوق الحبل وذلك كطائر
 اكبر من العصفور يوجد في بلادنا ومنه ذو العينين ومنه ذو
 العيون كبعض العناكب ومنه ذو الذنب ومنه ذو الالية ومنه
 مستطيل الاذنين ومنه مستديرهما ومنه ذو الحافر وذو الظلف
 وذو الحنف وذو القدم وذو البرائن ومنه ذو الكرش لحزن كمية من
 الطعام النباتي الذي يحتاج الى كمية كثيرة منه لكفاية الغذاء
 وذلك في اكلة النبات ومنه ما ليس له الا المعدة لان غذاءه
 الحيواني يكفي منه لتغذيته كمية قليلة ومنه ذو الاسنان الصالحة
 لتمزيق اللحم الذي يكون غذاءه ومنه ذو الاسنان التي تصلح لقضم
 النبات الذي هو غذاؤه وان في تكوين الاسنان لاسيا في الانسان
 وترتيب وضعها لعبرة لاولى الابصار فقد وضعت القواطع منها

في مقدم الفم محددة صالحة لقطع ما يحتاج لقطعه ويكتنفها
 الانياب مرآسة تصلح للكسر والتفتيت بحسب شكلها الذي يحكي
 شكل المعاول وقد اكتنفتها الاضراس مستورة عن النظر مكونة
 على شكل تصلح به للسحق والطحن وانظر لو خولف هذا الترتيب
 فوضعت الاضراس في مقدم الفم واخرت القواطع ماذا كان
 ينشأ من عسر تناول الغذاء وماذا كان في منظر الفم من البشاعة
 فسبحان الحكيم الخبير ثم في اختلاف سلاح الحيوان ما يهر الا لباب
 فمنه المخالب والانياب والقرون والخرطوم والذبان والسهم الناقع
 والفساء الكريه كما في الظربان وفي اختلاف تحصيله رزقه واحتياله
 عليه لاسيما الحيوان الاعجم عبرة لمن يعتبر فمنه ما يخرج من جسده
 مادة ويحيكها شبكة ينصبها لمثل الذباب ليعلق بها فيفتسه وذلك
 كالعنكبوت ومنه ما يحفر قلبيا في الرمل ويستتر في اسفله فاذا
 وقع فيه حيوان من نوع صيده اقتصره واذا وقع فيه ما لا يصلح
 لغذائه دفعه بحركة عجيبة تخرجه الى خارج القلب وذلك حيوان
 صغير يوجد في الرمل يسميه البعض باسد النمل ومنه ما يخطف
 الحيوانات الصغيرة الطائرة في الهواء مثل الذباب وذلك كالخفاف
 ومنه ما يحفر الارض للوصول الى رزقه ومنه ما يتسلق الاشجار ومنه
 ما يغوص في البحار ومنه ما يطوف في القفار ومنه ما يقف في باب وكر

صيده ويفسوفساء كريها حتى يميتة بذلك ثم يأكله وذلك كالظربان
 مع الضب واختلاف اقواته وكيفية تناوله لها وادخاره اياها امر
 في الغرابة عريق فمنه ما يقتات بالحبوب ومنه بالاوراق ومنه
 بالاثار ومنه باللحوم ومنه بالحشرات ومنه بانفس القوت ومنه باخبثه
 واقدرة وانجسه وذلك كالخنزير الاهلي ومنه ما يبلع قوته بلعاً ومنه
 ما يمضغه مضغاً ومنه ما لا يدخر قوتاً ومنه ما يدخر قوته في الصيف
 لاوقات الشتاء وله تدبير عجيب في ادخاره وذلك كالنحل والنمل
 وهذا الاخير اذا لحق ذخيره رطوبة الارض اخرجها في الصحو
 الى نور الشمس حتى تنشف ثم يخرق الحبة التي يدخرها حتى
 لاتنبت من الرطوبة وقد يخرق بعض الحبوب اكثر من خرق
 لادراكه ان الخرق الواحد لا يمنع نباتها وذلك كحبة الكزبرة فسيبان
 الهادي المبين ثم في اختلاف الوانه ما يسبح النظر ويحير الفكر فمنه
 الالبيض والاحمر والاصفر والازرق والاسود والمنقش بالالوان المختلفة
 ثم نرى النوع الواحد منه متساوي الافراد في لون واحد او متساويها
 في نقش واحد وذلك كالغراب والحجل وانواع من العصافير
 ونرى نوعاً اخر مختلف الافراد في الالوان كالخيل او في النقوش
 كالدياج ومنه ما نقوشه منتظمة بكيفية واحدة كالنمر والطاووس
 ومنه ما ليس كذلك كالدياج والحمام والقطط والشيء بالشيء

يذكر قد سمعت عن بعضكم ايها الماديون يعلل انتقاش جلد النمر
 بانه في القرون الغابرة كان يجلس تحت الاشجار المظلة قليلا فتصل
 اليه اشعة الشمس من بين خلال اغصانها فانتقش جلده بذلك
 النقش فارجو هذا المعلن ان يعلل لنا عن انتقاش ريش الطاووس
 باللون الذهبي والاخضر والازرق والعسلي والاسود والكحلي وغير
 ذلك باشكال منتظمة وتخطيط محكمة وعن انتقاش ريش الديكة
 التي لا يرى واحد منها الا بانتقاش غريب عن كثير من افراد
 نوعه وعن انتقاش ريش الورور والحسون وامثال ذلك كثير
 ولست اجزم بظلالان تعليل هذا المعلن لانتقاش جلد النمر اذ
 ربما يكون السبب هو ما قاله بخلق الله تعالى كما جرت عادته سبحانه
 بترتيب المسببات على الاسباب ولكني اريد منه ان لا يجعل الامر
 طبيعيا محضا بل يرد كل تعليل الى فعل الخالق سبحانه وتعالى والا
 فاني استعجزه بطلب تلك التعليلات ثم اقول ومما يقضي منه العجب
 في الحيوان اختلاف اصواته ومناظره فمنه المطرب الذي يهيج
 بصوته القلوب ومنه ذو الصوت المنكر الذي يصم الاذان ومنه
 الجميل الذي يستوقف الطرف كالطاووس والظرافة وبعض الديكة
 وابدع الجميع جمالا واطرفها مثالا الحسان من نوع الانسان
 فهناك دهشة النظر وحيرة الفكر والاخذ بجماع القلوب والسطوة

على ألباب ذوي الاحلام والسلطة على اية الجبابة والحكام فهل
عند القروء من ذلك عين او اثر لا وحق من زين العيون بالخور
والجباه بالطرر ومنه ما تقشعر منه الجلود وترجف القلوب كالتيلاء
والثعبان والخنزير والسعدان ثم منه ما يختص بانثى ومنه ما ليس
كذلك ومنه الذي يسعى لرزقه منفردا ومنه ما يسعى اليه
متجمعا سرايا وهذا منه ما يكون اجتماعه على نظام الجمهورية ومنه ما
يكون على نظام الملكية ويقم الحرس ويقدم الدليل والرائد للماء
والكلأ واختلاف اخلاقه امر عجيب قد الفت فيه الكتب فمنه
الجرى والحيات وقريب الالفه للانسان وبعيدها وغير ذلك
وكذلك اختلافه في القوة والضعف والصبر على عدم القوت وضد
ذلك ومقاومة الفواعل الخارجية وعدم مقاومتها فمنه ما لو نخس
باهرة في نخاعه الشوكي لمات في الحال وبطلت حياته كما قيل في
الانسان ومنه ما لو قطعت ثلاث قطع راسه ووسطه وذنبه وتركته
بعض ايام لرابت الراس قد نبت له بدن وذنب والوسط قد نبت
له راس وذنب والذنب قد نبت له راس ووسط وكل منها قد رجع
حيوانا والراس يصير كذلك قبل سواه وذلك كحيوان يسمى الهيدرا
من الحيوانات الصغيرة جدا فكل هاتيك الاختلافات دلائل
شاهدة بان صانع هذا العالم الحيواني لا يحكم عليه في صنعه ناموس

ولا تلجئه ضرورة الى التزام طريقة واحدة في ابداعه بل هو واسع
القدرة والعلم والتدبير ينشئ نوعا على كيفية تكون كافية له في
معاشه وقيام نظام حياته كاملة في زينة مرآه وينشئ نوعا اخر منه
بكيفية هي بالضد من الكيفية الاولى وتكون كافية تلك الكفاية
وكاملة ذلك الكمال تنبيهها للعقول وايقاظا للافهام انه فاعل مختار
لا يعجزه شي ولا يعزب عن علمه غيب سبحانه وتعالى عما يقوله الجاهلون
ثم ما في الحيوان من التركيب العجيب وتكون الاعضاء والحواس
الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلافات ابنتها ودقائق
صنعها وانطوائها على الفوائد الجمية والمصالح التي بنيت على الحكمة
امور تدهش الالالباب وتحير الافهام وترشد كل لبيب على ان لهذا
العالم صانعا عليا ومدبرا حكيما قادرا على ما يشاء مبدعا ما يريد
ولنذكر بالاجمال بعضا مما اطلع عليه علماء التشريح والفاسلوجيا
الباحثين عن حقائق اعضاء الحيوانات وابنتها ووظائفها
ومنافعها والمقصود منها فنقول اذا نظرنا الى الحواس الخمس في
الحيوان لاسيما الانسان نجد انها في اعلى طبقات الاثقان واسمى
درجات الاحكام ما وضعت الا لحكم باهرة وفوائد ظاهرة ولم يكن
حصولها بالصدفة ولا على وجه الضرورة شاهدة بان واهبها واسع
الاحسان على مخلوقاته

فالبصر هو القوة المودعة في العصبية المجوفة في العين المتصلة بالدماغ
 لتؤدي اليه صور المرئيات فتدركها النفس ثم العين هي آلة رسم
 الصور بواسطة النور وهي أكل الآلات البصرية اتقاناً لأنه قلما
 يعثر بها الخطأ الذي يعثر في سواها من الآلات البصرية وتحكم
 نفسها بنفسها لتحصيل الإبصار جلياً وهي موضوعة في تجويف من
 العظم يسمى الحجاج ومولفة من ثلاث طبقات وثلاث رطوبات
 مما يلزم لها من الرباطات والاوردة والشرابين والاعشية والعضلات
 فالطبقات اولها الصلبة وهي غشاء لدن متين ظليل اي لا ينفذه
 النور ولا يرى ما وراءه يحيط بباقي الصبقات وجميع الرطوبات
 لوقايتها وحفظ نظام ترتيبها واوزاعها الا ان في مقدمه قطعة شفافة
 كزجاجة الساعة في شكلها في التحذب من الخارج والتعبر
 من الداخل ونازلة فيه كما تنزل زجاجة الساعة في حلقها النحاسية
 وهذه القطعة تسمى القرنية وثانيتها المشيمية وهي ناعمة كالخمل
 سوداء اللون ومتوسطة بين الصلبة والشبكية وثالثتها الشبكية وهي
 مكونة من انبساط العصبية البصرية التي تنشأ من الدماغ وتدخل
 العين من مؤخرها والرطوبات اولها المائية وهي سائل صاف شفاف
 موضوع في غرفة وراء القرنية ويحد هذه الغرفة من ورائها حجاب
 مشقوب من وسطه يسمى القزحية ولونها اسود او ازرق او اشهل او

غير ذلك ويسمى الثقب الذي في وسطها البؤبؤ وثانيتهما البلورية وهي جسم لدن املس شفاف كالعذسة المحدبة من وجهيها وهي اكثف في الوسط منها في الجوانب وموضوعة وراء القرنية وثالثتها الرطوية الزجاجية وهي جسم شفاف لزج كبياض البيض النئ وتشغل ما بقي من الحلاء وراء البلورية داخل العين حتى تصل الى الشبكية ثم ان العامل يرسم صور المرئيات في العين هو النور الواقع على المرئيات والمنعكس عنها الى داخل العين والنور له نواميس قد فطر عليها بها ينقل الصور ويرسمها ولكن من مقتضى بعضها انه لو لم تدبر له الحكمة الالهية تدابير في تركيب العين لما تم الابصار ولكانت تتشوش على العين صور المرئيات ويان ذلك ان النور اذا وقع على جسم كثيف خشن انعكس عنه ورسم صورته على ما يقابله خصوصا اذا كان المقابل صقيلا ولكن اذا وصل النور الى المقابل على خطوط مستقيمة يرسم عليه الصورة غير واضحة لان اشعته كلما امتدت انتشرت وتباعدت خطوطها فيحتاج في رسمه الصورة واضحة على الجسم الصقيل المقابل ان تكون الخطوط عند وصولها اليه متجمعة ثم ان خطوط النور انما تتجمع اذا مرت في جسم شفاف عدسي الشكل اي محدب الوجهين كالعذسة او محدب الوجه الواحد ومستوي الوجه الآخر او محدب الوجه

الواحد ومقعر الآخر ثم الخطوط المتجمعة بسبب مرورها في هذه
 الاشكال انما يكون معظم تجمعها في الوسط ولا تساويه اطراف هذه
 الاشكال في الجمع لاسيما اذا كان الوسط اكثف منها وكذلك
 تتجمع خطوط النور اذا مرت على جسم شفاف كثيف بعد مرورها
 في جسم اللطيف منه بخلاف ما اذا مرت في جسم كثيف ثم مرت
 في جسم اقل منه كثافة فانها تتباعد وتأخذ بالانتشار ثم ان النور
 ينعكس عن كل الالوان الا اللون الاسود فانه يتشربه فلا ينعكس
 عنه كما انه لا ينفذ الجسم الملون بالاسود وما يقاربه وكل هذه
 الالوان تمتصه وتخففه واكملها في امتصاصه اللون الاسود ثم انما يرسم
 النور الصورة واضحة بعد تجمع خطوطه اذا كان الجسم المرسوم عليه
 على بعد مخصوص من الجسم الذي انعكس عنه النور او من الجسم
 الذي نفذ منه النور اذا تقرر جميع ذلك وعلمت ما ذكر من نوااميس
 النور فلنشرح كيفية الابصار فنقول اذا وقع النور على المرئيات
 انعكس عنها ودخلت خطوطه العين ورسمت على الشبكية صور
 المرئيات وهي توديتها باحساسها الى الدماغ لكن بانعكاسه عن
 المرئ تكون خطوطه مستقيمة ولو بقيت سائرة بدون تجمع حتي
 وصلت للشبكية لكانت وصلت اليها منتشرة متباعدة فت رسم
 الصورة غير واضحة فدبرت الحكمة الالهية انه في اول ما يدخل

النور العين يلاقي القرنية وينفذها وهي لتحذب وجهها الخارج
وتنقر وجهها الداخل تجمع خطوطه بعض الجمع ثم ينفذ الرطوبة المائية
وهي لكثافتها تجمع خطوطه ايضا زيادة تجمع وتلاصق بينها لتقوى
على رسم الصورة ولكن لما كانت الشبكية التي ترسم الصورة عليها
مقعرة فلو وصلت اليها جميع الخطوط التي تمر في المائية على هذا
المقدار من التجمع لرسمت الصورة على وسطها وجانبيها فتكون
حينئذ منبسطة مشوشة ولا سيما اذا كان النور كثيرا مجبرا للبصر
بكثرتة فدبر الحكيم سبحانه هذا الامر ووضع غشاء القزحية خلف
الرطوبة المائية مثقوبا من وسطه ثقباً حلقياً وهو البؤبؤ وجعل
توسعته وتضييقه تحت ارادة الناظر بسبب العضلات التي ربط
بها ذلك الغشاء حتي يدخل الناظر ما يحتاج اليه من كمية النور
النافذ من الرطوبة المائية فيوسعه اذا كان النور قليلا لتدخل كمية
كافية ويضيقه اذا كان كثيرا لئلا تشوش الصورة ثم صبغ اطراف
القزحية المذكورة بلون اسود او ازرق او اشهل او غير ذلك لما
يمنع نفوذ النور ويخففه بالامتصاص حتي لا تنفذ الخطوط الواقعة
على اطراف القزحية حول البؤبؤ وتصل الي اطراف الشبكية
فتتشوش الصورة كما قلنا ثم تنفذ الخطوط الرطوبة البلورية التي
هي محدبة الوجهين فتجمع ايضا زيادة عما تجمعت اولا ولا سيما في

الوسط لان وسط البلورية اكثف من اطرافها وقد جعل الحكيم
الخبير تلك البلورية تحت ارادة الناظر ايضا بان يزيد تحدبها او
ينقصه لان الخطوط النورية يزداد تجمعها كلما زاد تحدب الجسم
النافذة هي منه وينقص كلما قل تحدبه فالناظر يتصرف بها بحسب
احتياجه فيزيد تحدبها او يقلله ثم تنفذ الخطوط في الرطوبة
الزجاجية فتتجمع ايضا زيادة تجمع على ما قالوا حتى يكون التجمع
كافيا للرسم الواضح وحجم هذه الرطوبة هو بمقدار كاف لمسافة
امتداد النور من اول دخوله القرصية ونقوده منها وبما بعدها حتى
يصل الى الشبكية ثم لما تصل الخطوط الى الشبكية بعد تلك
التجمعات وترسم عليها الصورة تنفذ منها لشفافتها كمية من الخطوط
وثقع على الصلبة ولئلا تنعكس عنها وتصادم الاشعة الواردة من
الخارج فتتشوش الصورة جعل الحكيم جلت قدرته لون باطن
الصلبة اسود حتى يتشرب تلك الكمية من الخطوط النافذة اليه
من الشبكية ولا تنعكس ثم ان هذه الاوساط التي جمعت الخطوط
النورية جمعا بعد جمع ولخصتها ذلك التلخيص الكافي لرسم الصورة
واضحة بسبب الكثافة والشكل المحدب وتعين المسافة بين الجسم
النافذ منه النور والشبكية وتسائط الارادة على توسيع طريق مرور
الاشعة وتضييقه وعلى زيادة التحدب وتقليله مع منع التشويش

ايضا بواسطة الالوان فقد كان تعدد تلك الاوساط لحكمة اخرى
 باهرة كما قال بعضهم وهي ان النور اذا نفذ من جسم شفاف محدب
 انحل لالوانه المعروفة في فن الطبيعيات وهي الوان قوس السماء
 فتظهر الصورة التي ينقلها بنفوذه من الجسم المحدب ملونة بتلك
 الالوان وهذا يسمى الخطأ اللوني وصناع الالات البصرية
 يرفعون هذا الخطأ بضم جسم شفاف محدب الى الجسم الاول يحل
 النور عكس حل الاول فيعود الى لونه الابيض ويوصل
 الصورة غير ملونة ويرتفع الخطأ اللوني فعلى ما يقول ذلك البعض
 ان من جملة حكمة الباري تعالى في تعدد تلك الاوساط المذكورة
 وعدم الاكتفاء بامر واحد منها يجمع الاشعة دفعة واحدة دفع
 ذلك الخطأ اللوني فاذا نفذ النور من القرنية مثلا وانحل لالوانه
 تحله بقية الاوساط الجامعة لخطوطه من المائية والبلورية والزجاجية
 عكس ما حله القرنية فيعود الى لونه الابيض ويرفع ذلك الخطأ
 هكذا يظن البعض وهو قريب من الصحة اقول انهم قالوا ان مقتضى
 التجمعات التي تجمعها خطوط النور بواسطة ما مرت فيه من
 القرنية والمائية والبلورية والزجاجية ان لا تصل الى الشبكية الا
 وقد تقاطعت وصارت الاشعة المنعكسة من اعلى المرئ واقعة على
 الطرف الاسفل من الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المرئ

تقع على الطرف الاعلى من الشبكية وحينئذ تكون صورة المري
مقلوبة وقد احتاروا في التعليل عن كون العقل يدرك صورة
المري قائمة وهي قد رسمت في الشبكية مقلوبة واشهر ما عللوا فيه
ان العقل اعتاد على رؤية الاشياء المريئة قائمة حيث انها قد استوى
جميعها في هذا الانقلاب وشرحوا ذلك التعليل بكلام ريك
فالذي يخطر لي ان اشعة النور بعد نفوذها من الهواء في القرنية
والمائية والبلورية التي هي شديدة الكثافة في الوسط تجمع تبعا
كافيا لرسم الصورة واضحة قبل ان تتقاطع ثم اذا نفذت في
الزجاجية فلعل الزجاجية هي اقل كثافة من البلورية فتأخذ تلك
الاشعة في الاقتراق في مسافة سيرها في الزجاجية كما تقدم ان
النور تنتشر اشعته اذا مر في جسم الطف مما عرفه قبله حتى
تصل الى الشبكية فت رسم عليها الصورة قائمة لانها وصلت اليها على
الكيفية التي كانت عليها في اول ما نفذت في القرنية اي ان
الاشعة المنعكسة من اعلى المري وقعت على الطرف الاعلى من
الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المري وقعت على الطرف
الاسفل منها وحيث لم تتقاطع الاشعة فيلزم ان ترسم حينئذ
الصورة على الشبكية قائمة هذا ما اراه على وجه الاحتمال وبه يرتفع
الاشكال ويظهر للزجاجية فائدة لم تخطر قبل هذا في بال وما قيل

ان البعض قد شاهد من فتحة في مؤخر العين الصورة على الشبكية
مقلوبة فهو كلام لم اتحقق صحته وان ثبت عندي فيكون لي عند
ذلك مقال

هذا والى هنا وصل الباحثون في كيفية الابصار فغاية ما عندهم انهم
اوصلوا رسم صور المرئيات الى الشبكية وقالوا انها تؤدي الصور
الى الدماغ ولكن في كيفية ادراك النفس او العقل او الدماغ
على راي من ينكر النفس لتلك الصور فلم نجد لهم كلاما شافيا
بل نجد الكثيرين منهم واقفين حيارى عند محاولة الكشف عن
حقيقة ذلك فاذا تأملنا في جميع ما تقدم من تراكيب العين
والتديرات التي وضعت لها لاتمام ابصارها فيكون لادنى العقول
مجال ان يصدق بان ذلك الصنع العجيب الغريب في العين قد
حدث عن غير قصد وبدون حكمة بل الضرورة اقتضته والصدفة
اوجدته والانتخاب الطبيعي ابقاه كلاثم كالا يصدق بهذا الاكل
ذي عقل سخي وما من صاحب روية الا ويعتقد عند الاطلاع
على ذلك الصنع البديع ان له صانعا مريدا حكيما عليا مدبر الامر
وفق الاحكام والاثقان سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون علوا
كبيرا ولو نظرنا الى ان قطر العين اقصر من قيراط ومع ذلك يرسم
على شبكيتها صورة ارض واسعة بكل ما فيها من السهول والجبال

والاودية والصخور والمياه والاشجار والابنية والحيوانات مستوفية
التفاصيل فكأن الشبكية شاطئ بحر وامواج النور تجري اليه
من كل النواحي وتتفقد عنده الوف الوف على الوف الوف
لحارت افكارنا في دقة تلك الصورة التي رسمت على الشبكية وفي
صغر نجمها محاكاة لتلك الارض الواسعة وجميع ما اشتملت عليه
لم تقادر منه شيئا فما اسمى قدرة من ابداع ذلك ودبره بحكمته
سبحانه ما اعظم شأنه واذا راجعنا تشرح العين واطلعنا على ما
احتوت عليه من العضلات والاعصاب القائمة بوظيفة حركتها
والشرايين والاوردة الخادمة في تغذيتها وغير ذلك من الرباطات
والرطوبات لزيد بنا العجب والحيرة ثم اذا انتقلنا الى خارج العين
نجد من تدابير الباري تعالى في محافظتها وتسهيل طرق اداء وظيفتها
احكم صنع وانقن وضع وذلك ان العين لما كانت لطيفة يخشى عليها من
مصادمات الاجسام ولو صغيرة جدا وضعها خالقها داخل الحجاج
محفوظة به من كل جانب الا الجهة التي يدخلها النور لرسم الصور
وجعل الطبقة الاولى منها وهي الصلبة مع القرنية لدنة حتى تقوى
على المصادمة بعض القوة وسترها ايضا بالاجفان لوقايتها لاسيما عند
المنام وللزينة ايضا ثم انبت على اطراف الاجفان الاهداب شعرا
اسود ثخينا لدنا منتصبا مع ميل الاعلى منها الى فوق قليلا والاسفل

الى تحت كذلك اما سواده فليتشرب بعض النور الوارد على العين
 لاسيا اذا كان قويا كما ان الحاجبين فوق العينين بلون السواد
 او نحوه لاجل الزينة ولهذه الحكمة وهو تشرب بعض النور الوارد
 على العين ولذلك نرى من كان لون حاجبيه واهدا به ايض يجهر
 بصره ويتخاثر وانما لم يحصل الاكتفاء بتقليل كمية النور وتخفيفها
 بتضييق بؤبؤ القرنية لان ادامة تضييقه يلزم منه دوام تخاثر
 العينين وبشاعة المنظر واما ثخن شعر الاهداب وانتصابه مع لدونته
 فلمقاومة الاجسام الصغيرة الواردة على العين فانها اذا ورد عليها
 حبة تراب مثلا وقعت غالباً على الهدب فصادت شعراته كالحراب
 المشرعة تمنعها من الوصول الى الداخل وتدفعها بلدونتها الى بعيد
 واما كون شعر الهدب الاعلى مائلا الى فوق قليلا والاسفل الى
 تحت كذلك فلتسهيل افتراقها عند ارادة فتح الاجفان لانها لو
 كانا متوازيين في الانتصاب لانتبطا على بعضهما عند انطباق
 الاجفان وبسبب رطوبة الدمع يتلاصقان فيعسر افتراقهما ولو
 كانا متقابلين في الانتصاب بحيث تتداخل شعراتها عند
 الانطباق لكان عسرا افتراقهما مع الرطوبة الدمعية اشد وايضا هذه
 الكيفية تجعلها في طريق النور فينقل صورتها الى الشبكية فتتشوش
 صور المرئيات فوضعها في تلك الكيفية من الميل القليل الى فوق

وتحت هو عين الاثقان والاحكام لا يليق سواء وفضلا عن هذه
 الفوائد في الاهداب فالزينة بها لا ينكرها الاكل معدوم الذوق
 السليم ثم لما كان الغبار لا يندفع عن العين لا بالحجاج ولا بالاجفان
 للاحتياج الى فتحها عند النظر ولا بالاهداب وهو يذهب بصقالة
 القرنية ويعطل وظيفة شفافتها اذا وقع عليها ومع ذلك فتراكمه
 على العين يجلب عليها الضرر دبر الحكيم سبحانه وتعالى لجلائه عنها
 افراز الدمع من الغدة الدمعية حول المقلة داخل الاجفان وجعل
 الاجفان متابعة الحركة بالانطباق والانفتاح على غاية من السرعة
 التي يضرب بها المثل حتى لا تعطل الابصار ويتشوش فالدمع
 يغسل الغبار الذي يقع على المقلة والاجفان بحركتها تصقلها وتزيج
 الدمع الممتزج بالغبار عنها ثم ذلك الدمع الذي حار قنوا بالغبار
 لا بد من خروجه عن المقلة على وجه مناسب فلو انه كان يخرج
 دائما الى ظاهر الاجفان ويسيل على الخدين لراينا هناك منظرا
 بشيعا ومسيلين من اقذر المسيلات فدبر الحكيم سبحانه لتسهيل
 انفصال ذلك الدمع عن المقلة تكوين اطراف الاجفان من الداخل
 بشكل يصلح لجريانه الى الموق اي الطرف الذي يجاور الانف ثم
 جعل هناك ثقباً رفيعاً نافذا الى داخل الانف يسمى القناة الدمعية
 يخرج الدمع منه ويصل الى داخل الانف ويختلط برطوبته

ويتجمد هناك معها فيخرجه الحيوان بالاستئثار ونحوه اقول ان
 هذه القناة الدمعية لا يصدق عقلي انها حصلت للحيوان بوجه
 الصدفة او الضرورة فضلا عن جميع تلك التداير واي ضرورة
 اقتضتها فسبحان الحكيم الخبير

ولو نظرنا الى منافع البصر للحيوان وفوائده باهتدائه به الى طرق
 معاشه ونجاته من مخاوفه ورؤيته مباحجه وكشفه به ما يبعد عنه
 ملايين من الاميال كما يكشف به ما يقرب منه لجزمنا بان واهبه
 جزيل الاحسان واسع العطاء متفضل على مخلوقاته باتم النعم واكمل
 المنن تعالى شأنه وتقدس سلطانه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند اطلاعهم على تدبير كيفية الابصار
 بتلك الاوضاع وهاتيك النواميس يقولون ويعتقدون بان الابصار
 ما هو الا بمحض خلق الله تعالى وتلك الاوضاع وهاتيك النواميس
 المشروطة لحصوله ما هي الا شروط عادية اي ان الله سبحانه اجري
 عادته بان يخلق عندها الابصار ولو اراد ان يخلقه بدونها لفعل
 كما انه لو لم يرد خلقه مع توفر حصولها ورفع الموانع لما كان
 ولا حصل ولهم على ذلك ادلة قاطعة مذكورة في كتبهم يطول الكلام
 بسردها هنا وقد تقدم لكم في اثبات صفات آله العالم ما يفيد انه
 لا اثر في العالم الا بخلقه سبحانه وايجاده والابصار من جملة الاثار

التصديق فان اولئك القوم هم المطلعون على تفاصيل اعجب العجائب
 في مصنوعات الباري تعالى وهل لنا دليل عقلي عليه سبحانه
 الا بمصنوعاته وغرائبها فاذا تأملها المتأمل واطلع على تفاصيلها وظهر
 له اتقانها والقصد والحكمة في تكوينها وسقطت من البين الضرورة
 والصدفة تجدد الايمان قد رسخ في قلبه رسوخ الجبال وتسامى فوق
 الافلاك عن ان تطاوله يد الضلال

ولو قال قائل انا نرى بعض اناس ممن يدخلون في المدارس التي
 تدرس فيها علوم الكائنات لاسيما علم النبات والحيوان للتوصل
 الى علم الطب ونحوه يخرجون بعد درسها ومعرفة اسمها مارقين من
 الدين الاسلامي مروق السهم من الرمية فنراهم قد رفضوا
 الاعتقاد بموجد العالم واحالوا وجوه الكائنات واثار هذه الموجودات
 على المادة وحركة اجزائها والطبيعة والنواميس وامثال هذه المسميات
 ومتى هدم عندهم هذا الركن فاي اعتقاد لهم في الدين الاسلامي
 يبقى واي عبادة لهم فيه تقصد واي ادب من ادابهم يحمدهم ولا سيما
 اذا درسوا فن الطبيعيات واطلعوا على نواميس الكائنات وكيفية
 تاثيرها في التفاعلات فاين القول حينئذ بان الذين يطلعون على
 تفاصيل تلك العلوم هم الجديرون بقوة الايمان والاعتقاد بوجود
 خالق الاكوان فاقول اني اجيب ان شاء الله تعالى عن هذا

الاشكال الجواب الكافي الشافي وارغب الى اهل ملتنا المحمدية
ان ينتبهوا من جوابي لما حل في بعض ابنائهم من البلاء العظيم
والمصاب في الدين الجسم وليتداركوا هذا الامر قبل ان يعظم
الخطب فليعلم ان هذه العلوم التي تقدم ذكرها من علم النبات
والحيوان ومثلها علم الفلكيات والجويات وباقي العلوم الطبيعية
التي تبحث عن نواميس الكائنات من نحو نواميس النور والماء والهواء
والكهربائية وغير ذلك لاشك ولا ريب ان مباحثها تدل باقوى
الادلة على وجود الخالق لهذه الكائنات المبحوث عنها في تلك
العلوم وانه تام القدرة وسامي الحكمة اذ هي اثاره وانما يستدل على
المؤثر بالاثار لانه في مباحثها تنكشف للعقول اسرارها وحكمها
وتظهر انها مصنوعة لقصد وموضوعة بتدبير ولكن طريق الاستدلال
على المؤثر يوجد فيها عقبة كئود هي مزلة اقدام ومزلة افهام وذلك
ان العقل البشري عندما يرى الاثار ويشعر في البحث عن مصدرها
تراه اذ لم يدقق النظر فقد يصل الى مصدر لها ظاهري فيظنه هو
المصدر الحقيقي فيقف عنده فبعض من خاضوا في تلك العلوم
واطلعوا على تلك الاثار التي يبحث عنها فيها اخذوا يبحثون عن
مصدرها بغير دقة نظر ولا تعمق في البحث ولم يكن عندهم ما يوقظ
افكارهم ويرشدهم الى المصدر الحقيقي من نحو الاعتقاد بشرع

صحيح فوصلوا الى مصادر لها ظاهرة من نحو المادة ونواميسها وقدرها
ايضا ان حركة اجزائها الفردية هي المصدر الفعال فاعتقدوا بوجودها
ولقصور تدقيق نظرهم لم تنبه عقولهم الى ان تلك الحركة والنواميس
هل تصلح ان تكون مصدراً لتلك الغرائب والعجائب ام لا ولا
الى ان المادة هل تصلح ان تكون مصدراً غير صادر عن شيء اخر
ام لا بد من صدورهما عن غيرها لوجوب حدوثها فوقفوا عند ذلك
الحد واصبحوا معتقدين ان مصدر هذه الكائنات هو المادة
ونواميسها وحركة اجزائها ومنكرين لوجود آله لهذا العالم ومرنوا
على هذا الانكار وصاروا ينسبون كل اثر يظهر لهم الى المادة
وحركتها والنواميس التي اكتشفوها ويعبرون عن ذلك بعبارات
شتى تقتنع بها عقولهم القاصرة فتارة يقولون هذا الاثر فعل الطبيعة
وتارة يقولون هذا الاثر فعل النواميس وامثال ذلك فبلغوا الغاية
في جمود الاعتقاد ثم ان منهم من اهلتم زخرفة تلك العلوم بان
يقاموا معلمين في المدارس التي تدرس فيها وجلبت بين ايديهم
تلامذة احداث اغرار لم يعلموا من الدين الاسلامي عقائده الحقة
ولا ما يجب ان يعتقد المؤمن في كيفية حدوث هذه الاثار
وتكون هذه الكائنات وانها بخلق موجد الارض والسموات فاخذ
اولئك المعلمون يثنون لاولئك التلامذة في غضون تعليمهم ما

انطوت عليه ضمايرهم من المعتقدات الباطلة وكلما اطلعوا على غريبة
من غرائب الكائنات وسر من اسرار الموجودات وحكمة من حكم
المصنوعات في اثناء درس تلك العلوم فعوضا عن ان يقولوا لم
انظروا اليها التلامذة الى عجيب صنع الله وسامي حكمته في ايجاد
هذا الاثر الغريب يقولون انظروا الى فعل الطبيعة واعجبوا من اثر
الناموس الفلاني وهلم جرا ولا يزالون معهم على هذا النمط حتى
ترسخ تلك الحالة في قلوبهم وتنطبع تلك التخييلات على صحيفة
افكارهم فلا تنقضي مدة اقامتهم في المدارس الا وقد اشربت
قلوبهم ان لافاعل في الاكوان الا الطبيعة وحركة اجزاء المادة
والنواميس وينحل عقد اعتقادهم بان للعالم الها خالقا فيخرجون من
تلك المدارس وقد فارقوا دين ابائهم وملة اسلافهم وقد كان في
رجاء اهل الملة الاسلامية ان يكتسبوا بهم رجالا عارفين ينفعون
اهل دينهم ويحمون حوزة شريعتهم ويسعون في نجاح اوطانهم فينجيب
رجاهم ويحقق مسعاهم ويخسرون من عدادهم جما غفيرا يحسبون
منهم وهم الاعداء الالاء للدين والدولة والوطن يخالفون اهلهم
في الاعتقاد ويفارقونهم في سلوك مناهجهم وعزائم مقاصدهم فانا لله
وانا اليه راجعون فعلى اهل الحل والعقد من حماة الدين الاسلامي
ان يتداركوا هذا المصاب الآتي بالاوصاب فلا ينتخبون معلمين

لتلك المدارس الاكل من صحت عقيدته على المنهج الاسلامي
 وسلمت طويته من الزيف والضلال وكان مؤمنا حقا وموقنا صادقا
 بل متحملا باداب الشريفة قائما بتكاليفها على قدر الامكان فان التلميذ
 مرآة شيخه تنطبع فيه صورته كيفما كانت وعليهم ان لا يدخلوا
 التلامذة في تلك المدارس حتي يقيموم اولا مدة كافية في مدارس
 دينية يصححون بها عقائدهم الاسلامية على اكمل الوجوه
 بحيث لا تزعمهم الشبه ولا تهولهم الاغاليط وتصلح نفوسهم بالاداب
 وتالف القيام بالعبادات وان عسر ذلك لخوف فوت الوقت
 الذي يصلح لتعليم تلك العلوم الدنوية فمن اللازم الضروري ان
 يقام في مدارسها معلمون للعقائد الاسلامية وبقية احكام الدين
 المحمدي يكونون كفاً لذلك يلزمون تعليمهم العقائد والاحكام
 الدينية مدة اقامتهم من اول دخولهم في تلك المدارس الى حين
 الخروج ولو في كل يوم ساعة من الزمان ويكونون محافظين على
 عقائدهم وادابهم وعباداتهم في تلك المدة ويوفقون لهم بين احكام
 الدين وما ظاهره مخالف له من تلك العلوم العقلية ففي هذين
 الشرطين وهما انتخاب معلمين لتلك المدارس من اهل الدين
 والاعتقاد الصحيح وتعليم التلامذة لعقائدهم الاسلامية وبقية
 احكام ملتهم قبل الدخول في تلك المدارس او في مدة اقامتهم

فيها تحفظ عقائد اولئك التلامذة من الزيغ وتسلم ادايهم الدينية
 من الفساد وتصان عباداتهم من الاهمال بل تكون عقائدهم من
 القوة والمثانة في مكان لما يكتنفها من مشاهدة تفاصيل مصنوعات
 الله تعالى وغرائب اعماله عند درسم تلك العلوم اذ كلما شاهدوا
 صنعا عجيبا وسرا غريبا سمعوا معلمهم المؤمن يقول انظروا الى صنع
 الله وسامي حكمته في اتيان هذا المصنوع البديع فيسبحون الخالق
 جل وعلا ويمجدونه وترى في قلوبهم عظمتة وتعظم في انفسهم
 قدرته فما تمضي مدة اقامتهم في تلك المدارس الا وقد اصبحوا من
 خيار المؤمنين وافاضل الموحدين ترى منهم رجالا يحمون حوزة
 الدين الاسلامي ويقيمون بناصر الدولة والوطن نساله سبحانه
 وتعالى ان يوفق اولياء امورنا لما فيه الخير لهذه الامة المحمدية
 ويجعل مكافأتهم على فضل الله تعالى وشفاعة رسول الله عليه
 الصلاة والسلام

هذا ثم اني اقول لكم ايها الماديون بعد جميع ما تقدم من النظر في
 احوال المحسوسات لو خضنا في مبحث الحياة والروح والعقل وقوى
 النفس من الحافظة والذاكرة وغيرها لتنا في تيهاء هذا البر الشاسع
 وغرقنا في اعماق هذا البحر الواسع ولم نصل الى تصور ماهية هذه
 الحقائق حق التصور ومعرفة كيف تحفظ صور الاشياء عند

الانسان وتذكر بعد ان تنسى وتزول عن صفحات الفكر وكيف
 تنصور العقولات وتقوم كليات الاحكام وجزئياتها في الاذهان
 وكيف وكيف من كل مسألة في هذا الباب لم تزل غامضة على
 افكار العلماء واذهان الحكماء لم يفتح معماها ولم تكشف خباياها وغاية
 المدعين لكشفها ان ياتوا بكلام غامض مجمل لا يشفي الغليل ولا
 يأسو الطرف الكليل فكأن ستر هذه الحقائق عن العقول البشرية
 اعجازهم من الله تعالى لينبهم بذلك الاعجاز على انه اذا قصرت
 افكارهم عن ادراك حقيقة انفسهم وعقولهم وقواها فاني لم القدرة
 على ادراك حقيقة الذي خلق تلك الحقائق وابدعها والغربة في
 ذلك ان الانسان الذي خاض في عقله بحار المعارف وعرف
 الافلاك والسيارات واطلع على عوالم الجمادات والنباتات
 والحيوانات هو عاجز عن معرفة نفسه وما هو القائم بادراكاته
 فسبحان من علم الانسان ما لم يعلم وحجب عنه معرفة نفسه وقواها
 فاصبح لدى ذلك اعشى اصم ابكم فيا ايها الماديون ابعد جميع ما
 شرحته لكم من الدلائل على حدوث الكائنات ووجوب وجود
 خالق الارض والسموات تصرون على قدم المادة وان حركة اجزائها
 هي المكونة للاكون وتشكرون اله العالم الذي نصب لكم الشواهد
 على وجوده مما هو كالبيان اني اعيد عقولكم من الاختلاط وافكاركم

من الاختباط امعنوا النظر وحرروا الفكر ولا تغتروا بالشبه الواهية
 والاغاليط التي ترميكم بالداهية فمدة الحياة قصيرة سريعة الزوال
 وفي صحة ما يقول اتباع محمد عليه الصلاة والسلام تلاقون
 بعد هذه الحياة عظام الاهوال وهناك لا ينفعكم الندم ولا ثقال
 عثرات القدم والعقل يتحرى الطريق الاحوط ويحترس من
 الموهوم البعيد الحصول فضلا عن القريب المامول تأملوا في حالكم
 وحال اتباع محمد عليه السلام تجدوا مثالكم معهم مثال رجلين
 دخلا قصرا مشيدا متقن البناء يشتمل على مخادع محكمة ومقاعد
 مزخرفة بابواب وشبابيك ومدارج ومداخل على غاية الاحكام
 وقد زينت تلك المخادع بالفرش الفاخر والسرر الرفيعة واقامت
 في ارجائه الاواني الثمينة وزينت جدرانها بالساعات وموازين
 الحرارة وموازين ثقل الهواء واحتوى على المرتفعات اللازمة
 لسكناه واحيط باجمل المنتزهات وابهج المناظر الزاهيات التي قامت
 فيها الاشجار وربت فيها منابت الازهار وقد اجريت مياهه في
 اقنيتها المتقنة وملأت منها حياضه المحكمة وكمل كل شي فيه من
 لوازم المعيشة من كل ما يقول ناظره انه وضع لحكمة وقصد وروية
 واحكام فقال احد الرجلين الداخلين عند ما شاهد هذا القصر
 وما احتوى عليه ان هذا الصنع لم يكن من نفسه البتة فلا بد ان

صانعا صنعه واثقن جميع ما فيه وهذا الصانع لاشك انه قادر على صنعه وعليم بطرق تاليفه ووضعه وقد انشاه على غاية الحكمة واتم الاثقان موفيا لوازمه ومكملا ادواته ليكون صالحا للاقامة وقضاء حق المعيشة في نواديه وهذا الصانع وان كان غائبا عن نظري ولم اره ولم اتصور في فكري حقيقته فاني لا اشك في وجوده ولا ارتاب في صفاته التي تقتضيها صناعة هذا القصر من قدرته وعلمه وحكمته واثقانه ورؤية شخصه ليست شرطا في اعتقادي بوجوده واتصافه بتلك الصفات لان اثره وهو هذا القصر وما اشتمل عليه يقنع عقلي في اعتقادي ذلك البتة ثم قال وان كان يشاهد في مشتملات هذا القصر بعض اشياء لم تظهر لي حكمة وضعها فلا بد ان يكون وضعها لحكمة وان خفيت علي لاني اقتنعت بما ظهر لي من الحكم في هذه المشتملات ان واضعها حكيم فلا يضع شيئا بدون حكمة وقال الرجل الاخراني لم اشاهد بنظري الصانع الذي تعتقد انه صنع هذا القصر فانا لا اعتقد بوجوده ولا باتصافه بتلك الصفات ولكن وجود هذا القصر في هذا الاثقان لا بد له من مصدر صدر عنه فاخذ يتأمل يمينا وشمالا واماما وخلفا فنظر جبلا مطلا على هذا القصر وفي اصله نبع ماء منه تستمد المياه التي في القصر فقال قد ظهر لفكري المصدر الحقيقي لهذا القصر ولجميع ما

فيه وذلك ان الريح تنحدر من راس هذا الجبل من قديم الزمان الى البقعة التي فيها هذا القصر فمن الوف من السنين لم تنزل الريح تنقل الاتربة والاحجار وتجمعها في هذه البقعة على اشكال وتضعها على اوضاع تتخالف وتتوقف ومياه الامطار تنصرف باشكالها وتجمعها وتفرقها كذلك واستمر تبدل تلك الاوضاع والاشكال تارة بغير انتظام وتارة بانتظام باعمال الريح والمطر حتى بلغت مع كرور الدهور الى هذا الشكل المنتظم بمخادعه ومقاعده وابوابه وشبابيكه ومدارجه وطرقه وحياضه واقنيتها والتصقت اجزائه بخاصية الطين المبتل بماء المطر فاصبح قصرا مشيدا محكما بجميع ما فيه من الصنع واما مياهه فانها انحدرت اليه من هذا النبع الذي هو في اصل الجبل ولم تنزل تجري في ساحته على طرق مختلفة تارة بغير انتظام وتارة بانتظام بسبب تحليلها لاتربة ارضه وبسبب فعل الريح والمطر في طرقها حتى بلغت على كرور الزمان الحالة المنتظمة التي هي عليها الان من سيرها في الاقنية وانصباها في الحياض التي صنعتها الريح والمطر واما اوانيه وفرشه وساعاته وموازينه فهذه ربما وقعت من بعض المسافرين الذين ينزلون بقوافلهم في هذا الجبل او في هذه البرية فلم تنزل الريح تلعب بها وتنقلها من حيز الى حيز وتتخالف بين اوضاعها فتقارب بينها وتباعد وتدخلها في

مخادعه وتخرجها حتى آل الامر على كرو الزمان الى ان الفرش فرشت
 بانتظام والاواني صفت باحكام والساعات والموازين علفت
 بالجدران وكذلك الاشجار والزهور التي في منتزهات ذلك القصر
 وهي على اوضاع متقنة قد نقلت بزورها الرياح الى بقاعه فتمت
 وبزرت هناك ولم تنزل تنقل بزورها وتخالف بين اوضاعها حتى
 انتظم وضعها وترتبت حدائقها على الحالة التي عليها الان والحاصل
 ان كثرة حركات الريح وتصرفات المطر وكون كل حركة او
 تصرف قد يوافق ما سبقه وقد يخالفه فينشأ عنه وضع غير الوضع
 السابق قد اوصلت هذا الصنع الى ما هو عليه وحيث وصل الى
 درجة متقنة محكمة فقد قوي على الثبات امام فعل الريح والمطر
 ولم تتغير اوضاعه واوضاع مشتملاته بعد بلوغ هذه الدرجة كما
 تغيرت الاوضاع السابقة وزال اثرها لان تلك الاوضاع لم تكن متقنة
 قوية على الثبات وانا لا استغرب صدور هذا القصر ومشمولاته
 عما ذكرته لان الريح والمطر وان كانا غير عاقلين ولا عالمين ولا
 يفعلان عن ارادة وقصد لكن كثرة حركاتهما وتصرفاتهما والتباين
 فيها على مرور الزمان اوصلت هذا القصر ومشمولاته الى هذا
 الاثقان ودليلي على ان صنع هذا القصر لم يصدر عن قصد ومراعاة
 حكمة انه يوجد في بعض مشمولاته ما لم يظهر فيه اثر للقصد والحكمة

فيا ايها الماديون ان اول هذين الرجلين هو مثال اتباع محمد عليه
 السلام القائلين بان الذي اوجد هذه الكائنات هو آله مر يد قادر
 عليم حكيم وان لم يصلوا الى رؤية ذاته فقد استدلوا بمصنوعاته على
 وجوده ووجود صفاته وان لم يظهر لهم حكمة بعض الكائنات فقد
 سلموا بان لها حكمة خفيت عليهم لما شاهدوه من الحكم التي لا تحصى
 في بقية الكائنات وثانيها هو مثالكم ايها القائلون بان حركة المادة
 هي التي كونت هذه الاكوان على مرور الزمان بكثرة ما احداثته
 من تباين اوضاع اجزائها على صور شتى حتى افضى الامر الى ما
 هي عليه الكائنات الان وبالا انتخاب الطبيعي تم بلوغها الى درجة
 تقوى فيها على الثبات وهو الذي حفظ نظامها وابقى احسنها وتعدلون
 على عدم وجود الحكمة والقصد في هذا العالم بان بعض الاشياء
 منه لم يظهر فيها من القصد والحكمة اثر وغفلتم عن الالوف المؤلفة
 من الحكم التي تشهد بان مصدر هذه الكائنات حكيم فتاملوا اي
 القولين من هذين الرجلين احق بان تقبله العقول السليمة وتذعن
 له الافكار الحرة الخالية عن التعصبات النفسانية والاهواء
 الشيطانية وعار ثم وعار على ذوي العقول ان يتركوا الحق بعد
 وضوحه ويكابروا في المحسوس بعد ظهوره والله يتولى هدايتنا
 اجمعين

هذا وبعد جميع ما اوردته لكم من الدلائل على وجود صانع العالم
 سبحانه واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه
 هو الموجد للمادة والماديات وجميع الكائنات مما يقع عقولكم ان
 شاء الله تعالى ويسلك بكم في سبيل الهداية فاني قد رايت في
 كتبكم شيئا لربما تكون عقبة في سبيل ايمانكم ان لم تعالجوا ازاحتها
 من امامكم بقواطع البراهين واما اذا تحررتم الوصول الى الصواب
 ومكنتم تلك الادلة التي اقمتموها لكم في قلوبكم وتصورتم عظمة ذلك
 الآله وسلمتم بعجزكم في سبيل المعرفة وقصور عقولكم عن الاحاطة
 به سبحانه وبجميع اعماله فتلك الشبه تسقط من البين ويكون
 اعتقادكم بوجود ذلك الآله وباحداته الكائنات امرا سهلا عليكم
 لا يكلفكم ادنى مشقة وانا اذكر هنا اشهر تلك الشبه المذكورة في
 كتبكم وادحضها عنكم ان شاء الله تعالى باوفى بيان فاقول الشبهة
 الاولى انكم تقولون لا يمكن ان تنصور عقولنا وجود شي ليس بجسم
 ولا مادة جسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة في صورة معقولة
 ولا له قسمة في الكم ولا في الكيف فعله منه وليس متصلا به تعنون
 بذلك الآله سبحانه وتعالى الشبهة الثانية انكم تقولون لا يمكن ان
 تنصور عقولنا وجود شيء من لا شيء تعنون بذلك انكم لاتعقلون
 حصول المادة من العدم الشبهة الثالثة انكم تقولون لو كان نظام

الكائنات بقصد وحكمة لكانت علامة القصد والحكمة تامة في كل شيء مع اننا نرى اشياء لا تنطبق على القصد والحكمة بل هي بخلافها فلا تنطبق الا على الضرورة فاقول قد علمتم من جميع ما تقدم ان اتباع محمد عليه السلام يستدلون على وجود اله العالم وصفاته بهذه الكائنات لان وجودها بنفسها غير ممكن مع قيام الدليل على حدوثها وهذه الكائنات قد بلغت من العظمة والصنع الغريب والاثقان والاحكام درجة رفيعة جدا تعجز عن الاحاطة بجميعها العقول البشرية فهي اذن تدل على عظمة مبدعها وعظمة صفاته وسمو حكمته جدا جدا الى درجة لا تدخل تحت الحصر ولا تحيط بها الافكار وهكذا شان العقل البشري ان يستدل على مقدار عظمة المؤثر بمقدار عظمة الاثار ها انتم ونحن نستدل على عظم الامم السالفة وسمو مداركها بعظمة اثارها ثم اذا نظرتم الى منزلتكم في العلم وهي انكم في غاية القصور فيه ولو انكم قابلتكم كلما علمتموه من الحقائق بما هو باق تحت حجاب جهلكم لكان نقطة من بحر وذرة من رمال بر هذا الشيء لا تنكرونه البتة لناخذ كتب الطب والكيمياء والتشريح والفائولوجيا والباتلوجيا والجولوجيا والفلكيات والجويات وبقية العلوم التي برعتم فيها والفتم المجلدات الضخمة وطولتم الشروح فما نفتح صفحة او صفحات الا ونجدكم تقولون الامر

الفلاني لم تنزل حقيقته مجهولة او لم تصل العلماء الى شرح حقيقته
 شرحا كافيا واختلفوا فيه ولم يقر قرارهم على شي قطعي في شأنه
 او ان الشي الفلاني لم تنزل وظيفته مجهولة او منفعتة خفية الى غير
 ذلك من العبارات التي تدل على كثرة ما تجهلونه من حقائق
 هذه الاكوان ولا تزالون مجتهدين في كشف حقائق الكائنات
 وابداء افكاركم فيها لدى المجامع العلمية وكثير منكم من يظهر له
 خطؤه فيما اجتهدني كشفه وصرف مقدارا من الزمان لاجله هذا
 امر مشاهد معلوم بينكم وبين جميع علماء هذا الزمان من غيركم
 الصارفين اوقانهم للاكتشافات العلمية وامثلته لا تدخل تحت
 الحصر وان كابرتم في ذلك ولم تقروا بكثرة جهلكم وقلة علمكم فجهلكم
 لحقيقة المادة التي ترونها وتلمسونها وعدم اجماعكم على بيان ماهيتها
 وهي ام الكائنات عندكم هو اكبر شاهد على ذلك ومثله عدم
 كشفكم لحقيقة ادراك الدماغ للرئيات والمسموعات والمذوقات
 والملموسات والمشمومات فغاية ما تقولون في ذلك ان العصب ينقل
 صور الاشياء للدماغ وهو يدركها اما بيان حقيقة ذلك الادراك
 بيانا كافيا فلم يتم لكم (ولن يتم) ومثل ذلك حقيقة الحياة فانكم
 تقولون على مذهبكم فيها انها ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة
 والعقل ظاهر من جملة تلك الظواهر واما بيان حقيقة ذلك الظاهر

بيان شافيا كافيا فلم تظهروا عليه ومن ذلك مسألة جزئية وهي انكم تحققت
 ان النور بمقتضى سير اشعته ونفوذها في طبقات العين يرسم صور
 المرئيات على الشبكية مقلوبة ولم تحققوا كيف ان العقل يدركها
 منتصبة وقد قدمت لكم احتمالا في هذه المسئلة لعله يرتفع به
 الاشكال وهذا باب واسع يطول فيه الشرح ان اخذت بتعداد
 كل ما تجهلون في مباحث علومكم ولكن الاختصار فيه البلاغ
 والقول الشافي ان جهلكم هو القسم الكبير وعلى هذا اذا تصورتم
 عظمة ذلك الآله بالاستدلال باثاره ونظرتكم الى منزلتكم في جهل
 الحقائق كان من الانصاف والصواب ان لا تتناولوا الى معرفة
 حقيقة ذلك الآله فان الذي بان عجزه عن ادراك حقيقة جميع
 اجزاء الساعة المصنوعة لا يليق به ان يتناول بمجرد رؤيتها التي
 تدل على ان لها صانعا الى معرفة حقيقة ذلك الصانع وصورته
 وشكله من انه ابيض او اسود او طويل او قصير او سمين او ضئيل
 الى غير ذلك فان من يراه يتناول الى هذه المعرفة يقول له ان
 هذا الامر منك سخافة عقل ان رؤية هذه الساعة انما تدلك على ان
 لها صانعا قادرا على صنعها عالما به واما انها تدلك على حقيقته وشكله
 وصورته فليس من طبيعة رؤيتها الدلالة على ذلك كيف وانت لم
 تعلم جميع اجزائها على الوجه التام وهي بين يديك مشاهدة حاضرة

تكلف نفسك معرفة حقيقة صانعها الغائب عن نظرك فتكلفك
نفسك بذلك تكليف شطط وسلوك سبيل غلط وان قلتم اننا
لانروم فهم حقيقة ذلك الآله من مجرد النظر في هذه الكائنات
بل نعلم ان مجرد رؤيتنا اياها لا يدلنا على حقيقته ولا يشرحها لنا ولكن
نقول لا يمكن لعقولنا ان تتصوره بتلك الخواص التي ذكرتموها له
بل تجزم عقولنا بانه لا يمكن وجود شيء متصف بهذه الخواص من
انه ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخر ما مر اذ لانعلم شيئا موجودا
من كل ما اطلعنا عليه متصفا بتلك الاوصاف المذكورة قلت
عدم تمكن عقولكم من تصوره لا يلزم منه عدم وجوده في نفسه اذ كثير
من الحقائق لم تتمكنوا من تصورها حق التصور ومع ذلك فهي موجودة
في نفس الامر لقيام الدليل على وجودها وهذا الجزم منكم بانه
لا يمكن وجود شيء متصف بتلك الخواص قد نشأ معكم من قياس
التمثيل كما يظهر من قولكم (اذ لانعلم شيئا موجودا من كل ما اطلعنا
عليه متصفا بتلك الخواص) فزعمتم ان كل موجود تلزمه اضداد
تلك الخواص قياسا على ما شاهدتم وهذا القياس ليس دليلا قاطعا
بل سماه اكبر رسائلكم دليلا خادعا وهو كذلك لانه كثيرا ما يخدع
الانسان ويوقعه في الغلط حتى يحكم على الشيء باحكام غيره مع
انه لم تكن له تلك الاحكام لفارق بينه وبين ذلك الغير لم يطلع

عليه المستدل وحيثئذ يقال لكم ما المانع من وجود ذلك الآله
 الذي ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخر ما تقدم وعدم اقتداركم
 على تصور حقيقته لا يفيد استحالة وجوده وقياسكم اياه على ما
 شاهدتموه في العالم المادي حتى جزمتم بانه لا يمكن وجوده هو قياس
 مغلوط لوجود فارق بينهما وان قلتم ما الذي يدعو الى اعتقاد وجوده
 قلنا هي اثاره التي دلت عليه وان قلتم ما الذي يدعو الى تنزيهه
 عن كونه جسما او مادة جسم الى اخره قلنا هو ما قام معنا من
 الدلائل على ان المادة وما يتبعها من الماديات وخواصها حادثة ولا
 يمكن ان تكون قديمة وهو سبحانه يجب ان يكون قديما ولو كان
 مادة او ماديا اوله خواص المادة لكان حادثا مثلها وهو محال وقد
 تقدم لكم شرح هذا في صدر المذاكرة معكم وان قلتم اننا نروم دليلا
 يوصلنا الى تصور حقيقة ذلك الآله قلنا لكم ان اتباع محمد عليه
 السلام قد ظهر لهم بالبحث والتدقيق ان الوصول الى معرفة حقيقته
 وتصورها ليست بظاقة العقل البشري وكذلك جاء في ظاهر
 نصوص الشريعة المحمدية وذلك لانه سبحانه عظيم جدا ومدارك
 العقول البشرية حقيرة جدا بالنسبة الى عظمتة وحقير الادراك
 لا يصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية وقد افهمتم شريعتهم
 ان الذي يكلفون به من جانب ذلك الآله هو معرفتهم به المعرفة

التي توصلهم اليها اثاره وهي الاذعان بانه موجود حي قادر مريد
الى آخر ما مر من صفاته التي تقدمت في صدر المذاكرة معكم
وكلفتهم ايضا باعتقاد بعض صفات له تعالى ليس لاثباتها ولا لنفيها
دليل عقلي فعرفتكم اياها فاعتقدوها وقد نهتهم عن الخوض والبحث
في حقيقة ذاته لاجل عجزهم عن ادراكها ولخشية ان يتصوروها
في عقولهم بخلاف ما هي عليه فيقعوا في الجهل المذموم وقد حذر
بعضهم من ذلك البحث فقال (كلما خطر ببالك فهو هالك والله
بخلاف ذلك)

ثم كما ان ذلك الآله عظيم جدا فاعماله في غاية العظمة يظهر ذلك
من التأمل في هذه الاكوان وما اشتملت عليه من الغرائب التي
مر لنا ذكر شيء قليل منها وانكم قد عجزتم عن ادراك كثير من
مصنوعاته واكتشاف حقائقها وازيدكم على ذلك هنا انكم تقولون
في اكتشافاتكم الجديدة ان الحركة تتحول الى قوة كهربائية
والقوة الكهربائية تتحول الى حرارة والحرارة تتحول الى نور فاسالكم
هل في وسعكم ان تنصروا كيف تتحول بعض هذه المذكورات الى
البعض الاخر ثم تعبروا عن تصوركم بعبارة تشرح لنا حقيقة هذه
التحولات لا اخال ان في وسعكم شيئا من ذلك غاية ما تقولون ان
تلك التحولات ناشئة عن تغير حركات اجزاء المادة واطرافها واما

ايضاح ذلك التغير وكشف حقيقته للاذهان وبيان الفرق بين التحول الاول والثاني وبين التحول الثاني والثالث وهكذا فدون ذلك خرط القتاد وكثير من امثال هذا تعجزون عن تصويره وايضا حـ فاذا كان عجزكم فاشيا في كثير من اعمال هذا الآله في مصنوعاته فما هو استغرابكم لعدم تصوركم انه كيف احدث العالم من لا شيء مع ان عدم تصوركم لحقيقة الامر لا يكون دليلا على عدمه في نفسه كما تقدم وان قلتم ان عقولنا تحيل حصول شيء من لا شيء لان في جميع ما شاهدناه ما راينا شيئا حدث من لا شيء ولا استطاع احد منا ان يحدث شيئا من لا شيء فلذلك حكمنا باستحالة ذلك قامت ان عدم مشاهدتكم حدوث شيء من لا شيء لا يلزم منه ان ذلك محال وعدم استطاعة احد منكم لذلك لا يلزم منه ايضا عدم قدرة ذلك الآله فحكمكم هذا ايضا بامتناع هذا الامر قد جاءكم من قياس التمثيل الذي لا يكون قطعي الدلالة بل كثيرا ما يوقع في الغلط كما تقدم وقد قسم قدرة ذلك الآله على قدرتكم وعلمه على علمكم واعماله على اعمالكم وهذا مع سخافته هو ظاهر الفرق بين المقيس والمقيس عليه فشتان ما بينكم وبين ذلك الآله الذي اوجد هذه الاكوان على هذا الاثقان انتم الى الان مع طنطنتكم ببراعتكم في صناعة الكيمياء لا تقدرّون على تحليل العناصر ولا تركيب جسم

حيوي يشتمل على خواص الحياة والصورة الحيوية وعجزكم عن
 عمل هذين الامرين البسيطين وعن اعمال كثيرة من اعماله تعالى
 لا يحتاج الى تطويل في تحرير البرهان عليه والدليل افلا تخبجلون
 بعد ذلك ان تقيسوا انفسكم بذلك الآله سبحانه واعمالكم باعماله
 على انكم لو تأملتم في اعمالكم لا تجدون لانفسكم صنعا حقيقيا فيها
 انظروا الى تحليلكم المعدن الفلاني مثلا الى عناصره او تركيبكم
 المركب الفلاني من عنصرين او اكثر يظهر لكم انكم ما اجريتم
 الا الاسباب في التحليل او التركيب التي اظلعتكم على انها تكون
 سببا في ذلك من نحو خلط كذا بكذا واهماء كذا وتعطيسه بكذا
 حتى يحدث التحليل او التركيب اما حقيقة تميز العناصر وكيفية
 انفصالها عن بعضها او حقيقة امتزاجها على اوضاع اجزائها التي
 ينشأ عنها المطلوب فانتم في الحقيقة تعجزون عن تصور جميع ذلك
 حق التصور وعن شرحه بالشرح الواضح فضلا عن انكم انتم الذين
 عملتم ذلك كله وخلصتم الاجزاء الفردة لكل عنصر من بين
 الاجزاء الفردة للآخر في صورة التحليل وخالطتم الاجزاء لكل عنصر
 مع الاجزاء الفردة للآخر على الاوضاع اللازمة في صورة التركيب
 وبهذا ظهر عجزكم في الصناعة ايضا كما ظهر عجزكم في الادراك
 والمعرفة ابعد ذلك تنظاولون الى قياس اعمال ذلك الآله على

اعمالكم وقدرته على قدرتكم وتحكمون بانكم اذا عجزتم عن
احداث شيء من لاشيء انه سبحانه يكون عاجزا عن ذلك اعوذ
بالله من الغرور فمن الواجب عليكم ايها المغرورون العاجزون
في العلم والعمل ان تسلكوا الطريق التي سلكها اتباع محمد عليه
السلام فانها المنهج العدل المستقيم الخالي عن كل عسف وهم قد
امتطوا فيه متن الاحتراس والحذر والاخذ بالاحوط وذلك انهم
قد قام عندهم الدليل القاطع على وجود آله العالم بمشاهدة اثاره
الغريبة العظيمة الدالة على عظمة ذاته سبحانه وظهر لهم عجزهم عن
تصور حقيقته لقصور مداركهم بالنسبة الى عظمة ذاته سبحانه
وهذا العجز لا ينفي وجوده الثابت عندهم بدلالة الآثار ولا
ينافي ايمانهم بوجوده الثابت عن دليل قطعي ثم قام عندهم
الدليل القاطع على ان العالم حادث بعد ان لم يكن ولا بد من
محدث احده من العدم وهو الآله سبحانه ولكن عجزوا عن
كيفية تصور ذلك الاحداث وهذا العجز لا يوجب استحالة
ولا ينافي الايمان به الحاصل عن دليل قاطع فقد ظهر هنا سقوط
قول بعضكم عند ما يذكر اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بوجود
ذلك الآله الذي ليس بجسم ولاله صفات الاجسام واعتقادهم
بانه احداث العالم من لاشيء (ان هذا الاعتقاد يحتاج الى ايمان

قوي ولا دخل له في سبيل العلم (كَأَنَّ ذَلِكَ الْبَعْضُ يَظُنُّ أَنَّ
 الْإِيمَانَ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالشَّيْءِ تَسْلِيماً سَازِجاً وَانْقِيَاداً أَعْمَى بِدُونِ
 دَلِيلٍ جَازِمٍ وَلَمْ يَدْرِكْ ذَلِكَ الْغَرَاثَةَ لَا يَكْمُلُ الْإِيمَانُ فِي الشَّرِيعَةِ
 الْمَحْمُودَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ وَأَنَّ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ فِي هَذِهِ
 الشَّرِيعَةِ هُوَ الْعِلْمُ الْجَازِمُ عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ مِمَّا ثَبَتَ مَجِيئُهُ بِهِ قَطْعِيًّا مَعَ إِذْعَانِ النَّفْسِ وَخُضُوعِهَا لِذَلِكَ
 فَهَكَذَا إِيْمَانُهُمْ بِوُجُودِ آلِهِ الْعَالَمِ سُبْحَانَهُ وَبِإِبْجَادِهِ الْعَالَمِ مِنْ لَاشَيْءٍ مَا
 كَانَ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ كَمَا مَرَّ شَرْحُهُ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرُونُ بِالْعَجْزِ عَنْ
 ادْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ وَعَنْ كَيْفِيَّةِ أَحْدَاثِهِ لِلْعَالَمِ مِنْ لَاشَيْءٍ وَالْعَجْزُ عَنْ
 تَصَوُّرِ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ الَّذِي قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى وَجُودِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
 لَا يَنَافِي الْإِعْتِقَادَ الْجَازِمَ بِوُجُودِهِ عَنْ دَلِيلٍ فَمَا اسْتَحْفَظْنَا هَذَا
 الْبَعْضُ وَمَا أَجْهَلُهُ فِي تَقْرِيرِ الْحَقِّ وَمَا أَسْمَحَ غَلْطُهُ فِي فَصْلِهِ الْإِيمَانَ
 عَنِ الْعِلْمِ وَالْحَالِ أَنَّ الْإِيمَانَ أَكْمَلَ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ فَقَاتَلَ اللَّهُ الْجَهْلَ
 الْفَاضِحَ

هَذَا ثُمَّ أَنَّ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ شَاهَدُوا مِنْ أَسْرَارِ ذَلِكَ
 الْآلَةِ فِي مَصْنُوعَاتِهِ الْحُكْمِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَفُوقُ الْإِحْصَاءَ وَلَمْ تَزَلْ
 تَظْهَرُ لَهُمْ حِكْمَةٌ بَعْدَ حِكْمَةٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بَعْدَ مَا تَخْفَى عَلَيْهِمُ الْأَعْوَامُ
 فَثَبَتَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ حِكْمَةً بَالِغَةً لَا تَحِيطُ بِحِكْمَتِهِ الْعُقُولُ

فاذا شاهدوا شيئا من الكائنات لم تظهر لهم فيه حكمة لم يعتقدوا
 انه وجد عبثا بدون حكمة بل يقولون ان الخالق سبحانه حكيم
 بدليل ما شاهدناه من حكمه التي لا تحصى وكثير منها كان خفيا علينا
 ثم ظهر لنا فهذا الشيء الذي لم تظهر لنا حكمته نقول ان الحكمة فيه
 قد خفيت علينا لا انه وجد عبثا ومما يقنع عقولنا بذلك ان
 هذا الخالق عظيم جدا وانا نرى عظمة صفاته واسرارها وحكمته في
 خلقه والعقول البشرية مهما بلغت من السعة فهي بالنسبة لذلك
 حقيرة جدا وادراكها لا يعد شيئا بالقياس الى ذلك فكان من
 الصواب في شأنكم ايها الماديون ان تسلكوا ايضا هذه الطريقة
 العادلة التي سلكها اتباع محمد فتدعن عقولكم فيما ظهر لديكم من
 حكم الكائنات التي تفوق الاحصاء والتي لا تزال تظهر لكم حيناً
 بعد حين بعد ما تخفى عليكم سنين بان الكون مبني على الحكمة
 وانه لا شيء بدون حكمة ومن هنا نتوصلون الى انه لا بد للكون
 من صانع حكيم ولا شيء فيه حاصل بالضرورة العمياء وبدون
 قصد واذا رايت شيئا لم تظهر لكم حكمته فعوضا عن ان تجعلوه دليلا
 على انه لا حكمة ولا قصد في حصول الكائنات وتوصلوا بذلك
 الى انكار الخالق تعالى ان تقولوا ان هذا الشيء له حكمة خفيت
 علينا قياسا على جميع ما ظهر لنا من الحكم التي لا تحصى والذي

يقنع عقولكم في ذلك ان تنصروا عظمة ذلك الآله وعظمة
اعماله في الكائنات وسمو حكمه التي اطلعتم عليها ثم تنصروا ان
المعقول البشرية بالنسبة اليه تعالى والى اعماله وحكمه قاصرة جدا
وادراكها لا يعد شيئا بالنسبة الى ذلك

هذا واني بعد ما قدمته لكم في دحض شبهكم الثلاث اريد ان
اضرب لكم مثالا يظهر لكم فيه خطأكم في الالتفات اليها فاقول تاملوا
ايها الماديون في الحيوانات المكرسكوية التي يوجد منها في نقطة
الماء الصغيرة الوف وملايين فهل تقدر بما لها من الادراك الذي
معا على قدر احتياجها في معيشتها ان تنصور حقيقة الانسان
وتنصور تفاصيل اعضائه ووظائفها وكيفية سمعه وابصاره وشمه وذوقه
ولمسه وكيفية تغذية واعمال اعضاء التغذية والدورة الدموية فيه
واعمال دماغه في تصورات وافكاره وان تعلم اعمال الانسان ومصنوعاته
من الآلات البخارية والمنسوجات والمطعومات والادوية والتآليف
والمطبوعات والآلات التاخرافية والفونوغرافية والتليفونية
والفوطغرافية وكذا وكذا وان تعلم كيف اخترعها ومن اي انشاها
وكيف استخلص الحديد وبقية المعادن من بطون الارض واصطنع
تلك الادوات الغريبة وان تعلم حكمة كل جزء من الآلات
المصنوعة له ولاي شيء صنع هكذا مثلا اذا نظرت الى عمدا التلغراف

منصوباً عليها أسلاكها فهل تقدر أن تعلم حكمة ذلك ولاي غاية
فعل هذا وما وراءه من المكينات التلغرافية وهي لم تشاهد إلا الحمد
وعليها الأسلاك فإذا فرض اطلاعها على أعمال الإنسان العظيمة
واستدلت بها على وجوده وعظمته وخفي عليها كثير من أعماله
وكيفية عملها وفرض اطلاعها على حكم كثيرة في مصنوعاته
واستدلت بذلك على أنه حكيم تام الحكمة فهلا يكون من الواجب
عليها أن تقول أنا بهذا المقدار الذي معي من الإدراك الذي
لا يذكر بالنسبة لعظمة ذلك الإنسان وعظمة أعماله وواسع حكمه
أقر بالعجز عن معرفة حقيقة ذاته العظيمة بل غاية ما عندي أن
أذن بوجوده وقدرته وحكمته لما شاهدت من أعماله وأقر بالعجز
عن إدراك الكثير من كيفية عمله لمصنوعاته ولا أنكرها لعدم إدراك
فكري العاجز لها وإذا شاهدت شيئاً من مصنوعاته لم تظهر لي حكمته
فعليّ أن أقر بعجزني عن إدراك حكمته حيث أن كثير حكمه في
أعماله دلت على أنه حكيم وأقول أن حكمة ذلك قد خفيت على
فهمني القاصر فهي حينئذ إذا شاهدت عمدة التلغراف مثلاً وعليها
أسلاكها لا تقول أنها وضعت في الطرقات تحت الأمطار وحر
الشمس للتلف وبدون حكمة وفائدة بل تقول لا بد لها من حكمة
وأن خفيت عليّ فكذلك أنتم أيها الماديون ما علومكم وإدراكاتكم

بالنسبة الى عظمة ذلك الآله وعظمة اعماله وسعة علمه وسمو
 حكمته الا كادراك تلك الحيوانات بالنسبة الى عظمة الانسان
 وقدرته وعلمه وحكمته في اعماله بل بفرق اكثر بكثير من ذلك
 فبعد ذلك ما هو استعظامكم لانفسكم واستكثاركم لمعارفكم لا اري
 لكم شيئا الا طائفة من مبيدعي الامة الاسلامية قد استغظوا
 انفسهم بالنسبة لله تعالى فاخذوا يشترطون عليه الشروط في معاملة
 الخلق ويوجبون عليه الاحكام فقالوا انه يجب عليه تعالى ان لا يفعل
 الا الصالح في حق الانسان وقد غفلوا عن انهم بالنسبة اليه سبحانه
 كمثل تلك الحيوانات المكسوكية بالنسبة الى الانسان بل احقر
 بكثير بما لا يحمد وغفلوا عن انه سبحانه هو الذي اوجدهم من العدم
 وهو المالك المطلق لهم ولا رواحهم وهو الفاعل المختار المتصرف في
 ملكه بما يشاء لا ينسب اليه الظلم كيفما تصرف فيه الا يرى لو ان
 ملكا عظيما اخذ نقطة من الماء الذي هو ملكه وهي محتوية على
 الالوف من تلك الحيوانات المكسوكية والقها في النار حتى
 تلاشت وتلاشى جميع ما اشتملت عليه من تلك الحيوانات التي
 ربما تبلغ عدد البشر على وجه الارض هل يخطر في البال ان ذلك
 الملك فعل محظورا عليه وظلم بفعله تلك الحيوانات الحقيرة وهل
 لاحد منازعته في ذلك وهو المالك المطلق لتلك النقطة ولجميع ما

حوته لا ينازعه الا كل موسوس متعرض لما لا يساعده عليه مساعد
 نعم ان ذلك الآله سبحانه قد تفضل برحمته وفضله على جميع الخلق
 بالنعم التي لا تحصى ولكن لم يعطها لم بطريق الوجوب عليه تعالى
 بل بطريق التفضل والاحسان ولولم يعطها لم وسلط عليهم جميع
 البلايا لما كان ذلك منه الاحسان لانه متصرف في ملكه لاحق
 لاحد في منازعته يفعل ما يشا ويحكم بما يريد فبعد ظهور الحق
 لديكم ايها الماديون وسقوط شبهكم الواهية فعليكم اذا نازعتكم انفسكم
 وطلبت منكم التعرض لمعرفة حقيقة ذلك الآله سبحانه ان تقولوا
 لما ان عقولنا البشرية تقصر عن ذلك ويكفينا من معرفته مادلتنا
 عليه اثاره من انه موجود ومتصف بالصفات التي تدل عليها تلك
 الآثار واذا طلبت منكم معرفة كيف اوجد العالم من لاشي فقولوا
 لما انا لم ندر جميع اعماله وكيف يعملها فليكن هذا من جملة ما
 لا ندركه وعدم تصورنا له لا يقتضي ان ننكره واذا عرض لكم شيء
 ولم تعرفوا حكمته ان تقولوا ان صانع العالم حكيم بدليل ما ظهر
 من كثير حكمه في مصنوعاته وعدم ادراك حكمة هذا الامر
 لا يقتضي عدم وجود حكمة له ولا يلزمنا انكار الحكم في الكائنات
 ونلتجئ الى الضرورة العمياء هدايا الله واياكم لما فيه النجاة في
 العقبى اللهم امين

والى هنا انتهى الكلام معكم ايها الماديون في اثبات حدوث العالم وتنوعاته
 واقامة البرهان على وجود الآله الذي اوجده من العدم واتصافه
 سبحانه بصفاته اللائقة به تعالى ودفع اشهر شبهكم في ذلك وبقي
 الكلام في بقية ما ذكرتموه لي من مذهبكم وهو يشتمل على اربع
 مسائل مهمة الاولى ان طريق حدوث تنوعات العالم من سماويات
 وارضيات هو النشوء اي ان اجزاء الاثير تكون منها السديم ثم
 الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا ثم تكونت فيها
 العناصر ثم المعادن والمكون الاول البورتوبلاسم واخذ هذا بالترقي
 والتوالد حتى بلغ ادنى نبات او حيوان ولم يزل هذان بما اكتنفهما
 من ناموس التباينات ووراثتها وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي
 يترقيان ويتنوعان ويشقق من الانواع انواع حتى بلغا ما هما عليه
 الان من الانواع كل ذلك بحركة اجزاء المادة الاضطرابية والجري
 على هذه النواميس

الثانية ان الانسان ما هو الا حيوان من جملة الحيوانات حادث
 بطريق النشوترقى في التحسين بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما
 هو عليه الان وبمقتضى مشابهته للقرد لا يمتنع ان يكون قد اشتق
 هو واياه من اصل واحد واخذ هو بالترقي عنه حتى فاق عليه

الثالثة ان الحياة وعقل الانسان ما هما الا ظاهر من ظواهر تفاعل

اجزاء المادة المتحركة وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة خاليا
عن الحياة والادراك وان عقل الانسان لا يخالف عقول بقية
الحيوانات الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة

الرابعة انكاركم لبقية المسائل التي وجدتموها في الشريعة المحمدية
من نحو البعث بعد الموت والسموات الى اخر ما مروزعتم ان
ذلك لا دليل عليه في علومكم بل البعض منه ترفضه وتدل على
استحالة فاقول وبالله التوفيق اعلموا ان الكلام معكم في هذه المسائل
يحتاج الى تقديم مقدمتين

المقدمة الاولى ان النصوص التي ترد في الشريعة المحمدية ويعتمد
عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في الاعمال والاحكام تنقسم
الى قسمين متواتر ومشهور فالمتواتر ما ثبت قطعا وروده في
هذه الشريعة لما توفر فيه من الاسباب الموجبة للعلم اليقيني
بوروده فيها والمشهور هو ما ثبت وروده فيها ثبوتا قريبا من
القطعي لما توفر فيه من الاسباب الموجبة لطأينة القلب
بوروده وهي فوق الظن ودون اليقين ثم ان كلا من المتواتر
والمشهور اما ان يدل على معنى لا يحتمل الدلالة على سواء
فلا يقبل الصرف والتاويل الى معنى اخر وهذا لا يوجد في
جميع ما ورد منه في الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الدليل

العقلي القاطع ولنسم هذا القسم بمتعين المعنى وأما ان يدل كل
من المتواتر والمشهور على معنى ظاهر متبادر منه ويحتمل الدلالة
على معنى آخر وان كان بعيدا وهذا قد يوجد فيما ورد منه في
الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الظاهر الدليل العقلي القاطع
ولنسم هذا القسم بظاهر المعنى ثم ان حكم النص المتعين المعنى في
الشريعة المحمدية انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده
وبمعناه المتعين وانكار وروده او تكذيب معناه يوجب الكفر اى
الخروج عن الدين الاسلامي ولا يجوز تاويله وصرفه الى معنى آخر
اذ هو لا يحتمل التاويل ولا يناقض شي منه الدليل العقلي القاطع
حتى يحتاج لتاويله وان كان مشهورا فيجب ايضا التصديق بوروده
وبمعناه وانكار وروده او تكذيب معناه يعد ضلالا وفسقا ولا يجوز
تاويله وصرفه الى معنى اخر لما عرف في المتواتر وحكم النص الظاهر
المعنى انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتبادر
وانكار وروده او تكذيب معناه بدون تأويل يكون كفرا ايضا
ولا يجوز تاويله الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل على ما يناقض
معناه المتبادر منه فحينئذ يؤل ويصرف الى معنى غير معناه
المتبادر على سبيل الاحتمال بحيث يصح التوفيق بينه وبين ما دل
عليه الدليل العقلي القاطع وان كان مشهورا فحكمه حكم المتواتر

الظاهر المعنى الا ان انكار وروده او تكذيب معناه لا يوجب الكفر بل الضلال والفسق والمخض ان النص المتعين المعنى من المتواتر والمشهور لا يوجد في العقل ما يناقضه ولا يسوغ تاويله والنص الظاهر المعنى منها لا يجوز تاويله وصرفه عن معناه المتبادر منه الا اذا قام في العقل دليل قاطع على ما يناقض معناه الظاهر وانما جاز حينئذ تاويله لان الجمود على اعتقاد المعنى المتبادر منه ورفض ما يدل عليه الدليل العقلي القاطع يقتضي هدم الاصل وهو العقل الذي ثبت به رسالة الرسول المتكلم بتلك النصوص الشرعية اذ لو لا العقل لما وصلنا الى الاستدلال على صدقه في دعواه الرسالة فاذا هدم الاصل هدم الفرع لامحالة فرفض الدلائل العقلية رجوع على الدلائل النقلية بالنقض وهو خلاف المطلوب هكذا الحكم في كل نص ظاهر المعنى ناقضه الدليل العقلي القاطع يرجع فيه الى التاويل وذلك قاعدة كلية عند اتباع محمد عليه السلام (كذا في كثير من الكتب كتفسير الرازي في قوله تعالى لا يكلف الله نفسا ومثله في المقاصد والمواقف) مثلاً قد ورد في القرآن الكريم في قصة ذي القرنين قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة فالمعنى الظاهر من هذا النص المتواتر ان الشمس تغرب في عين من عيون الارض فلو لم يقم الدليل العقلي

القاطع على ما يخالف هذا المعنى الظاهر وينافضه لكان من الواجب في الشريعة المحمدية اعتقاد هذا المعنى المتبادر ولا يجوز تاويله ويقال حينئذ ان خبر الصادق دل بمعناه الظاهر على ان الشمس تغرب في عين من عيون الارض فيجب الاعتقاد بذلك لكن قد قام الدليل العقلي القاطع على ان الشمس اكبر من الارض بكثير ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارها من المحال وقام الدليل العقلي القاطع ايضا على ان الشمس لا تغرب في نفس الارض فحينئذ وجب تاويل هذا النص احتمالا وصرفه الى معنى غير ما يتبادر منه فيقال مثلاً والله اعلم بمراده يحتمل انه تعالى اراد ان ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الراي تغرب في عين حمئة لان الناظر الى الشمس في سواحل البلاد الغربية يتخيل اليه ان الشمس تغيب في بحرها الغربي المحيط بها وذلك البحر كثير الحماة السوداء والظلمة وذو سخونة وذلك اشارة الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط به البحر سواء قلنا ذلك الجانب هو ساحل افريقيا الغربي او ساحل اميركا الغربي وليس المراد ان الشمس تغرب في عين من عيون الارض في نفس الامر (يؤخذ هذا التاويل من الرازي والجلالين وتفسير الكواشي كما نقله الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب عجائب

المخلوقات وما قاله اهل الاخبار من ان الشمس حقيقة تغرب في
 العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة
 فلم يبق الا ان يصار الى التاويل كذا في الرازي (وهكذا يقول
 الواحد منا اني من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب في
 البحر ومن المكان الفلاني وجدت غربت خلف الجبل او في الوادي
 الفلاني والحال ان اعتقاده انها لم تغرب في واحد من تلك المذكورات
 وانما حكى صورة رؤيته هذا واما اذا قام الدليل العقلي غير القطعي
 بل الظني مناقضا للمعنى المتبادر من نص الشريعة فلا يسوغ
 تاويل ذلك النص وصرفه الى معنى اخر غير متبادر منه بل
 يجب البقاء على الاعتقاد بمعناه الظاهر ومن المعلوم ان الدليل
 العقلي القاطع هو الذي يدل على مدلوله دلالة يقينية لا تحتل
 النقيض واما الدليل العقلي الظني فهو الذي يدل على مدلوله دلالة
 راجحة تحتل النقيض ولو احتمالا بعيدا فبذلك الاحتمال ينزل
 عن درجة اليقين ولا يعتمد عليه في المعتقدات الاسلامية فلا
 يكون معارضا للمعنى الذي يظهر من نص الشريعة المتواتر او
 او المشهور ولا يسوغ عنده تاويل ذلك الظاهر البتة ثم قد يوجد
 في الشريعة المحمدية نص لا تتوفر له الشروط التي يبلغ بها درجة
 المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت وروده يقينيا ويسمى بالاحاد

وهو ينقسم ايضا الى متعين المعنى وظاهر المعنى وحكمه في الشريعة
 الاسلامية ان يعتمد عليه في الاعمال الشرعية اذ يكفي في حقها
 الظن ولا يعتمد عليه استقلالاً في المعتقدات الاسلامية حيث ان
 ثبوت وروده ظني لا يقيني فلا يكفر منكر وروده او معناه (كما
 هو منصوص في كتب الاصول ولكن الاحاد اذا نقلها العدول
 وصارت معتمد الفقهاء في الفروع فلا يجوز انكارها حيث لم يعارضها
 معارض عقلي قاطع لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور والعياذ
 بالله تعالى) نعم اذا اكتنف الاحاد ما يقويه ويجعله مفيداً لليقين
 فيعتمد عليه حينئذٍ في المعتقدات ايضا كما يعتمد على المتواتر
 والمشهور فيها

المقدمة الثانية ان الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد
 منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واثباته
 بصفات الكمال والى كيفية عبادته واداء شكره والى الاحكام التي
 توصلهم الى انتظام المعاش وحسن المعاد واما تعريفهم بمباحث العلوم
 الكونية من كيفية خلق العالم وما هي النواميس القائمة في السماويات
 او في الارضيات وامثال ذلك فليس شيء من نحو ذلك من
 مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هي معارف تتوصل الناس اليها
 بعقولهم فرما ينتفعون بها في دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد

الاطلاع والشرائع لانتف اليها اولا وبالذات ولا تعني بتفاصيلها
 نعم قد تذكر شيئا منها مجملا على قدر ما يكون له دخل في مقاصدها
 فتذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف
 انواع المخلوقات في التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها
 نظامه على سبيل الاجمال لاجل ان يكون ذلك دليلا عقليا للناس
 على وجود اله للعالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الى غير ذلك
 وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه
 الى مقاصدها اذا فهمت هاتين المقدمتين فاعلموا ان الذي ورد في
 الشريعة المحمدية من النصوص المتواترة او المشهورة التي يعتمد عليها
 في الاعتقاد في خصوص خلق الاكوان وتنوع الانواع انما هي
 نصوص لم يبين فيها تفاصيل الخلق وكيفياته لما قلنا ان ذلك ليس
 من مقاصد الشرائع لكن ورد منها ان الله تعالى خلق السموات
 والارض وما بينهما في ستة ايام وانه تعالى استوى الى السماء وهي
 دخان فسواهن سبع سموات (اي قصد اليها وهي بخار ماء كما في
 الجلائن) وقد اختلف اتباع محمد عليه السلام في تفسير هذه
 الايام الستة مستندا كل قائل الى دليل من دلائل الشريعة
 فاکثرهم قال انها كايامنا اي مقدرة بها لانه حينئذ لم تكن شمس
 ولا فلك وقال بعضهم انها ايام من ايام الاخرة لانه قد ورد في

اصطلاح شريعتهم ان يوم الاخرة الف سنة من سنينا (تفسير اليوم
بالف سنة مروي عن ابن عباس كما في مباحج الفكر للوراق) وقال
بعضهم انه يطلق على خمسين الف سنة ومع ذلك فهم متفقون على
ان الله تعالى قادر على خلق السموات والارض وما بينهما في اقل
من لحظة لما قام لديهم من دلائل عظمة قدرته سبحانه وانما خلق
ذلك في ستة ايام لحكمة هو يعلمها وقد قيل ان من حكمة ذلك
تعليم عباده بعد ابلاغهم كيفية ما اجراه في خلقه ذلك على لسان الرسل
ان طريق التأني خير من طريق العجلة ولو علم العالم من نفسه
العصمة عن الخطاء في العجلة وورد ايضا من تلك النصوص ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقها الله تعالى وفسر هذا النص
بعض اتباع محمد عليه السلام بانها كانتا شيئا واحدا ملتزقا احدهما
بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء حيث هي وافر الارض
كما هي (رواه عكرمة عن ابن عباس ومثله عن عطاء والضحاك
والحسن وهو قول سعيد بن جبير وقتادة كما يؤخذ من الجمل
على الجلالين والرازي وجعله الرازي اولى وجوه التاويل كما في
سورة الانبياء) وفسره بعضهم بتفسير اخر وقد فهم بعض اتباع
محمد عليه السلام من نصوص الشريعة ان الارض خلقت قبل
السموات لكنها غير مدحوة اي مبسوطة صالحة للسكنى ثم استوى

الله تعالى اي قصد الى السماء وهي دخان (اي كان خلقه قبل
 ذلك) فسواها سبع سموات ثم دحا الارض اي بسطها وجعلها تصلح
 للسكنى ومن قال بهذا تاول النص الذي ظاهره يخالفه وفهم بعضهم
 ان السموات خلقت قبل الارض وتاول ما ظاهره يخالفه (نقل هذا
 الجمل عن الخطيب عن الرازي في فصلت ثم رايته فيه) ولكل
 وجه يستند اليه موافق لاصول الشريعة المحمدية وورد من نصوصها
 المذكورة ان الله تعالى خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا
 اي القربي من الارض فقال بعضهم هي مركوزة في نفس السماء
 (هو قول جمهور المفسرين كما نقله في مباح الفكر للوراق) وقال
 بعضهم هي دون السماء بينها وبين الارض (نقله في كنز الاسرار
 للقاضي الصنهاجي عن مكي في تفسير سورة التكوين وان صاحب
 بهجة النفس نقله عن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني
 عن كثير من المفسرين وغيرهم وذكر مثله الشيخ مرعي الحنبلي
 المقدسي في عجائب المخلوقات ونقل حديثا آحاديا يدل عليه
 وكذلك نقل هذا الحديث ابو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي
 في كتاب الملكوت ونقل الرازي اثرا عن كعب في تفسير سورة
 القدر صريحا في ان الشمس دون السماء الدنيا اي وكونها زينة السماء
 الدنيا لا يلزم ان تكون مركوزة فيها لجواز ان يراد زيتها بحسب مرأنا

وان كانت تحتها اقول ولعلمهم يتأولون قوله وجعل القمر فيهن نورا اي
 في السموات نظير هذا التأويل ثم الفلك الذي ورد ان الكواكب تسبح
 فيه قيل هو جسم يحملها وقيل هو مدارها اي الحيز الذي تسير فيه من
 الفراغ (وهذا قول الضحاک كافي الرازي) والنصوص تدل على وجود
 السموات وانها غير الكواكب كما يفهم مما مروسياتي بيان ذلك عند
 الكلام معكم على ما استنكرتموه مما ورد في الشريعة المحمدية والذي
 عليه جمهور اتباع محمد عليه السلام ان السماء مرئية لنا وقال بعضهم
 انها غير مرئية وانما المرئي الهواء (نقله في عجائب المخلوقات عن
 القاضي ابي بكر بن العربي ولعله يؤول النص الذي يدل ظاهره
 انها ترى بتأويل مناسب) فهذا ملخص ما ورد من نصوص الشريعة
 المحمدية التي تعتمد في الاعتقاد في خلق السموات والارض والكواكب
 مع بيان ما ورد لعلماء تلك الشريعة من الاقوال في فهم تلك
 النصوص واما تفصيل خلقها وكيفيات تكونها او تكون الشمس
 والكواكب والارض كما تزعمون من ان اصلها السديم ثم تكونت
 منه الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا على النواميس
 التي تذكرونها في كتبكم او على طريقة اخرى فلم تنص الشريعة
 المحمدية على شيء من ذلك ولم يرد من نصوصها ما يثبتها او ينفيه
 لكن قد ورد في القرآن الشريف ما يشير الى ذم التعرض للبحث

عن ذلك اذ قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
 خلق انفسهم واذا نظرنا الى هذه التفاصيل التي تذكرونها في
 تكون الشمس والكواكب والارض بعين الانصاف ظهر انها فروض
 وتخمينات كما يظهر من التأمل في شرحكم لها في كتبكم فيجوز ان
 يكون الله تعالى قد كونها على تلك الطريقة التي تقولون بها ويجوز
 ان يكون الحال بخلاف ذلك فما دامت تلك الفروض في درجة
 الظن فاتباع محمد عليه السلام لا يجزمون بها في اعتقادهم ويكفيهم
 فيه ما قد ورد في شريعتهم على احد الواجه التي فهمها وقال بها
 علماءهم نعم اذا ثبتت تلك الفروض بالدلائل القاطعة التي لا تحتمل
 النقيض ولا مجال للعقل في رفضها (وهيئات ذلك) واقتنعت
 عقولهم بها فهم حينئذ يقوون بها اي مع اعتقاد ان الله تعالى اوجد
 الشمس وكونها وفصل منها الكواكب والارض على الكيفية التي
 تذكرونها والنواميس التي قلتم بها في ذلك التكوين تكون عندهم
 اسبابا عادية لا تاثير لها في نفسها كالنواميس التي وضعها الله تعالى
 في تكون بقية العوالم فالنبات مثلا يتكون بواسطة الماء والنور
 والتراب وليس لذلك تاثير في ايجاد النبات وانما المؤثر الحقيقي هو
 الله تعالى لكن جرت عادته في وضع تلك الاسباب وايجاد مسبباتها
 عندها ومن الواضح حينئذ ان لاشي من النصوص المتقدمة ينافي

القول بهذا التكون الذي تقولون به كما لا يخفى على المتأمل وعلى كل فالمقصود وهو الاستدلال بالآثار على مؤثرها حاصل ويمكنكم أيها الماديون اذا اعتنقتم الدين الاسلامي واعتقدتم حدوث مادة العالم بخلق الله تعالى كما ائمت لكم الدليل عليه فيما تقدم واعتقدتم بوجود سبع سموات كما سيأتي لكم بيانه وثبت لديكم بالادلة القاطعة تكون الشمس وانفصال الكواكب والارض عنها على الطريقة التي تقولون بها ان تقرروا اعتقادكم على وفق ما ورد من نصوص الشريعة المحمدية التي يعتمد عليها في الاعتقاد وعلى وفق ما فهمه بعض علمائها منها فتقولون حينئذ هكذا ان الله تعالى خلق اولا مادة العالم شيئا واحدا وقد سماه الله تعالى عند ذكر مادة السماء دخانا وفسروه ببخار الماء وهو السديم المنتشر في الخلاء ثم فتق الله السموات والارض اي انه ميز مادة السماء عن المادة التي يريد ان يكون منها الشمس والكواكب والارض (ويجري هذا على ما روي عن ابن عباس ومن معه في تفسير الرق والفتق كما تقدم قريبا) ثم رفع مادة السماء فوق مادة المذكورات ثم كون الشمس وفصل عنها الكواكب والارض (وهذا يجري على قول من يقول ان الفلك هو مدار الكواكب اي حيزها من الفراغ كما تقدم) ولكن الارض كانت بعد فصلها غير مدحوة اي بصورة لا تصلح للسكنى ثم قصد سبحانه الى

السماء وهي دخان اي بخار ماء وهو السديم فسواها سبع سموات
 والسماء لا تري وانما المرئي هو الجلد (ويجري هذا على قول ابي
 بكر بن العربي كما تقدم) ثم دحا الارض بعد ذلك وكل ذلك
 اجراه الله تعالى على نواميس مخصوصة وهي اسباب عادية وفي
 ازمة مستطيلة هي التي سماها ستة ايام وهو قادر سبحانه على تكوين
 جميع ذلك بدون تلك النواميس وفي اقل من لحظة وعلى هذا
 فالشمس والكواكب والارض تكون قائمة تحت السماء بناموس
 الجاذبية الذي وضعه الله تعالى فيها وهو سبب عادي والفاعل
 الحقيقي هو الله تعالى ففي هذا التقرير يكون مذهبكم قد انطبق
 على ما ورد في نصوص الشريعة المحمدية المتقدمة وعلى ما قال به
 بعض علمائها في تكون السماء والكواكب والارض وفي مواقعها وعليه
 فلا مخالفة بين مذهبكم وبين الدين الاسلامي توجب اخراجكم
 من عداد اهله ولكن اتباع محمد عليه السلام لا يلتزمون القول
 بهذا التفصيل الذي مرحتي تقوم عندهم الادلة القاطعة على ثبوت
 الكيفية التي قلتم بها في تكون الشمس وانفصال الكواكب والارض
 عنها والا فهم يقتضون في الاعتقاد على ما تقدم ذكره من النصوص
 التي وردت في شريعتهم ويتبعون راي جمهور علمائهم على ما في
 ذلك من الاجمال ويفوضون علم تفصيل ذلك الى الله تعالى لانهم

لم يكلفوا بالبحث عن تفصيل ذلك واذا سئوا عنه او عن امثاله من كل ما لم يرد في شريعتهم تصریح فيه ولم تقم الادلة القاطعة عليه بل كانت ادلته ظنية فان كان ينافي نصوص شريعتهم رفضوه وامتنعوا عن القول به وان لم يناف تلك النصوص قالوا بمحتمل الصحة ويمحتمل خلافا اذ هو امر مظنون

هذا ثم المدار في اعتقاد اتباع محمد عليه السلام في شان عوالم الكون ان يعلموا علما جازما انها حادثة فلا بد لها من محدث وهو الله تعالى احدثها ووجدها من العدم ونوعها الى انواعها التي تشاهد الان وان جميع ذلك لم يكن بتاثير طبيعة او ناموس والنواميس التي تشاهد في تكوين بعض الكائنات انما هي اسباب عادية وضعها الله تعالى لذلك وهو غني عنها قادر على احداث تلك الكائنات بدونها وهذا القدر من العلم الجازم يكفيهم في الاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه بالقدرة والعلم وسائر الصفات التي تدل عليها تلك الاثار فلي موجب هذا الاعتقاد عند ما يكون التفاتهم الى خصوص تكون عوالم الارض من معدن ونبات وحيوان كان من الواضح انه لا فرق عندهم بين ان يعتقدوا ان الله تعالى اوجد انواع هذه العوالم الثلاثة بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها ابتداء مستقلا عن غيره ليس مشتقا من سواء سواء اوجده دفعة واحدة او اوجده بتكوين

متهمل بان رقاء من ابسط مادة على تطورات عديدة حتى بلغ
 به ما هو عليه وكل من اتكوين الدفعي والمتهمل من الجائزات
 العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو سبحانه فاعل
 مختار لا حرج عليه في سلوك اي طريق اراد وبين ان يعتقدوا ان
 الله تعالى اوجد انواع هذه العوالم بطريق النشوء اي انه اوجد
 المادة البسيطة ثم رقاها الى عناصر ثم الى معادن او الى ابسط جسم
 حي (البرتوبلاسم) ثم الى ادنى النبات او الحيوان ثم فرع من
 ذلك بقية الانواع واشتق بعضها من بعض ويختار ابقاء البعض
 ويبعد البعض واجرى جميع ذلك على نواميس وضعها في المادة
 يتسبب عنها ذلك الارتقاء والتنوع الى ان بلغت تلك العوالم
 انواعها التي عليها الان فكل من هذين الاعتقادين اي اعتقاد
 طريق الخلق واعتقاد طريق النشوء في ايجاد العوالم المذكورة ما
 دام مستندا الى خلق الله تعالى وانه ليس لسواه تاثير كان من
 حقه ان يكفي اتباع محمد عليه السلام لاستدلالهم على وجود الله
 تعالى واتصافه بالصفات التي تدل عليها تلك الاثار وبعبارة
 اخرى ان كلا من اعتقاد ان الله تعالى اوجد كل نوع من انواع
 هذه العوالم مستقلا عن غيره ابتداء اما بدفعة واحدة واما بتهمل
 وتكون الاجناس بعد ذلك منتزعة في العقول ومتصورة من تلك

الانواع وليس لها وجود الا في الصور الذهنية ومن اعتقاد انه
 سبحانه اوجد في الخارج مادة الاجناس اولا ولم يزل يرقبها وينوع
 منها الانواع ويشق الانواع من بعضها حتى بلغت ما هي عليه
 الان هو كاف للاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه بالصفات
 المذكورة لكن النصوص المعتمدة في الاعتقاد التي وردت في
 الشريعة المحمدية في شان خلق عوالم الارض هذه خلاصتها ورد
 ان الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي وانه خلق كل دابة من
 ماء وانه بث اي فرق في الارض الدواب وانه خلق من كل
 زوجين اثنين وانه خلق من الانعام ازواجا (اي ذكورا واناثا كما
 في التفسير) وانه خلق الأزواج كلها (اي الاصناف كلها كما في
 التفسير ايضا) وانه خلق الزوجين (اي الصنفين كما في التفسير
 ايضا) الذكر والانثى وانه جعل في الارض من كل الثمرات
 زوجين اثنين (اي من كل نوع كما في التفسير ايضا) فالنصوص
 الثلاثة الاولى يحتمل ان يجري في تفسيرها بحد ذاتها على مذهب
 الخلق او مذهب النشو والنصان الاولان يوافقهما القول الحديث
 لكم ايها الماديون ان تكون المادة الحيوية من الماء واما بقية النصوص
 المذكورة فالمعنى الظاهر المتبادر منها هو ان الله تعالى اوجد انواع العوالم
 بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها مستقلا عن غيره ليس

مشتقا من سواء اعم من ان يكون بايجاد دفعي او متمهل كما لا يخفى
 على من يدري اساليب الكلام العربي لان من يقول مثلا قدمت
 لضيفائي من الاطعمة انواعا يتبادر من كلامه انه اصطنع
 كل نوع مستقلا عن البقية وقدمه اليهم واما كونه اصطنع جملة
 الطعام جنسا واحدا ثم فرع منه الانواع بترقيه في صناعة الطبخ
 واشتقاق نوع من نوع فهو معنى بعيد عن الارادة لا يخطر في البال
 وان كان جائز الوقوع وربما يوجد في النصوص الاحادية التي
 هي ليست مدار الاعتقاد ما يؤيد هذا المعنى الظاهر الذي تفيده
 تلك النصوص التي عليها المدار ولكن مع ذلك كله لم يرد نص
 يفيد ان كل نوع اوجده الله تعالى مستقلا قد اوجده دفعة واحدة
 او يتمهل نعم قد ورد في بعض النصوص الاحادية (في حديث
 مسلم) ان الله تعالى خلق الشجر في يوم كذا من الايام الستة التي
 اوجد الله تعالى فيها السموات والارض ثم خلق بعده الحيوانات في
 يوم كذا منها لكن هذا لا يفيد الا ان الحيوان تاخر عن الشجر في
 الخلق واما ان كل نوع منها كان ايجاده دفعا او يتمهل فلا يفيد
 شيئا من ذلك فعلى ما تقدم من ظاهر تلك النصوص وبحسب
 القاعدة المتقدمة من ان الواجب في الشريعة المحمدية ان يعتقدا اتباعها
 المعاني المتعينة او المعاني الظاهرة من نصوصها المتواترة او المشهورة

ما لم يعارض المعاني الظاهرة دليل عقلي قاطع يلجئ الى تاويلها
 يجب ان يكون اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان الله خلق كل
 نوع من عوالم الارض مستقلا ابتداء عن البقية ولم يخلقها بطريق
 النشوء ويشق نوعا من نوع وان كان قادرا على كلتا الصورتين
 واما ان كل نوع خلقه دفعة واحدة او يتمهل وترق بسبب نوااميس
 وضعها الله له فهذا سبيله عندهم التوقف حيث لم يرد في شريعتهم
 ما يفيد القطع باحد الامرين ولا يسوغ لهم بمقتضى حكم شريعتهم
 كما تقدم ان يعدلوا عن اعتقاد هذا الظاهر الى الاعتقاد بخلافه
 من نحو النشوء واشتقاق بعض الانواع من بعض كما تقولون ايها
 الماديون لان هذا خلاف ظاهر النصوص المتقدمة ولم يقم عليه
 دليل قاطع يضطرهم الى تاويلها والادلة التي تذكرونها في كتبكم
 على النشوء ما هي الا ظنون وفروض لم تخرج عن دائرة الاحتمال
 الذي يسقط به الاستدلال كما يظهر من الاطلاع عليها مع خلو
 الغرض وما دام الحال كذلك فاتباع محمد لا يصرفون تلك النصوص
 عن ظواهرها ولو مع اعتقادهم بان ذلك النشوء بخلق الله تعالى بل
 لا يسوغ لهم الصرف ما دام الحال كذلك نعم لو قام الدليل العقلي
 القاطع على خلاف ظاهر تلك النصوص كان عليهم حينئذ ان
 يؤلوا للتوفيق بينها وبين ما قام عليه ذلك الدليل جريا على القاعدة

المتقدمة (واخال ان دون ذلك خرط القتاد) فانتم ايها الماديون
لو فرض ان ادلتكم على النشوب بلغت درجة اليقين وهديتكم الى
اعتقاد دين محمد عليه السلام الذي اساسه ان لاخالق لشيء الا
الله تعالى فلا حرج عليكم في تاويل تلك النصوص وصرفها عن
ظاهرها وتطبيقها على ما قامت عليه الادلة القاطعة من النشوء مع
اعتقاد انه بخلق الله تعالى ولا ينافي ذلك والحالة هذه ان تحسبوا
من اهل الدين الاسلامي ولا يفوتكم شي من الاستدلال بهذه
الكائنات على وجود الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ولكن
احذركم من الغلط وتوهم الدليل الظني الذي يقوم عندكم انه
دليل يقيني فعليكم بالتدقيق والله الهادي هذا جميع ما حررت
هنا هو في شان تكون عوالم الارض بقطع النظر عن الانسان واما
هذا فالكلام في تكونه اذ كريبانه مستقلا

فاقول قد ورد من نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار
الاعتقاد في خلق الانسان ان الله تعالى بدأ خلقه من طين وانه
خلقه من تراب ومن طين لازب ومن سلالة من طين ومن حمأ
مسنون ومن صلصال كالفخار وورد انه خلقه من ماء قال بعض
اتباع محمد عليه السلام (هو الامام الرازي) ان التراب والماء
اصلان للانسان اي انه خلق منهما فتارة تذكر النصوص هذا وتارة

تذكر ذاك وورد ان الله تعالى خلقه بيديه وهذه العبارة تدل على ان خلقه كان بصورة ممتازة عن بقية العوالم وورد انه سبحانه خلق البشر من نفس واحدة (ادم) وخلق منها زوجها (حوا) وبث منها رجالا كثيرا ونساء فهذه النصوص تفيد ظواهرها ان الله تعالى خلق الانسان نوعا مستقلا لا بطريق النشو ولم يشتقه من نوع اخر كما تقولون لاسيما النص الذي يقول بدأ خلق الانسان من طين وقد جاء في بعض النصوص الاحادية ما هو بين الصراحة جدا بان خلق الانسان كان مستقلا وليس هو مشتقا من غيره ولا شك ان هذه النصوص وان لم يكن عليها مدار الاعتقاد بانفرادها فلا اقل من انها تقوى ظواهر تلك التي عليها المدار وتعضدها وايضا يبعد كل البعد ان يكون اصل الانسان المادة البسيطة ثم ترقى الى العناصر ثم الى المادة الحوية وهي البرتوبلاسم ثم الى ادنى حيوان ثم ترقى حتى بلغ القرد ثم الى القرد الانسان ثم الى الانسان كما تقولون ومع ذلك يهمل الله تعالى بيان جميع ذلك ويقتصر على قوله بدأ خلق الانسان من طين بل كان من حكمته ان يشرح تلك التطورات والترقيات ويفصلها حسبما جرى عليه في تفصيل خلق ذرية الانسان فانه فصله في نصوص الشريعة بانه خلقهم من تراب (اي لان غذاء ابائهم الذي يستحيل منيا

كان اصله التراب كذا يوخذ من الرازي وفي تفسير آخر ان
 معني خلقهم من تراب خلق ايهم ادم) ثم من نطفة ثم من علقه
 ثم من مضغة ثم اخرجهم طفلا فان ذلك التفصيل له وقع في النفس
 في الدلالة على قدرة الخالق سبحانه لما فيه من نقل المادة من طور
 الى طور فسكوت النصوص المذكورة عن بيان النشو واشتقاق
 الانسان من نوع سواء واقتصارها على ما تقدم من البيات هو
 ظاهر في ان الانسان خلق نوعا مستقلا ليس مشتقا كما نقولون
 وان كان كلا الامرين من الجائز العقلي الداخل تحت تصرف
 قدرة الله تعالى نعم ليس في تلك النصوص صراحة بان الله خلق
 الانسان الاول من تراب دفعة واحدة او بتكوين متمهل على انفراده
 فسدل هذا التوقف وعدم الجزم باحد الامرين حسب النصوص
 التي عليها مدار الاعتقاد وان كان قد يظهر من بعض النصوص
 الاحادية ان تكون ذلك الانسان (وهو آدم) كان يتمهل ومرت
 عليه مدة من الزمان والله قادر على كلا الطريقتين وقد صرح
 بعض علماء اتباع محمد عليه السلام (هو الامام الرازي) في تفسير
 قوله تعالى خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون بان خلق
 الانسان كان مبتدا مستقلا ليس مترقيا من الادني حتى بلغ ما
 هو عليه وهذا ما قال ان اذا للمفاجأة يقال خرجت فاذا الاسد بالباب

وهو اشارة الى ان الله تعالى خلقه يعني الانسان من تراب يكن
فكان لا انه صار معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا وهذا اشارة الى
مسئلة حكيمية وهي ان الله تعالى يخلق اولا انسانا فينبه انه يحيي
انسانا وناميا وغير ذلك لا انه خلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فيخلق
الانواع هو المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك
الارادة فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشيء البعيد عنها غاية
من غير انتقال من مرتبة الى مرتبة من المراتب التي ذكرها انتهى
فهذا تصريح بان ذلك النص يفيد ان الانسان كان تكوينه بطريق
الخلق مستقلا ابتداء لا بطريق النشو كما تزعمون وطريق الخلق
هو الذي تعطيه ظواهر بقية النصوص فاعتماد اتباع محمد عليه
السلام في الاعتقاد عليه لا على النشو ولا يجوز لهم تاويل تلك
الظواهر وصرفها عن معناها الظاهر الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل
على ان الله تعالى خلق الانسان بطريق النشو كما تزعمون (هيات
هيات) فعند ذلك يضطرون الى تاويل ظواهر تلك النصوص
كما هو القاعدة عندهم في التوفيق بين الدليل النقلى والدليل
العقلي المتعارضين وبعد ذلك لا يخفى ان النشو عندهم لو ثبت
هو غير النشو عندهم لا نه لو ثبت عندهم كانوا يقولون هو بخلق
الله تعالى لما قام عندهم من الدليل على انه لا خالق ولا مؤثر سواه

والنواميس التي ترافقه ما هي الا اسباب عادية لا تأثير لها البتة
واما النشو عندكم فهو على زعمكم بتأثير تلك النواميس فستان
ما بين المعينين ثم لتعلموا ان الادلة التي تذكرونها في كتبكم على
النشو يظهر للناظر بعين الانصاف انها لا تضطر اتباع محمد عليه
السلام الى تاويل ظواهر تلك النصوص والقول بالنشو لانها ادلة
ظنية مبناها الفروض وهم لا يضطرون الى التاويل الا بمعارضة
اليقين كما علمتم فانتم لو فرض وصوكم الى ادلة يقينية قاطعة على
وجود الانسان بطريق النشو واعتقدتم بالدين الاسلامي الذي
اساسه ان الله تعالى هو الخالق للاكوان ولا تأثير لسواه فيها فلا مانع
يمنعكم من تاويل تلك النصوص وصرفها عن ظاهرها للتوفيق بينها
وبين ما قام لديكم حنيئذ من الادلة اليقينية ولا تخرجون بهذه
الطريقة عن الدين الاسلامي واعيد تحذيركم من الوقوع في الغلط
بظن الادلة الظنية انها يقينية فحرروا الدليل واستوضحوا السبيل
وربما يعارضكم حنيئذ ما قاله جمهور اتباع محمد عليه السلام من ان
الانسان الاول (آدم) قد خلق في جنة عدن التي هي غير ارضنا
او ما قاله بعضهم (هو السدى كما في كنز الاسرار) انه خلق في السما
الدنيا فان هذين القولين لا يوافقان النشو الذي مبناه انه حصل في
الارض فلكم مناص عن ذلك بالجري على ما قاله بعضهم (هو منذر بن

سعيد البلاطي وجماعة كما في كنز الاسرار ايضا) انه خلق في
جنة من جنان الدنيا وبذلك تكونون قد وافقتم قولاً لاتباع محمد
عليه السلام يدفع عنكم مضادة الدين الاسلامي وربما يعارضكم
ايضا ان الله تعالى بعد ما خلق الانسان الاول (آدم) خلق
زوجته منه واسكنها الجنة وتلك الجنة هي دار الثواب التي وعدها
الله تعالى عباده المؤمنين بعد الموت والبعث وهي غير ارضنا وهو
قول جمهور اتباع محمد عليه السلام فلكم مناص عن ذلك ايضا
بالجري على قول بعضهم (هو ابو قاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني
مفسر كبير كما نقله عنها الرازي) ان تلك الجنة كانت في الارض
ويحمل اهباطها منها على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله
اهبطوا مصر وان اشكل عليكم ايضا ما يقوله الاكثرون من
اتباع محمد عليه السلام (وهو غير مشكل اذ هو من الجائز العقلي
الداخل تحت تصرف القدرة الالهية هذا الحيوان الهيدرا يقسم
ثلاثة اقسام ثم يعود كل قسم حيوانا مستقلا كما تقدم ولكن جارينا
الخصم لتسهيل الامر عليه) من ان الله تعالى بعد ما خلق الانسان
الاول (آدم) خلق منه زوجته (حواء) اي من ضلع من اضلاعه
اليسرى لما ورد في شريعتهم من النصوص الاحادية ان المرأة
خلقت من ضلع اعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها

عوج استتمعت بها ولتصريح بعض اجلاء اتباعه بذلك (هم ابن مسعود وابن عباس وبعض الصحابة كما في تفسيراتي السعدي) فلكم مخلص عن ذلك ايضا بالجري على ما اختاره بعضهم (هو ابو مسلم الاصفهاني كما في الرازي) مؤلا النص الذي ورد في الشريعة من ان الله تعالى خلق من الانسان الاول زوجته بان المراد بخلقها منه انها من جنسه كما قال في نص اخر جعل لكم من انفسكم ازواجا وبهذه الطريقة ايضا تكونون قد وافقتم بعضا من علماء اتباع محمد عليه السلام بنوع من التاويل وبهذا لا تصادمون الدين الاسلامي مصادمة تخرجكم من عداد اتباعه اذ لم تكذبوا نصا معتمدا في الاعتقاد ولم تخالفوا اجماع اتباع محمد عليه السلام على امر معلوم من الدين بالضرورة غاية ما اجرىتم انكم خالفتم الاكثر ووافقتم البعض وتاولتم النصوص بتاويل يوفق بين الادلة النقلية والعقلية والله الهادي الى سواء السبيل

ثم بما تلخص مما قررناه من ان اتباع محمد عليه السلام يعتمدون في الاعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم التي عليها مدار الاعتقاد لثبوت ورودها قطعيا ولا يؤولونها ويصرفونها الى غير الظاهر اذا عارضتها ادلة عقلية ظنية بل اذا عارضتها ادلة عقلية يقينية قد يخطر في البال ان لكم ايها الماديون مجالا ان تقولوا سلمنا ان اتباع محمد عليه

السلام لا يسوغ لم ترك اعتقاد معنى النصوص المتعينة المعنى ولكن
 النصوص التي هي ظاهرة المعنى ما دامت تحتل معنى غير ظاهر
 وأن كان بعيدا فهي ظنية الدلالة على المعنى الظاهر وان كانت
 يقينية الوجود فقد تساوت في الدلالة مع ما يقوم عندنا من الادلة
 الظنية فما الحامل لهم على ترجيح تلك الظواهر على ادلتنا فاقول في
 الجواب ان النصوص الظاهرة المعنى وان كانت ظنية الدلالة على
 المعنى الظاهر منها في حد ذاتها اذ يحتمل ان يراد منها المعنى البعيد
 غير الظاهر ولكن الاصل في التخاطب ارادة المعنى الظاهر دون
 خلافه الا لداع يدعو اليه فارادة المعنى البعيد من غير داع يكون
 خلا في الافادة والاستفادة وخروجنا عن الاصل وفي ذلك من
 المفسد ما لا يخفى فلذلك اجمع اتباع محمد عليه السلام على اعتماد
 المعنى الظاهر وعدم الالتفات الى المعنى غير المتبادر الا لداع يدعو
 اليه وهو معارضة الدليل العقلي القاطع ويكون ذلك الداعي كالقرنية
 على ارادة المعنى غير المتبادر من اللفظ ويصير هذا المعنى بسبب
 ذلك الداعي هو الظاهر وهكذا كلفوا من جانب شريعتهم ان
 يعتمدوا المعنى الظاهر ولا يلتفتوا الى خلافه الا عند الداعي فلو
 فرض انهم اعتقدوا الظاهر من اللفظ قبل ظهور الداعي الذي
 يدعوهم للانصراف عنه يكونون قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في

ذلك ولو فرض انه ظهر لهم الداعي الى الانصراف عن الظاهر بعد ذلك وانصرفوا به يكونون ايضا قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في ذلك اذ هو حكم شريعته واما انحصار الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذي ثبت به صدق الرسول وهو العقل كما تقدم ورفض العقل يوجب رفض الشرع واما معارضة الدليل الظني فلا يكون داعيا لترك الظاهر لان رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما هو ظاهر لاحتمال انه فاسد فلو تركوا الظاهر واعتقدوا ما يدل عليه الدليل الظني لكانوا في معرض ان يكون اعتقادهم خطأ وحينئذ لا تعذرهم الشريعة في ذلك اذ لا ضرورة تدعوهم اليه كما تدعوهم الضرورة عند معارضة الدليل القاطع على ان اتباع الادلة الظنية وترك الظواهر يوجب اختباطا واختلاطا في الاعتقاد لا يحد فان الظنون كثيرة كل يظن ظنا ويمحمن تخميننا والاعتقاد يعتمد فيه اليقين فكان من الصواب ان يتمسك اتباع محمد عليه السلام بظواهر نصوص شريعته اليقينية الورد ولا يتحولون عنها الى خلافها لمجرد الظنون والله الهادي

وقد آن ان ابين لكم ان ادلتكم التي ذكرتموها في كتبكم على النشو وتوجيهاتكم له كل ذلك ظني لا يضطر اتباع محمد عليه السلام الى

تاويل نصوص شريعتهم الظاهرة المعنى بان وجود العوالم بطريق
 الخلق ولا اريد ان اتصدى لمناظرتكم في ابطال ذلك والرد عليكم
 في كل ما قررتموه في اثبات تلك الدعوى لان ذلك يحمل كلاما
 كثيرا نخرج به عن موضوع بحثنا الذي نحن بصدده ومن حقه
 افراد كتاب لذلك اعاني الله على جمعه ولكن اريد أن ابين لكم ان
 معتمد ادلتكم على النشو وتوجيهكم له لم يتجاوز الظن والتخمين وبذلك
 كفاية لما هو غرضنا ناقول ان معظم ما استندتم عليه في الاستدلال
 على نشو الانواع من اصل واحد انكم شاهدتم الاعضاء الاثرية
 في بعض الحيوانات لافي كلها ولا في غالبها وهي اثار اعضاء توجد
 في الحيوان كاثار ارجل مثلا غير كاملة بل الذي يظهر منها مبدا
 تكونها فقلتم انه لو كان كل نوع مخلوقا مستقلا كما هو مذهب
 الخلق لما كان لهذه الاثار فائدة لان مذهب الخلق يقتضي ان
 يكون في كل نوع اعضاءه اللازمة له ذات الفائدة لا اقل
 ولا اكثر وهذه الاعضاء الاثرية لا فائدة لها الآن فيظهر
 انها اثار اعضاء في نوع قديم وقد كانت لازمة له ثم لما طرأ
 على هذا النوع تغيرات تقتضي استغناءه عنها اخذت تتلاشى
 حتى لم يبق الآن الا اثرها او ان هذا النوع كان خاليا عن
 تلك الاعضاء فطرات عليه تغيرات تؤهله لان ينقلب الي

نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء التي ظهرت اثارها فابتدأت
تظهر فيه الآثار والخلاصة ان تلك الآثار اما آثار أعضاء كانت
قديمة واخذت تتلاشى واما مبادي أعضاء سوف تكمل وعلى
كل فقد ثبت صحة التغير للانواع وانتقال نوع الى نوع آخر
وذلك يدلنا على صحة النشو والارتقاء والافهام هذه الآثار وما استندتم
عليه بالاستدلال على النشو والارتقاء انكم وجدتم في اكتشافاتكم
الجيولوجية ان الاسبق في طبقات الارض هو ادنى النبات وادنى
الحيوان ثم بعده الارقي فالارقي حتى كان ارقى الجميع هو المتأخر
في زمن وجوده ومكانه من طبقات الارض العليا والادنى قد
تلاشى بعدما وجد الذي هو ارقى منه فلو كان مذهب الخلق هو
الصحيح لكان يوجد من كل نوع من الارقي والادنى في الازمنة
الجيولوجية المتقدمة والمتوسطة والمتأخرة وكان يشاهد ذلك في
الطبقات السفلى والوسطى والعليا من الارض ولكن ذلك لم يكن
فلولا ان الانواع مترقية عن بعضها البعض فاصل الموجودات هي
الدنيا ثم اخذت تترقى حتى بلغت ما هي عليه الان وكان الارقي
يلاشي الادنى بتنازع البقاء لما كان الحال كما اكتشفنا ثم احلتم
ذلك الارتقاء وتحول الانواع لبعضها وملاشاة الادنى بالارقي على
اربعة نواميس الاول ناموس الوراثة اي ان الفرع يرث صفات

الاصل الثاني ناموس التباينات اي ان كل فرع مع ارثه لصفات
 كانت في اصله لا بد ان يباينه في صفات اخرى الثالث ناموس
 تنازع البقاء اي ان الانواع تنازع بعضها في التسابق الى اسباب
 المعيشة ويطرأ عليها كوارث خارجية كالحر والقرو يهلك الضعيف
 بتغلب القوي او بالكوارث ويبقى القوي المتحمل لها الرابع ناموس
 الانتخاب الطبيعي اي ان القوي والانسب هو الباقي والضعيف
 وغير الانسب هو المثلثي فنتج عن ذلك انتخاب الطبيعة للانواع
 الحاضرة وتقررون النشو والارثقاء على وجود هذه النواميس هكذا
 نقولون ان اول موجود من الاجسام الحيوية هو المكون الاول
 البرتوبلاسم تكون من اجتماع بعض العناصر بسبب حركة اجزاء
 المادة ثم اخذ ذلك المكون في التوالد فصارت فروع تترث صفات
 منه وتباينه في صفات اخرى وهكذا جرت الفروع مع الاصول
 ويحدث الترقى بسبب ذلك الى ان بلغت رتبة ادنى الحيوان
 والنبات ودام الحال على ذلك فنشأ من ارث الفروع لصفات
 الاصول ومباينتها لها في صفات اخرى على كرور السنين وكثرة
 التباينات الموروثة ان صار الحال الى تنوع الانواع واشتقاق بعضها
 من بعض ونشأ من تنازع البقاء هلاك الضعيف وبقاء القوي
 ونتيجة ذلك على طول الزمان حصول الانتخاب الطبيعي ومن

ذلك كله وصلت الانواع الى ما هي عليه الآن واصلها واحد ولما
رايتم الانسان يشبه القرد ويقاربه في صورته وبعض اعماله قلتم
لا مانع ان يكونا اشتقا من اصل واحد وبذلك النواميس ترقى
الانسان عنه حتى وصل الى ما وصل اليه هذا واني رايت بعض
اخصامكم في مذهبكم هذا قد حاولوا ابطال مستنداتكم بتطويلات
تورث السامة بلا نتيجة كافية وانتم تروغون منهم وتحشدون الادلة
لا ثبات مذهبكم وطالت في ذلك بينكم المناظرة والفت فيها كتب
ورسائل بتطويل من دون طائل واست متصديا الان لما تصدى
اليه اولئك الاخصام ولكن اريد ان ابين لكم ان ما تعتمدون عليه
في الاستدلال على الارتقاء والنشوء امور ظنية لا يعتمد عليها في
الاعتقاد عند اتباع محمد عليه السلام ولا تعارض ظواهر نصوص
شريعهم فتضطرهم الى تاويلها اذ لا يضطرهم الى ذلك المعارضة
اليقين كما قدمنا

فاقول اعلموا ان الدليل متى طرأ عليه الاحتمال ولو كان احتمالا
بعيدا سقط به الاستدلال اعني الاستدلال على اليقين وهذا
حكم لا ينكر عند كل العقلاء ولا اخال انكم تنكرونه اذا تقرر ذلك
فاعلموا ان استدلالكم بالاعضاء الاثرية على النشوء بانها تدل على
تغير الانواع فتوافق مذهب النشوء ولا توافق مذهب الخلق هو

استدلال لا نتيجة له الا الظن وليس من اليقين في شي لتطروء
الاحتمال فيه اذ لقائل ان يقول ما المانع ان تلك الاعضاء الاثرية
لها فائدة وفيها حكمة قد خفيت عليكم كما خفي عليكم فوائد اشيا
كثيرة توجد في اجسام النباتات والحيوانات كما يظهر من مراجعة
كتب الفاثولوجية مثلاً هذه المادة الملونة في جسد الحيوان
مجهولة الفائدة في اكثر اجزاء الجسد الا في المقلة فالحكمة منها في
المقلة امتصاص اشعة النور الزائدة وامثال ذلك كثير فانتم لم تحيطوا
علماً بفائدة كل كائن حتى تجزموا بان تلك الاعضاء الاثرية
لا فائدة لها البتة سلمنا انها لا فائدة لها وانها تدل على تغير النوع
الذي هي فيه لكن نقول انها لم توجد الا في بعض الانواع ولم توجد
في كلها بل ولا في غالبها وعلى ذلك فما المانع من ان التغير قد يوجد
في بعض الانواع وهي التي وجدت فيها تلك الاعضاء فيتحول
نوع الى نوع آخر باسباب وضعها الله لذلك واما باقي الانواع التي
لم توجد فيها تلك الاعضاء فقد خلقت مستقلة ولم يطرأ عليها ذلك
التغير فلم يثبت مذهب النشو الذي قلتم بعمومه في كل الانواع
مثلاً يمكن ان يكون قد حصل تغير في نوع من الحيات التي
وجدتم فيها الاعضاء الاثرية فكانت اولاً مثل الحرذون ذات ارجل
ثم لما استشعر الانسان او غيره من الحيوان باذيتها تسلط عليها بالقتل

فصارت تحذره وتسلك في اوكار الارض وتنسل في التراب وتهمل استعمال ارجلها لاستغنائها عنها فعلى طول الزمان غير الله خلقها بذلك السبب العادي واخذت تتلاشى ارجلها بخلق الله تعالى ويتنقل ذلك التغير الى فروعها ويورث ذلك التلاشي حتى بلغت الى ماهي عليه الآن ولم يبق الا اثار تلك الارجل (هنا مجال لما ورد في بغض الآثار الاحادية عن ابن عباس وابن وهب وغيرهما من المفسرين ان الحية كانت من حيوانات الجنة فتوسطت لا بليس بدخولها ليوسوس لآدم عليه السلام فاهبطها الله تعالى الى الارض ومسح صورتها وقد كانت حسنة الصورة ذات قوائم اربع نقله في كنز الاسرار) وهكذا يقال في بقية ما شوهده في الاعضاء الاثرية واما بقية الانواع وهي الاكثر فنقول انها لم يحصل لها ادنى تغير بل هي كما خلقت فعلى هذا التقرير يكون حكمكم على جميع الانواع بالتغير وباستنتاج النشوء منه حكما مبنيا على الظن الذي نتج معكم من الاستقراء الناقص الذي لا يفيد اليقين الاترون انه لو فرض ان اناسا كانوا يسكنون البراري البعيدة عن البحار والانهار ولم يشاهدوا الا حيوانات البر التي لا تعيش في الماء وحكموا بما استقروه من تلك الحيوانات بان الحيوان لا يعيش في الماء يكون استقراؤهم ناقصا وحكمهم خطأ واذا وردوا شطوط

البحار والانهار وشاهدوا حيواناتها ظهر لهم خطوهم في حكمهم السابق
 هذا ثم ان مشاهدتكم في اكتشافاتكم الجيولوجيه ان الاسبق في
 طبقات الارض هو ادى النبات وادنى الحيوان ثم بعده الارقى
 فالارقى حتى كان ارقى الجميع هو المتأخر في زمن وجوده ومكانه
 من طبقات الارض وانه قد تلاشي الادنى فالادنى الى آخر ما
 تقدم من تقريركم واستدل لكم بذلك على الترقى والنشوء وان ذلك
 لا يوافق مذهب الخلق فاقول دلالة هذا الحال في الاكتشافات
 بعد تسليمه على الترقى والنشوء مظنونة ايضا اذ يقال ما المانع من
 ان اول ما وجد في طبقات الارض ادنى النبات وادنى الحيوان
 ثم اوجد الله تعالى ما هو ارقى منها مستقلا كل نوع منه ليس ناشئا
 عن نوع من انواع ذلك الادنى ثم اباد الادنى لاسباب كونية من
 نحو ان الدور الزماني لم يبق مناسبا له وانما يناسب ما وجد بعده
 او ان الارقى تغلب عليه او غير ذلك من الاسباب ثم بعد دور
 آخر اوجد ما هو ارقى من الثاني مستقلا كل نوع منه ايضا غير
 ناشئ عما قبله ثم اباد الثاني لاسباب أخرى كونية كما تقدم ثم بعد
 دور آخر اوجد ما هو ارقى من الثالث مستقلا كل نوع منه ايضا
 ثم اباد الثالث وهكذا الحال حتى وصل الدور الى انواع النبات
 والحيوان الموجودة الآن مستقلة انواعها غير ناشئة عما قبلها وقد اباد

ما قبلها بمثل تلك الاسباب فبقيت احافيرها واثارها في طبقات الارض واذا كان هذا الاحتمال قائما فإين اليقين في استدلالكم على الترقى والنشوفيا اظهرته اكتشافاتكم الجيولوجية وبهذا الاحتمال لا تخاف تلك الاكتشافات مذهب الخلق ونظير وجود نباتات وحيوانات تلك الادوار الجيولوجية مستقلة غير ناشئة عن بعضها بل كان وجود كل رتبة منها لمناسبة دورها الزماني ما نشاهده كل عام في توالد كثير من النباتات والحيوانات عند انقضاء فصل الشتاء وقدم الربيع والصيف فان اول ما ينبت عند ذلك النبات الذي مثل الطحالب والاعشاب ثم يتدرج الامر الى الارقى فالارقى من النبات كلما تزايد الحروهم جرا واول ما يتولد او تنفرج عنه بيوضه الحيوان الذي مثل البكتوريا والحيوانات المتولدة في العفونة والبراغيث والذباب ثم يتدرج الامر كذلك الى الارقى فالارقى حتى يصل الدور الى بروز النباتات والحيوانات العليا وليس شي من تلك الانواع ناشئا عن نوع اخر ومتحولا عنه ونرى الانواع التي تنشأ اولافي اول تلك المدة كلما تقدم زمن الحروهم يهلك كثير منها لاسباب كونية من نحو تأثير الحروبها او سطوة الانواع التي توجد بعدها ارقى منها ونحو ذلك وعند انتهاء مدة الصيف لا يبقى غالبا الا الانواع العليا التي هي منتخبات جميع ما

تولد في تلك المدة والتي هلكت تبقى لها بقايا في الارض كبقايا
الاحافير فهذا الحال السنوي يكون حاكيا وممثلا للحالة الجيولوجية
التي اطلعتكم عليها اكتشافاتكم من ان اول ما وجد الادنى ثم الارقي
فالارقي حتي وصل الحال الى الانواع الحاضرة وهلك ما قبلها فقد
سقط استدلالكم باكتشافاتكم على النشو كما هو ظاهر للنصف ثم
النواميس الاربعة التي احلتم الارتقاء والنشو عليها ليست هي
ادلة تقوم عليها بل هي لكم بمنزلة واسطة توجيه كيفية جريان
التلقي والنشوي عالم النبات والحيوان فانا لا اسلك معكم مسلك
اخصامكم الذين اخذوا في محاولة ابطال تلك النواميس واخذتم في
محاولة اثباتها ولكني ابين لكم منزلتها من الثبوت ومقدار ما ينتج
عنها متى ثبتت فاقول اما ارث الفروع لصفات الاصول فهذا امر
مشاهد لا ينكره اتباع محمد عليه السلام ويقولون انه جائز الحصول
بخلق الله تعالى سواء كان لاسباب عادية ام لا وكذلك تنازع
البقاء لامانع من حصوله وانه ينتج عنه ان بعض الانواع تبقى
وبعضها تهلك والمرجع في ذلك الى الله تعالى ونحن الى الان لم
نزل شاهد هذا الناموس بين الخلق حتى في اصناف البشر ولكن
هذان الناموسان يصح ان يحصلوا مع النشو او مع الخلق فاي مانع
من كون الانواع وجدت مستقلة ومع ذلك تترث الفروع صفات

الاصول وتتنازع الانواع البقاء فيبقى القوي ويهلك الضعيف
 مع ان كل نوع منها مستقل ليس ناشئا عن سواه من الانواع واما
 ناموس التباينات وهو ان كل فرع مع ارثه صفات اصله لا بد ان
 يباينه في صفات اخرى فهذا الناموس قد نازعكم فيه اخصامكم
 بان التباينات التي تحدث في الفروع هي عرضية ليست جوهرية
 حتى توجب تغير النوع وانتقاله الى نوع آخر وانتم قلتم انها على
 مرور الملايين من الزمان وتكرر تلك التباينات وتتابعها تصير
 جوهرية وتوجب تغير النوع وتحوله الى نوع آخر وخضتم معهم بهذا
 المبحث وبنيت المباني الشاهقة تطويل بدون طائل واقول ان
 ناموس التباينات اي ان الفرع يباين اصله في صفات ليست فيه
 هو مشاهد في النبات والحيوان واقول ان الله تعالى قد جعله في
 المخلوقات لاجل التمايز اذ لو كانت افراد الانواع على صورة واحدة
 في كل نوع لحصل من ذلك اشتباه بينها ونشا عنه اختلال في
 نظام العالم لا تدري نهايته فكان الرجل لا يعلم ابنه ولا زوجته ولا
 ما يعلمانه ولا يعلم فرسه وفي ذلك من فساد المعاملات وضياع
 الحقوق ما لا يخفى وليس هذا الناموس خاصا في النبات والحيوان ولا
 في الفروع مع الاصول بل هو عام في كل الموجودات فلا ترى شيئا
 يشابه شيئا آخر تمام المشابهة سواء كان فرعه ام لا حتى في صنائع

الاشر فلا ترى كتابا يشابه كتابا آخر تمام المشابهة ولو حصل كامل
 التحري من صانعهما في اكمال المشابهة باختيار اوراقها وطبعها بمطبعة
 واحدة ولا ترى قدحا يشبه قدحا ولا حبة خردق تشابه حبة أخرى
 تمام المشابهة ولو تحرى الصانع كامل الاسباب المفضية الى تمام
 المشابهة بل لا بد من تباين هناك ولو كان خفيا جدا يظهر عند
 تدقيق النظر وما ذلك الا لطف من الله تعالى لاجل التمايز كما
 قلنا فالتباين في الموجودات هو ناموس وهي من الخالق سبحانه
 وليس بطبيعي كما نقولون والا فان نظر فيه طبيعيا بين الفروع
 والاصول فقد كان من حق الفرع ان ياتي طبق اصله ويرث جميع
 صفاته ولا يباينه في شيء الا عند عروض سبب موجب ولكن مهما
 اتفق من توحيد الاسباب للمشابهة لائتم بين شيئين اصلا لابين
 الفرع واصله ولا بين الفرعين المتحددين في جميع اسباب التكون
 كمثل التوأمين اللذين يولدان في كيس واحد ومشيمة واحدة ثم
 يتحرى في تربيتها توحيد الاسباب التكوينية على غاية الدقة فلا
 بد من التباين بينهما والتماثل اسباب وهمية للتباين حيث ذكر كما
 نسمعه عن بعضكم ما هو الا تعسف اورد وخارج عن دائرة الانصاف
 اذا علمتم ذلك فنقول ما المانع من ان تباين الفروع للاصول الذي
 اعتمدتم عليه في تغير النوع وتحوله الى غيره على طول الزمان يكون

محدوداً بمقدار لا يخرج النوع الى نوع آخر وبذلك المقدار ثم
فائدة التمايز بين الافراد فيمكن ان الله تعالى قد جعل فروع الفرد
الاول من النوع تباينه في صفات وفروع الفروع تباين اصولها ايضاً
وهكذا الى حد محدود من سلسلة النسب يجري في ملايين من
الافراد والصور الى درجة لا يخرج بها النوع الى نوع اخر ثم يكر
سبحانه على الفروع فيعطىها صور اجدادها السابقة وهكذا حتى
يتم الدور الثاني لاستيفاء الفروع صور الجدود ثم يعيد ذلك العمل
في الفروع التي تجيء بعد ذلك وهكذا حتى ينقضي هذا النوع
او ينقضي هذا العالم وربما يبرهن هذا الحال للاجيال الآتية بعدنا
اذ وصلت لايديهم صور من الصور الشمسية لاهل هذا الزمان ثم
قابلوا بينها وبين فروعها التي تكون في ايامهم فيظهر لهم تكرار صور
الاجداد الظاهرة للنظر في فروعهم ثم نقول اذا تصورنا ما يحدث
من تكاثر الصور والاشكال بسبب ادنى تغيير بين الفروع واصولها
نجد ان الصور تتكاثر كثيراً في تلك الكيفية التي قررناها ولا تخرج
النوع ولا تحيله الى نوع آخر لانها محدودة كما فرضنا انظروا للنوع
الانساني وما يوجد منه على وجه الارض من الملايين وما بين
افراده من التباين الواسع كما بين الزنجي والرومي هل اخرج ذلك
التباين صنفاً منه عن النوع وادخله في نوع آخر كلا ولا تستغربوا

رجعة الفروع الى صور الاجداد القديمة فانكم قد قلتم بمثل هذا
الناموس وهو ناموس (الاتافيسم) اي الرجوع الى الجد ويسميه
بعضكم بالدور الوراثي او الرجعة فقلتم ان الصفات قد تكمن في
اجيال ثم تظهر في الاولاد بعد ذلك كمثل ما اذا تزوج زنجي برومية
فقد تاتي اولادها ايضا مثلها ثم بعد اجيال ربما يظهر في بعض نسلها
بعض اولادهم ما كان في جدهم الزنجي من الصفات والتكوين وكذلك
يجري هذا الناموس في العوائد والاخلاق والامراض والمخص ان
ما فرضناه من تحدد التباينات بين الفروع والاصول وتكرارها هو امر
جائز الوقوع لا ترفضه العقول وقد ورد في الشريعة المحمدية ما يشير
الى رجوع صور الاجداد في الفروع اذ قد نقل عن صاحب
الشريعة عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى في القرآن
في خطاب الانسان (في اي صورة ما شاء ربك) ان النطفة اذا
استقرت في الرحم احضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم
وصورها في اي شبيه شاء (كذا في تفسير روح البیان) فادام
الاحتمال قائما في ناموس التباينات في ان يكون محدودا في كل
نوع الى درجة لا تخرج النوع الى نوع اخر وتعاد تباينات الاصول
في الفروع وهم جرا فبلوغه الى درجة يصير بها التغير جوهريا حتي
يحيل النوع الى نوع اخر هو امر مظنون فلا يعتمد عليه فقد سقطت

ايهتمكم في تقرير هذا الناموس واحالة تغير الانواع به على الملايين
 من السنين والمخلص ان هذا الناموس وهو التباين غير المحدود
 على زعمكم وان كان جائزا عقلا والتغير به جائز ايضا وكل داخل
 تحت تصرف القدرة الالهية ولكن وقوع ذلك الناموس مظهر
 غير يقيني فحصول نتيجته وهو تغير الانواع الى بعضها يكون مظهرنا
 فاتباع محمد عليه السلام لا يعبئون بهذا الناموس ولا يعتبرونه
 منتجا للنشوفلا يضطرون الى تاويل ظواهر نصوص شريعتهم الدالة
 على الخلق ووجود الانواع مستقلة بل يدومون على اعتقادهم بانها
 وجدت بالخلق الا اذا فرض قيام دليل يقيني قاطع يدل على
 خلافه (وهيات هيات) فحينئذ يجرون على القاعدة المتقدمة في
 التاويل للتوفيق بين الدليل العقلي والنقلي واما ناموس الانتخاب
 الطبيعي فهو عندكم بمنزلة نتيجة للنواميس الثلاثة المتقدمة فتواجه
 عنها يكون مظهرنا وبعد تسليم حصوله يقال يمكن ان يكون هذا
 مع وجود الانواع بطريق الخلق بان يكون قد وجد اول الادنى
 منها ثم وجد الارقي مستقلا غير ناشي عن الادنى فتنازع البقاء
 مع الادنى واباده ثم وجد ارقى من الثاني مستقلا ونازعه واباده
 وهلم جرا الى ان وصل الحال الى الانواع الموجودة الآن بدون ان
 يكون نوع ناشئا عن نوع اُفقد ظهر ان وجود الاحسن والاناسب

الآن ليس لازما خاصا للنشوبل يمكن ان يكون مع الخلق
ولاستقلال الانواع فحصوله لايدل على النشوبالمختص انه يمكن
تقرير هذه النواميس الاربعة مع القول بالخلق واستقلال الانواع
بان يقال يمكن ان الله تعالى خلق اول الانواع الدنيا ثم خلق انواعا
ارقي منها مستقلة ليست ناشئة عنها ثم اباد الاولى باسباب كونية
وتنازع البقاء مع الثانية ثم وثم حتى بلغ الحال الى هذه الانواع
الموجودة الآن وهي احسن وانسب من جميع ما مر من الانواع
فهذه الحال تضمنت ناموس التنازع وبقاء الاحسن والانسب ومع
ذلك ايضا قد اجري سبحانه ارث الفروع لصفات الاصول ومباينة
الفروع للاصول في صفات اخرى ولكن ذلك التباين الى حد
محدود بحيث لا يحول النوع الى نوع اخر وحكمته التمايز كما قلنا
وهذه الحال قد تضمنت الناموسين الباقيين وهما الارث والتباين
المشاهدان مع ان الانواع قد وجدت بالخلق والاستقلال عن
بعضها واكتشافاتكم الجيولوجية لا تنافي شيئا من هذا التوجيه فهل
عندكم دليل على امتناعه كلا ثم كلا وبعد جميع ما تقدم لا يكون
النشوراجحا على الخلق في نظر العقل بل هما على حد سواء فكل
منهما محتمل جائز داخل تحت تصرف القدرة الالهية وبهذا تبين
ان النشوايس مظهرنا ايضا في نظر العقل بل هو مشكوك ولكن

اتباع محمد عليه السلام يرجحون عليه القول بالخلق واستقلال
الانواع ويجزمون به لظواهر نصوص شريعتهم وانتم لاداعي لكم الى
ترجيح النشو والجزم به بعد ما اظهرت لكم منزلته من الثبوت هذا
وبعد ما تقدم اذا لم يثبت النشو فلا يني عليه اشتقاق الانسان
والقرد من اصل واحد كما تزعمون وقولكم انه بمقتضى مشابهته للقرد
لا يمتنع ان يكون قد اشتق هو واياه من اصل واحد شبهة في غاية
السقوط لان المشابهة الصورية لا توجب هذا الامر ولا تقتضيه كما
هو ظاهر وان قلتم نعم هي لا توجبه ولكن لا اقل من انها تحدث
الظن به قلت ان اتباع محمد عليه السلام لا يعتمدون الظن في
باب الاعتقاد ولا يعتبرونه معارضا لظواهر نصوص شريعتهم على
ان تلك المشابهة يعارضها امر يدفع ما حدثته من الظن وهو اننا نرى
الانسان في اول ولادته في غاية من الضعف عقلا وجسدا لا يقدر
على مشي ولا جلوس بنفسه ولا ادنى حركة جسدية تكون منتظمة
وهو في غاية البلادة والبله لا يدري ما هو محيط به ولا يعرف الارض
من السماء ولا النار من الماء فلا يتجنب مؤذيا ولا يختار نافعا حتى
لا يدري كيف ياخذ ثدي امه فتعالجه الايام حتى يهتدي اليه ثم
بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه قد اخذ يترقى في
القوة والادراك حتى يبلغ درجة فيها لم تكن منتظرة منه فيما

لوقيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها اقوى منه حالا
جسدا وادراكا وهذه الحالة فيه من اعجب اعمال الخالق سبحانه وتعالى
ودليل ساطع على عظمة قدرته في ترقية اضعف حيوان وابلده الى
درجة لم يلحقه فيها لاحق فيغدو قويا جبارا يقتلع الصخور ويشيد
المباني الهائلة عدان كان في غاية الضعف والعجز ويصبح عالما
مدققا وفيلسوفاً محققاً بعد ما كان مغموساً في تلك البلادة الصماء
ويتسلط بقوته وادراكه ويقهر حيوانات البحار ووحوش القفار
ومحلقات الاطيار ويضبط نظائرات السموس والاقمار وهو اما مقر
بخالقه الواحد القهار واما منكره اشد الانكار واما القرد فهو مثل
غالب الحيوانات يولد على نوع من القوة تؤهله للحركة الكافية
حينئذ في مساعدة امه البهيمة على تربيته وعنده من الادراك
مقدار ليس عند طفل الانسان منه اترفيه تدي الى غذائه المعد له
فيلتقم ثدي امه بدون تلك المعالجة التي تعالجها ام الانسان ويمجئ
المؤذي ويختار النافع وفي اقرب مدة لا يتاهل فيها طفل الانسان
للمجلوس على اليته يقوى هو على السعي في جلب رزقه ويتم ادراكه
لاعمال حياته بمقدار يجعله بمنزلة الكبير من بني نوعه وهو لم يزل
(قشة) اي جرواً صغيراً فستان ما بينه وبين الانسان فلو كان
الانسان مشتقاً هو والقرد من اصل واحد ومترقياً عنه لكان من

حقه ان لا يكون في تلك الحالة التي ذكرناها فيه فلا يكون عند ولادته دون القرد الذي ترقى هو عنه اذ يقال ما السبب في ذلك الانحطاط في القوة والادراك في طفل الانسان مع ان شريكه في الاشتقاق من اصل واحد الذي ترقى هو عنه نراه اكمل منه فيها ولو قيل انه ترقى عن شريكه في حسن الصورة وانحط عنه في القوة والادراك لاسباب اوجبت ذلك قلنا فما الذي اكملها له عند الكبر ورفاه فيها على القرد بكثير فالحق ان هذا مما يوهن كل الوهن قولكم باشتقاق الانسان والقرد من اصل واحد اذا لم نقل انه يبطله فاذا تأملتم ايها الماديون بعين الانصاف ظهر لكم ان المشابهة الصورية بين الانسان والقرد لا تقاوم هذا الفرق العظيم الذي شرحناه لكم بينها هداانا الله تعالى واياكم لما فيه الصواب فهذا ما اردت الان ايراده عليكم وهو كاف في بيان ان دلائلكم ومعتمداتكم في النشوظنية لا تعارض نصوص الشريعة المحمدية وقد رايت اخصامكم قد خاصوا معكم في ابجاث لاحاجة لنا فيها فانكروا عليكم تغير الانواع وقمتم تبرهنونه حتى بتغيرها الصناعي وانكروا وجود الحلقات بين نوع ونوع آخر تزعمون انه نشأ عنه نقلتم ان الحلقات قد وجدت في البعض ومنيتم انفسكم بانها سوف توجد بالاكتشافات الجيولوجية في الباقي وكل ذلك خبر يحتمل الصدق والكذب فمن

منارافق الجيولوجيين في اكتشافاتهم وشاهد تلك الحلقات فسبحان
 الغليم بحقيقة الامر على انه لو ثبت فلا يزال الاحتمال حاصل في
 انها انواع مستقلة كما قدمنا فبقيت ادلتكم مظنونة فبالاختصار
 لا داعي لنا الى الخوض معكم فيما خاضت فيه اخصامكم ويكفي ما
 قررناه لاعتماد ظواهر النصوص الشرعية ولو اردنا الخوض معكم
 في ذلك لاريناكم قيمة تلك الادلة التي اعتمدتموها وظهرنا لكم ان
 اساسها الوهم واركانها الفروض وان وفق الله تعالى كتبت في
 ذلك الموضوع ما يشفي الغليل

هذا ثم قولكم ان الحياة وعقل الانسان ماها الا ظاهر من ظواهر تفاعل
 اجزاء المادة المتحركة وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة خاليا عن
 الحياة والادراك وان عقل الانسان لا يخالف عقول بقية الحيوانات
 الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة فجميع ذلك يمكن انطباقه على ما
 في الشريعة الاسلامية اما الحياة فقد عرفها اتباع محمد عليه السلام
 بانها صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة
 مصححة لاتصاف الذات بها (كذا في روح البيات ومثله في
 الرازي) فهم اذا عرض عليهم كلامكم هذا في الحياة من انها ظاهر
 من ظواهر تفاعل اجزاء المادة الى اخره يقولون ان الحياة عندنا
 صفة عرضية لا مادة فهذا الظاهر الذي تقولون بانه الحياة

صفة عرضية فلا مانع من أن تكون الحياة هي هذا الظاهر ولكن اتباع محمد عليه السلام يقولون حدوثها في الحيوان بخلق الله تعالى لا كما تقولون بأنها حدثت بحركة اجزاء المادة التي تزعمونها بلا دليل كما تقدم وان كان من الجائز ان تكون تلك الحركة موجودة ايضا بمحض خلق الله تعالى وتسبب عنها ذلك الظاهر الذي هو الحياة كعادته تعالى في انتاج المسببات عن الاسباب واما العقل فقد اختلف فيه اتباع محمد عليه السلام فبعضهم اختار الوقف عن شرح حقيقته لانه قال هو من المغيبات التي لم يشرحها لنا الشرع فالاولي والادب الكف عن الخوض فيه وعلى هذا فهمها قلتم في تفسيره مما لا ينافي شيئا من نصوص الشريعة المحمدية فاتباع محمد عليه السلام يقولون لكم ان تفسيركم محتمل الصحة لا مانع ان يكون هو الصواب فقولكم انه ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة يمكن ان يكون صوابا ولكن ذلك الظاهر حدث بخلق الله تعالى لا كما تقولون من انه حدث بمحض تلك الحركة وبعضهم خاض في تفسير العقل واقتوال جملهم متطابقة على كونه عرضيا وجلها انه من قبيل العلوم اي ملكة تدرك بها العلوم النظرية وقول بعضهم انه نور وكذا ورد في بعض الآثار الاحادية (كما في ادب الدين الماوردي) يريد انه نور معنوي فلا يخالف انه من جنس العلوم

ومنه من قال انه جوهر وقد رد هذا القول (كذا يوخذ من عبد
السلام وحاشية الامير عليه) هذا كله في العقل الغريزي اما العقل
المكتسب الذي هو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة وصحة
السياسة واصابة الفكرة (كذا في ادب الدين الماوردي) فعلى هذا
فمن الواضح انه لا منافاة بين قول جل من خاضوا في تفسير العقل
الغريزي وبين قولكم اذ ان القولين متفقان على انه عرض فاذا قيل
لاتباع محمد عليه السلام عند جريم على هذا القول ان ذلك العرض
هو ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة فلا مانع يمنعهم ان يقولوا
يمكن ان يكون هو هو وذلك الظاهر هو الذي يحصل به الادراك
للعلوم لكن وجوده ووجود الادراك به بمحض خلق الله تعالى فلا
ينافي ذلك عقائدنا وانتم حينئذ ما بينكم وبينهم الا ان تقولون ان
ذلك الظاهر حدث بخلق الله تعالى واما قولكم ان عقل الانسان
لا يخالف عقول الحيوانات الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة
فهو ايضا لا يصادم شيئا من نصوص الشريعة المحمدية المعتمدة في
الاعتقاد اذ غاية ما تفيده تلك النصوص ان الانسان قد خص
بالعقل عن سائر الحيوانات وبه كلف بالشرائع دونها واما كونه
مغايرا لادراكها في الذات والحقيقة ام لا فلم يرد في تلك النصوص
ما هو تصريح بشي منها فاتباع محمد عليه السلام اذا سئلوا عن

هذا يقولون لا مانع ان يكون ادراك الحيوانات الذي اعطيته لتدبير
 معيشتها وعقل الانسان هما من مقولة واحدة هي عرض من
 الاعراض يحصل بخلق الله تعالى ولكنه قد زاد حتى بلغ في
 الانسان درجة تؤهله لاستنباط العلوم والتمييز بين الاخلاق
 الحميدة وغيرها والاستحصال على بقية ما يتميز به الانسان عن
 الحيوان وهذه الدرجة هي التي تجعلها هلا للتكليف الشرعي وسميت
 عقلا لانها تعقله عن ارتكاب خلاف الصواب فالقول بان العقل
 الانساني لا يخالف ادراك الحيوانات الا بالكم لا ينافي الدين
 الاسلامي وهو قابل للانطباق عليه وعلى هذا فجميع ما يرد
 في الشريعة من تعظييات عقل الانسان من نحو انه نور ومدار
 التكليف وغير ذلك فانما هي تعظييات لتلك الدرجة السامية من
 الادراك لا اشياء مغايرة لادراك الحيوانات في اصل الحقيقة
 والله اعلم

واما انكاركم لبقية المسائل التي وجدتموها في الشريعة المحمدية
 لادليل عليها في علومكم او انها مرفوضة فيها فقد ورد لنا معكم من
 المباحث ما قد انجز الكلام في بعضها وانا انبه على ذلك فيما سيأتي
 والباقي منها سأبين لكم تحقيق الكلام فيه بعون الله تعالى واريكم
 انه لا يوجد منه ما ترفضه العقول بل كل منطبق على قواعد العقل

السليم فاستمعوا ما اقول اما ان مادة العالم حدثت بعد ان كانت
 معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع الكائنات
 على هذا النظام هو الآله وانه قادر على ملاقاتها واعدامها من
 الوجود كما اوجدها بعد العدم وان الله تعالى خالق الانسان نوعا
 مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق انثاه واسكنها في دار تسمى الجنة
 ثم اهبطها الى الارض لمخالفتها ما نهاها عنه وان جميع ما يحدث
 في هذا العالم فهو بقضاء الله تعالى وتقديره اي انه يعلمه ويريده
 ويرزه الى الوجود بقدرته وان جميع ما يقضيه فهو بخلقه يوجد
 ويكون لا خالق سواه وانه وان يكن قدر ربط المسببات بالاسباب
 وجعل الاولى تنشأ عن الثانية فهو الخالق للثنتين يخلق السبب
 ويعقبه بخلق المسبب وجميع الاشياء انما يوجد تاثيرها المشاهد لنا
 بخلقه وايجاده ولا شي يؤثر بطبعه او بقوة اودعت فيه وانه سبحانه
 موجود قديم دائم يستحيل عليه العدم واحد احد في ذاته وصفاته
 غني عن كل ما سواه مفتقر اليه جميع ما عداه لا يشبه شيئا من جميع
 الموجودات ولا يشبهه شي منها يريد اتم الارادة عالم اكمل العلم
 ما كان يكون وما هو كائن لا يعزب عن علمه شي قادر على كل شي
 من الجائز العقلي مها كان عظيما جسيما حي متصف بصفات الكمال
 التي تليق به منزله عن صفات النقصان فهذه المسائل قد تقدم

في المباحث التي بسطتها لكم ما فيه الكفاية في الكلام عليها لان
 منها ما اقمتم لكم برهانا على تحققه وثبوتة وذلك كحدوث المادة
 ووجود الاله سبحانه واتصافه بصفاته ومنها ما وفقت بينه وبين
 ما يعارضه من علومكم وذكرت لذلك توجيهها موافقا او هديتكم الى
 الطريق الذي بسلوكه لاتصادمون الدين الاسلامي مصادمة توجب
 رفض اعتقاده والذي لم اصرح به من ذلك فقد يؤخذ من
 المباحث المتقدمة بادنى تأمل ويوجد بسط الكلام عليه في كثير
 من الكتب الاسلامية فليرجع اليه من يريد

واما ان الله تعالى خلق سبع سموات فوقنا وخلق جسما كبيرا يسمى
 كرسيه فوق تلك السموات وجسما اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان
 بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة وانه خلق جسما كبيرا
 يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلما لاثبات ما يكون وتسطيعه لا عن
 حاجة الى ذلك وانه يجري نعيم الانسان في دار خلقها تسمى الجنة
 وعذابه في دار تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب عالم الارض
 والسموات وبعثهم بعد الموت فاقول انتم واتباع محمد عليه السلام
 تقولون بالخلاء الممتد وهو البعد الشاسع الذي تتيه الافكار في
 سعته ثم انتم تقولون ان الشمس والكواكب قائمة في الفراغ الشاسع
 بناموس الجاذبية وفي اقوال بعض اتباع محمد عليه السلام ما

يوافق قولكم هذا في ان الشمس والكواكب ليست مركوزة في السماء بل هي قائمة في الفراغ وفلكها هو مدارها فيه كما تقدم فما المانع من ان يكون وراء تلك الكواكب في ذلك البعد الشاسع قد خلق الله تعالى تلك الاجسام المذكورة وهي السموات السبع (وكونها غير مرئية يجري على قول بعض اتباع محمد كما تقدم وهو ابو بكر ابن العربي) والعرش والكرسي واللوحي القلم والجنة وجهنم واقامها هناك بقدرته سبحانه سواء اقامها بناموس من النواميس التي يضعها في نظام مخلوقاته ام بغير ناموس اذ هو قادر على ذلك حسب اعتقاد اتباع محمد عليه السلام من ان النواميس اسباب عادية كما اقام الشمس والكواكب في الفراغ التي هي فيه ثم الجميع بعيد عنا بمسافات شاسعة كما بينها مسافات كذلك وما ادركناه من عظمة ذلك الآله وعظمة قدرته في مصنوعاته التي نشاهدها لا يبعد عنده شيء من ذلك عليه فكل ذلك جائز ممكن لا يحيله العقل وقدرة الآله صالحة تتعلقها بايجاده وعدم وصولكم الى ادراكه بحواسكم او بوسائط اخرى لا يقتضي عدمه ومن تقرير هذا المقام يظهر انه لا مانع ايضا من وجود سبع ارضين كما ورد في بعض نصوص الشريعة المحمدية وتكون الارضون الستة قائمة في الفراغ الذي فيه ارضنا وسائر الكواكب ولا مانع من اشتغالها على عوالم كما تظنون انتم في اشتغال

الكواكب على ذلك وان قلتم اننا لم نرها بالنظارات المكبرة قلت
 يحتمل انها ليست منيرة تصلح للرؤية بها ويحتمل انكم رايتها
 وحسبتموها في عدد الكواكب القائمة في الفراغ وان قلتم سلمنا ان
 جميع ذلك جائز الحصول ولكن ما الدليل على ان ذلك حاصل
 بالفعل وما الذي حمل اتباع محمد عليه السلام على القول به قلت
 الذي حملهم على ذلك وهو دليلهم عليه نصوص شريعتهم الصريحة
 في وجود تلك الاجسام وهي نصوص واردة ورودا قطعيا عن
 رسولهم عليه السلام وهو الصادق في جميع ما يخبر به لانه معصوم
 عن الكذب لثبوت رسالته من عند الله تعالى بالبراهين القاطعة
 التي قامت عند اتباعه وان قلتم ولم يخلق الله تعالى هذه الاجسام
 قلت كما خلق الكواكب والارض وبقية العوالم التي تشاهدونها
 فهو اعلم بحكمة خلق الجميع وهو فاعل مختار لا يستل عما يفعل وقد
 قدمت لكم فيما سبق البرهان على قصور العقول عن الاحاطة
 بادراك جميع اسرار اعماله سبحانه فارجعوا اليه وقد ذكر اتباع محمد
 عليه السلام حكما واسرار خلق تلك الاجسام يطول بنا الشرح
 اذا بسطناها فارجعوا الى كتبهم اذا شئتم

واما ان ذلك الآله خلق اجساما نورانية تسمى الملائكة قادرة على
 التشكل وانها تقطع المسافات التي بين السموات والارض في مدة

قصيرة جدا وانها تترامنا ولا نراها وانها تفعل افعالا تعجز عنها
القوى البشرية وان السموات مملوءة بها كما انه اوجد اجساما
اخرى تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصهم من نحو
الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على افعال
عظيمة ولكنها تخالفهم في انها ليست نورانية مثلهم الى اخر ما مر
وتسمى هذه الاجسام جنا فاقول ما المانع ان الله تعالى خلق اجساما
بتلك الخواص تسمى ملائكة واجساما اخرى نظيرها فيما تقدم
تسمى جنا ويمكن ان تكون مادتها كمادة الاثير الذي يقولون بانه
مالي الكون ولم تروه او كمادة الهواء كونها الله تعالى وجمع اجزاءها
بكيفية تجعلها صالحة لتلك الخواص التي ذكرت لها كما كون الحيوان
من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته الحياة وجميع قواها من
الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شيء مما ذكر
فيحتمل ان عدم رؤيتنا اياها لشفافتها ولطافتها كالهواء والاثير على
ان الامر ظاهر جدا على اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بان
الرؤية بمحض خلق الله تعالى كما مر تقريره لكم واقتدارها على
التشكل مع انه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى
يمكن توجيهه بان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون
بها على تناول كمية من الهواء والاثير او نظير ذلك وتكثيفها

وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس احدنا ثوبه فيظهرون للابصار تلك الصورة وفي الاعمال الكيماوية التي اقدر الله البشر عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفا وبالعكس ما يقرب فهم ما قررناه الى العقول وحيث ان تشكل تلك الاجسام كيف ما كان مسند الى عظمة قدرة الله تعالى الذي تدهش اعماله الافكار فيما اعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فيه اصلا

واما انها تعمل اعمالا تعجز عنها القوى البشرية مع انها اجسام لطيفة فبعد النظر الى اعمال الرياح التي تقلع الاشجار العظيمة واعمال قوة الكهرباء التي تجر الاثقال التي تعجز عنها الوف الرجال فلا غرابة في اعمال الملائكة والجن لاسيما ان الذي يقدرهم على ذلك هو الله تعالى الذي لا يعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى ان بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هي قوة ذراعه الا عمل اعصابه التي تنتهي اخيرا الى مخه اللطيف النخيف الذي هو مبدا الحركة كما تقولون وهو لا يحتمل ادني مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد في الصلاب الكثيف سبحانه

من قادر قاهر

واما كون الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجسام
الساوية بمدة قصيرة جدا فاقول لا مانع منه عقلا لان سرعة
الحركة ليست محصورة بحد محدود وهذا النور تزعمون انه
يصل الينا من الشمس التي بيننا وبينها ما ينوف عن تسعين
مليون ميل في مقدار ثمان دقائق وكسور وان قلتم ان النور عندنا
حركة وعرض قلت في علومكم الطبيعية ان الجسم الساقط الى
الارض في اول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما
وكسورا واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته في تلك الثانية
اربعة مائة وخمسين قدما وكسورا ثم ان الجسم يسقط في اي عدد
كان من الثواني ما يساوي مقدار ما يسقط في اول ثانية مضروبا
في مربع ذلك العدد من الثواني فبالأمل في هذا الناموس يعلم ما
تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التي يختار فيها الفكر وهذا
نجم المشتري على ما في علوم الهيئة عندكم يجري ثلاثين الف ميل
في الساعة اي اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجري تسعة اميال
كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه على محوره
اربعاية وسبعة وستون ميلا كل دقيقة وهو اكبر من ارضنا بالف
واربعاية مرة على ما يقول الفلكيون منكم ومن غيركم فالآله الذي

جعل هذا الجسم الكثيف العظيم يقطع تلك المسافة الشاسعة في
 تلك المدة الجزئية لا يعد على قدرته ان يجعل الملك يقطع تلك
 المسافات في مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات اكثر بكثير
 من المسافة التي يقطعها المشتري ولكن النظر الصحيح في سير
 ذلك الكوكب يقنع العقل بان قدرة ذلك الآله الذي سيره ذلك
 السير صالحة لاعظم ما يكون من جنس هذا العمل لاسيا وناموس
 الاجسام الساقطة قد بين عظيمة سرعة حركة الاجسام وان قلتم
 ان سير المشتري بواسطة الجاذبية على ما هو مفضل في علومنا
 وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلت وما هي تلك الجاذبية التي
 تظننون بها وتنسبونها اليها اعمالا عظيمة في الكائنات وانتم
 لا تعلمون حقيقتها وما الموجب لقيامها في الاجسام ولا تقريرون
 على الافصاح عن ذلك غاية ما يكون انكم قلتم بها لتعليل الحوادث
 التي حيرت عقولكم من نحو النظام الشمسي وغيره وعلى تسليم
 ثبوتها فمن الذي اوجدها وجعلها خاصة الاجسام وانشأ عنها تلك
 الاعمال العظيمة في الكائنات اغير الآله الذي ابدع الخلق من
 العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الآله قادرا
 على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث تلك الاعمال عنها فلا يعجز ان
 يجعل الملك يقطع تلك المسافات في مدة وجيزة اما بناموس وضعه فيه

واما بغير ناموس فالكل جائز عقلا وقدرته العظيمة صالحة لاي كان
 واما كون السماء مملوئة بالملائكة فلا استغراب في ذلك فهم خلق
 من جملة مخلوقات الله تعالى اسكنهم تلك السموات كما اسكن
 عوالم الارض في الارض وكما اسكن الملايين من الحيوانات
 المكرسكوية في نقطة من الماء لاجرج على قدرته في اعظم عظيم
 وادق دقيق وعلى زعمكم كثير من الفلكيين منكم ومن غيركم انه
 يوجد في الكواكب عوالم ذات اعمال كالانسان يستدلون عليها بما
 يتخيلونه بنظاراتهم المكبرة من اثار اعمالها في تلك الكواكب كفتح
 الطرق وحفر الترع وامثال ذلك امور تشخص لنا المثل الجاري
 ان رجلا وقف على المقابر وقال (كل هؤلاء الاموات كانوا عبيد
 ابي فقال له آخر ما فيهم من يكذبك) فما استغرابكم من وجود
 الملائكة في السموات وملئهم لما بعد هذا البيان وان قلتم ايضا ما
 دليل اتباع محمد عليه السلام على جميع ما تقدم من ثبوت
 الملائكة والجن وثبوت تلك الخواص فيهم وملئ الملائكة
 للسموات قلت ايضا دليلهم على جميع ذلك النصوص التي نطق
 بها الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدق لثبوت
 رسالته بالبراهين القاطعة القائمة لديهم وهو الذي حملهم على
 الاعتقاد بذلك وهو جائز عقلا لا يستلزم محالا فامنوا به من

دون تاويل

واما ان للانسان نفسا تسمى روحا وهي غير جسده وان لها تعلقا
 بجسده ينشا عنه حياته وعندما تنفصل عنه يحله الموت وان تلك
 الروح باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتتالم وان الانسان بعد
 حلول الموت فيه وفنائه يعيده الآله سبحانه ويعيد تعلق الروح
 به ويشبهه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض
 او يعذبه على اعماله الشرية هناك وان الذي يقوم فيه اللذة والالم
 عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة فيه هو مجموع الروح والجسد
 وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل الانسان وعندها من الادراك
 ما يكفي لتعيشها وليس عندها من الادراك والعقل مثل ما
 عند الانسان فلذلك كلف بعبادة الآله سبحانه دونها فاقول
 اذا ايتم التصديق بما ذكر حيث لم توصلكم علومكم الا الى هذا
 الهيكل الانساني ولا تعلمون وراءه شيئا من نحو الروح وكذلك
 في بقية الحيوانات فاعلموا ان اتباع محمد عليه السلام قد
 اتفقوا على ان لكل انسان روحا لها تعلق بجسده ولكن اختلفوا في
 البحث عن حقيقتها فبعضهم ترك الخوض فيه حيث لم يرد عن
 الشارع دليل على ذلك وعلى طريقة هؤلاء يكفي في تصديق
 النصوص الشرعية التي وردت في وجود الروح ان يعتقد ان لكل

انسان روحا وهو شيء موجود الله اعلم بحقيقته وليس في القول
 بوجوده ما يخالف العقل وعدم الاحساس به لا يقتضي عدمه اذ ربما
 لم نحس به للطافته كالاثير الذي تقولون به ولم تحسوا به او لدقته
 جدا كالحيوانات المكروية او غير ذلك وبعضهم خاض في
 البحث عن حقيقتها قال بعض محققهم (هو الشيخ النووي كما في
 الامير على الجوهرة) واضح ما قيل فيها ما قاله بعضهم (هو امام
 الحرمين) انها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام
 الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر ثم قال بعضهم انه لا يعلم مقرها
 من الجسد وقال بعضهم ان مقرها البطن وقيل بقرب القلب وقيل
 به ثم اختلفوا في نفس حقيقة الانسان فقال بعضهم (هم جمهور
 المتكلمين كما في الرازي وغيره) ان الانسان هو الجسد ولكن له
 روح كما تقدم تتعلق به وتتعلقها تحصل حياته بخلق الله تعالى وقال
 بعضهم ان الانسان هو مجموع الروح والجسد وقال بعضهم وهم القليل
 ان الانسان هو الروح فقط والجسد انما هو قالب لها ولكن بعد ذلك
 اتفقوا جميعا على ان الله تعالى بعد موت الناس وفناء اجسادهم
 لا بد ان يعيدهم باعادة اجسادهم واعادة ارواحهم اليها ويحاسبهم
 ويدخل بعضهم الجنة دار الثواب وبعضهم جهنم دار العقاب
 وهذا البعث وما يتبعه هو من اصول دينهم القطعية قد انعقد

اجماعهم عليه وهو من معلومات دينهم الضرورية بحيث ان انكار جوازه او وقوعه يكون خروجاً عن الدين الاسلامي وكثيراً ما تصرح به نصوص شريعتهم وتنصب عليه الدلائل ويكفيهم للتصديق بتلك النصوص واعتقاد البعث المذكور ان يعتقدوا انه لا بد من البعث باعادة الاجساد بعد فنائها واعادة الارواح اليها للحساب وما يعقبه على وجه لا يستلزم محالاً عقلياً بل يكون في دائرة الجواز العقلي وهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يلزمهم ان يعلموا تفصيل تلك الاعادة وبيان كيفيتها الجائزة عقلاً لان شريعتهم لم تكلفهم بذلك ولكن لما ورد عليهم من اخصامهم المنكرين للبعث اشكالات تستلزم بظواهرها محالات عقلية في اعادة الاجساد احتاجوا لاقتناع عقول اخصامهم في تلك الاعادة وبيان جوازها عقلاً الى الخوض في تفصيلها وبيان كيفيتها على وجه يقنع العقول ولا تضطرب عنده افكار الضعفاء في الدين ومن اشهر ما ورد عليهم من الاشكالات في البعث والاعادة من طرف اخصامهم قولهم ان الانسان ليس انساناً بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادة المادة الى اصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت في تلك المادة بعينها صورة انسان جديدة حدث منها انسان

اخر لا ذلك الانسان الاول فان الوجود في الثاني من ذلك الاول
 مادته لا صورته ولا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا
 لثواب او عقاب بمادته بل بصورته فيكون الانسان المثاب والمعاقب
 ليس الانسان المحسن والمسيء بل انسان اخر مشارك في مادته
 وقولهم ايضا اذا اكل انسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق
 روحان بانسان واحد عند البعث وايضا ان الغالب على ظاهر الارض
 اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس
 فيها اشجار واغتذي منها الناس وانعقد في ابدانهم ذلك لحما ودما
 فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاصلة لصور اناسي كثيرة
 انتهى وفي مقابلة هذه الاشكالات يصلح لا تباع محمد عليه السلام
 ان يقولوا في دفعها اجمالا ان سعة علم الله تعالى وعظمة قدرته
 المبرهن عليها بمشاهدة عجائب مصنوعاته وغرائب اعماله ودقائق
 افعاله لا يبعد عليها امر البعث على كيفية لا تستلزم تلك الحالات
 التي تضمنتها تلك الاشكالات ونحن يكفيننا الايمان بالبعث والاعادة
 واعتقاد ان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا لصحة
 ايماننا بيان الكيفية التي يجريها الله تعالى في ذلك ونفوض علمها
 الى الله تعالى ولكن لا قناع العقول بالتفصيل والمحافظة على
 افكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول ان المعاد من الجسم

هو جميع اجزائه الاصلية اي الباقية من اول العمر الى اخره
لا الاجزاء الفضلية (كذا نقل القول بالاجزاء الاصلية والاجزاء
الفضلية في اليواقيت عن جمع الجوامع وحاشية الكمال عليه في
الجواب عن شبهة اكل انسان انسانا وهو يصلح جوابا عن بقية
الشبه كما سنقرره) اي فما المانع من الله تعالى الواسع العلم العظيم
القدرة يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان من التفرق ومن
زوال صورتها ومن الدخول في تركيب اجزاء اصلية لحيوان اخر
وان دخلت في تركيب اجزاء فضلية فتنفصل عنها عند انحلال
هذه ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بها ويضم
اليها اجزاء فضلية سواء كانت هذه عين ما كانت قبل الموت او
غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم او بالتعذيب انما هو للروح ولهذا
الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد
تعلق الروح بالاجزاء الاصلية بعد ان فارقتها واعيد لهذه
الاجزاء الاصلية الحياة واعيدت اليها اجزاء فضلية لا تتوقف
صحة الاعادة على اعادتها باعيانها فلا يقال ان الانسان المنعم
او المعذب غير الذي كان قبل الموت ولا ان الروحين تتعلقان
بجسد واحد ولا ان مادة واحدة حاصلة لاناسي كثيرة بل الاجزاء
الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي

بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث والاعادة ذلك الانسان
 بعينه وعلم الله تعالى وقدرته يصلحان لاجراء هذه الكيفية التي
 لا تتضمن محالا اصلا سواء كان ذلك بدون واسطة ناموس ام بواسطة
 ذلك وعدم احساسنا بها لا يستلزم عدمها اذ يحتمل اننا نشاهد
 تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية اما لدقتها واما
 للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء مستجوبة
 عن حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل فالمخلص ان
 نصوص شريعتنا نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد
 انه سيكون على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه
 التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي
 قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الاشكالات والله اعلم
 اقول ويمكن ايضاح هذا المقام وتوجيهه بما لا يخالف شيئا من
 نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار الاعتقاد بعون الله تعالى
 وتوفيقه وذلك يحتاج الى تقديم جملة من كلام علماء الامة المحمدية
 يظهر من التبصير بها قبول ما سنورده من التوجيه فاعلموا ان من
 اكبر علماء الشريعة المحمدية من استدل على ان الانسان هو غير
 تلك البنية (هو الامام الرازي في تفسيره الكبير) بقوله ان العلم
 البديهي حاصل بان اجزاء الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان كما في

السمن والمزال والعلم الضروري حاصل بان المتبدل المتغير مغاير
للثابت الباقي ويحصل من مجموع هذا الكلام العلم القطعي بان
الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة ثم قال وان الانسان
قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون الانسان
مغايرا لهذا البدن والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقونه
فهذا النص صريح في ان اولئك المقتولين احياء والحس يدل على
ان هذا الجسد ميت ثم قال على ان الانسان يحى بعد الموت
وكذلك قوله عليه السلام انبياء الله تعالى لا يموتون ولكن ينقلون من
دار الى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النار كل هذه النصوص تدل على ان
الانسان يبقى بعد موت الجسد وبديهة العقل والفطرة شاهدان
بان هذا الجسد ميت ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع
الجمادات وذلك عين السفسطة واذا ثبت ان الانسان حي
وكان الجسد ميتا لزم ان الانسان شي غير هذا الجسد ثم قال ان
الذين قد دلت النصوص الشرعية على مسخهم يقال ان الانسان
هل بقي حال ذلك المسخ او لم يبق فان لم يبق كان هذا
امانة لذلك الانسان وخلقاً لذلك الحيوان المحسوخ اليه وليس

هذا من المسخ في شيء وان قلنا ان ذلك الانسان حي حال
حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير ذلك الانسان باق
وتلك البنية وذلك الهيكل غير باق فوجب ان يكون
ذلك الانسان شيئاً مغايراً لتلك البنية ثم قال ان الانسان يجب
ان يكون عالماً والعلم لا يحصل الا في القلب فيلزم ان يكون
الانسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب واذا ثبت هذا
بطل القول بان الانسان عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجثة
ثم استدل على ان للانسان علماً وانه في القلب بما يطول نقله
ثم اعلما انه قد ورد في نصوص القرآن الشريف قوله تعالى
(واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا) وقد ورد تفسير هذا
النص في الصحيح عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بان
الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره كلهم كهيئة الذر قال بعض
العلماء من اتباع محمد عليه السلام (كما في الجمل عن الخازن)
اخرج الله اولاً ذرية آدم من ظهره ثم اخرج من هذا الذر
الذي اخرجه من آدم ذريته ذراً ثم اخرج من الذر الاخر ذريته
ذراً وهكذا الى اخر النوع الانساني وخلق فيهم العقل
والفهم والحركة والكلام وخاطب الجميع بقوله الست بربكم

فقال الجميع بلى اي انت ربنا ثم اعاد الجميع الى ظهر آدم
وقال بعضهم وهل هذا الذر استحال منيا او تخرج ذرة كل
انسان في منيه الذي يتخلق منه والله اعلم بحقيقة المطال
(كذا في الجمل باختصار) وقال بعضهم (كما في الجمل عن
الشعراني) ان الاقرب كما قيل ان الله تعالى استخرجهم من
مسام شعر ظهره يعني آدم ثم قال انهم اجابوا بالنطق وهم احياء
عقلاء اذ لا يستحيل في العقل ان الله تعالى يعطيهم الحياة
والعقل مع صغرهم (اقول ومن نظر الى الحيوانات المكسوية
وما عندها من الادراك الذي به تسعى اعلى رزقها وتتوالد
وتجنب المؤذيات وتحيد عن طريق ملاقيها لا يستغرب ذلك
ولا يستبعده على علم الله تعالى وقدرته) ويحتمل ان يكونوا
مصورين بصورة الانسان لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم
ولم يقل ذراتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين ثم قال
والظاهر انه استخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم
الاحياء فيحتمل ان الله تعالى ادخل فيهم الارواح وهم في
ظلمات ظهر ابيهم ويخلقها فيهم مرة اخرى في ظلمات بطون
امهاتهم ويخلقها مرة اخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض
خلقا بعد خالق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى ثم قال

والظاهر انه لما ردهم الي ظهره قبض ارواحهم قياسا على ما يفعله اذا ردهم الى الارض بعد الموت فانه يقبض ارواحهم ويعيدهم فيها انتهى باختصار وقال بعض الائمة الاعلام (هو الامام ابو طاهر في كتابه سراج العقول كما يؤخذ من اليواقيت للشعراني) في الجواب عن الشبه المتقدمة الواردة على البعث ما ملخصه ان الذرة التي قبضت من الارض اولا في كل انسان باقية لا تبدل البتة وهي الجزء القائم الذي اخذ عليه الميثاق (يعني كما في اية خطاب الذر المتقدمة) ويتوجه عليه في القبر السؤال ويتولى الجواب برد الروح اليه على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتي يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا شي لا يخالفه عقل ولا شرع انتهى ببعض اختصار فاذا دققنا النظر وتفهمنا بامعان ما نقلته من تلك الدلائل التي اقامها ذلك العالم (الرازي) على ان الانسان ليس هو هذه البنية وما نقلته من تفسير الاية المتقدمة التي تذكر اخذ العهد على ذرية آدم وما قيل فيها من جانب بعض العلماء المحمدين (الخازن والشعراني كما تقدم عن الجمل واقره) وما قرره ذلك العام المحمدي (ابو طاهر) في رد شبه البعث وذكر انه لا يخالفه عقل ولا شرع ظهر جليا انه يسوغ لاتباع محمد عليه السلام ان يفسروا الاجزاء

الاصلية التي تقدم لم القول بها بتلك الذرات التي اخرجت
 من ظهر آدم واخذ عليها العهد فيقولوا ان هذه الذرات هي الاجزاء
 الاصلية لكل انسان وبقية البنية المشاهدة لنا هي الاجزاء الفضلية
 التي تذهب وتبديل فيكون الانسان الحقيقي المخاطب المكلف
 المعاد المنعم المعذب هو تلك الذرات مع الروح التي تحل فيها
 والهيكل الانساني المشاهد هو الاجزاء الفضلية ولا عبرة بها في
 تحقق الاعادة سواء اعيدت باعيانها او بامثالها بل العبرة في تحقق
 الاعادة هو الاجزاء الاصلية التي لا يطرأ عليها الا مفارقة الروح
 وانسلاخ الاجزاء الفضلية عنها وفي البعث تعاد اليها الروح وتعاد
 الاجزاء الفضلية وتنضم اليها وقد تقدم ان بعضهم يكتفي في بيان
 الروح ان يقول انها شيء موجود الله اعلم بحقيقته وبعضهم يفسرها
 بانها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة
 اشتباك الماء بالعود الاخضر فعلى جميع ما قدمناه يمكن تقرير المقام
 على ما ياتي وهو يدفع جميع الشبه التي ترد على البعث وسؤال
 القبر وامثال ذلك ويحفظ افكار الضعفاء من الاضطراب فيقال
 ما المانع ان الله تعالى كون الارواح من اجزاء فردة من مادة لطيفة
 كمادة الاثير الذي يقولون بوجوده على ترتيب وكيفية ووضع
 يحصل بها جميع الخواص التي تذكر للروح وتفهم من نصوص

الشريعة من انها حية بنفسها اي لا تحتاج الى انضمام شيء اخر
 تحي به وانها ذات ادراك واذا حلت بالجسم اكسبته الحياة
 والادراك وبقية صفات الحي (وهكذا المغناطيس بذلكه بالفولاذ
 يكسبه خاصية جذب الحديد) وهي مع ذلك ذرة صغيرة جدا
 لاتدركها حواسنا ثم كون من اجزاء فردة ذرات صغيرة جدا على
 كيفية تقبل عند تعلق الروح بها الحياة وبقية خواصها من
 الادراك ونحوه وجعل لها اعضاء الانسان كما للحيوانات المكسكوية
 اعضاء وهذه هي الاجزاء الاصلية التي تقدم ذكرها ثم كون هيكل
 آدم وهو الاجزاء الفضلية وجعلت ذرته في موضع من هيكله
 ويحتمل انه القلب لذلك الهيكل وهو الاقرب (وسياتي نقل
 عبارة الفيسولوجيين التي تقرب ان القلب هو مركز ذلك) ثم وضع
 ذرات جميع ذريته في ظهر هيكله ولا غرابة في اتساعه للملايين
 هذه الذرات فان نقطة الماء الصغيرة تحتوي على حيوانات
 مكسكوية عدد البشر الموجودين على وجه الارض كما تقولون فلا
 مانع من اتساع ذلك الظهر لذرات بني آدم الذين يوجدون في
 مدة الدنيا ثم انه سبحانه احل روح آدم في ذرته التي في داخل
 هيكله وكان اليه الاشارة في القرآن الشريف بقوله (ونفخت فيه
 من روحي) اي من الروح التي انفردت بابداعها ومعرفة حقيقتها

وحقيقة تكوينها فعند حلولها في تلك الذرة نشأ عنها حياتها وسرت
الحياة الى بقية الهيكل لانه سبحانه قد كون الهيكل على هذا
الاستعداد ثم انه اخرج جميع ذرات بني آدم من ظهره واحل
ارواحها فيها فاصبحت حية مدركة فخطبها واخذ عليها العهد ثم
فصل عنها ارواحها واعادها الى ظهر ادم وادخلها فيه من مسامه
كما اخرجها منها وهكذا تدخل الحيوانات المرضية في الاجساد
وتخرج منها كما تقولون ثم حفظ تلك الارواح حيث شاء من الكون
ثم صار يخرج تلك الذرات في مادة المنى الذي ينفصل من آدم
الى رحم زوجته عند الجماع فتحل في البزور التي تنفصل من
مبيض زوجته فيكون هياكلها من تلك البزور مع السائل المنوي
ويطورها اطوارا حتى تبلغ صورة الهيكل الانساني واول ذرة من
اولاده نقلها الى بزررتها نقل معها عدد الذرات التي تكون اولاداً
لها ثم ينقل تلك الذرات في المنى الذي ينفصل فيما بعد عن هيكل
هذه الذرة الاولى وهكذا الحال في بقية اولاده واولادهم يفعل
تلك الكيفية على هذا الترتيب الى اخر الدهر ولعل اليه الإشارة على ما
قاله بعضهم في تفسير قوله تعالى في حق الرسول عليه السلام (وتقلبك
في الساجدين) اي تنقلك في اصلاب الالباء وارجام الامهات
وعند بلوغ كل هيكل الى حد محدود يرسل الله تعالى الروح

فتحل في ذرتها وتسري فيها وفي هيكلها الحياة والحركة فكل انسان هو مجموع الروح والذرة وهذه الذرة هي الاجزاء الاصلية التي قال بها اتباع محمد عليه الصلاة والسلام وانها الباقية مدة العمر وهي المعادة باعادة الروح اليها بعد ان تفارقها بالموت والهيكل هو الاجزاء الفضلية التي تروح وتجيء وتزيد وتنقص فاذا اراد الله تعالى موت الانسان فصل عن ذرته الروح ففارقته الحياة وفارقت الهيكل ايضا الذي هو الاجزاء الفضلية وحلها الموت فياخذ الهيكل بالانحلال ويمجرى عليه من التفرق والدخول في تركيب غيره ما يمجرى والذرة محفوظة بين اطباق الثري كما تحفظ ذرات الذهب من البلى والانحلال وان دخلت في تركيب حيوان فانما تدخل في تركيب هيكله الذي هو الاجزاء الفضلية محفوظة ايضا غير متحلة فاذا انحل ذلك الهيكل عادت محفوظة في اطباق الثري ولا تدخل في تركيب الاجزاء الاصلية لذلك الحيوان التي هي حقيقته غاية ما يطرأ عليها بالموت مفارقة الروح لها وانحلال هيكلها واذا اراد الله تعالى حياتها اعاد الروح اليها فتعود اليها الحياة وبقية خواصها وان كان هيكلها منحللا ومن هنا تحل شبه سؤال القبر ونعيمه وعذابه وامثال ذلك من امور البرزخ التي وردت النصوص الشرعية بها وانها تكون قبل البعث ثم اذا اراد الله تعالى ان يبعث الخلق

للحساب اعداد تكوين هياكل الذرات الانسانية التي هي الاجزاء
 الفضلية سواء كانت هي الاجزاء السابقة قبل الموت او غيرها
 اذ المدار على عدم تبدل الذرات واحل الذرات في تلك الهياكل
 وبتعلق الروح بها تقوم فيها وفي هياكلها الحياة ويقوم البشر في
 النشأة الاخرة كما كانوا في هذه الدار وجميع ما تقدم يمكن ان يكون
 حاصل في بقية الحيوانات غير الانسان في جميع تفصيله واذا
 تصورنا سعة علم الله تعالى وعظمة قدرته واثارها في الكائنات
 لا نستبعد شيئا من جميع ما تقدم سواء كان اجراء ذلك بواسطة
 نواميس وضعها الله تعالى لذلك تجري عليها جميع تلك الاتصالات
 والاتصالات والتكونات للاجزاء الفضلية او بدون نواميس واذا
 تأملتم ايها الماديون فيما تقولونه باكتشافاتكم الميكروسكوبية للحيوانات
 الصغيرة جدا وكثرتها في نقطة ماء وحياتها وحركتها وادراكها في
 امر معيشتها واحتراسها على نفسها تبين لكم انه لا غرابة ولا استحالة
 في ان ذرات الانسان يمكن ان تحملها الحياة وجميع خواصها وان
 الارواح تكون بتلك الخواص التي ذكرت لها واذا تأملتم في ان
 المسام في الهيكل الانساني كثيرة جدا حتى قلتم ان في الشبر
 المربع منه يوجد اربعة ملايين من المسام لم تستبعدوا خروج تلك
 الذرات من ظهر آدم ثم اعادتها اليه ويزيد ذلك تقريبا لعقولكم

دخول الحيوانات المرضية مثل (الملاريا) في الاجساد وانتقالها
 الى اجساد اخرى بالعدوى وسريانها في دورة الدم وامثال تلك
 الحقائق المذكورة في كتب علومكم الطبية على ما تقولون
 ثم انكم تقولون بوجود حيوانات منوية في السائل المنوي الذي ينفصل
 من خصيتي الذكر وبلغ بزور الانثى وهي حيوانات صغيرة جدا
 تشاهد بالمكروسكوب طول الواحد منها من جزء من خمسمائة جزء
 الى جزء من ستمائة جزء من القيراط وطول راس الواحد من جزء
 من خمسة الاف جزء الى جزء من ستة الاف جزء ولها حركة في
 السائل المنوي بواسطة تحريك اذناها بحيث تندفع رؤسها الى
 جهات مختلفة ويظهر ان حركتها مستقلة لا تتعلق بالكيفيات
 الخارجية بشرط ان لا تتغير كثافة السائل المنوي الطبيعية وقد
 تدوم الحركة في داخل جسد الانثى سبعة ايام او ثمانية وخارجه
 نحو اربع وعشرين ساعة واتجاه سيرها غير معلوم وقال بعض
 الفيسيولوجيين انها تقطع قيراطا في ثلاث عشرة دقيقة وغاية ما
 يعلم من فائدتها هو انها تكاد توجد في منى جميع الحيوانات وان
 ملاستها للبيضة اي بزررة الانثى ضروري لاجل التلقيح كذا في
 كتب الفيسيولوجيا فاي مانع ان تلك الحيوانات المنوية جعلها
 الخالق تعالى تحمل ذرات بني آدم التي هي اصغر منها وتسير بها في

السائل المنوي حتى تلقيها في البزور المنفصلة من مبيض الام ويتبدأ
عند ذلك تكون الهيكل الانساني الذي هو الاجزاء الفضلية بنمو
البزرة ويكون الانسان الحقيقي الذي تحمله الروح وتسري الحياة
فيه ثم منه الى الهيكل هو ما حملته تلك الحيوانات وادخلته في
البزرة وتدخل معه الذرات التي هي عدد ما يكون له من الذرية
وتبقى هذه في هيكله حتى تخرج في منيه وتنتقل الى هيكل فروعه
وهلم جرا واذا كان الحال على هذه الكيفية التي لا يمنع منها عقل
ولا شرع يتحقق كلام اتباع محمد عليه السلام بل كلام كثير من
العقلاء ان كل انسان فهو منتقل من ابيه الى رحم امه خلاف ما
نقولون انتم ان الانسان هو من بزرة امه وانما منى ابيه لمجرد التلقيح
فانتم نظرتم الى الهيكل الانساني ولم تعلموا سواء فلذلك قلتم بذلك
وسواكم وصل الى ما وراء الهيكل فقال ان الانسان منفصل من
ابيه وليس لامه الا الهيكل وانفصاله من ابيه هو ما تدعن اليه
عقول الجاهل الغفير ويستأنس له بعواطف الالباء على الاولاد
ثم ان الفيسيولوجيين اختلفوا في سبب نظام عمل القلب اي حركته
وعللو ذلك بتعليلات واهية ثم رجعوا عليها بالنقض والذي استظهروه
اخيرا ان سبب ذلك العمل مستقر في القلب نفسه ثم قالوا انه
يظهر ان نظام حركته هو ناشيء عن العقد العصبية الموجودة فيه

في المراكز الحقيقية للعمل النظامي غير انه لا تعلم الى الان لماذا
 تعمل هذه المراكز العصبية عملاً منقطعاً منتظماً لا عملاً دائماً ثم قالوا
 قد ظهر من تجارب كثيرة ان القوة الدافعة الناشئة من انقباضات
 القلب هي وحدها كافية لدورة الدم انتهى فاذا تأملتم في هذا
 الكلام ظهر لكم وقرب في عقولكم ان يقال ان مركز الذرة الانسانية
 هو القلب من الهيكل الانساني واذا حلت فيها الروح اورثتها
 الحياة واخذت تتحرك تلك الحركة المنتظمة ونشأت عنها دورة الدم
 وسرت الحياة منها الى سائر الهيكل وصغرها وصغر الروح لا يمنع
 ان يشأ عنها ذلك العمل الكافي لحياة الهيكل ولا اعمال اعصابه
 وعضلاته فكم من آلة صغيرة جداً اذا حركها طفل صغير يتولد عنها
 حركة تدير آلة كبيرة جداً وينشأ عنها اعمال عظيمة تحتاج مباشرة
 الى قوة عظيمة وهذا مشاهد في عمل الانسان فما بالكم في عمل
 الآله العليم القادر الذي ركب مصنوعاته على كيفيات تنشوعنها
 خواص تختار فيها الفكر وتذهل العقول وخلاصة ما تقدم ان
 الانسان الحقيقي على هذا التقرير هو الذرة التي تحل في القلب
 وتحل فيها الروح فتكسبها الحياة وتسري الحياة الى الهيكل ثم
 الهيكل انما هو آلة لقضاء اعمال تلك الذرة في هذا الكون ولا كتساب
 معارفها بسببه وتلك الذرة مع الروح الحالة فيها هي المخاطب

بالتكليف والمعاد والمنعم والمعذب الى اخر ما ورد في حق الانسان
وعلى هذا التقرير نجد ان الشبه التي وردت على ما جاء في الشريعة
المحمدية من البعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه وحياة بعض البشر
في قبورهم ونحو ذلك قد سقطت برمتها كما يظهر بالتأمل الصادق
والله اعلم

فان قيل انا نرى نصوصا في الشريعة المحمدية تذكر اعادة نفس
الهيكل الانساني او تنص على اعادة بعضه كما في قوله تعالى (من
يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي انشاها اول مرة) فكيف
ينطبق هذا مع التوجيه الذي ذكرته للبعث والاعادة قلت مقتضى
ما قدمته من التوجيه ان البعث كما يكون للاجزاء الاصلية التي
هي الذرات بالكيفية التي قدمتها كذلك يكون للهيكل الانساني
الذي هو الاجزاء الفضلية ولكن الاشكالات المتقدمة على البعث
تندفع بما ذكر في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي الذرات ثم
ان اعادة الهيكل الذي هو الاجزاء الفضلية سواء كان باعادتها
باعيانها او بايجاد امثالها لا يرد عليها تلك الاشكالات بعد اندفاعها
بكيفية اعادة الاجزاء الاصلية على الوجه المتقدم وانما نصت تلك
النصوص على اعادة الاجزاء الفضلية التي هي الهيكل لدفع
اشكالات اخرى كانت تعرض لافكار اهل الجاهلية في اعادتها

اذ عند ذكر البعث لا تنصرف افكارهم الا الى اعادة هذا الهيكل
 المشاهد لهم فيقولون كيف تعود الحياة للعظام بعد ان تصير رميما
 وكيف تجتمع تلك الاجزاء المتفرقة في اعماق الثرى فتدفع تلك
 النصوص اشكالاتهم هذه بان الله تعالى قادر عليم لا يعجزه ذلك
 فهو يحيي العظام كما بداها اول مرة وعلمه محيط بجميع الموجودات
 وقدرته شاملة لجميع الجائزات الى غير ذلك من الردود وهذا
 لا ينافي التوجيه الذي تقدم في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي
 الذرات لتدفع به الاشكالات الاخرى التي تقدمت فليتأمل
 ولتعلموا بعد جميع ما تقدم بسطه لكم ايها القوم اني لست اقول ان
 ذلك التوجيه والتفسير للاجزاء الاصلية بالذرات والاجزاء الفضلية
 بالهيكل الى اخر ما حررته في هذا المقام هو مصرح به في كلام
 اتباع محمد عليه السلام كما شرحته او انه يجب عليهم اعتقاده بهذا
 التفصيل والبيان كلا انما اقول ان علماءهم قرروا ان للانسان
 اجزاء اصلية واجزاء فضلية ودفعوا بذلك الشبه التي وردت
 على البعث ونجوه وانا قلت لكم انه يؤخذ من كلام كثير من
 اجلاء علمائهم (كالامام الرازي وابي طاهر صاحب سراج العقول
 والشعراني والحاظن وغيرهم) ان لا مانع ان يراد بالاجزاء
 الاصلية التي ذكروها في دفع الشبه هي الذرات المذكورة في

تفسير الرسول عليه السلام للنص القراني الذي يذكر فيه اخذ
العهد على ذرية آدم وان تكون الارواح مع تلك الذرات هي
افراد الانسان الحقيقي وان يراد بالاجزاء الفضلية الهياكل
الانسانية ويؤخذ من كلام علمائهم ايضا ان مقر الانسان الحقيقي
هو القلب من الهيكل فيكون ذلك الهيكل المتغير المتبدل آلة
للانسان الحقيقي في قضاء اعماله في هذا الكون واكتساب معارفه
وهذا شي يوضح لكم اندفاع الاشكالات المتقدمة على البعث ولا
يمنع منه عقل ولا شرع ويسوغ لهم ان يقولوا به لدفع تلك الشبه والا
فيكفي في صحة اعتقادهم ان يقولوا انا نعتقد ان لكل انسان روحا
الله اعلم بحقيقتها وكذلك لجميع الحيوانات ولا بد ان الله تعالى يعيد
الانسان بعد الموت ويحاسبه وينعمه او يعذبه كل ذلك على كيفية
لا تستلزم محالا ولا يلزمنا تفصيلها والله اعلم بها فان ذلك من
الجائز العقلي وسعة علم الله وقدرته لا يستحيل عليها ذلك فيا ايها
الماديون تاملوا في هذا المقام ودققوا النظر فيه فانكم لا تجدون
لتفصيله ما يمنعكم في علومكم من تجويز جميع ما تقدم ان لكل انسان
نفسا يسمى روحا الى اخر ما ذكر في صدر هذا المبحث الا ان
يكون المانع لكم هو العناد وان قلتم سلمنا جواز جميع ما تقدم عقلا
ولكن ما الحامل لاتباع محمد عليه السلام على اعتقاد حصول

ذلك بالفعل قلت الجواب ما تقدم نظيره هو ان الحامل لهم على ذلك ما ورد في نصوص شريعتهم على لسان رسولهم الصادق عليه السلام التي تصرح بمحصل ذلك وبمجموعها لا تحتل التاويل وما دام ذلك منطبقا على العقل وجائزا في احكامه فلا يسوغ لهم ان يتركوا ظواهر تلك النصوص ويميلوا الى التاويل بوجه من الوجوه على ان البعث بخصوصه وان كان المشهور ان دليل جوازه عقلي نظير ما قدمنا ودليل وقوعه بالفعل نقلي هو نصوص الشريعة المحمدية ولكن اذا دقق النظر يتبين لوقوعه بالفعل ادلة عقلية ان لم تكن برهانية قاطعة فهي اقناعية تدعن لها العقول وتطمئن عندها القلوب وبتوارد مجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث ولا يعير للشك فيه اذنا صاغية فاستمعوا لما اتلوه عليكم من ذلك على ما افاده بعض علماء الامة الاسلامية (الرازي) مع ما ازيده عليه من توضيح او استحسن فيه من اختصار

فاقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود اله العالم واتصافه بصفاته الكاملة وسمو حكمته وعدله في خلقه ورحمته لم لا شك ان كل معتقد لذلك يظهر له ان من حكمته تعالى وعدله بعد ان خلق الخلق واعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدرها بها يقدرون على الخير والشر ان يمنهم عن ذكره بالسوء وعن

الجهل والكذب وايداء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح
ويرغبهم بعمل الخير والاتصاف بالاخلاق الفاضلة التي يتتظم بها
معاشهم ومن المعلوم ان هذين الامرين لا يتمان الا بربط عمل
الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير
حاصل في دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا
يقال انه يكتفي في الترهيب والترغيب بما اودع في العقول من
تحسين الخيرات وتقييع المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان
الي الانهماك في الشهوات الجسمية واللذات الجسدية واذا
حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح قوي ومعاصد كامل وما
ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل
والترك

ثم ان صريح العقل يقضي ان من حكمة الحكيم ان يفرق بين
المحسن والمسيء وحصول هذه التفرقة ليس في هذه الدار لا نرى
كثيرا من اهل الاساءة في اعظم الراحة وكثيرا من اهل
الاحسان بالضد من ذلك فلا بد انه بعد هذه الدار من دار
اخرى تحصل فيها تلك التفرقة

ثم انه لو لم يكن للناس زاجر من خوف المعاد لكثير المهرج والمرج
ولعظمت الفتن وفسد نظام المعاش ولم يجد المكلف وقتا لاداء ما

كلف به فلا بد من حصول دار الثواب والعقاب لتنظم احوال
العالم وتضمان عن الفساد وان قيل يكفي لبقاء نظام العالم مهابة
الملوك وسياستهم وايضا فالأوباش يعلمون انهم لو حكموا بحسن
الهرج والمرج لا تقلب الامر عليهم ولقدر غيرهم على قتلهم واخذ
اموالهم فلماذا المعنى يحترزون عن اثاره الفتن قلنا ان مجرد مهابة
الملوك لا تكفي بذلك لان الملك اما ان يكون قد بلغ في القدرة الى
حيث لا يخاف من الرعية واما ان يكون خائفا منهم فان كان
لا يخاف الرعية مع انه لا خوف له من المعاد ايضا فحينئذ يقدم على
الظلم والايذاء على اقبح الوجوه لان الداعية النفسانية قائمة ولا رادع
لها في الدنيا ولا في الآخرة واما ان كان يخاف الرعية فحينئذ الرعية
لا يخافون منه خوفا شديدا فلا يصير ذلك رادعا لهم من القبائح
والظلم فثبت ان نظام العالم لا يتم ولا يكمل الا بالرغبة والرغبة
في المعاد

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية
وكان بعضهم اقوياء وبعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته
ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوي والله سبحانه وتعالى
سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف
لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل

في هذه الدار لا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهانا في غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض مهدور الدم والظالم يبقى في غاية العزة والقدرة فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف

ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات في المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان في الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتامل اما الانسان فانه بسبب ما يحصل له من العقل يتفكر ابدا في الاحوال الماضية والاحوال المستقبلية فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الالية انواع من الخوف فتبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية اما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السارقين في مذاق الجمل طيب كما ان افخر الحلويات في مذاق الانسان طيب فلوم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم ان كل

ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت انه لولا حصول السعادة الاخرية لكان الانسان اخس الحيوانات حتي الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعاً علمنا انه لا بد من الدار الاخرة والانسان خلق للاخرة لا للدنيا نعم ان هذه الدار هي كالمميز بين الخيري منه والشرير ليجزي الاول بالشواب والثاني بالعقاب لان كل من كان شريراً فالنار اولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات هذه الدار فلذلك نراها موفورة للاشرار منغصة على الاخيار

ومن هذا المقام تعلمون ايها الماديون انه يصدق فيكم قول اخصامكم اهل الشرائع والملل ان مذهبكم سيما في انكار المعاد شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام ومع هذا يمتنع العمران وجوابكم بان نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام فاقول قد غفلم في هذا الجواب عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات لا يقاومها مجرد النواميس التي يقيمها العلم فلا بد من وازع اخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافئة على الاعمال ان خيراً فخير وان شراً فشر والا فليثامل العاقل ان الانسان اذا كان يعتقد انه

مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من
 وجوده الا لذاته الحيوانية التي ينالها مدة حياته فمهما سن له العلم
 من الضوابط لمعرفة ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فاذا
 قدر على قتل سواء واخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون ان
 يطلع عليه احد من الناس او على هتك اشرف عرض وبلوغ اشهى
 لذة بدون اطلاع احد فهل يظن ان تلك القوانين التي سنها له
 العلم تردعه عن ارتكاب ذلك لايقول بذلك الا مكابر ان
 الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدري به حق الدراية لاياً من
 له في شيء الا اذا وجدته مرتبطاً بالدين واعتقاد المعاد انا نرى بعض
 الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها
 لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلا شك ان فسادها بالدرهم يصير
 بالقناطير على انا نرى الامم التي انتشر بينها العلم في هذه الازمان
 لا تزال اخذة في سبيل الشرور بل كلما ازداد علمها ازدادت
 شرورها وفشى فيها الزنا الذي يضيع الانساب ويحل عقد التناصر
 وقتل النفس والانتحار وازالة العقول بالمسكرات والاحتيال
 بعلومها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من
 الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لان علومها
 التي برعت فيها ليس لها في اعتقاد المعاد نصيب وبظني ان تلك

الامم لولا بقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت
 للدمار واخذت تسبحي من لوح الوجود وبما يضحك الشكلى انكم لما
 لاحظتم ان العلم لا يتكفل بنظام الهيئة الا اذا كان تاما عاما في جميع
 الافراد الانسانية اشترطتم في تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم قلتم
 لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له الوفاء
 من الاجيال فانتم في رفضكم لاعتقاد المعاد وتمنيكم في العلم هذه
 الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذي يقول للمريض بالمرض
 القاتل اترك الحمية وكل ماشئت واني بعد كذا كذا من السنين
 آتيك بدواء يكون به شفاؤك فقد صدق هنا المثل الدارج (الى
 حينما ياتي الترياق من العراق يكون مسلوع الهوى فارق) على انه ليس
 من حسن التدبير وكياسة الراي والاخذ بالحزم مع اعتقادكم
 لمذهبكم من انكار المعاد ان تجاهروا به بين العموم وتدرسوه
 للاحداث حتى تروا ان العلم الذي تزعمونه بمجرد متكفلا بحفظ
 نظام العالم قد تم وعم والافانتم بمجاهرتكم بهذا المذهب الباطل قد
 فتحتم باب الدمار على العالم ونعوذ بالله ان يشيع هذا الفكر بين الامم
 ومعاذ الله ان يشيع والعقول السليمة تأباه هداانا الله واياكم لما
 فيه خير الانام

واني انصح لكم ان تأخذوا بالحزم والاحتياط وتنصروا انكم اذا

صدقتم بالمعاد وتاهبتم له فان كان حقا نجوتم وان كان باطلا لم يضركم هذا الاعتقاد غاية ما في الباب ان يقال انه تفوتكم اللذات الجسمانية الا ان هذه اللذات يجب على العاقل ان لا ييالي بها لامر ين احدهما انها في غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنافس والديدان والكلاب والثاني انها منقطعة سريعة الزوال والفناء فالحرص عليها لا يساوي ترك الحزم والاحتياط في الامر الذي تخشى عواقبه

هذا وقد بقيت مسألة من المسائل التي ذكرت فيما تقدم انكم تشكرونها من النصوص التي في الشريعة المحمدية وهي مسألة نزول المطر من السماء وذلك انكم تقولون ان اخباركم في علومكم دل على ان الامطار تنولد من ابخرة ترتفع من الارض والبحار وتنصاعد الى الطبقة الباردة من الهواء فتجتمع هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك هو المطر فاقول ان النصوص التي وردت في الشريعة المحمدية من المتواتر الذي عليه الاعتماد في الاعتقاد بشأن المطر هي على قسمين منها ما تصرح بان المطر ينزل من السماء ومنها ما تصرح بانه ينزل من السحاب ثم السماء تطلق في اللغة العربية التي وردت الشريعة المحمدية بها على عدة معان كافي قواميس تلك اللغة منها السماء التي هي مسكن الملائكة ومنها سقف كل شيء وكل بيت ومنها كل ما علا

الشي فهو سماءه ومنها السحاب ومنها المطر وقد تقدم لكم ان القاعدة
 المقررة عند اتباع محمد عليه السلام ان يعتقدوا ظواهر النصوص
 الشرعية والمعاني المتبادرة منها ما لم يقم دليل عقلي قاطع على خلافها
 وان قام دليل كذلك اخذوا بتاويلها والتوفيق بينها وبين ذلك
 الدليل فعلى هذا فهم يعتقدون المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء
 المذكور في انزال المطر وهو الجسم الذي هو مسكن الملائكة كما هو المراد
 في كثير من الاستعمالات الشرعية ويوفقون بين النصوص التي تصرح
 بنزول المطر من السماء والتي تصرح بنزوله من السحاب بان الله تعالى
 قادر على انزاله من السماء على البخارات المجتمعة المسماة بالسحاب ثم ينزله
 منها الى الارض فتارة تذكر النصوص الشرعية محل نزوله الاول
 وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله اصدق القائلين وان ثبت لديهم ما
 نقولونه من ان المطر ليس الا بخارات الارض وبخارها وتحقق ذلك
 بالبرهان القاطع ساغ لهم على موجب القاعدة المتقدمة ان يؤلوا
 النصوص التي يتبادر من ظواهرها ان المطر ينزل من السماء التي
 هي مقر الملائكة بان المراد بالسماء في هذه النصوص هي ما علانا وصار
 سقانا وهو السحاب (ذكر هذا التاويل الامام الرازي في تفسير
 سورة البقرة و اشار اليه الشيخ الشرنبلالي في حراقي الفلاح) وان
 يقال انه لما كان نزول المطر باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس

التي تثير وتبعد الاجزاء المائية من اعماق الارض او من البحار
 والانهار الى جو الهواء فتتعد سحابا فتطر كان الانزال من
 السحاب حقيقة ومن السماء مجازا باعتبار السببية والله مسبب
 الاسباب (ذكر هذا حقي افندي في تفسير سورة النبأ) فبعد هذا
 البيان اي اشكال لكم ايها الماديون في نصوص هذا المقام
 ما دامت تنطبق على العقل باقرب تاويل وقد بقي كثير من
 نصوص الشريعة المحمدية اخال انكم باطلاعكم عليها تشكرونها في
 اول الامر لعدم معرفتكم توجيهها وبما قاله علماء الشريعة في معانيها
 وكيفية اعتقادها ولكن اذا سألتم اهل الذكر والمعرفة من اتباع محمد
 عليه السلام لا تجدون شيئا منها الا له انطباق صحيح على قانون
 العقل لا يخالفه بادنى مخالفة ولكن المدار على المذاكرة مع علماء هذه
 الشريعة المتجربين فيها العالمين بقواعدها المحيطين بما قاله اجلاؤها
 في تفسير نصوصها الذين شافوا الرسول عليه السلام لا مع الضعفاء
 الذين لا يعلمون منها الا رسوم العبادات واحكام المعاملات
 فتظنونهم من افاضل العلماء واساطين الحكماء فهولاء ربما يكونون
 عقبة في سبيل ايمان امثالكم لجهلهم بقواعد الدين المحمدي وعدم
 معرفتهم في طرق التوفيق بين نصوصه والادلة العقلية ومتى يجب
 ذلك التوفيق فقد يسلكون بغفلتهم سبلا يقصدون فيها المحاماة

عن الدين الاسلامي فيجلبون التنفير عنه عوضا عن التأليف اليه
 فهم بذلك اضر على الدين من اعدائه الالذاء (قد سمعت عن
 بعض هولاء الضعفاء انه يقول لا يجوز في الدين الاسلامي الاعتقاد
 بوجود قارة اميريكالا ان اعتقاد ذلك يستلزم اعتقاد ان الارض كرة
 وهو خلاف الاعتقاد الاسلامي انتهى فهذا المسكين قد كلف بجهلة
 اهل الاسلام ان يكابروا بالمحسوس ويجعلوا دينهم سخرية بين الامم
 وحاشا الدين الاسلامي ان يكون بهذه المثابة وان ينحط الى هذه
 الدرجة السافلة وهو اعظم الاديان متانة في العقول وابعدها عن
 الاعتقادات الباطلة والتصديق بما ترفضه العقول السليمة وقد كان
 لهذا المسكين مناص عن تعسفه في هذا الطريق الحرج بان لا ينكر
 وجود اميريكالا الثابت وجودها بالعيان وبالتواترواذا وجد كما زعم
 ان الاعتقاد بوجودها يستلزم قطع الاعتقاد بان الارض كرة فله
 ان ياخذ بقول من قال من اجل علماء الملة الاسلامية بكروية
 الارض كالامام الرازي ويؤل الظاهر من النصوص الشرعية التي
 يتبادر منها ان الارض مبسوطة بتاويلات موافقة فيقول مثلا في
 النص القرآني الذي يقول والارض بعد ذلك دحاها ان المراد
 بالدحو تسوية ظاهرها بجعلها صالحة للسكنى كما قاله بعض المفسرين
 ولا يضر حينئذ هذا الاعتقاد في الشريعة المحمدية ما دام موافقا

لقول من اقوال علمائها الذين تعتمد اقوالهم في الدين وفي فهم
النصوص الشرعية وجاريا على وجه من اوجه التاويل الصحيحة
ولكن من اين لهذا المسكين ان يدرك هذا المدرك وهو لا يعلم الا
شقشة اللسان ببعض الفاظ الاحكام فهو صديق للدين ولكن
صديق احمق سالك في سبيل عدو الله ذلك من وفور جهله وقلة
عقله وفقنا الله جميعا للتخلي بالعلم الحق وسلوك منهج الصواب
اللهم امين)

هذا ولما بلغ العالم المحمدي في كلامه مع هذه الطائفة الماديين الى
الى هذا الحد من البيان الذي كشف كل شبهة قامت لهم في الشريعة
المحمدية واراهم منزلة مذهبهم في نظر العقل السليم استيقظوا من
غفلتهم وانتبهوا من رقدهم وبعثت الباهم من لحود الاوهام
وخلصت افكارهم من قفار الظلام وقالوا له انا لك من الشاكرين
ايها الناصح الامين والمرشد المبين فقد ازلت من امامنا صعوبات
ومهدت عقبات ولكن انت ازلت المانع من تصديق محمد عليه
السلام فبقي علينا المقتضي لتصديقه وهو يكون عندنا متى وجدنا
الادلة التي قامت عند اتباعه صحيحة دالة على صدقه دالة قاطعة
فقال لهم ذلك العالم ان هذا الامر اليكم وسهل بمشية الله تعالى عليكم
فشرعوا في النظر في تلك الادلة وتدقيق البحث فيها مفصلة وجملة

فظهر لهم بعد امعان النظر واجالة الفكر انها من الصحة بمكان دالة
على صدق محمد عليه السلام دلالة لا يعترىها الريب لاسيما مجموعها
فان العقل السليم يحيل ان تتفق جميعها على صحة دعواه عليه السلام
وهي تكون غير صحيحة واعتقاد الصدفة في اتفاقها لا يذعن به العقل
على ان منها ما ليس لمحمد عليه السلام في اقامته دخل ولا يقول
بحصول الصدفة والاتفاق في ذلك الا مكابر (وتفصيل هذا قد مر
في صدر كلام هذه الطائفة عند ما اخذت تستوضح حال محمد
عليه السلام وسياتي في الردود على الطائفة التي تروم تشكيك
اتباع محمد عليه السلام في ادلتهم فارجع لكل في مرجعه ولا حاجة
الى التكرار هنا) فعند ذلك صدقت هذه الطائفة محمدا عليه
الصلاة والسلام في دعواه الرسالة من عند الله تعالى مقرين
بوجوده سبحانه مصدقين برسله وكتبه والبعث وجميع ما جاء به
وامنوا بذلك ايمانا ثابتا عن بيان كاف وتوضيح شاف فاصبحوا من
اكرم اشياعه عليه السلام واثبت اتباعه والله على كل شيء
قدير

هذا وقد كان يوجد من كل طائفة من الطوائف المتقدمة اناس لهم
رأسة في قومهم اما رأسة دينية واما رأسة امارة وسياسة ولم تفوذ
كلمة وسطوة على القلوب فلا يعصى لهم امر ولا يرد لهم راي هم

المتبوعون في الاقوال والافعال وسائر قومهم لهم اتباع وهم المسامحون
اذا سطوا على الاموال والاعراض والدماء لمكان رأستهم وعزة
عصبيتهم فعندما ادعى محمد عليه الصلاة والسلام الرسالة من عند
الله تعالى وجرى ما جرى له مع الطوائف المتقدمة وآخر الامر
صدقوا دعواه بما ثبت لديهم من الدلائل على صدقه قام في نفوس
اولئك الروساء المذكورين صدق دعواه ايضا وجزموا بذلك اكمل
الجزم لوضوح دلائله ولكن حب الرئاسة وما لهم من التمييز بين
اقوامهم حال بينهم وبين الازعان والخضوع له عليه الصلاة والسلام
والاقرار بتصديقه وذلك انه خطر لهم انهم اذا اتبعوه وخضعوا له
سلبوا تلك الرئاسة وحرموا ذلك التميز ولزمهم ان يكونوا اتباعا بعد
ما كانوا متبوعين وتجري عليهم احكام شريعته لا يميزون عن سواهم
في شيء كما هو شأن تلك الشريعة من التسوية بين جميع اتباعها
وانهم لا ينالون شيئا من اموال قومهم التي تدخل تحت تصرفه عليه
السلام الا اذا عملوا عملا يعود على اتباعه بالنفع وان من يسطو
منهم على احد في مال او عرض او دم لا يسامح بمشقال ذرة الا ان
يعفو صاحب الحق فكتبوا ما قام في نفوسهم من صدقه عليه السلام
واخذوا يفكرون في امر يعاكس شأنه ويفرق عنه اتباعه فرأوا ان
الاقرب في بلوغ ذلك المأرب ان يلقوا الشبه على الطوائف الذين

اتبعوه ليقعوا في نفوسهم الشك فحاولوا توهين الدلائل التي
استدل بها اولئك الطوائف بتطريق الاحتمالات فيها وايراد
التاويلات حتى تعود في نظرهم غير يقينية فيقولون لم حنيئذ
ان هذه الدلائل التي اعتمدتم عليها في تصديق محمد عليه السلام
ما هي الا دلائل ظنية ولا يليق بكم ان تتركوا عوائدكم المألوفة
وما كان عليه اباؤكم من المعتقدات وما تلقيتموه من الاديان التي
جاءت بها الرسل المتقدمون لمجرد دلائل ظنية والظن لا يعتمد
عليه في مثل هذا الحال فرتبوا في افكارهم تلك الشبه الواهية
والاحتمالات الباطلة

وجاؤا للطائفة التي صدقت محمدا عليه السلام حينما تحدى
بالقران وقال انه يستعجز الفصحاء والبلغاء بسورة منه وهم كانوا من
اهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن المعارضة وصدقوا بسبب ذلك
دعواه بالرسالة فقالوا لهم يحتمل ان محمدا عليه السلام قد حصل
له درجة من الفصاحة والبلاغة لم توجد في احد منكم فعجزتم عن
معارضته وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة
القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن
شق غباره فاجابتهم تلك الطائفة بان صناعة الفصاحة والبلاغة
وان كان اساسها استعداد صاحبها في اصل فطرته ولكن لا بد لكمالها

وبلوغها فيه درجة سامية من ممارسة وتدرج في طرقها من نحو
 قول الاشعار وروايتها ومعاناة الخطب ودراستها ومحاورة الفصحاء
 ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصبح من زمريها حسب
 استعداده الذي فطر عليه وايضا ما بلغته درجتها من السمو فلا بد
 لها من نظير من نوعها ومثال من صنفها ولو كان دونها في درجات
 ونحن نرى محمدا عليه السلام وان كان في اصل فطرته مستعدا
 لتلك الصناعة ولكننا لم نجد من اول نشأته الى ان بلغ الاربعين
 سنة من عمره التي هي سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك
 الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن في تلك المدة
 له معاناة في الاشعار لا قول ولا رواية وكذلك الخطب والرسائل لم
 يكن له فيها عناية ولم نجد في تلك المدة ايضا مولعا بمحاورة الفصحاء
 ومغالبة البلغاء وهو بين اظهرنا لا يخفى علينا حاله وكيف يخفى ومن
 يعاني تلك الصناعة يشتريننا كالشمس في رابعة النهار لانها من
 اعظم مفاخرنا فعند ما بلغ سن الاربعين وادعى الرسالة وتحدثنا
 بالقرآن ما راعنا الا ما وجدناه في قرآنه من تلك الفصاحة البارة
 والبلاغة الصادقة اللتين رُمينا عندهما بالعجز واصبنا بالوهن وايضا
 قد انفرد ذلك القران في منهجه الذي سلكه في الفصاحة والبلاغة
 بما لا نجد له نظيرا فلا هو من الاشعار ولا الارجيز ولا من نوع

الخطب والرسائل ولا له مثال يحثي عليه وهذا يكون اعرق في
الغربة فعلى من مارس محمد عليه السلام هذه الطريقة التي جاء
بها في قرآنه وهي لم تعهد بين العرب اجمع ا يكون هو اول مخترع لها
ويبلغ فيها هذه الدرجة التي لا تلحق ما هذه عادة المخترعين للاشياء
بل عادة كل مخترع ان يصدر عنه اختراعه كالطفل وسواه يريه
حتى يبلغ الغاية التي تمكن فيه واما ان المخترع يبلغ باختراعه الغاية
القصوى التي لا تستطاع وليس بعدها منزلة فهذا شيء لم يعهد في
المخترعين من البشر ولا يبعد ان يقال انه غير ممكن في قدرتهم
حسب الاستقراء الا ان يكون الاختراع طفيفا جدا فعدم ممارسة
محمد عليه السلام لتلك الصناعة في الماضي من عمره بما يبلغه تلك
الدرجة التي لا تلحق وانفراد قرآنه في ذلك الاسلوب الذي بلغ
الغاية في الفصاحة والبلاغة حتى عجزنا عن معارضته هو مبطل
للاحتمال الذي جوزتموه واردم ادخال الشك علينا به فنحن
لا نزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعواه بدون شك ولا ريب
ونقول ان ذلك القرآن ليس الا تيان به في قدرة البشر بل هو
منزل من عند الله تعالى كما ادعاه محمد عليه السلام
فانعطف اوائك المشككون الى الطائفة الذين صدقوا محمدا عليه
السلام بسبب انهم وجدوا القرآن الذي جاء به مشتملا على

الصفات الفاضلة التي لا يمكن اجتماعها في كلام الا ان يكون من عند الله تعالى والى الطائفة الذين صدقوه بسبب انتظام حال شريعته عليه السلام واحتوائها على كل فضيلة وتكفلها بانتظام حال متبعيها فقالوا لهاتين الطائفتين قد بلغنا ان محمدا قبل دعواه الرسالة قد سافر الى بلاد الروم في تجارة مرتين وبلغنا انه اجتمع هناك بعض رهبانهم (بجيرا الراهب الذي عند ما راه مع تجار قریش في طريق الشام تفرس به انه نبي اخر الزمان كما هو منقول في السير النبوية) فلعله نقل هذا القرآن المشتمل على الفضائل عمن ذكر وتعلم منه تلك الشريعة وجاء بلاده وادعى الرسالة وعضد دعواه بذلك القرآن وتلك الشريعة ولعدم وجود احد في بلاده من اهل المعرفة الذين يمكنهم معارضته بالاثبات بمثل ما جاء به توهمتم ان ما جاء به حصل له من جانب الله تعالى دون صنيع البشر فاجابتهم الطائفتان المذكورتان بان مثل ذلك القرآن المحتوي على تلك الصفات الفاضلة التي مر شرحها في استدلالنا وبيان ان اكبر العلماء والحكام والسياسيين يعجزون عن جمعها في مثل ذلك الكتاب وان مثل تلك الشريعة المشتمة على ما تقدم شرحه ايضا في استدلالنا من العقائد الحق والاخلاق الحسنة والعبادات المبنية على الحكم والاسرار الباهرة والاحكام التي تنكفل بانتظام احوال الانام وغير ذلك

مما سبق ان استيفاء عدده يحتاج الى مجلدات كل ذلك لو فرض
 جواز تعلمه من الغير لاحتاج الى زمان مديد يبلغ العشرات من
 السنين ولو كان المعلم من ابرع الحكماء والمتعلم من اعظم الاذكياء
 ومحمد عليه السلام انما غاب عن بلده مكة في جميع عمره الذي
 عاشه بين اظهرنا مع تجار قریش الذين كانوا ياتون البلاد الرومية
 للتجارة اياما معدودة هي مدة الذهاب والاياب بين مكة وبلاد
 الروم وقضاء مصالح التجارة وهذه مدة لا تكفي لان يتعلم فيها محمد
 عليه السلام بابا واحدا من ابواب شريعته التي جاء بها وكل واحد
 منا يعلم صعوبة التعلم واحتياجه الى الزمان الكافي على ان تعلم ما
 جاء به محمد عليه السلام للكاتب القاري هو من الصعوبة
 والاحتياج الى الزمان المديد بمكان فكيف ومحمد عليه السلام
 امي لا يقرأ ولا يكتب فكيف يميز العقل تعلمه جميع ذلك مع اميته
 وقصر زمان غيبته عن بلده واميته عليه السلام التي طالما سمعه
 يدعيها لنفسه ويذكر في القرآن الذي يتلوه بين العام والخاص
 انه النبي الامي ويذكر فيه ايضا في الاحتجاج على ان ما جاء به
 هو من عند الله تعالى ليس بتعلم من البشر قول ربه له (وما كنت
 تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا الارتاب المبطلون)
 هي اي تلك الامية ثابتة عندنا بلا ريب لانه عليه السلام قد نشأ

بين اظهرنا ولم نعلم انه عانى صنعة القراءة والكتابة ولا رآه احد منا
او نقل اليها انه خط سطر او احدا يوما من الايام ولو انه كان يعرف تلك
الصنعة بين قومه الذين لا يوجد منهم من يعرفها الا الافراد القلائل
لما خفي علينا حاله في تلك المدة ولو تقصد اخفاءها وكيف يتقصده
ولا داعي يدعو اليه بل الداعي يدعو الى اظهار حاله لما فيه من الصفة
الكمايية بين تلك الامة الامية والعقل لا يصدق ان هذا الرجل من
قبل تعلم تلك الصنعة صمم على انه يتعلمها ويخفي حاله ثم يستعين بها على
تعلم ذلك القرآن وتلك الشريعة من بعض رهبان الروم ثم يدعي
الرسالة من اين ضمن لنفسه تمام ذلك ثم تم له اخفاء حاله في تعلم
تلك الصنعة وتم له تعلم ما جاء به وادعى تلك الدعوى لا يقول
بذلك الا كل مكابر او منقاد للاوهام وبعد ذلك كله فان العقل
لا يصدق بوجود معلم قد حوي جميع تلك المعارف التي اشتمل عليها
القرآن وتلك الشريعة واحاط باطراف تلك العوارف لافي بلاد
الروم ولا في غيرها وقد ظهر لنا بعد مخالطتنا للروم ان ما جاء به
محمد عليه السلام لا يوجد عند علمائهم اجمعين فضلا عن وجوده
عند بعضهم بل رايناهم بعد المخالطة والاطلاع على ما جاء به محمد
عليه السلام يعجبون من حسن انتظام الشريعة ويقتبسون منها ما
يوافق سياسة بلادهم فكيف يكون ذلك عند علمائهم ولا يشيعونه

بينهم ويبقى خفيا حتي يظهره و يجاهر به محمد عليه السلام فيقتبسون
 منه ما يقتبسون على انه يوجد فيما جاء به كثير مما يخالف دين
 الروم في العقائد والاعمال والاخلاق ويذم ذلك منهم غاية الذم
 فكيف يقنع العقل ان بعض رهبان الروم علم محمدا ذلك واي داع
 دعاه اليه على انه لو غرض النظر عن جميع الموانع المتقدمة التي
 تمنع من تعلم محمد عليه السلام ما جاء به من بعض رهبان الروم
 فانه يوجد مانع اخر قوي يمنع من ذلك البته وهو ان محمدا عليه
 السلام ما جاء بالقرآن والشرعية دفعة واحدة واطهر ذلك للناس
 في اول دعواه بل جاء بذلك مفرقا منجما من اول دعواه الرسالة
 الى ان تم دينه وانتشر بين الطوائف الذين اتبعوه والامم الذين
 صدقوه فكان ياتي بالاية والايتين والسورة والسورتين من قرانه
 على حسب الحوادث التي تحدث بينه وبين اخصامه او فيما بين
 اتباعه مشتملا ذلك على ما يقتضيه الحال من استدلال او دفع
 شبهة او جواب سؤال او غير ذلك وكذلك احكام الشريعة كان
 يبلغها للناس شيئا بعد شيء على حسب المصالح والحوادث والمشاكل
 والسؤالات فيأتي في مقابلة كل شيء من ذلك بطبق المرغوب
 والمخلص انه كان ياتي في مقابلة كل حادث يحدث معه في مدة
 دعواه بما يناسبه ويوافقه من القرآن والشرعية وهذه الكيفية معلومة

بالضرورة لنا ولمن نقل لم خبره وسيرته بالتواتر الصحيح وحيث
 يقال ما الذي اعلم بعض رهبان الروم بجميع الحوادث المستقبلية
 التي سوف تقع وتتفق لمحمد عليه السلام بينه وبين اخصامه او
 اتباعه فعلمه لكل منها ما يناسبه من القرآن ومن الشريعة فعرف
 جواب كل سوال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل
 حادثة يتفق حدوثها في مدته وهو اورد لكل شيء من ذلك ما
 يجب له في وقته مسددا مقنعا للافكار وانا نرى من تلك الحوادث
 ما لا يخطر في بال احد انه سوف يقع او يتفق وقوعه الى اخر الدهر
 ومن يطلع على جميع ما حدث من الحوادث في مدة دعواه عليه
 السلام يعلم ان احاطة بعض رهبان الروم الذي تزعمونه بجميع ما
 سوف يحدث في تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال البتة
 لا يقول به الا كل عنيد وان قلتم انه يوجد في اتباع محمد عليه
 السلام رجل (قيل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه وقيل غيره)
 هو من امة شهيرة بالمعارف ونظامات الممالك فما المانع من ان محمدا
 عليه السلام يتعلم من ذلك الرجل احكام ما يرد عليه من الحوادث
 واجوبة ما يلقي عليه من المسائل ودفع ما يعارض به من الشبه
 وغير ذلك كل شي ياخذ عنه في وقته فكما ورد عليه امر من
 ذلك لجا الى ذلك الرجل وساله عنه فيعلمه ما يقتضيه الحال قلنا

ان توهم هذا الامر من السخافة بمكان اولا لا يخفى ان امر التعلم
 لا يتأتى في جلسة واحدة ولا في جلسات قليلة ولا يتم في الحفوة
 بل التعليم انما يتم اذا اختلف المتعلم الى المعلم ازمته متطاولة ومددا
 متباعدة واو كان الامر كذلك لاشتهر بين الخلق ان محمدا عليه
 السلام يتعلم العلوم من فلان والحال ليس كذلك وثانيا او كان
 ذلك الرجل معلما لمحمد عليه السلام جميع تلك العلوم التي وجدت
 في قرانه وشريعته لكان في غاية الفضل والتحقيق يشار اليه بالبنان
 والحال ان ذلك الرجل الذي تزعمونه ليس بهذه الدرجة السامية
 بل ولا هو من المشاهير بالمعرفة بين الناس ويوجد كثير من اتباع
 محمد عليه السلام يفوقونه في الاحاطة باحكام الشريعة بدرجات
 وهو نفسه يكتسب منهم ومن دونهم ويتعلم ما يحتاج اليه ويخضع
 لديهم خضوع المتعلم للمعلم ولا يصدق العقل ان يقتدر على اخفاء
 حاله بهذه الدرجة وثالثا لو كان هو المعلم لمحمد عليه السلام لا ضطر
 محمد الى تقديمه في المرتبة والمقام بين اتباعه على جميعهم ولولم يقمه
 محمد في تلك المنزلة لما صبر هو على ذلك ونحن نراه بين اتباع
 محمد من كثير منهم في الرتبة وهو راض بذلك غير متنكر منه
 ورابعا انا قد خالطنا فيما بعد امة ذلك الرجل فلم نجد عندها جميع
 ما جاء به محمد عليه السلام من العلوم والاحكام والشريعة الجامعة

لكل خير وكثير منها لم يوجد عندهم منه عين ولا اثر بل وجدناهم
يقتبسون من شريعته ما يرونه مناسبا لسياسة بلادهم فمن اين جاء
ذلك الرجل جميع تلك المعارف وامته محرومة منها فكل ذلك
يبتل هذه الاحتمالات التي اوردتموها علينا ايها المشككون ويلقيها
في حيز الاهمال فنحن لا نزال مصدقين بدعوى محمد عليه الصلاة
والسلام بدون شك ولا ريب

فمال اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق
محمد عليه السلام باقرار اهل الفصاحة والبلاغة بالعجز عن معارضة
قرآنه وبشهادة اهل المعرفة في فضائل الكلام باشتغال القرآن على
الصفات الفاضلة التي يعجز عن جمعها في مثله كل احد من البشر
وبعجز بعض اهل الفصاحة والبلاغة عن معارضة قرانه ايضا بدليل
عدم التعرض لما بل انحازوا الى محاربه التي سببت قتل انفسهم
وسبي ذراريهم وتخريب ديارهم وجلاءهم عن اوطانهم فتركوا الطريق
السهل وهو المعارضة لو تمكنهم وسلكوا سبيل المحاربة التي هي
اصعب السبل فقالوا لهم وما يدريكم ان الطائفتين البتين احدهما
اقرت بالعجز عن المعارضة والاخرى اقرت باشتغال القرآن على
الفضائل التي لا تلحق واتبعوا جميعا محمدا (عليه السلام) كان ذلك
منهم لغرض من الاغراض وغاية يبلغوها في ذلك الاتباع فاقروا

بذلك الاقرار واتوا بتلك الشهادة ليكون ذلك حجة لهم على من
 يلومهم واما الطائفة الذين تركوا المعارضة وانحازوا الى المحاربة التي
 سببت لهم تلك الاضرار فربما يكون محمد (عليه السلام) هو الذي
 ابتداهم بالمحاربة وبسبب استعارة نار الحرب لم تبق لهم فرصة للمعارضة
 ولم يمكنهم محمد (عليه السلام) من ذلك وبهذا السبب تركوا الطريق
 السهل وسلكوا السبيل الصعب فهم قد الجؤا لذلك الجاء فاجابهم
 هذه الطائفة بان قولكم في حق الطائفتين الاوليين انه يحتمل ان
 يكون ما حصل منهم من الاقرار والشهادة والاتباع لغرض من
 الاغراض وغاية ينالونها في ذلك فهو قول مسربل بالمجازفة ومجرد
 عن كل زوية لانه لا يخفى ان اصعب شيء على العاقل مفارقة
 دينه الذي يرجو فيه النجاة في الدنيا والاخرة واصعب شيء بعد
 ذلك عليه مفارقة عوائده التي مرن عليها وتلقاها عن اسلافه حتى
 ان البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها
 وتحكم عليه نفسه ببلازمتها وعلى هذا فالعاقل لا يفارق دينه الا اذا
 تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لاسيما الموروثة الا لسبب
 قوي قاهر فها تان الطائفتان نراهم قد فارقوا دينهم الذي يرجون به
 نجاتهم وعوائدهم التي مرنوا عليها وصاروا يذمون جميع ذلك اشد
 الذم واقروا بالعجز عن المعارضة وشهدوا بفضل القرآن بمجرد اطلاعهم

عليه بدون ادنى خوف من جانب محمد عليه السلام لما لم من
 العصبية القوية بدون احتياج الى اموال في يده بل قبل ان تقوم
 له عصبية وان يحصل في يده شي من الاموال وبدون سبب من
 الاسباب الملجئة لذلك يعلم ذلك من استقصاء حاله وحاله والاطلاع
 على كيفية اتباعهم له فلولا انهم جزموا بالعجز عن المعارضة وباحتواء
 القرآن على تلك الفضائل التي يعجز عن جمعها البشر لما افروا
 وشهدوا بذلك ولما كان منهم ذلك الاتباع الذي فارقوا به دينهم
 الذي يعتقدون به نجاتهم وكابدوا مشقة هجر عوائدهم وهم عقلاء
 فطناء آمنون واما قولكم في حق الفصحاء البلغاء الذي ظهر عجزهم
 عن المعارضة بتركهم اياها وسلوكهم سبيل المحاربة التي جاءتهم
 بالاضرار انه ربما ابتدأهم محمد عليه السلام بالمحاربة ولم يجدوا فرصة
 للمعارضة ولم يمكنهم محمد منها فنقول لو كان ما حصل بينهم وبين
 محمد عليه السلام من دعوته لهم وامتناعهم قد حدث في واقعة
 واحدة وفي مدة وجيزة لربما كان العقل يصدق بذلك الاحتمال
 الذي قلتم به ولكن الحال ليس كذلك فانهم ما تحاربوا معه عليه
 السلام حتى تحداهم بالقرآن حرارا ونادى على رؤس الاشهاد
 بعجز البشر عن معارضته ومضى على ذلك مدة من الزمان ليست
 بقليلة وهو في قسم كبير من اولها لم يكن عليه السلام ذا اتباع يصلح

عدهم للمحاربة ثم بعد ما استعرت نار الحرب بينه وبين هذه
الطائفة لم يزل متحديا بذلك ويدعوهم الى المعارضة كلما وجد
فرصة لها وقد كان يحصل بينه وبينهم هدن كثيرة ويجتمع هو
واصحابه معهم في اوقاتها فكان يمكنهم في اثناء تلك الهدن والفرص
ان ياتوا بالمعارضة لو امكنتهم ويرسلوا اليه ما يعارضون به
وينشروه بين احياء العرب ولا يعدمون نصيرا ولكن لم نجدهم حاولوا
ذلك لافي اول دعواه ولا في وقت الحرب ولا في زمن السلم
وما التجؤا الى فصاحتهم وبلاغتهم الا في هجائه وهجاء اتباعه واما
المعارضة فما تفوهوا في جانبها بينت شفة ولو حصل منهم شيء منها
لما خفي علينا ولكانت نقلته الرواة الى المشارق والمغارب فهذه
الاحتمالات التي اردتم تشكيكنا بها باطلة زاهقة لا يجوزها الا
كل عديم التدقيق غبي عن حقيقة احوال اولئك الطوائف مع
محمد عليه الصلاة والسلام فحقن نرفض جميع تلك الاحتمالات
الواهية ولا نزال مقرين بمصدقين بدعوى محمد عليه السلام
معتمدين على دليلنا المتقدم بدون ارباب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين صدقوا دعوى محمد
عليه السلام لما شاهدوه من خوارق العادات ومخالفة النواميس
الطبيعية التي ظهرت على يديه فقالوا لم يحتمل ان جميع ما اظهره

محمد (عليه السلام) من الخوارق كان من نوع السحر فسحر اعينكم حتى
 تخيلتم وقوع ذلك فاجابتم تلك الطائفة بان حالة محمد عليه السلام
 ليست حالة ساحر فانه يامر بالخير وينهي عن الشر والذي يعهد من
 السحرة انهم اشرار شهوانيون ياتون باعمال السحر لنوال ما ربههم
 الخسيسة ومحمد عليه السلام لا يظهر شيئاً من الاعمال الخارقة
 للعادات لاجل غرض خسيس ولا ياتي بذلك الا ليقنع العقول
 باتباع ما جاء به من الشريعة التي تحتوي على مكارم الاخلاق وتامر
 بالتخلي عن الشرور والتحلي بالخيرات فحالته حالة الرسل الذين تقدموه
 من كمال الصفات وسلوك سبيل الاستقامة وهداية الخلق الى الحق
 والسير في منهج النجاح وهو مؤيد دعواه بمثل ما ايدوا دعواهم من
 خرق النواميس الكونية التي لا يقدر على خرقها الا الله تعالى وذلك
 يكون كالتصديق منه تعالى لدعوى ذلك الرسول كانه تعالى يقول
 صدق عبيدي فيما يبلغ عني وخرقي للنواميس الكونية على يديه
 هو تصديقي له في دعواه (وقد تقدم توضيح ذلك باوفى بيان
 فارجع اليه ان شئت) على ان بعض تلك الخوارق التي ظهرت
 على يدي محمد عليه السلام لا يصدق العقل ان للسحرة قدرة عليها
 وذلك كانشقاق القمر الذي شاهده الحاضر والبادي فانه كما راه
 الحاضرون عند محمد عليه السلام الذين طلبوه منه فقد شاهده

واخبروا به المسافرون الواردون من امكنة بعيدة تساوي افقهم
 مع افق الحاضرين فهب ان محمدا عليه السلام سحرا عين الحاضرين
 عنده حتى شاهدوا ان القمر قد انشق فهل في قدرته ان يسحر
 اولئك المسافرين الذين كان كل فريق منهم في مكان من البادية
 لا يقول بذلك الاكل مكابرا وجاهل بمقدار قدرة السحرة في
 اعمالهم على اننا بعد ما صدقنا محمدا عليه السلام بسبب تلك
 الخوارق واطلعنا على شريعته اتم الاطلاع وخالطنا اشد المخالطة
 ودققنا النظر في احواله عليه السلام لم نجد في شريعته الاكل
 استقامة وكل ما يؤل على العامل بها يجلب الخير ودفع الضر
 كشرائع الرسل المتقدمين في اصل الاستقامة فائقة عليها باستيفاء
 ابواب الكمالات ولم نجد فيه عليه السلام ما ينكره العقل او يرتاب
 فيه الفكر وليس شأنه شان السحرة ولا حاله حال المحتالين على
 تحصيل حطام الدنيا ونوال شهواتها بل دأبه هداية الناس الى منهج
 الاستقامة واداء شكر المولى تعالى وصلة الارحام واطعام الطعام
 للمساكين والايتام مع شفقة منه على اتباعه كشفقة الوالد الحنون
 لا طمع له في امواله ولا ميل فيه الى ملذاتهم بل هو يتفضل عليهم
 بالاحسان شان الرسل قبله عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام
 فعلى جميع ما قدمنا لم يبق لنا ريب في صدق دعواه وهذا

التشكيك منكم ذاهب ادراج الرياح وساقط في نظر كل منصف
 فنحن لانزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعواه مؤمنين بكل
 ما جاء به من عند الله تعالى والله ولي التوفيق

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق
 محمد عليه السلام بسبب ان العلامات التي وردت في الكتب
 المنسوبة للرسول المتقدمين التي تكون في رسول يرسله الله تعالى
 بعدهم قد انطبقت عليه فقالوا لهم وما ادراكم ان تلك العلامات
 قد انطبقت على رسول قد مضى قبل ان قام محمد (عليه السلام)
 بدعواه فاجابتهم تلك الطائفة باننا قد بحثنا في تاريخ احوال الرسول
 الذين تقدموا محمد عليه السلام وجاءوا بعد ورود تلك العلامات
 في تلك الكتب فلم نجد واحدا منهم قد انطبقت عليه جميع تلك
 العلامات ولو كان واحد منهم كذلك لما خلا ذكره من جميع
 تواريخ الرسل ولكانت اخباره تنقل الينا ولو في بعض الاقاصيص
 لان مثله لا يندرس ذكره هذا الا ندراس نعم قد وجد من وجدت
 فيه بعض تلك العلامات ولكن لم يوجد من توفرت فيه باجمعها
 وقد اوضحنا هذا في تقرير استدلالنا (فليراجع هناك) فقالوا لهم وما
 ادراكم انه قد ياتي في الزمن المستقبل رسول من طرف الله تعالى
 تنطبق عليه جميع تلك العلامات ويكون هو المراد في تلك الكتب

وانطباق العلامات الان على محمد (عليه السلام) كان بطريق
الصدفة والاتفاق وان كان وجود تلك العلامات وتوفرها في شخصين
بعيداً جداً ولكن العقل لا يحيله فاجابتهم تلك الطائفة باننا نعتقد
ان الله تعالى الذي ينسب اليه ارسال اولئك الرسل الذين جاؤا
بتلك الكتب وانماؤها اليهم هو عليم حكيم فلا بد ان يعلم كل
مستقبل ياتي فاذا كان يعلم انه سوف ياتي محمد عليه السلام
ويدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات والحال انه غير
مراد وانما المراد من ياتي بعده فلا بد بمقتضى حكمته سبحانه انه
كان ينبهنا على ذلك ولو بعبارة واحدة بان يقول في تلك الكتب
انه ياتي واحد يدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات
التي تذكر في كتب رسلي ولكم غير المراد لي وانما المراد من ياتي
بعده وحيث لم يرد منه سبحانه شي من ذلك فوجب ان يكون محمد
عليه السلام هو المراد قطعاً واحتمال وجود العلامات في شخصين الذي
قلتم ان العقل لا يحيله قد تبين بهذا التقرير انه محال لانه يقتضي
اما جهل الله تعالى في حوادث المستقبل او اجراء اعماله سبحانه على
خلاف الحكمة ووقوع التليس منه تعالى على عباده وكل ذلك محال فما
ادى اليه يكون محالاً فاذا وجود تلك العلامات في شخصين لا يميزه
العقل فمحمد عليه السلام الذي وجدت فيه باجمعها هو المراد البته وقد

شرحنا ذلك في تقرير استدلالنا باكمل بيان (فليراجع هناك) فنحن
 لانزال مصدقين بدعوى محمد عليه السلام بلا شك ولا ريب
 فمال اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق
 محمد عليه السلام بانه لو لم يكن صادقا في دعواه لما اتفق على
 تصديقه اولئك الطوائف العقلاء بعد ما كانوا مخالفين له اشد
 المخالفة ومكذبين اشد التكذيب ومتعصبين لعقائدهم وعوائدهم ولما
 توفرت لهم تلك الادلة لكن قد اتفقوا وتوفرت لهم تلك الادلة
 فيكون صادقا فقالوا لهم يحتمل ان يكون كل دليل من ادلة اولئك
 الطوائف دليلا ظنيا لا يفيد اليقين واذا كان الحال كذلك فمجموع
 الادلة يكون ظنيا اذ ليس حقيقة المجموع الا تلك الافراد فكيف
 يعتمد على ذلك في الاعتقاد ومفارقة الدين ويحتمل ان محمداً
 بقوة حجته ووحدة خاطره التي فطر عليها قد صور لكل طائفة من
 تلك الطوائف دليلا ظنيا وحلاه بحلية اليقين فاجابهم تلك
 الطائفة بان كل طائفة من تلك الطوائف المستدلة بتلك الادلة
 اذا تأمل العاقل في شانهم من انهم عقلاء متعصبون بما هم عليه من
 العقائد والعادات لا يصدق عقله بانهم يعتمدون في مفارقة دينهم
 وعوائدهم على دليل ظني ويتساهلون في تحرير دليلهم واعتماد
 اليقين فيه لان اقدامهم على ما اقدموا عليه ليس امرا طفيفا حتى

يهملوا التحقيق والتدقيق فيه فالذي يقنع به العقل السليم ان كل
طائفة منهم لم تعتمد في اتباعها محمدا عليه السلام الا على دليل
يقيني يفيد الجزم وعلى فرض ان هذا التقرير لا يفيد القطع بان
كل دليل من تلك الادلة هو يقيني فاتفق تلك الادلة على نتيجة
واحدة وهي صدق محمد عليه السلام مما يفيد صحة دعواه ويكون
ذلك دليلا لنا مستقلا يوجب لنا الجزم بذلك وقولكم اذا كان كل
دليل على حدته ظنيا فمجموع الادلة يكون كذلك اذ ليس
المجموع الا تلك الافراد هو قول ممنوع لانه وان يكن المجموع
ليس الا الافراد ولكن حكم كل فرد غير حكم المجموع في المحسوسات
والمعقولات كما لا يخفى (قد مر بسط الكلام في هذا المقام في
الرد على المؤلّين لادلة الطوائف الذين صدقوا الرجل المرسل من
عند الملك ويزاد هنا على ذلك بعض البيان) الاترون ان
الحبل الثخين هو مجموع خيوط كل منها على حدته يستقل بقطعه
الولد الصغير واما مجموع تلك الخيوط وهو الحبل فيعجز عن قطعه
اقوى الرجال وكذلك الحال فيما لو خرج جماعة كثيرون من
مجمع حضروا فيه خطيبا خطب بينهم واخبر كل واحد منهم ان
الخطيب في اثناء خطبته سقط عن منبر الخطبة وشج راسه فخبّر
كل واحد منهم على حدته وان كان ظنيا يحتمل انه كذب ولكن

مجموع اخبارهم تفيد اليقين ويحيل العقل ان هؤلاء الجماعة
الكثيرين قد تواطؤوا على الكذب وهم مختلفون في الافكار ولا
جامع يجمعهم على اختلاق ذلك الخبر وكذلك اذا قال جماعة ان
الامير قد حضر من سفره الى البلدة فاحدهم قال لاني رايت اليوم
ثيابه قد حضرت مع بعض خدمه والاخر قال لاني رايت خدامه الخاصة
بخدمته قد حضروا والاخر قال لاني رايت ولده العزيز الذي من عادته
ان لا يفارقه لا سفرا ولا حضرا قد حضر والاخر قال لاني سمعت
اصوات المدافع قد ضربت فسالت عن ذلك بعض المدفعيين فقال
لي ان الامير قد حضر والاخر قال لاني رايت ارباب الوظائف
في الحكومة مسرعين لملاقاته والسلام عليه عند خروجه من
السفينة وهم اخبروني بذلك والاخر قال كذا والاخر قال كذا
وكل منهم اتى بدليل اذا نظر اليه بجد ذاته يكون ظنيا فان العقل
لا ينظر الى كل دليل على حدته بل يعتبر مجموع تلك الادلة
ويقول ان اتفاقها لا يكون بطريق الصدقة ويجزم بسببها بحضور
الامير البتة فقد ظهر ان الافراد من الادلة وان كان كل منها ظنيا
ولكن مجموعها قد صار يقينا بالاجتماع يفيد الجزم واما قولكم يحتمل
ان محمدا عليه السلام بقوة حجته وحده خاطره التي فطر عليها قد
صور لكل طائفة دليلا ظنيا وحلاه بحلية اليقين فهذا كلام من لم

يعرف حقيقة الادلة التي اعتمد عليها اولئك الطوائف فان اكثرها لم يحصل بصنع من محمد عليه السلام فكيف يقال انه هو الذي صورته وحلاه تأملوا كيف يمكن لمحمد عليه السلام ان يحدث في الفصحاء والبلغاء العجز عن معارضة قرأه انه اذا لم يكن نفس القرآن معجزا (وقد مررد الشبه الواردة على هذا في اول الكلام مع الماديين فليراجع هناك) هب ان محمدا الزم نفسه بالعلامات المذكورة في الكتب المنسوبة للرسل المتقدمين التي هي من نوع الاخلاق والافعال الاختيارية على زعم انه اطلع على تلك الكتب مثل انه يحب البر ويغض الاثم ويحكم بالعدل ويحارب ونحو ذلك فهل يمكنه ان يحدث في نفسه العلامات الجسدية مثل ان علامة ملكه بين كتفيه وكونه قويا وهل يمكنه ان يحدث العلامات التي ليست اختيارية بل هي من قبيل الحظوظ في العالم مثل كون الشعب تحته وكون الهدايا ترد اليه من الملوك وكون الاغنياء تنقاد له وان البرية ترفع صوتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قيثار وكونه الحجر الذي رفضه البناءون وصار راس الزاوية وانه اعطى سلطانا على الامم وان الحبشة تجشوه وان ملوك اليمن تاتيه بالقرايين وهذه الامم تخضع له وتدين له بالطاعة وكونه يعطي من ذهب سبا وهو واتباعه مثل الزرع الكثير على وجه الارض وان سلطانه يكثر

يوما فيوما وانه بعد ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض
وان الطيور تاكل لحم الملوك الذين يحاربونه وان اتباعه يقودون
الملوك ويسوقونهم بالسلاسل والاغلال وان الله اغار بهم شعب
اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل (قد مر تطبيق هذه
العلامات في كلام الطائفة الذين استدلوا بها فليراجع هناك) فقد
ثبت بما قررناه ان كل احتمال اوردموه لتشكيكنا هو غير جائز
لا يصدق العقل السليم الخالي عن التعصب فنحن لانزال مصدقين
دعوي محمد عليه السلام بدون ارباب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين كانوا ماديين
طبيعيين ثم صدقوا محمدا واتبعوه بما شرح لهم العالم المحمدي وابانه
من الدلائل التي تدل على بطلان مذهبهم في انكار اله العالم والوحي
وتدل على صحة دين محمد عليه السلام وموافقته للعقل واحكامه
اليقينية مع دفع الشبه التي كانت عقابا في سبيل تصديقهم فراى
اولئك المشككون بعد اطلاعهم على ما جرى بين هذه الطائفة
وبين ذلك العالم المحمدي من المذاكرات والمباحثات ان كل
شبهة يرجون بها ادخال الشك على هذه الطائفة قد دفعها ذلك
العالم في مباحثاته واظهر بطلانها فسقط في ايديهم وقالوا لم يبق لنا
مع هذه الطائفة الا اننا نشككم في كلام هذا العالم الذي كان

كلامه سبب اقتناعهم في اتباع محمد (عليه السلام) فقالوا لهم لعل
 هذا العالم يكون قوي الحجة كثير الاطلاع متضلعا في اساليب
 المباحثات فسكر عقولكم بسحرياته حتى خيل لكم بطلان ما يخالف
 شريعته من مذهبكم وصحة دين محمد (عليه السلام) فكان عليكم ان
 تثبتوا ولا تتركوا اعتقادكم المبني على علومكم الطويلة العريضة لمجرد
 مذاكرة ذلك العالم ومباحثته فاجابتهم تلك الطائفة باننا قوم اصحاب
 عقول ولنا باع طويل في المناظرات وفطنة تامة في تلقاء من يناظرنا
 فلا نخال ان ذلك العالم المحمدي او اعظم منه بكثير يقدر على تمويه
 الحجج علينا واقناع عقولنا بغير الصواب وكل ما ناظرنا فيه واقنع
 به عقولنا قد سلك فيه سبيل البيان العقلي الواضح وجري في ذلك
 على مقتضى صريح العقل فاثبت لنا اولا حدوث مادة العالم بدليل
 واضح مبني على اكتشافاتنا في حقائق الكائنات ثم اقام لنا الدليل
 على وجوب وجود آله محدث للعالم ووجوب اتصافه بالصفات
 التي تدل عليها اثاره في هذه الاكوان ودفع عنا شبهها كانت مانعة
 لنا من التصديق بوجود ذلك الآله وضرب لنا الامثلة على ذلك
 باوضح بيان وايقظ عقولنا للاستدلال على وجود ذلك الآله سبحانه
 وعظمة صفاته وفور حكمته بما ذكرنا به من تفاصيل الكائنات
 واسرارها المنطوية في مباحثنا المدونة في كتب علومنا على اكمل

تبيان ثم وفق لنا بين ما ورد في شريعة محمد عليه السلام
 وبين ما جاء في علومنا مما ظاهره المخالفة لها حتى زال نفورنا عما
 ورد في تلك الشريعة ثم ابان لنا الاضرار التي تنشأ في العالم البشري
 من الاعتماد على اعتقاداتنا لاسيما من انكار البعث للانسان ثم
 بعد ذلك تأملنا في الادلة التي اعتمدها الطوائف الذين اتبعوا
 محمدا عليه السلام وصدقوه بسببها فظهر لنا انها صحيحة دالة على
 صدقه يقينية الدلالة لاسيما مجموعها الذي لا يحتمل توفره بوجه
 الصدفة والاتفاق فعند ذلك ظهر لنا الحق وليس بعد الحق الا
 الضلال ونحن دائما بين الانام نطنطن باننا احرار الافكار ندع
 للحق اينما كان فكيف بعد ذلك كله نكابرومخالف الصواب ولا
 سيما مكابرة تعود علينا بالشقاء الابدي وخسارة انفسنا فلم يسعنا
 بعد ذلك الا تصديق محمد عليه السلام واتباعه فصدقناه واتبعناه
 باكمل ايمان واحكم ايقان فايرادكم هذا التشكيك في كلام ذلك
 العالم المحمدي لايجديكم نفعا فكفوا عنا بسلام فعند ذلك رجع
 اولئك المشككون عن اولئك الطوائف صفر الايدي بخفي حنين
 والله لا يصلح عمل المفسدين

هذا وقد كانت طائفة من اولئك الجماهير الذين قام بينهم محمد
 عليه السلام بدعواه خامدة الافكار جامدة في تعصبها جمود الاحجار

فعند ما سمعوا بدعوى محمد عليه السلام وشاهدوا الطوائف
 الذين اتبعوه رأوا بسوء اختيارهم ان يلتزموا التعصب الاعمي
 لمعتقداتهم وعاداتهم ويكذبوا دعواه عليه السلام بدون استناد
 الى شي سوى قولهم انا وجدنا اباؤنا على هذه الاعتقادات والعادات
 فلا نترك شيئا منها لدعوى محمد (عليه السلام) وكيف نترك شيئا
 من ذلك وقد مضى عليه اسلافنا وعملنا سنين عديدة فاصروا
 على هذا الجمود البارد والفكر الخامد فهولاء القوم قد بقوا في
 ضلالهم مع اتباع خطة دنية وخلة وبية لم يتبعوا الصواب ولم يناضلوا
 عن مختارهم مناضلة ذوي الالباب فسقطوا في مهاوي الخسران
 وانحطوا في دركات الهوان والله سبحانه وتعالى لا يعذرهم في ذلك
 العناد ولا بد ان ينتقم منهم في يوم التناد وان قيل ان هولاء القوم كما
 ذكرت عنهم افكارهم خامدة فلعل ذلك يكون لهم عند الله تعالى
 عذرا فيقولون يا ربنا لم يكن عندنا من الفكر عند ما ادعى محمد
 عليه السلام الرسالة ما يوصلنا الى استيضاح دعواه فلذلك بقينا
 مصرين على تكذيبه قلت ان خمود افكارهم ليس لنقص في
 اصل خلقهم وضعف فطري في عقولهم وجبلتهم ينزل بهم الى درجة
 المجانين او الحيوانات العجم حتى يعذروا عند الله تعالى في جمودهم
 على تكذيب دعوى محمد عليه السلام وعدم استيضاحهم لها

ويسقط بذلك عنهم التكليف الالهي الذي كلف الله تعالى به عباده
على السنة رساله عليهم السلام بل ذلك الخمود فيهم قد نشأ من
انغماسهم في الشهوات والتفاتهم الى اللذات وانها كم في تحصيل
رغائبهم الدنوية وبلوغ اهوائهم الدنية فاستثقلوا لاجل ذلك سلوك
سبيل الاستبصار وركنوا الى الذلة والصغار والدليل على ذلك اننا
نراهم في تحصيل رغائبهم ومجادلة اخصامهم في مقاصدهم اصحاب
افكار وانظار واستدلالات ذات اخطار يدققون النظر لبلوغ
الوטר ويعملون الفكر في تحصيل الابرفاي مانع منهم من الاستبصار
في دعوى محمد عليه السلام بعد ما سمعوا بها ما هو الا للبطر وهوى
النفس والاخلاد الى هذه الدنيا الفانية فهم يستحقون من الله تعالى
الانتقام يوم الزحام على قانون العدل لا يظلمون فتيلًا وهكذا ترى
كثيرا من المهملين في اللذات وتحصيل الرغائب الفانية
يهملون انفسهم من تصحيح عقائدهم وتعلم عباداتهم ومعاملاتهم واذا
قيل لهم ان الشريعة تكلفكم بتعلم ذلك يقولون ان عقولنا لا تطيق
فهمه ولا تستطيع علمه ومن اين لنا افكار تبلغ هذه الانظار وانت
تراهم في تحصيل رغائبهم الدنوية ومخاصمة اخصامهم في ادنى امنية
فلاسفة مدققين وحكماء محققين فلو وجهوا عقولهم التي وهبها الله
تعالى لهم الى تعلم ذلك القدر الذي فرضه الله تعالى عليهم لوجدوا

فيها قبولاً للتعلم واستعداداً للتفهم ولكن استهواهم الكسل والانهماك في الشهوات والسعي لتحقيق حطام الدنيا في جميع الاوقات يزينون ظواهرهم بالملابس ويطونهم بالمطاعم وعقولهم عطلى من حلى المعارف الحقة فهم بذلك غير معذورين في نظر الشريعة المحمدية وسوف يستلّون عما كلفوا به من التعلم في يوم الحساب ويستحقون هنالك على تفريطهم انواع العقاب

هذا ولم يزل محمد عليه الصلاة والسلام مع الطوائف الذين اصرروا على انكار رسالته عنادا وجهلا وضلالا يقيم لهم البراهين على صدق دعواه ويورد لهم المواعظ ويؤلف قلوبهم بكل ممكن ويرشدهم الى منهج الحق ومعالم الصدق ومضت له مدة من قيامه بدعوى الرسالة وهو لم يومر الا بموعظتهم البالغة ومجادلتهم بالتي هي احسن لكن لما ظهر وتبرهن للعقول السليمة والا نظار القويمة ان اولئك القوم لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلاء عن ضلالهم وغشهم لا نفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن اذاه عليه السلام واذا اتباعه كما سئمت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد ويقيمون في سبيل دينهم المغاثر ويخترعون لهم بدائع الاضرار ويعاملونهم معاملة الاشرار اذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد اولئك

الأعداء والاختصاص بالالداء والاغرار البلاد استبدالا للترغيب
 بالترهيب ودفعاً للآذى والفساد وقطع جرثومة العناد وقد يسمح
 بالإشرار لسلامة الاختيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من
 البوار ولكن شرع الله تعالى ذلك الجهاد على حدود تبقى للرفق
 مجالا وللشفقة والعدل منالا وذلك ان يدعي المخالفون للدين اولا
 بالموعظة الحسنة الى الاسلام وتوحيد الملك العلام والتصديق بجميع
 ما جاء به عليه الصلاة والسلام فان قبلوا فيها ونعمت ويكونون
 مثل سائر المسلمين وان لم يقبلوا فان كانوا من مشركي العرب
 الذين جاء الشرع المحمدي بلغتهم وليس لهم شبهة كتاب او شرع
 سماوي بل هم عبدة اصنام او نيران او نحو ذلك فتحكمهم القتل (كما
 كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الامم السبعة وهم
 الحيشيون ومن ذكر معهم كما في سفر الاستثناء وفي حق المرتد والذابح
 للاوثان والداعي الى عبادتها) وان كانوا من غير مشركي العرب يدعون
 الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة فان قبلوا صارت دماؤهم كدماء
 المسلمين واموالهم كاموالهم واعراضهم كاعراضهم لايسامح احد بشي من
 ذلك ولو مثقال ذرة حتى لا تجوز غيبتهم او شتمهم او اذيتهم بادنى مكدر
 الا بما يجوز مثله على المسلمين بوجه شرعي من نحو التاديب مثلاً
 وان لم يقبلوا بدفع الجزية والاطاعة فيحاربون وتباح دماؤهم واموالهم

للمسلمين واسترقاقهم كما كان مثل ذلك في الشريعة الموسوية في
 حق الامم غير السبعة ولذلك حدود لا يجوز تعديها فلا يقتل صغير
 ولا امرأة ولا من يتخلى لما اتخذ عيادة الا ان يكون احد هولاء له
 نكابة في المسلمين ولو باعطاء الراي في تدبير الحروب وقد كان
 بعض من اتبعوا محمدا عليه السلام من اهل الشرائع المتقدمة انكروا
 امر الجهاد في اول الامر لما فيه من ازهاق الانفس وسلب الاموال
 واسترقاق البشر ولكن بعدما حكموا الانصاف وقابلوا بين شريعة
 محمد عليه السلام وبين الشرائع المتقدمة لم يجدوا في الشريعة
 الحمدية ما يعاب عليها من تلك الامور ويشذ عن الذي يعهد في
 الشرائع بل وجدوا فيها تخفيفات قد خلت عنها الشرائع المتقدمة
 فان الشريعة الحمدية مع حكمها بقتل مشركي العرب اذا لم يؤمنوا
 قد حرمت قتل صغارهم ونساءهم بخلاف الشريعة الموسوية في
 حق الحشيين وبقية الامم السبعة المذكورين في سفر الاستثناء فانها
 حكمت بقتل كل ذي حياة منهم ذكورهم واناثهم واطفالهم وذكر
 هناك ان هولاء الامم اكثر من بني اسرائيل عددا فسمع الله تعالى
 بهم لسلامة بني اسرائيل المومنين وشدد في اهلاكهم تشديدا بليغا
 فقال في سفر العدد فايذوا كل سكان تلك الارض ثم انتم ان لم
 تبيدوا سكان الارض فالذين يبقون منهم يكونون لكم كاوئاد في

اعينكم ورماح في اجنابكم ويعسفون عليكم في الارض التي
تسكنونها وما كنت عزمتم ان افعله بهم سافعله بكم واما حكم
الشريعة الموسوية في حق غير الامم السبعة فهو حكم الشريعة المحمدية
بان يدعي المخالفون اولا الى الصلح فان رضوا به وقبلوا الاطاعة
بالايمان او اداء الجزية فيها وان لم يرضوا يجاربوا فاذا حصل الظفر
عليهم يقتل الذكور منهم ويسبي نساؤهم واطفالهم وينهب دوابهم
واموالهم وتقسم على المجاهدين كما في السفر المذكور (المشهور في
الكتب الاسلامية ان الغنائم ما كانت تحل للامم السابقة بل كان
يجب عليهم حرقها فليتامل) ثم ان يوشع عليه السلام بعد موت
موسى عليه السلام جرى على الاحكام المندرجة في التوراة فقتل
المليونيات الكثيرة كما يوخذ من كتابه من الباب الاول الى الباب
الحادي عشر وقد صرح في الباب الثاني عشر من كتابه انه قتل
احدا وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار وتسلب بنو اسرائيل
على مملكتهم ويوخذ من سفر صموئيل ان داود عليه السلام كان
يخرب كل الارض وما كان يقي رجلا ولا امرأة من اهل جاسور
وجزر وعالق وينهب دوابهم وامتعهم وفي السفر المذكور ان
المويين صاروا عبيدا لداود يودون اليه الخراج وانه ضرب هدر
عازار واخذ منه الف وسبعماية فارس ومن رجاله عشرين الفا

وضرب من ارام اثنين وعشرين الفا وانه قتل من السريانيين
 سبعمائة مركب واربعين الف فارس وانه اخذ الشعب الذين كانوا
 في قرية راية اخذهم ونشرهم بالمناشيرو داسهم بموارج حديد وقطعهم
 بالسكاكين وكذلك صنع بجميع قرى بني عمون ويوخذ من سفر
 الملوك الاول ان ايليا عليه السلام ذبح اربعة اية وخمسين رجلا من
 الذين يدعون انهم انبياء بعل ثم ان داود قد عدا عمله من
 الحسنات ومن جعلتها جهاداته اذ قال في الزبور الثامن عشر
 ويمجازيني الرب مثل بري ومثل طهارة يدي يكافئني لاني حفظت
 طرق الرب ولم اكفر بالهي لان جميع احكامه قدامي وعدله لم
 ابعده عني واكون معه بلا عيب لانه حفظني من اثمي وقد شهد
 الله تعالى ان جهاداته وسائر افعاله الحسنة كانت مقبولة عنده تعالى
 حيث قال في سفر الملوك الاول هكذا داود عبدي الذي حفظ
 وصاياي وتبعني من كل قلبه وعمل بما حسن امامي وقد شهد
 بولص لاولئك الانبياء بان اعمالهم في الجهاد للكفار كانت من
 جنس البر لا من جنس الاثم وكان منشؤها قوة الايمان ونيل
 مواعد الرحمن لا قساوة القلب والظلم وان كان افعال بعضهم في
 صورة اشد انواع الظلم سيما قتل الصغار غير المتدنين بذنب اذ
 قال في الرسالة العبرانية هكذا وماذا اقول ايضا لاني يعوزني الوقت

ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمسون ويفتاح وداود وسموئيل
 والانبياء الذين بالايان قهروا ممالك صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا
 افواه اسود اطفؤا قوة النار نجوا من حد السيف تقوا من ضعف
 صاروا اشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء وان قال قائل متجري
 ان جهادات داود كانت لاجل سلطنته ومملكته قلنا هذا القول
 من قلة الدين لان قتله لاولئك البشر لاسيا النساء والاطفال لا يخلو
 اما ان يكون مرضيا لله تعالى وحلالا له او مبعوضا عند الله تعالى
 ومحرمما عليه فان كان الاول فقد ثبت ان الجهاد مشروع من الله
 تعالى في الشرائع المتقدمة وان كان الثاني لزم والعباد بالله تعالى
 كذب شهادة الله تعالى في حقه التي حر نقلها عن سفر الملوك
 وكذب قوله هو في حق نفسه وكذب شهادة بولس في حقه وهذا
 شي لا يسلم به كل من يعتقد تلك الكتب التي تقدم نقل هذه
 الاقوال عنها ولزم ان يكون دماء الوف من المعصومين وغير
 واجبي القتل في ذمته ودم البري الواحد يكفي للهلاك فكيف
 تحصل له النجاة الاخرية وبالاختصار اذا لم يكن لنا دليل على
 مشروعية الجهاد عند الله تعالى وقتل المخالف لشرائع الله تعالى الا
 ان عيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره عند نزوله كما هو
 مصرح به في الباب الثاني من الرسالة الثانية الى اهل نساالونيقي

والباب التاسع من المشاهدات لكان ذلك دليلا كافيا واذا نظرنا
 الى عادة الله تعالى الفاعل المختار الذي لا توصف افعاله بالظلم بل
 كل اعماله عدل وحكمة وجدنا ان من عادته سبحانه ان يبغض الكفر
 ويمجزي عليه في الاخرة يقينا وكذا يبغض العصيان وقد يعاقب
 الكفار والعصاة في الدنيا ايضا فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما
 كما في عهد نوح عليه السلام فلم ينج حينئذ الا اهل السفينة
 وبالاغراق خصوصا كما اغرق فرعون وجنوده وبالاهلاك مفاجاة
 كما اهلك اكبر اولاد كل انسان وبهيمة من اهل مصر في ليلة
 خروج بني اسرائيل من مصر كما في سفر الخروج وتارة بمطار
 الكبريت والنار وقلب المدن كما في عهد لوط عليه السلام فانه
 اهلك اهل سادوم وعاموره ونواحيها بذلك وتارة بالامراض كما
 اهلك الاسدوديين بالبواسير كما في سفر صموئيل الاول وتارة
 بارسال الملك كما فعل بعسكر الاشوريين اذ قتل منه الملك في
 ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانين الفا كما في سفر الملوك الثاني وكذا
 يعاقب العصاة ايضا تارة بالخسف والنار كما اهلك قورح ودathan
 وايرم وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الارض
 وابتلعت قورح ودathan وايرم ونساءهم واولادهم واثقالهم ثم خرجت
 نار فاكلت مائتين وخمسين رجلا كما في سفر العدد وتارة بالاهلاك

مفاجأة كما اهلك اربعة عشر الفا وسبعماية لما خالف بنو اسرائيل
في غد هلاك قورح وغيره ولو لم يقم هارون عليه السلام بين الموتى
والاحياء ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بغضب الرب في هذا اليوم
كما يؤخذ من السفر المذكور وكما اهلك خمسين الفا وسبعين رجلا
من اهل بيت شمس على انهم راوا تابوت الله تعالى كما يؤخذ من
سفر صموئيل الاول وتارة بارسال الحيات المؤذية كما ان بني
اسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة اخرى ارسل عليهم
الحيات المؤذية فجعلت تلدغهم فمات منهم كثير كما يؤخذ من
سفر العدد فقال اولئك القوم بعد ما تاملوا في جميع ما تقدم من
احكام الشرايع المتقدمة في الجهاد واعمال الانبياء في الكفار وعادة
الله تعالى مع الكفار والعصاة ان محمدا عليه السلام ما دام رسولا
بشريعة من عند الله تعالى وثبت ذلك بالادلة القاطعة فاي شيء
يعاب عليه في مشروعية الجهاد في شريعته وفي قتله لمن يخالفونه
ونهب اموالهم واسترقاقهم لاسيما وقد وجدنا الجهاد فيها اخف من
الجهاد في الشرائع السابقة فشريعته لم تخالف تلك الشرائع ولم تكن
ضدا لعادة الله تعالى مع المخالف لشرائع انبيائه بالكفر او بالعصيان
فعلى كل من يصدق بالوحي ويؤمن بتنزيل الشرائع من عند
الله تعالى على الانبياء ان لا يلقي بالا لهذه الشبهة والطعن في

الشرعية المحمدية من خصوص مشروعية الجهاد فيها واما من لم
 يؤمن بوجود اله العالم ولا بتنزيل الشرائع فهذا يقدم له اولا
 الاستدلال على وجود الله تعالى آله العالم واثبات الوحي (كما تقدم
 ذلك مع مناظرة الماديين) فبعد ان تقام عليه الحجة ويلتزم التصديق
 بالشرائع يبقى بمنزلة المليون المصدقين بها فلزمه استحسان ماشرعه
 الله تعالى فيها وعند ذلك يجد ان شرعية محمد عليه السلام لم
 تخالف الشرائع المتقدمة في شان الجهاد بل انها اشتملت على
 تخفيفات فيه لم تكن في تلك الشرائع كما تقدم بيانه

ثم ان طائفة اخرى بعد ما شاع دين محمد عليه السلام وشرع
 الجهاد فيه توهموا ان هذا الدين ما قام وانتشر الا بالسيف واذا
 كان الحال كذلك فهذا شي يوقع في النفس ريبا وشكا ويجعل
 للانسان مجالا ان يقول ان هؤلاء الاتباع لمحمد عليه السلام قد
 اجبروا على الدخول في دينه اجبارا خوفا من القتل ولكن تلك
 الطائفة التزمت الانصاف واستقصت عن اول نشأة دين محمد
 عليه السلام فتحقق عندها بعد الفحص والتدقيق ومراجعة تاريخ
 اول تلك النشأة ان محمدا عليه السلام اول ما قام بدعوى
 الرسالة كان وحيدا فريد اليس صاحب سلطان ولا متمكنا بعصبية
 عشيرة قادرة بل انه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم

فضلا عن ان عشيرته ليست ذات سطوة على بقية الامم وليس عندها
 كفاية لمقاومتها فهي كانت اول من كذبه في دعواه وعاداه اشد
 المعاداة وتسلطت عليه اشرارها بالاذى وتسفيه الراي ولكن هو عليه
 السلام لم يزل مقبلا على دعواه صابرا على اذى من اذاه يدعو
 الخلق الى الحق ويقيم لهم البراهين ويظهر لهم محاسن دينه ويوضح
 لهم معائب ما هم عليه حتى وضح الحق لمن اراد الله تعالى هدايته
 فاخذت العقول السليمة ثقل دينه وتستحسن شريعته ويتبعه
 الافراد والجماعات وهو حينئذ لم يور باراقة قطرة من دم احد
 ويتلو قرانه المتضمن قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد
 من الغي) وقوله تعالى في خطاب من اتبعه (يا ايها الذين امنوا عليكم
 انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله تعالى (ومن كفر
 فعليه كفره) وامثال ذلك من الايات وقد تبعه في زمن التزامه
 هذه الطريقة وقبل مشروعية الجهاد الجهم الغفير كما يعلم من مراجعة
 تاريخ سيرته فاسلم ابوذر وانيس اخوه وامها رضى الله تعالى عنهم
 في اول ذلك العصر فلما رجعوا الى قبيلتهم اسلم نصف قبيلة غفار
 بدعوة ابي ذر رضى الله تعالى عنه وفي السنة السابعة من بعثته
 قبل ان يهاجر الى المدينة ويشرع الجهاد هاجر من اتباعه من مكة الى
 الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة لما كانوا يجدون من اذى

المشركين وقد بقي في مكة اناس ايضا من المسلمين وقد اسلم نحو
عشرين رجلا من نصارى نجران وكذا اسلم ضماد الازدي قبل
السنة العاشرة من البعثة واسلم الطفيل بن عمر والدوسي قبل
الهجرة وكان شريفا مطاعا في قومه واسلم ابوه واهله بدعوته بعدما
رجع الى قومه وقد اسلم قبل الهجرة قبيلة بني الاشهل في المدينة
المنورة في يوم واحد ببركة وعظ مصعب بن عمير رضي الله تعالى
عنه فمات بقي منها رجل ولا امرأة الا اسلم غير عمرو بن ثابت فانه تاخر
اسلامه وبعد اسلامهم كان مصعب رضي الله تعالى عنه يدعو الناس
الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء
مسلمون الا ما كان من سكان عوالي المدينة اي قراها من جهة
نجد ولما هاجر محمد عليه السلام الى المدينة اسلم بريدة الاسلمي
مع سبعين رجلا من قومه في طريق المدينة طائعين وقد اسلم
التجاشي ملك الحبشة قبل الهجرة ايضا ووفد قبل الهجرة ابو هند
وتميم ونعيم واربعة اخرون من الشام واسلموا وهكذا اسلم اخرون
واسلام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهما من مشاهير اتباعه عليه
السلام قبل الهجرة امر مشهور (كما يعلم جميع ما ذكر من كتب
سيرته عليه السلام الصحيحة فليرجع اليها) فبالأمل المنصف نجد
ان دين محمد عليه السلام قد شاع قبل هجرته من مكة الى المدينة

وقبل مشروعية الجهاد فيها وقبلته العقول السليمة واستحسنته
 الطباع الصحيحة ولا خوف هنالك ولا ترهيب فاين التهمة بان
 دينه قام بالسيف وشريعته شاعت بالاجبار لا يقول بذلك منصف
 ومن نظر الى ما كان يحدث في بقية مدته عليه السلام وبعدها
 من دخول الناس في دينه افواجا افواجا حتى الى هذا الزمان
 بدون ادنى خوف بل مع الخوف من الدخول من اذية اعداء دينه
 انمحت من مخيلته هذه التهمة اللهم اذا كان منصفاً حر الفكر نعم
 لما توفرت كثرة اتباعه عليه السلام وظهر ان الموعظة وقوة البرهان
 ليس لهما تاثير مع من بقي من المخالفين وان مداومة المعاملة للمخالفين بالرفق
 والتؤدة يزيد طغيانهم ويشوش امر الدين على اتباعه ويجرؤهم
 عليهم بالاذي فلذلك شرع في دينه الجهاد على ما فيه من الحدود
 العادلة التي تتكفل بدفع اذى المؤذنين ولا تبلغ حد القسوة
 ويكتفي ممن لم يتبع الدين المحمدي ان يخضع لسلطانه ويدفع من
 ماله ما يكون عوناً لاهل الدين في قيام دولته ودفع ضرورات اهله
 الدنوية وهو ايضا يكون في مقابلة حماية اهله لاولئك الدافعين
 الخاضعين لسلطان الدين واحرمهم في الآخرة مفوض لرب العالمين
 او يوضع على من لم يتبع حكم الرق ليكون دافعاً لشوكة اذاهم وعونا
 لاهل الدين في قضاء مصالحهم في دار الدنيا وقد كان بعض من

اتباع الشرائع السابقة نفروا من جواز الاسترقاق ومشروعيته في الدين المحمدي نظرا لما ينشأ عنه من دخول الرقيق تحت الحجر ولا سيما وقد شاهدوا الرقيق في بعض الممالك يكابد انواع الظلم (كما كان جاريا من زمن ليس ببعيد في اوربا والى الان في بعض ممالك اميركا) فيضرب الرقيق فيها ويهان ويذوق الجوع والعري ويقيد كالبهائم ويحمل من مشاق الخدمة ما لا يطاق ويعد كانه ليس من النوع الانساني لاسيما اذا كان اسود اللون ولا يعد تحريره من مشوبات الدين ولا يجرر الا في نادر الاحوال وحالته هناك اتعس من حالة ادنى الحيوانات فظن هولاء القوم ان الدين المحمدي يبيح الاسترقاق مع اباحة تلك الفظائع ومعاملة الرقيق بها وسهوا ايضا عن مشروعية الاسترقاق في الشرائع السابقة ولكنهم عادوا فدققوا النظر في كيفية مشروعيته في الدين المحمدي وما اشتملت عليه تلك الكيفية من اعانة اهل ذلك الدين على ضرورات دنياهم وما فيها من كف اذى اعدائه بوضع الرق عليهم وكسر شوكتهم به باستخدام مخالفهم مع وصايا كثيرة تحفظ راحة الرقيق وتشكفل بمساواة معيشته لمعيشة سيده وبذلك يحصل تهذيبه وتمدنه ان كان وحشيا والشرعية المحمدية تنهى اشد النهي عن اجراء ادنى شي من الفظائع التي تجريها بعض الامم مع الرقيق وتوعد عليها

بالعقاب الاخروي ومع ذلك ترغب في تحريره بمحصل الثواب
 الجزيل فيه وشرعت وسائل تقتضي كثرة التحرير وشيوعه وتقصير
 مدة الاسترقاق وجعلت للرقيق وصلة بينه وبين سيده ولو بعد
 التحرير كوصلة النسب لا فرق في ذلك بين الابيض والاسود
 ووجدوا ان اهل هذا الدين نظرا لما وجدوه من ترغيب الشريعة
 بالاحسان الى الرقيق قد سلكوا طرائق عديدة ترجع عليه بالبر
 والاحسان وكثيرا ما تخوله نعمة لا يمكنه نوالها لولا دخوله تحت الرق
 ثم لاحظوا نصوص الشرائع المتقدمة فوجدوا ان الرق مشروع
 فيها مصرح به في الكتب المنسوبة اليها فعند ذلك رجعوا عن
 اعتراضهم على مشروعية الاسترقاق في الدين المحمدي وقالوا مادام
 ان اهل هذا الدين يعلمون بالبراهين القاطعة عندهم انهم على دين
 مشروع من عند الله تعالى ودينهم اباح لهم استرقاق مخالفينهم
 لنفعهم بخدمتهم ولكسر شوكة اذاهم عنهم وقد شرط عليهم شروطا
 تتكفل براحة ارقائهم ومساواتهم لهم في المعيشة وفتح لهم ابوابا مرغوبة
 في تحريرهم وتقصير مدة استرقاقهم ونج عن ذلك تهذيب كثير من
 الارقاء وتحسين معيشتهم وايصال احسانات اليهم ما كانوا ينالونها
 لولا الاسترقاق وحجر على اسيادهم ظلمهم واذاهم ووجد في
 الشرائع المتقدمة مشروعية الاسترقاق فهو ليس احرا مبتدعا فلا

شي يعاب على الدين المحمدي واهله في الاسترقاق البتة
اما الوصايا التي تحفظ راحة الرقيق وتكفل بمساواة معيشتهم لمعيشة
سيده فهي في الشريعة المحمدية كثيرة جدا ولنقتصر على ما يأتي
منها قال الله تعالى في القرآن الكريم (واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما
ملكتم ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) فقد قرن الله
تعالى الوصية بالماليك مع الامر باخلاص العبادة له تعالى التي هي
اساس الايمان ومع الاحسان للوالدين اللذين نعمتهما على الانسان
بعد نعمة الرحمن ومع الاحسان الى من تقتضي الشفقة والرحمة
والانسانية الاحسان اليهم وطلب الاحسان للماليك يشمل كل
احسان ممكن ورفع كل اذى يناقض الاحسان وقد يؤخذ شرح
ذلك من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (عبيدكم اخوانكم
جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون
ولا تعذبوا عياد الله) وقال عليه السلام في التحذير من احتقار
الارقاء والتعاشي عن الكبرياء (ولا يقل احدكم عبدي وليقل
فتاي وفتاتي وغلامي) وقد كان من اخر كلامه عليه الصلاة
والسلام من الدنيا قوله (الصلاة وما ملكتم ايمانكم) فليتأمل

المنصف قرنه عليه السلام بين الوصية بالصلاة التي هي عماد الدين المحمدي وفيها قرّة عينه من الدنيا كما قال (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) وبين الوصية بما تملكه ايمان ائباعه وكون ذلك الكلام كان من اخر كلامه لاصحابه فان ذلك كفاية في الدلالة على استكمال الوصية بالارقاء لا يحتاج معها الى زيادة بيان في ذلك والنهي عن اذى الارقاء شهير في نصوص الشريعة المحمدية حتى ورد انه عليه السلام اعتق عبد رجل قد مثل به حيث وجدته مع جاريته وجعل ولاءه لله ولرسوله واوصى به المسلمين وجعلت بعد ذلك نفقته في بيت مال المسلمين واعتق خليفته (عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) جارية رجل اقعدها في مقل حار فاحرق عجزها واوجعه ضربا وامثال ذلك كثير والوعيد على اذى الرقيق في يوم الحشر شهير

واما الترغيب في تحرير الرقيق فنصوصه الشرعية اكثر من ان تذكر فتحصر ولنقتصر ايضا على ما ياتي كان من حاله عليه الصلاة والسلام انه يحث على عتق الرقاب وفي نصوص شريعته من اعتق نسمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى كان الرجل يستحب ان يعتق الرجل لكمال اعضائه والمرأة تعتق المرأة لكمال اعضائها (كذا في عقود الجواهر المنيفة عن حماد عن ابراهيم

قال وهذا حكمه حكم المرفوع) وفي لفظ اخر من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضاءه من النار حتى فرجه بفرجه وروي في تفسير قوله تعالى (فك رقبة) ان اعرابيا جاء الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة (قال عتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول الله او ليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها (كذا في الرازي) والنصوص في ذلك كثيرة وافرة

واما بيان ان الشريعة المحمدية شرعت وسائط تقتضي كثرة التحرير وشيوعه وتقصير مدة الاسترقاق فهي انها جعلت العتق كفارة لجنايات في الشرع مثل القتل خطأ والا فطار في رمضان والحنث في اليمين وفكا لبعض ما يحظر على الانسان مثل كفارة الظهار فان المظاهر من زوجته لا يجوز له قربانها ودواعيه حتى يكفر واول ما يطالب به للكفارة عتق رقبة ثم مع نديها للعتق والوعد عليه بالثواب لاحظت حال من لم يسمح بذهاب ماله بعتق رقيقه فشرعت المكاتبه وهي ان يتفق السيد مع رقيقه على انه ان ادى اليه كذا من المال صار حرا فعند ذلك يملك الرقيق حرية السعي على تحصيل المال فاذا ادى المشروط عليه صار حرا وشرعت العتق على جعل يان يقول السيد لرقيقه انت حر على الف درهم

فاذا قبل العبد عتق وكان عليه اداء ما شرط عليه ولاحظت حال
 من لا يستغني عن خدمة رقيقه مدة حياته فشرعت باب التدبير
 وهو ان يعتق السيد عبده عن دبر منه بان يقول له انت حر بعد
 موتي فعند ذلك يمتنع بيعه وهبته والتصدق به ورهنه وبعد موت
 السيد يصير العبد حرا وشرعت باب الوصية بالعتق ولاحظت ان
 بعض المالكين للرقيق ربما لا يتفق لهم شيء مما مر من دواعي العتق
 ولا يوفقون لرغبة الثواب فيه ولكن ربما عند رغبتهم في منفعة
 او رهبتهم من مضرة تسمح نفوسهم بعمل الخير الذي يرجون من
 الله تعالى بسببه بلوغ ما ربه فشرعت نذر العتق عسى ان ياتوا به
 عند حصول احد هذين الداعيين او ربما عند ارادتهم الزام انفسهم
 بعمل او كفها عن عمل يشربون عليها ما يصعب عليهم الاتيان به
 لاجل وفائهم بما التزموا فشرعت لهم الحلف بالعتق عسى ان
 يخالفوا ما التزموه فيحصل العتق فاذا تأمل المتأمل في جميع ما تقدم
 يجد ان المقصود منه الوصول الى العتق المرضي في الشريعة بسبب
 من تلك الاسباب وانعم بتلك الوسائل لتكثير العتق وشيوعه
 وتقصير مدة الاسترقاق ثم حيث ان الشريعة المحمدية جعلت للسيد
 ملك رقبة الرقيقة فقد جعلت له ملك بضعها واباحت له التسري
 بها حرصا على عدم تعطيل تناسلها وكونها تحت كنف سيدها يحفظها من

اختلاط نسب ذريتها في اذن كالزوجة محفوظ نسب اولادها
 خلافا لما يحصل في الزنا ثم من جملة المراعاة التي جعلتها لها في
 مقابلة اباحة بضعها لسيدها ومن جملة الوسائط الموصلة للعتق ان
 حكمت للرقيقة التي تلد من سيدها ولو سقطا مستبين الخلق بانها
 تصير مستولدة اي انه عند ذلك يحظر على سيدها بيعها وهبتها
 ورهنها وامثال ذلك من التصرف وبعد موته تصير حرة صرفة
 فالتامل في هذا الحكم يبرهن مال الشريعة المحمدية من مراعاة الرقيقات
 والنظر في شؤونهن ومن وسائط تكثير التحرير في الشريعة المحمدية
 وفيه صلة رحم ودفع الوحشة بين الارحام ما شرعته تلك الشريعة
 من ان من ملك ذا رحم محرما منه عتق عليه ومن مراعاة الرحمة
 والشفقة للارقاء ان الشريعة كرهت التفرقة بين الام وولدها
 الصغير بنحو بيعه لآخر او بينه وبين ابيه او بين كبير وصغير
 بينهما محرمية او بين صغيرين كذلك والمخلص ان هذه الشريعة
 العادلة ما تركت شيئا من مرغبات العتق وبقصير مدة الاسترقاق
 وموجبات الرحمة للرقيق الاحثت عليه وفتحت له ابوابا فبالتمامل
 الصادق في سياستها في الاسترقاق نجد انها انما شرعته على قدر
 الضرورة وقدرت الضرورة بقدرها باسلوب تكسره شوكة مخالفها
 وتنفع اتباعها وتحفظ على الرقيق راحته وتمنع عنه الاضرار

وتعجل عليه الفرج وتدفع عنه بقدر الامكان الحرج
واما ان الشريعة المحمدية جعلت للرقيق وصاة بينه وبين سيده فانها
قد حكمت بالولاء بينهما بعد عتق الرقيق ومن احكام ذلك الولاء انه
اذا جنى العتيق جناية خطأ توجب الدية توزع تلك الدية على مولاه
وعاقلته كأنه ابنه او اخوه وناهيك بذلك من مراعاة لسان ذلك
العتيق ابعد جميع ما تقدم يجوز ان يقال ان المسلمين يعتبرون الرقيق
لا سيما الاسود منه منحطاً عن درجة البشر كلاثم كلالا تعتبره شريعتهم
الامن اولاد آدم وحواء ولكنها تعامله بما يدفع شره ولا يحرمه
حقوق الشفقة والرحمة وتخفيف مدة الحجر عليه

واما كون اهل الشريعة المحمدية نظراً لما وجدوه من ترغيبها في الاحسان
الى الرقيق قد سلکوا طرائق عديدة ترجع عليه بالبر والاحسان وكثيرا ما
تحوله نعمة لا يمكنه نوالها لولا دخوله تحت الرق فذلك ظاهر بما شاهد
بين اهل الاسلام من وقف الاوقاف على ارقائهم وعتقائهم والوصية
لهم بالميراث وكثير منهم صار بسبب تلك الميراث اغني من ذرية
سيده وكثير منهم من تزوج من بنات سيده بل كثير من الاسياد
من يتبنى رقيقه بعد عتقه بل يكون عنده اعز من ولده او يزوجه بنته
وكثير من الارقاء من صار اميرا او سلطانا (كافي ملوك مصر
المشهورين وسلطنة كافور الاخشيدي معلومة عند الجميع) وما

بلغ كثير من العتقاء من مراتب الجاه والمناصب العالية كالقضاء
والافتاء بل مرتبة الاجتهاد (وناهيك حال عطاء بن ابي رباح
الامام الجليل في الفقه الذي كان الخليفة يتمنى زيارته ويتلقاه للباب
ويجلسه بجانبه) هو كاف واف بيان ما يناله الارقاء من النعمة
التي ما كانوا ينالونها لولا دخولهم تحت الرق بل كانوا يقولون في
بلادهم الوحشية على حالتهم الخشونة أ بعد ذلك كله يقال ان
الشرعية المحمدية تعتبر الارقاء دون مرتبة البشر ولا تعطيم حقوق
الانسان نعوذ بالله من الافتراء

وان قيل انا نجد بعض اهل الاسلام يعامل الارقاء تلك المعاملة
القاسية قيل نعم وقد يوجد من الحمقاء الذين لا يتمسكون باحكام
الشرعية العادلة الراحمة من يعامل اولاده بمعاملة لا ترضاهم الشرعية
ولا تقبلها المرحمة وهؤلاء من الندرة بمكان يقال عند النظر لهؤلاء
القساة ان عموم المسلمين يعاملون اولادهم بتلك الفظاظة وتكون
النتيجة انه على المسلمين ان لا يستولدوا اولادا انها لنتيجة خرافية
ناشئة عن دليل هذيان من المعلوم عند كل عاقل ان الاحكام
لا تبني الا على الفعل العام الشائع لا على القليل النادر ان القسوة
التي نسمع عنها انها موجودة في بعض الممالك المتمدنة تجري على
الخدمة والارقاء بما نقشع منه الجلود شائعة بين اولئك المتمدنين

الذين يدعون الحرص على رحمة البشر لو كانت موجودة بين المسلمين
على ارقائهم شائعة بين عمومهم مجازة من جانب شريعتهم لكان
لاستقباح الاسترقاق في الشريعة المحمدية وجه ظاهر ولكن
ذلك لم يكن البتة يعلم ذلك من الاستقراء والاستقصاء ومراجعة
تاريخ الامة الاسلامية ومن يقل خلاف ذلك من دون اقامة
البرهان بل لمجرد اشاعات اصحاب الغايات السيئة والاعتماد على
اخبار غير المدققين فهو رجل مفتر على المسلمين وشريعتهم بالتهمه
الباطلة والظنة السافلة اعاذنا الله تعالى من الاقتراء والبهتان
والكذب المحط بشرف الانسان

واما كون الرق مشروعا في الشرائع السابقة على شريعة محمد
عليه السلام ومصرحاً به في الكتب المنسوبة اليها فيكفي في بيانه
ما في كثير من آيات التوراة التي تدل على اتخاذ المخالفين عبيدا
ومن ذلك ما في كتاب الاستثناء واذا دنوت من قرية لتقاتلها
ادعهم اولا الى الصلح فان قبلت وفتحت لك الابواب فكل الشعب
الذي بها يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية ويؤخذ من
سفر العدد ان موسى عليه السلام لما ارسل اثني عشر الف رجل
لمحاربة اهل مديان فانتصروا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة
ملوكهم وسبوا نساءهم واولادهم ومواشيهم كلها واحرقوا القرى

والدساكر والمداين بالنار فلما رجعوا غضب موسى عليه السلام وقال لم استحييت النساء ثم امر بقتل كل طفل مذكر وكل امرأة ثيبة وإبقاء الابكار ففعلوا كما امر وكانت الغنيمة من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين الفا ومن البقر اثنتين وسبعين الفا ومن الحمير احدا وستين الفا ومن الابكار اثنتين وثلاثين الفا فهذا مع دلالاته على جواز قتل الاعداء في تلك الشريعة حتى الاطفال والنساء الثيبات يدل على جواز استرقاق النساء الابكار وفي سفر صموئيل وكان الموابين عبيدا لداود يؤدون اليه الخراج وفي الاصحاح السادس من رسالة بولس الاولى الى تيموثاوس ما نصه جميع الذين هم عبيد تحت نير فليعسبوا ساداتهم مستحقين كل اكرام لثلاثا يفترى على اسم الله وتعليمه والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم لانهم اخوة بل ليخدموهم اكثر لان الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون علم وعظ بذلك انتهى وهذا النص يفهم منه تقرير الاسترقاق في الشريعة العيسوية وان الارقاء مكلفون باطاعة اسيادهم بكل اكرام ولولا ان استرقاق ساداتهم لهم مشروع في تلك الشريعة لما امروا بطاعتهم وخدمتهم اذ لا يومر المكلف حسبا يعهد من الشرائع بان يأتي بما هو ممقوت عند الله تعالى ويفهم منه ان اطاعة ساداتهم واجبة عليهم وان كانوا غير مومنين حيث

عم اولاً ثم خصص السادات المؤمنين بحكم عدم الاستهانة
 وبالخدمة اكثر ولو كان الاسترقاق غير مباح في تلك الشريعة
 لما قررت المؤمنين على الاسترقاق بالزام ارقائهم بمراعاتهم واكثرية
 خدمتهم وكل ذلك ظاهر وفي رسالة بولس الى تيطس في الاصحاح
 الثاني ما نصه والعبيد ان ينضعوا لساداتهم ويرضوهم في كل شيء
 غير مناقضين غير مختلسين بل مقدمين كل امانة صالحة لكي
 يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء انتهى وهذا النص قريب من
 الاول في الافادة ويزيد عليه بحسب ظاهر عموم قوله في كل شيء
 ان العبيد يجب عليهم اطاعة ساداتهم حتى في الامر الذي يكون
 معصية لله تعالى كما اذا امر السيد عبده ان يزني لكن في الشريعة
 المحمدية غير واجب على العبد ان يطيع مولاه في ذلك لان
 القاعدة فيها ان لاطاعة لخلق مع معصية الخالق فعلى العبد ان
 يطيع مولاه في غير معصية لله تعالى الا ان يجبر ويهدد بثل القتل
 فحينئذ حكمه حكم غير المملوك فيما لو اجبر بذلك فبعض المعاصي
 تباح له بالاجبار وبعضها لا يباح كما هو مفصل في تلك الشريعة
 اللهم الا ان يقال ان ذلك العموم المفهوم من نص رسالة بولس في
 قوله في كل شيء مخصص بنصوص اخرى مذكورة في غير هذا
 الموضع من الكتب المنسوبة للشريعة العيسوية وفي رسالة بطرس

الاولى في الاصحاح الثاني ايها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة
 للسادة ليس للصالحين المترفين فقط بل للعنفاء ايضا انتهى وهذا
 النص وان لم يذكر العبيد بل ذكر الخدام ولكن قرينة قوله للسادة
 تعين ان المراد بالخدم العبيد وفيه قد جعل الاطاعة واجبة حتى
 للعنفاء وان لم تعتبر هذه القرينة عنادا فيكفي في اثبات المطلوب
 النصان السابقان فعند ما ظهر لاولئك القوم المعترضين على الشريعة
 المحمدية بالاسترقاق ما تقدم شرحه من حكمة مشروعيته في هذه
 الشريعة ومن حدوده وتلطيفاته التي تحفظ راحة الرقيق بل قد
 تجلب له النعمة وتقتصر عليه مدة الاسترقاق وتاملوا هذه النصوص
 التي في الشريعة الموسوية والشريعة العيسوية التي تدل على مشروعية
 الاسترقاق وتقريره في هاتين الشريعتين قالوا لا اعتراض على الشريعة
 المحمدية في هذا الامر فهو حكم عادل مرتكب فيه اخف الضررين
 وهو القاعدة المعقولة ومراعى فيه جانب الشفقة والرحمة والانسانية
 على قدر الامكان فيه ومقدرة فيه الضرورة بقدرها فكل متصف
 ومصدق بالوحي والشرائع لا وجه له في الاعتراض بعد هذا
 البيان

هذا واما سلب اموال الاعداء ووضع الخراج عليهم فيقال فيه نظير
 ما قيل في الاسترقاق اعتراضا وجوابا فلا حاجة للتطويل بل قد

مر في مسألة الاسترقاق والجهاد من الحج ونصوص الشرائع
المتقدمة ما هو مغن عن التصدي للكلام فيه استقلالاً يظهر ذلك
بالتأمل الصادق والله ولي التوفيق

ثم بعد مشروعية الجهاد في الشريعة المحمدية وشروع محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم في محاربة مخالفيه ومعاملتهم بما شرعه الله تعالى في
ذلك كان يقتل بعضهم دفماً لآذاهم وحماية لاتباعه ونصرة لدينه
لان ذلك كله لا يتم الا بقتلهم ويسترق بعضهم ويضع على البعض
الاخر الخراج ويجعله صاحب ذمة وعهد بحيث يكون له ما
للمسلمين وعليه ما عليهم وتجب حمايته ومراعاة حقوقه وتحرم اذيته
في النفس والعرض والمال ويشترط عليه الخضوع لاحكام من
شريعته تكفي في السلامة من تعديه واقترائه على حقوق سواه
ويتركه وما يدين من الاتيان بطقوس ما يعتقده على وجه يحفظ
ابهة الدين المحمدي ولا يصدع افكار اتباعه ويفوض امره لله تعالى
في يوم البعث والنشور ويجري كلا من الاسترقاق ووضع الخراج
على الصورة المتقدمة عندما يجد ان ذلك كاف في دفع اذى المسترقين
والموضوع عليهم مع عود النفع في ذلك على اتباعه وقد كان حاله صلى
الله تعالى وسلم في محاربتة لاعدائه سجلاً فتارة ينتصر عليهم وتارة لا
وذلك سنة الله تعالى في رسله ولكن آخر الامر كان النصر لا يتم الا له

(والعاقبة للمتقين) حتى استولى على بلاد كثيرة وخضعت له قبائل
 عديدة وظهر الله دينه على الدين كله ولا يزال ظاهراً ولن يزال ان
 لم يكن بالسيف فبالحجة والبرهان واستحسان العقول الرزان
 ثم ان البعض من اعداء دينه التجأوا للحصون والمعقل فلم يزل
 يتربص بهم الفرص ويراسلهم بالصجج حريصاً على هدايتهم موصياً
 اتباعه بان لا يهملوا دعوتهم الى دينه على المنهج الذي شرعه في
 معاملتهم كلما وجدوا لذلك فرصة من الزمان هذا حكم ماض الى
 يوم القيامة

ثم ان البعض من الاعداء اظهروا الخضوع لدينه عليه السلام
 والانخراط في سلك اتباعه وانصاره وهم يضمرون التكذيب والحامل
 لهم على ذلك اما الخوف واما الطمع فيما فتحه الله على يديه وايدي
 اتباعه من الغنائم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم في اول الامر
 يعدم في جملة اتباعه مع علمه بحقيقة حالهم وسوء طويتهم ولا
 يفضح سرائرهم ولا يبيع اضرارهم خشية اشاعة الاعداء ان محمداً
 عليه السلام يكذب اتباعه في تصديقهم ويرتاب في اخلاصهم
 ويقتلهم لاغراض سيئة وهو امر يوجب التنفير ويثني عزم المقبلين
 لاسيما والدين في اول نشأته ولكن لما قويت شوكة الشريعة وكثرت
 انصارها وسطع نورها وظهرت معاملته لاصحابه عليه السلام بمحض

النصيحة وخالص الشفقة ولم يبق لتلك الاشاعات الباطلة مجال
اذنه صلى الله عليه وسلم مولاه بنصيحة اولئك المنافقين وتقريرهم
وتبكيتهم وتحذير اتباعه المخلصين منهم وهم بعد ذلك انقسموا
فرقتين فبعضهم لما خالط اهل الدين واطاع على حقيقة تلك الشريعة
الطاهرة العادلة وقابل بينها وبين ما كانوا عليه من الاعتقادات
الباطلة والعادات السافلة خلصت نيته وصفت سريره وعاد مومنا
بعد ان كان منافقا واصبح من خيار الاتباع واكابر الانصار والله
المهدي الى سواء السبيل وبعضهم بقي على نفاقه متجرعا الغصص
في اشفاقه فهذا ان حمى نفسه من طائلة السيف فله في الآخرة
عذاب اليم وقد جعل صلى الله تعالى عليه وسلم لهذا القسم علامة
هي عنوان نفاقه ودليل الهوان وهي انه اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اوّثمن خان نسال الله تعالى الحماية والسلامة في
الدين والدنيا والآخرة

هذا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا واختار الرفيق
الاعلا بعد ان اتم الله تعالى على يديه الدين (جزاه الله تعالى عنا
احسن الجزاء بما هو اهل له) بما انزله من القرآن الكريم وما اوحاه اليه
من هديه القويم وقد امتن علينا سبحانه بتلك المنّة العظمى والكرامة
الكبرى فانزل على رسوله الكامل قوله تعالى جل من قائل في يوم

كان لنا العيد الاكبر (اليوم اكملت لكم دينكم واتيتمت عليكم نعمتي
 ورضيت لكم الاسلام ديناً) فيا لذلك من نعمة كاملة ومنة فاضلة
 فله سبحانه وتعالى الحمد والشكر كما هو اهلہ والحمد لله الذي هدانا
 لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقد كان نزول هذه الآية
 الكريمة نعيًا لنفسه عليه الصلاة والسلام كما فهم ذلك صديقه
 الاكبر عليه الرضوان عندما سمعها فبكي رضي الله تعالى عنه لانه
 وضح له بنور بصيرته والمؤمن ينظر بنور الله تعالى ان ارساله عليه
 الصلاة والسلام ووجوده الشريف في الدنيا لحكمة تبليغ الدين
 فما دام ان الدين قد كمل فما بقي بعد ذلك الا انتقال رسوله عليه
 السلام من دار الفناء الى دار البقاء التي هي دار القرار فخرج صلى
 الله عليه وسلم من الدنيا راضياً مرضياً وهادياً صراطاً سويًا مبلغاً
 جميع ما جاء به من عند الله تعالى ناصحاً لامة تاركاً لهم على المحبة
 البيضاء التي ليلها كنهارها مودعاً في قلوبهم محبة لاتبلى ووداداً
 لايفنى مفدياً عندهم بالارواح محموداً مشكوراً مثني عليه بكل لسان
 ثناء مبرور فجزاه الله تعالى عن الامة احسن الجزاء واعطاه الوسيلة
 والدرجة العالية الرفيعة في دار البقاء وعليه من مولاته سبحانه
 اشرف الصلوات وازكى التحيات وعلى آله الكرام انوار الهدى
 واصحابه العظام مصاييح الدجى ما تعاقب الملوان وكر الجديدان

اللهم امين

واذ قد انتهى بنا الكلام الى هنا وبلغنا الله تعالى على قدر الامكان
في بيان حقيقة وحقية الملة الاسلامية المنى فلنجعل نهاية الكلام
خاتمة وتنبيها وبالله سبحانه وتعالى التوفيق

اما الخاتمة فهي ان يعلم حقا ان الدين المحمدي بعقائده التي هي
الاصول واحكامه التي هي الفروع مأخوذ من القرآن الشريف
والاحاديث النبوية التي ثبتت عن سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام لم يشذ شيء من تلك الاصول او الفروع عن هذين
المأخذين الكريمين وهما المتكفلان به البتة بدليل الاية المصراحة
باكمال الدين المحمدي في حياته عليه الصلاة والسلام ولكن
العقائد وان كانت تدخل تحت عدد يمكن للالفاظ ان تعبر عنه
صراحة او قريبا من الصراحة ولكن الفروع لو اريد افادتها
بالالفاظ صراحة او قريبا منها لاحتاجت الى الفاظ تستغرق
المجلدات وناهيك انها تتجدد بتجدد الحوادث الزمانية فالقران
الشريف والاحاديث الكريمة قد صرحا بالكفاية من العقائد وكثير
من الفروع وجاءا بقواعد وضوابط تتضمن الحمد الغفير منها او
تشير او ترمز الى كثير من ذلك حتى يصح ان يقال ان كل ما
يحتاج اليه في الدين المحمدي هو مضمن في القران والاحاديث

اما صراحة واما رمزا واسارة وحيث ان فهم ذلك جميعه لا يمكن لكل
 فرد من افراد الامة فقد شرع الله تعالى طريقين آخرين لاختلاف الاحكام
 من دينك الاصلين العظيمين وبسطها للعموم الامة فاحد هذين
 الطريقين اجماع الامة المحمدية اي اهل المعرفة الكافية منهم اذ
 جعل اجماعهم معصوما عن الخطأ لانهم لا يجمعون الا على امر
 فهموه من نصوص القرآن والاحاديث وان لم يصرحوا بما خذهم
 وثانيهما اجتهاد من فقهه الله تعالى في الدين واعطاء الفهم لاحكام
 القرآن العظيم واحاديث الرسول الكريم فاجاز الله تعالى الاجتهاد
 لمن هو اهله واعطى هذا المنصب لمن بان في الامة فضله فاخذت
 الاحكام تستنبط من دينك المأخذين بهذين الطريقين حتى
 اكتفت الامة من التصريح باحكام دينها ووجدت ما يلزم لها في
 عبادتها ومعاملاتها وآدابها وحدودها وقد بحث علماء الامة المحمدية
 عن الصفات التي يلزم وجودها في الشخص حتى يبلغ درجة
 الاجتهاد واستنباط الاحكام من القرآن والاحاديث فوجدوا
 ان ذلك ينحصر فيما سياتي الاول ان يحوى ذلك الشخص علم
 القرآن الشريف بان يعرفه بمعانيه لغة وشرعية اما لغة فبان يعرف
 معاني المفردات والمركبات في خواصها في الافادة فيفتقر الى علم
 اللغة الذي يعلم به المعاني التي وضعت لها مفردات اللغة العربية

التي انزل القرآن بها وعلم الصرف الذي يعرف به احوال ابنية
 المفردات العربية وصيغها وعلم النحو الذي يعرف به احوال المفردات
 العربية عند تركيبها وما لها عند ذلك من الاعراب والبناء
 والدلالة على المعاني التي تحدث بالتركيب وعلم المعاني الذي يعرف
 به احوال الكلام العربي التي يطابق بها مقتضى الحال وعلم البيان
 الذي يعرف به تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة سواء علم تلك
 العلوم بالتعلم او كان يعلمها بالسليقة كما كان لمجتهدى الصحابة رضي
 الله تعالى عنهم واما شريعة فبان يعلم المعاني المؤثرة في الاحكام
 مثلا يعرف في قوله تعالى (او جاء احد منكم من الغائط) ان المراد
 بالغائط الحدث وان علة الحكم خروج النجاسة من بدن
 الانسان الحي ويعلم اقسام القرآن التي تذكر في اصول الفقه من
 الخاص والعام والمشارك والمجمل والمفسر والمحكم والمطلق والمقيد
 والصريح والكناية والظاهر والنص والحقى والمشكل والمتشابه
 والبدال بعبارته والبدال باشارته والبدال باقتضائه والبدال بدلالته
 والمفهوم المعتبر وما يقتضيه الامر والنهي وغير ذلك مما هو مذكور
 في علم الاصول الذي هو من اعظم العلوم الدينية وبان يعلم ان
 هذا خاص وذاك عام وهذا ناسخ وذاك منسوخ الى غير ذلك وهذا
 الاخير يتوقف على معرفة تواريخ نزول النصوص بان هذا سابق

وذاك مسبوق وهذه الامور مغايرة لمعرفة المعاني ثم المعتبر هو العلم بمواقع ما ذكر بحيث يتمكن من الرجوع اليه عند الطلب للحكم لا الحفظ عن ظهر القلب والمراد بالقرآن قدر ما يتعلق بمعرفة الاحكام الثاني علم السنة قدر ما يتعلق بالاحكام بان يعرف متن الاحاديث اي يعرف معانيها لغة وشرعية كما مر في القرآن ويعرف اقسامها من الخاص والعام وغيرها مما مر نظيره في القرآن ايضا ويعرف مستنداتها وهو طريق وصولها اليها من تواتر او شهرة او احاد ويندرج في ذلك معرفة احوال الرواة الذين رووا هذا الحديث من كونهم معدلين او مجروحين وهذا علم واسع يحتاج الى اطلاع تاريخي صحيح ولكن عند طول الزمان بين المجتهد وبين زمنه عليه الصلاة والسلام وصيرورة معرفة احوال الرواة عسيرة جدا يكتفى بتعديل وتجريح الائمة الموثوق بهم في علم الحديث الثالث معرفة وجوه القياس اي الطريق الذي يتوصل به المجتهد الى استنباط الاحكام فيعرف شرائط تلك الوجوه واحكامها واقسامها والمقبول منها والمردود كما مبين في كتب الاصول الرابع ان يعرف المجمع عليه من علماء الدين الذين يعتبر اجماعهم لئلا يخالف اجماعهم في اجتهاده ومن المعلوم انه يشترط ايمان المجتهد وعدالته ولا حاجة الى بسط الكلام في هذا لانه ظاهر فاذا كملت تلك الشروط في شخص جاز له ان

يستنبط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة وجاز لغيره ممن
ليس من اهل الاجتهاد ان يقلده ويعمل بما استنبط ثم المعتمد عند
علماء السنة ان الحق واحد عند الله تعالى والمجتهد ان اصاب الحق
بعد ان استفرغ وسعه في استظهاره فله اجران وان اخطأ فهو
معذور وما جور باجر الكد والتعب اذ ليس عليه الا بذل وسعه
وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله نعم ان كان الدليل الموصل الي
الصواب ينشأ فخطأ المجتهد لتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد
فانه يعاقب وما نقل عن بعض السلف من طعن بعضهم ببعض في
مسائلهم الاجتهادية كان مبنيًا على ان طريق الصواب بين في زعم
الطاعن وكل هذا في الاجتهاد في المسائل الفرعية لان المطلوب فيها
تحصيل غلبة الظن واما الاجتهاد في الاصول والعقائد فالخطي فيها يعاقب
او يضال او يكفر لان المطلوب فيها اليقين الحاصل بالادلة القطعية
والصحيح ان القادر على الاستدلال ولو بدليل اجمالي اذا قلد
غيره بعقيدة يكون عاصيا بترك الاستدلال ولو كان ذلك الغير
الامام ابا حنيفة النعمان فمن هنا ترى العجب العجيب ممن يقطع
بكلام الفلكي او الجيولوجي الفلاني من دون دليل يقيني ويكون
ذلك الكلام مصادما لعقيدة اسلامية او لظاهر نص شرعي متواتر
نعوذ بالله من الجهل الفاضح نعم اذا ثبت قول ذلك القائل المصادم

بالدليل القاطع فعلينا التوفيق بالتاويل كما مر (كل ما تقدم في
 الكلام على الاجتهاد فهو في الاجتهاد المطلق وهو ماخوذ من
 التنقيح وحواشيه مع بعض توضيحات زدتها عليه واما الاجتهاد
 المقيد أي في مسألة مخصوصة فليس الكلام فيه) ومن هذا المقام يعلم
 سبب اختلاف المذاهب بين المسلمين فتجد أناسا منهم اتباع الامام أبي
 حنيفة النعمان بن ثابت واناसा اتباع الامام مالك بن أنس واناसा اتباع
 الامام محمد بن ادريس الشافعي واناसा اتباع الامام احمد بن حنبل
 رضي الله تعالى عنهم وارضاهم فان كلا من هؤلاء المذكورين قد
 بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق واستنباط الاحكام من نصوص الشريعة
 المحمدية القرآنية والاحاديث النبوية حسبما اداه اليه اجتهاده
 واوصله اليه كمال علمه واستعداده مع السير في المنهج القويم والتحري
 التام فاتباع هؤلاء الائمة يقلدونهم في العمل بما استنبطوه وفهموه من
 الشريعة وهم ناجون عند الله تعالى في ذلك التقليد حيث ان الله
 تعالى قد اذن المجتهدين ان يجتهدوا واذن المقلدين ان يقلدوا فقال
 تعالى في القرآن الكريم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
 والمجتهدون هم اهل الذكر والمعرفة في دين الله تعالى ثم اذا سئل
 كل مقلد عمن قلده غير امامه يقول هو ناج عند الله تعالى لانه
 قلده مجتهدا مستكمل شروط الاجتهاد وقد كان في صدر الاسباب

جملة من المجتهدين غير هؤلاء الاربعة الذين تقدم ذكرهم رضي الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكن لم تتوفر لهم اتباع تنقل اقوالهم بالتواتر او بطريق صحة موثوق به فلذلك درست مذاهبهم واما هؤلاء الاربعة فقد وفق الله تعالى لهم اتباعا من العلماء الاعلام نقلوا اقوالهم الى هذا العصر بالتواتر او بطريق موثوق وحفظوها ودونوها في الكتب وتلقوها عن بعضهم بالمشافهة والتدريس جيلا بعد جيل فلذلك بقيت مذاهبهم ذات اتباع الى الان وكل فريق من هؤلاء الاتباع لا يظعن في الفريق الاخر ولا يضلله ولا يفسقه ويسوع لكل شخص ان يقلد اماما من اولئك الائمة ثم بعد تقليده يجوز له ان يترك تقليده ويقلد اماما اخر منهم ولا يعد ذلك معيبا عليه في دينه اذا كان ذلك الانتقال لغرض شرعي صحيح وكل ذلك واضح مما يشاهده كل مطلع على احوال المسلمين اتباع هؤلاء الائمة اذ يرى انهم يتناحون فيما بينهم فياخذ الحنفي شافعية او مالكية او حنبلية او بالعكس ومساجدهم واحدة وخليفتهم واحد ويصلون مع بعضهم ولا شي بينهم يشعر بادنى بغضاء او طعن قاذح ويرى الحنفي يصير شافعيا او بالعكس غاية الامران كل متبع يراعي مذهب امامه الذي اتبعه ويجري في العمل عليه وهو لا ينكر على سواه جريه على العمل بمقتضى مذهب من تلك المذاهب غير

مذهب امامه فهذه حالة المسلمين في مذاهبهم الاربعة الشائعة
 بينهم وهي الحال التي تنطبق على اصول شريعتهم فليعلم ذلك من
 لم يعلمه ثم اذا نظر الى الشروط التي تقدم اشتراطها لنوال الشخص
 مرتبة الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية نجد انها لا يزال
 توفرها في اناس ممكنة عقلا الى الان وبعد الان ولكن من عصر
 اربعةماية من الهجرة النبوية على صاحبها ازكى الصلاة والسلام قال
 بعض العلماء الاعلام كما ينقل عن علماء الحنفية ان باب الاجتهاد
 قد انسد من ذلك التاريخ وربما يتخيل لبعض ناس ان هذا الحكم
 من اولئك العلماء غير موافق للصواب اذ يقال ما دام توفر شروط
 الاجتهاد التي تقدم ذكرها لا يستحيل عقلا وجوده في شخص الى
 الان وبعد الان فما المانع ان يوجد مجتهد بعد ذلك العصر حتى
 الان لكن اذا دقق النظر يظهر ان ما قاله اولئك الاعلام هو
 موافق للصواب وعين الحكمة وهو ناشئ عن دقة انظارهم ومعرفتهم
 في احوال الزمان وثقلباته واسرار الله تعالى في شؤون هذه الامة
 المحمدية وبيان ذلك ان هؤلاء العلماء القائلين بانسداد باب
 الاجتهاد من عصر الاربعةماية نظروا في شؤون القرون الثلاثة وهم
 قرن الصحابة والتابعين وتابع التابعين فوجدوا ان الله تعالى قد وفقهم
 الى الانكباب على تحصيل علوم الشريعة والحرص على مواد

الاجتهاد واستنباط الاحكام من القرآن الكريم وتفسيره المنقولة
عن الرسول عليه الصلاة والسلام والاحاديث النبوية واثار
الصحابة وفتاويهم وامثال ذلك مما اهل علماء تلك القرون ان
يبلغ كثير منهم درجة الاجتهاد في الدين لاسيما وعصرهم قريب
من عصر الرسول عليه السلام او عصر من راه او راى من راه وقد
ظهرت عناية الله تعالى بتأهيل اهل تلك العصور لذلك حيث
قد تم فيها جميع ما يحتاج اليه في امر الدين فجمع القرآن وحفظ
وحصن من طوارق التبديل والتغيير وجمعت احاديث الرسول
عليه الصلاة والسلام ودونت وضرب في تحصيلها بطون الابل
من اقصى البلاد وانصب المجتهدون من علماء الامة على استنباط
الاحكام من دينك الاصلين العيظمين حتى افرغوا الجهد في
ذلك ولم يبق من احتياجات الامة في احكام دينها الا النادر
الذي لا يتفق وقوع حادثته الا في اجيال وتم امر الدين على
احسن منوال واقوم منهاج كل ذلك كان في القرون الثلاثة فلم
يبق لمن بعدهم وظيفة الا تدوين تلك الاحكام ونشرها وتبليغها
للامة وقد ظهر من هنالك فتور المهم عن ذلك الانصباب في
تحصيل علوم الدين ولم يزل ذلك الفتور بازدياد حتى بلغ الغاية
في الازمنة المتأخرة لا ينكر ذلك من له ادنى اطلاع على تاريخ هذه

الامة الاسلامية فحق نرى اكبر علمائها اليوم ان برع في بعض
العلوم التي تقدم اشتراطها في المجتهد فهو مقصر في البعض الاخر
فمن هو الذي نراه منهم محيطا في هذه الازمان بعلوم القرآن من
معرفة معانيه اللغوية والشرعية وبالعلوم العربية التي تلزم لفهمه
كالنحو والصرف والمعاني والبيان وبقسامه التي تقدم ذكرها من
الخاص والعام الى اخر ما عروبتعين كل واحد منها وتميزه عن
الاخر وبناسخه ومنسوخه وبوجوه القياس وبما اجمعت عليه الامة
وبعلوم الاحاديث النبوية متنا وسندا كما تقدم تقريره في بيان
شروط المجتهد ومن ادعى استيفاء ذلك كله فعليه ان يثبته بالبرهان
(كل من يدعي بما ليس فيه * كذبه شواهد الامتحان) واظن ان كل
من يعلم ان مثل ابي يوسف ومحمد وزفر والحسن اصحاب ابي
حنيفة رضي الله تعالى عنهم اجمعين لم يدعوا مرتبة الاجتهاد المطلق
ينحجل ان يدعي هو تلك المرتبة وهو من اهل هذه الازمان وان
قيل ان هذا الزمان قد توفرت فيه كتب تفاسير القرآن والحديث
وشروحها وكتب اسباب النزول والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك مما
هو الركن الاعظم لمرتبة الاجتهاد فما المانع ان يثقف شخص في هذه
الازمان تلك العلوم التي تقدم اشتراطها ويعتمد على هذه الكتب
التي تقدم ذكرها وهي متكفلة بالركن الاعظم لتلك المرتبة وعلى

ذلك فالذي يتراءى ان الاجتهاد في هذا الزمان اسهل حصولا من
 الاجتهاد في صدر الاسلام قبل ان تدون تلك الكتب قلت نعم قد
 وجد جميع ذلك ولكن في السطور لا في الصدور وان لم يشترط
 للمجتهد ان يحوى جميع ذلك في صدره ولكن لا بد ان يعلم
 مرجع كل شي من ذلك بحيث لا يخفى عليه مرجع حكم عند
 احتياجه الى مراجعته ووجود شخص بهذه الصفة في هذه الازمان
 هو ايضا غير حاصل اذا رجع الى الانصاف فمن الذي في هذا
 الزمان مستعد لاستنباط كل حكم باستيفائه تلك الشروط وقدرته
 على مراجعة مرجع كل حكم من تلك الكتب بحيث يصل بذلك
 الى معرفة كل اية ناسخة وآية منسوخة وكل حديث ناسخ او منسوخ
 بآية او حديث ومعرفة مراتب الاحاديث من التواتر والشهرة
 والاحاد ومعرفة المجمع عليه الى اخر ما مر وبالجمل ان تشييد
 البراهين على صحة قول من قال بسد باب الاجتهاد من عصر
 الاربعماية يطول شرحه ويحتاج الى تأليف مخصوص ولكني انقل
 هنا ما وجدت من كلام العلامة ابن الحاج في المدخل مما يوضح
 هذا المقام ويقتنع به كل منصف منزّه عن العناد وقد اخصرته
 بعض الاختصار لدفع التشويش من التطويل قال رحمه الله تعالى
 وارضاه في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم (خير القرون

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث هذا الكلام منه عليه
 الصلاة والسلام في القرون المذكورة يعني في غالب الحال منهم ما ذكر
 والإفقد كان منهم قوم لا يقتدي بهم وإنما عني أهل العلم ثم قال وانظر
 إلى حكمة الشارع صلوات الله تعالى عليه وسلامه وكيف خص هذه
 القرون بالفضيلة دون غيرهم وإن كان غيرهم من القرون في كثير منهم
 البركة والخير ولكن اختصت هذه القرون بمزية لا يوازنهم فيها غيرهم
 وهي أن الله تعالى خصهم لأقامة دينه وإعلاء كلمته فالقرن الأول خصهم
 الله تعالى بخصوصية لا سبيل لاحد أن يلحق غبار احدهم فضلا عن علمه
 لأن الله تعالى قد خصهم بروية نبية عليه الصلاة والسلام ومشاهدته
 ونزول القرآن عليه غضا طريا وبحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل
 نجوما نجوما فاهلهم لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه
 لمن بعدهم وحفظوا احاديث نبينهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم
 واثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة وقد
 كان مالك رحمه الله تعالى اذا شك في الحديث تركه البتة فلا
 يحدث به وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثاني فما بالك بهم وهم
 الخيار ووصفهم في الحفظ والضبط لا يمكن الا حاطة به ولا يصل
 اليه احد فجزاهم الله تعالى عن امة نبية خير القاد اخلصوا لله تعالى
 الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

من كان منكم متأسيا فليتأس باصحاب محمد صلى الله تعالى عليه
 وسلم فانهم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا واقومها
 هديا واحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله تعالى
 عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا فضلهم واتبعوهم في اثارهم فانهم كانوا
 على الهدى المستقيم اه فلما مضوا لسبيلهم طاهرين عقبهم التابعون
 لهم رضي الله تعالى عنهم فجمعوا ما كان من الاحاديث متفرقا وبقي
 احدهم يرحل في طلب الحديث الواحد وفي المسئلة الواحدة
 الشهر والشهرين وضبطوا امر الشريعة اتم ضبط وتلقوا الاحكام
 والتفسير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مثل علي بن ابي
 طالب رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنها كان
 علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقول سلوني ما دمت بين
 اظهركم وقال عليه الصلاة والسلام في ابن عباس ترجمان القرآن فمن
 لقي مثل هؤلاء كيف يكون علمه وكيف يكون حاله وعمله فحصل
 للقرن الثاني نصيب وافر ايضا في اقامة هذا الدين ورؤية من
 راي بعيني رأسه صاحب الشريعة صلوات الله تعالى عليه وسلامه
 فلذلك كانوا خيرا من الذين بعدهم ثم عقبهم التابعون لهم
 وهم تابعوا التابعين رضي الله تعالى عنهم فيهم حدث الفقهاء
 المقلدون المرجوع اليهم في النوازل الكاشفون الكروب فوجدوا

القرآن والحمد لله تعالى مجموعا ميسرا ووجدوا الاحاديث قد
 ضبطت واحرزت فجمعوا ما كان متفرقا وتفقهوا في القرآن
 والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة واستخرجوا فوائد القرآن
 والاحاديث واستنبطوا منها فوائد واحكاما وبينوها على مقتضى
 المنقول والمعقول ودونوا الدواوين ويسروا على الناس وبينوا
 المشكلات باستخراج الفروع من الاصول ورد الفرع الى اصله
 وبينوا الاصل من فرعه فانتظم الحال واستقر من الدين لامة محمد
 عليه الصلاة والسلام بسببهم الخير العظيم فحصلت لهم في اقامة
 هذا الدين خصوصية ايضا بلقائهم من رأى من راي صاحب
 العصمة صلوات الله تعالى عليه وسلامه ومع ذلك لم يبقوا لمن
 بعدهم شيئا يحتاج ان يقوم به كل من اتى بعدهم انما هو مقلد لهم
 في الغالب وتابع لهم فان ظهر لهم فقه غير فقههم او فائدة غير فائدتهم
 فمردود كل ذلك عليه اعني بذلك ان يزيد في حكم من الاحكام
 التي تقررت او ينقص منها فذلك مردود بالاجماع واما ما استخرجه
 من بعدهم من الفوائد غير المتعلقة بالاحكام فمقبول لقوله عليه
 الصلاة والسلام في القرآن (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)
 (يعني التكرار) فعجائب القرآن والحديث لا تنتضي الى يوم القيامة
 كل قرن لا بد له ان ياخذ منه فوائد جمعة خصه الله تعالى بها وضمها

اليه لتكون بركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال عليه
 الصلاة والسلام (امتي مثل المطر لا يدري اية انفع اوله او اخره)
 او كما قال عليه الصلاة والسلام يعني في البركة والخير والدعوة الى
 الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يتحدثون حكما من الاحكام
 اللهم الا ما يندر وقوعه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم
 لا بالفعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذ ذاك ان ينظر الحكم فيه
 على مقتضى قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم الميثة الصريحة
 فاذا كان ذلك على مقتضى اصولهم قبلناه فلما مضوا لسبيلهم
 طاهرين ثم اتى من جاء بعدهم فلم يجد في هذا الدين وظيفة يقوم بها
 ويختص بها بل وجد الامر على اكمل الحالات فلم يبق له الا ان
 يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه فاختصت اقامة
 هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ليس الا فلاجل ذلك
 كانوا خيرا ممن اتى بعدهم ولا يحصل لمن يأتي بعد هذه القرون
 المشهود لهم بالخير خيرا لا باتباع من شهد له صاحب العصمة صلوات
 الله تعالى عليه وسلامه بالخير فبقي كل من يأتي بعدهم في ميزانهم
 ومن بعض حسناتهم فبان ما قاله عليه الصلاة والسلام خير القرون
 قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم انتهى كلام ابن الحاج
 في كتاب المدخل ومن يتأمل كلام هذا الخبر الجليل وينظر

اليه بعين الانصاف يظهر له صحة القول المنقول عن علماء الحنفية
 ان باب الاجتهاد قد سد من عصر الاربعماية وينهم سر ذلك وحكمته
 الالهية والحمد لله تعالى على تصريح هؤلاء الاعلام بهذا القول
 المؤيد باوفى بيان وعلى توفيق سلاطين آل عثمان وفق الله تعالى
 دولتهم الى ما فيه رضى الرحمن الى انفاذ هذا القول بين رعاياهم
 المؤمنين والا لكنت ترى في هذه الازمان التي قل فيها الورع
 وكثرت فيها الدعاوي الباطلة كثيرا من المتجربين على الله تعالى
 المغرورين بانفسهم بسبب حصولهم على بعض من مواد الاجتهاد
 وهو اقل من القليل وغير كاف ابلوغ درجته يدعون هذا المنصب
 الجليل ويتبعهم بعض الاغرار ويحدثون في الدين ما يسمونه احكاما
 وما هو الابدع وضلالات تخالف ما كان عليه السلف الصالح
 رضوان الله تعالى عليهم الذين استوفوا امر الدين على اتم ما يرام
 وكنت ترى كل برهة من الزمان يتغير الحال في الدين كما تتغير
 السياسات بحسب مقتضيات الزمان (والدين الاسلامي قد جعله
 الله تعالى ثابت الاحكام الى يوم الحشر والقيام) فكان الامر يصل
 الى حالة تضل فيها الامة عما كان عليه نبيها عليه الصلاة والسلام
 واصحابه الكرام عليهم من الله تعالى الرضوان ونعوذ بالله من ذلك
 فجزى الله تعالى العلماء الاعلام خير الجزاء فيما ابدوه من البيان

وادام الله سبحانه وتعالى الدولة العلية العثمانية موفقة لحماية هذا
الدين من اعدائه المضلين اللهم امين

هذا واني قد سمعت عن بعض القاصرين المتطاولين على منصب
العلماء المحققين انهم يقولون ان الاولى لنا الاخذ بما يصرح به القرآن
الشريف ليس الا يعنون انهم لا ياخذون بما جات به الاحاديث
النبوية وهذا الراي فاسد باطل في نظر علماء هذه الامة الاعلام
لانا معشر الامة المحمدية كما اننا ما مورون في نص القرآن والاحاديث
التي ثبتت عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالتمسك بما يرد في
القرآن الشريف كذلك ما مورون بالتمسك بما يرد في الاحاديث
الكريمة الثابت ورودها عنه عليه الصلاة والسلام وقد انعقد
الاجماع على ذلك والايات الدالة على التمسك بالسنة المطهرة
والاتباع للرسول عليه الصلاة والسلام في اقواله وافعاله كثيرة جدا
وان لم يكن من ذلك الا قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شي
فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون
الذين يتبعون النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل يا امرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل

معه اولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو
 الا وحى بوحى) الآية لكان كافيا في بيان وجوب الاخذ باقواله
 عليه الصلاة والسلام وهل لنا كمال فهم القرآن الا من احاديثه
 الكريمة وقد صرح هو عليه الصلاة والسلام فيما ثبت نقله عنه بان علينا
 الاخذ بما جاء به من الاحاديث وان الاقتصار على القرآن الشريف
 يستلزم اننا نكون قاصرين في احكام الدين ولا نصل الى فهم جميعها
 من القرآن فقط فمن الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام
 في ذلك ما جاء في ابي داود عن العرياض ابن سارية رضي الله
 تعالى عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات
 يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون
 ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه الموعظة
 موعظة مودع فما تعهد اليها قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
 وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا
 فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا
 عليها بالنواجذ واياكم محدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
 بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما في ابي داود والترمذي عن
 المقداد رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم الاواني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان

(كناية عن المغرور الغافل المنهك بشهوته فتقيده بالشبع اشارة الى انه الحامل الى هذا القول المردود وفيه تنبيه ان الشبع سبب الحماقة والغفلة ولهذا لم يشبع صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في الشفاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها لم يمتلي جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قط) على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله الحديث وما في ابي داود عن العرياض ابن سارية رضي الله تعالى عنه قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله تعالى لم يحرم شيئا الا ما في هذا القرآن الاواني قد امرت ووعظت ونهيت عن اشياء انها مثل القرآن او اكثر وان الله تعالى لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب نسائهم ولا اكل ثمارهم اذا اعطوكم الذي عليهم وكثير من الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام تفيد ذلك يطول بنا الشرح ان استوفينا نقلها وفيما نقلناه كفاية فان كان شبهة هولاء القاصرين في هذا الحكم الباطل والراي الفاسد من الزام الامة بالاختصار على ما يفهم من القرآن وترك ما يفهم من الاحاديث هي ان الاحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام يوجد بينها الضعيف الذي لم

يثبت وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم ثبوتاً معتبراً لاخذ
الاحكام ويوجد بينها الموضوع اي الذي هو مكذوب عن النبي
عليه الصلاة والسلام وهذا امر على زعمهم يرفع الثقة بالاحاديث
قلنا لم ان هذه شبهة ساقطة اذ من المعلوم ان علماء الدين المحمدي
الاعلام اهل التحقيق والتدقيق الموثوق بهم في رواية الاحاديث
ومعرفة تراجم رواتها لم يدعوا شيئاً منها الا يبنوا منزلته من الثبوت
عن الرسول عليه الصلاة والسلام واحاطوا بصفاتهما واقسامها
واحوال رواتها على اتم وجه واكمل تبيان حتى افردوا لذلك فنا
مخصوصاً يسمى فن مصطلح الحديث فالفوا فيه الكتب والرسائل
ونظموا الاراجيز والقصائد وكذلك فعلوا في تراجم رواة الاحاديث
فافردوا لذلك فنا ايضاً يسمى فن التعديل والتجريح ثم بعد ذلك
نبهوا على منزلة كل حديث يذكر في كتب السنة وعلى حكمه في
الاعتماد عليه في الاحكام ام لا وبالجملة يبنوا الاحاديث المتواترة
والمشهورة التي يعتمد عليها في الاعتقادات الاسلامية وفي الاحكام
الشرعية والاحاديث الاحادية الصحيحة والحسنة التي يعتمد عليها
في الاحكام والاحاديث الضعيفة التي لا يعتمد عليها في شيء مما
تقدم ولكن قد يؤخذ بها في فضائل الاعمال اعني انها اذا كانت
واردة في فضل عمل لا شيء ^{في} الشريعة يمنع منه فلا مانع من

العمل بها والاحاديث الموضوعة التي لا يعتمد عليها في شي من
 جميع ذلك بل يجب على تاليها ان يبين وضعها وانها مكذوبة عن
 الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يؤخذ بها البتة والكتب المؤلفة
 في استيفاء هذه البيانات وتمييز منزلة كل حديث هي منتشرة بين
 علماء الامة حتى لا يخفى عليهم شيء من حقائقها فاي ضرر بعد
 ذلك في الاعتماد على الاحاديث النبوية كما يعتمد على القرآن كل
 منهما على قدر منزلته من الثبوت هذه اخبار الناس واحاديثهم
 يوجد بينها الصادق والكاذب أيسوغ لنا ان نقول لا يجوز لنا ان
 نصدق خبرا ونعتمد عليه لوجود الاخبار الكاذبة بين اخبار الناس
 كلا والله لا يقول بذلك الا كل جاهل بل الصواب ان نقول
 اننا نبحث عن الاخبار الكاذبة حتى نعرفها ونردها ولا نعتمد عليها
 ونبحث عن الاخبار الصادقة حتى نعرفها وناخذ بها ونعتمد عليه
 وهكذا فعل علماء الامة بالاحاديث المنسوبة الى الرسول عليها
 الصلاة والسلام بحشوا ودققوا عنها حتى وقفوا على ما صح نقله عنه عليه
 الصلاة والسلام فنبهوا على ثبوته واعتمدوه ووقفوا على ما كان بخلافه
 فنبهوا على قيمته فانزلوه منزلته من عدم الاعتماد عليه في الاحكام او
 رفضه البتة وان قال هؤلاء القاصرون من اين لنا الوقوف على منازل
 الاحاديث ومعرفة ما يعتمد منها وما لا يعتمد قلنا فاذن انتم من قسم

العامة فان علماء الدين يعرفون ذلك ولا يخفى عليهم شي منه فعليكم
 ان لا تتجروا بمثل هذه الجراءة وارجعوا في دينكم الى اهل الذكر
 والمعرفة الذين يعرفون ذلك حق العرفان وان كان شبهة هؤلاء
 القاصرين انه يوجد في الاحاديث المنقولة عن الرسول عليه الصلاة
 والسلام ما ظاهره المخالفة لقانون العقل وما قام عليه الدليل العقلي
 القاطع والاكتشافات التي اكتشفتها فنون هذا الزمان والمخلص من
 ذلك على زعمهم الاقتصار على القرآن واهمال جميع الاحاديث النبوية
 فاقول وهذه شبهة او هن من بيت العنكبوت وتشبهتم بها يدل على
 تمام قصور فهمهم في حقيقة الدين المحمدي المكين وذلك ان
 القاعدة في الشريعة المحمدية كما تقدم بيانه في هذه الرسالة نقلا
 عن علماء الاسلام الاعلام انه يجب علينا معشر المسلمين الاخذ
 بظواهر القرآن والحديث الثابت عن رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم ما لم يقد دليل عقلي قاطع ينافي ظاهر شي من ذلك فان قام
 دليل كذلك يناسي في ظاهر آية او حديث فعلينا ان نؤل ذلك
 الظاهر ونرده الى معنى محتمل وان كان بعيدا يحصل به التوفيق
 بين ذلك النص وبين ذلك الدليل العقلي القاطع ومن تتبع القرآن
 وجميع الاحاديث النبوية الثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام
 لا يجد شيئا من ذلك يخالف ظاهره الدليل العقلي القاطع الا ويمكن

تاويل ظاهره والتوفيق بينه وبين ذلك الدليل واما النصوص
 التي لاتقبل التاويل ومعانيها متعينة فلاشي منها يخالف الدليل العقلي
 القاطع ولا يمكن ان يقام دليل عقلي على مخالفتها البتة ومن يزعم
 بخلاف هذا فعليه البيان فهو لاء القاصرون كان من الصواب لهم
 انهم عوضا عن قولهم بترك الاخذ بالاحاديث النبوية لهذه الشبهة
 ان يسالوا علماء الامة عن تطبيق كل حديث منها قد وجدوا
 ظاهره مخالفا لدليل عقلي قاطع وهم يبينون لهم التوفيق على اقوم
 طريق ويظهر لهم عند ذلك ان الدين الاسلامي لاشي من نصوصه
 مخالف للعقل في الحقيقة ونفس الامر وانما يتخيل المخالفة ظاهرا في
 بعض نصوصه اما لقصور الفهم اولقلة العلم او ان النص ورد على
 ما يظهر فيه من المخالفة لحكمة من الله تعالى اما لابتلاء العلماء
 وامتحانهم في فهم نصوص شريعتهم واجتهادهم في تحري الحق
 والوصول الى الصواب واما لغير ذلك واني شارع في تأليف كتاب
 اذكر فيه ما يوفقني الله تعالى اليه من النصوص القرآنية والاحاديث
 النبوية مما ظاهره مخالفة الدليل العقلي والاكتشافات الجديدة المقطوع
 بها واطبق كلا من ذلك على قانون العقل بتاويل مناسب جريا
 على تلك القاعدة المتقدمة اسال الله سبحانه وتعالى ان يتفضل علي
 ويوفقني لاتمامه خدمة لهذا الدين هداانا الله تعالى جميعا الى ما فيه

الحق وثبت قلوبنا على الأيمان والسنتنا على الصدق ووفقنا لما فيه
رضاه ومسرة مصطفىاه وختم لنا بخاتمة السعادة بجاء سيدنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب السيادة اللهم امين

واما التنبيه فاني ارجو ممن يطلع على هذه الرسالة ان لا يبادر
بالانتقاد لما يتبادر فيه فهمه اني مخفي فيه قبل ان يستوفي فهم المقام
الذي اكون اخذني تقريره بل ينظر الى السابق واللاحق والى المقصد
الذي الفت لاجله الرسالة والكيفية التي ربت عليها ثم ليحكم بما يظهر
له من الحق فاني لم ادع السلامة من الخطا ما دمت من جملة
البشر غير المعصومين وقد ابي الله العصمة لغير كتابه وكلام
رسوله عليه الصلاة والسلام غاية ما اقول اني تحررت الصواب
بقدر جهدي وطاقتي فما كان حقا فبتوفيق الله تعالى اليه هديت
وبركة رسوله المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كنت من
بعض خدمة شريعته المطهرة وما كان خطأ فهو من قصور فهمي
وقلة علمي وضعف فكري وارجو الله تعالى ان لا يواخذني بزلي ومن
رام ان ينتقد فله الاختيار ولكن عليه ان يقدم على ذلك بنية خالصة
فان تالفي ما هو الا خدمة للدين الاسلامي فلينظر المنتقد الذي
هو من اهل هذا الدين ماذا يرضي الله ورسوله ليفعل ثم اني في
هذه الرسالة وان خضت في بعض المواضع الفلسفية فليس قصدي

من ذلك التفلسف في الدين بل ذلك لاقتناع عقول المتفلسفين
 وليبان ان الدين الاسلامي لا يكلف اتباعه الا بالعقائد الحقّة
 المنطبقة على قانون العقل الصحيح وبالأحكام التي ترجع عليهم
 بالخير عاجلا وآجلا هولاء علماء الكلام خاضوا ما خاضوا مع
 الفلاسفة من شرح المباحث الفلسفية لبلوغ تلك الغاية فلوست
 في ذلك سالكاً طريقاً لم تسلكه علماء الأمة الإسلامية ومن يعلم
 شيوع فنون الفلسفة الجديدة وكتبها بين أهل هذا العصر لاسيما
 منهم غير المتمكنين في معرفة حقيقة الدين الإسلامي يستحسن
 سلوك هذا الطريق للمحافظة على العقائد الإسلامية من شوائب
 تلك الفلسفة الجديدة التي اشتملت على مكتشفات لم تكن في
 عصر المتقدمين من علماء الأمة الذين لم يتركوا شيئاً من المحافظة
 على العقائد من شوائب الفلسفة القديمة ثم انى في بعض المواضع
 ارخى العنان للخصم واجعل له الخيار في الاعتماد على بعض اقوال
 علماء هذه الأمة غير جمهورهم وما كان ذلك منى الا لتسهيل الطريق
 عليه وتيسير الدخول في الدين لان دخوله فيه ولو على قول ذلك
 البعض من العلماء الاسلاميين يجعله في عداد أهل الملة المحمدية
 ولا يجرمه صفة الايمان فيكون سبباً لنجاته مما عليه من المخالفة المهلكة
 هذا الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه تهافت الفلاسفة

يكتفي بالزامهم الحجة ولو على قول بعض اهل الاعتزال لان
المعتزلة لم يخرجوا عن كونهم من عداد المسلمين وكلامهم على قانون
الاسلام كما في المواقف وما آثم النجاة على المعتمد هذا الحق سبحانه
وتعالى قد اذن لرسوله عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد ان
يخاطب الكفار بقوله (وانا اواياكم على هدى او في ضلال مبين)
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ليس شاكا فيما هو عليه وانما هو
اسلوب خطابي لجلب الخصم الي الدخول في المباحثة والاصغاء
الى الحجة فتلي عليه فيفهمها فتقنعه بالحق وبذلك يحصل المقصود
واما اعتقادي في الدين الاسلامي الذي القى الله تعالى عليه واسأله
سبحانه وتعالى ان يحسن خاتمتي به فهو اني اعتقد بجميع ما جاء به
سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام اعتقادا جازما على وفق
ما يعتقده السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان طبق
مذهب اهل السنة والجماعة واني على مذهبهم في التفويض في
اعتقاد النصوص الشرعية فاعتقد ان كل نص جاء منها هو حق
لا يخالف العقل الصحيح ولا يستلزم محالا واومن به على ما اراد الله
تعالى منه وافوض علم تعيين معنى التشابه اليه تعالى ولكني عند
الانتصاب لمحااجة المعارضين على شيء من تلك النصوص او
المعتقدين منها خلاف ما تفيده اصول الدين اجري على طريقة

الخلف رضى الله تعالى عنهم من التأويل للنصوص التي يخالف
 ظاهرها العقل بما يحصل به التوفيق بينها وبين العقل كما تقدم
 من القاعدة وذلك لاقتناع الخصم واحتجابه بانه يمكن له فهم النص
 بهذا التأويل وترك المخالفة المهلكة وحقيقة الاعتقاد هو ان النص ذو
 معنى صحيح طبق العقل الصحيح وتعين معناه مفوض الى
 علمه تعالى كما تقدم هذا مذهبي الذي التزمه واختاره فلينزل
 عليه كلامي في كل مقام والله ولي التوفيق ثم اتى في هذه الرسالة
 قد التزمت في تحريرها طريقة تناسب افهام العوام على قدر
 الامكان حتى انى كنت اكرر بعض عبارات واضع الظاهر موضع
 المضمهر اذ ابعد مرجعه او دخل في نوع خفاء واستعمل بعض
 الفاظ عامية او غير ذلك مما تخلو عنه تأليف العلماء المتانقين في
 التأليف كل ذلك مني لتسهيل الفهم وتوضيح المقام لعل الله تعالى
 ينفع بهذه الرسالة بعض اخواني في الدين واخواني في الظين واني
 اتضرع الى الله سبحانه وتعالى بانكساري وضعفي وعجزى واتوسل
 اليه بصاحب الشريعة المطهرة والملة المنورة سيدنا ومولانا محمد
 صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتقبل عملي وينفع به عباده وان يخلص
 نيتي لوجهه الكريم وان يوفق وينصر ويؤيد دولة مولانا امير
 المؤمنين وخليفة رب العالمين ويحرسه بعين عنايته وحرز وقايته

انه مفيض الخير والجود امين وقد وفقني الله تعالى لاتمام هذه
الرسالة صبيحة نهار الجمعة المبارك قبيل طلوع الشمس من يوم عيد
الفطر السعيد الذي جعله الله تعالى ترويحاً لعباده المؤمنين بعد
ادائهم فريضة الصيام وابتهاجا بدخول اشهر الحج المبارك من كل
عام سنة الف وثلاثمائة وست من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة واتم التسليم وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين
وعلى ال كل وصحبه اجمعين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

—3000e—

صورة ما كتبه مولانا علامة الزمان والحائز قصب السبق في
ميادين العرفان المحقق الفاضل والمدقق الكامل الجامع بين المنقول
والمعقول والمشيء اركان الفروع والاصول سيدنا الاكرم رافي
زاده السيد الشيخ عبد الغني افندي الفاروقي الطرابلسي بعد ان
قرأ هذه الرسالة بكل تدقيق اطال الله تعالى عمره وحفظ على
مدى الايام للمسلمين قدره اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العظيم السلطان الباهر الحجة
والبرهان الذي جعل العلماء عمدة الدين وسرج اليقين وهداة العباد
لسبل الرشاد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له آله

شهدت الكائنات بان لا خالق سواه ونطقت ذرات الوجود بانه
 المبدع لا فطره وسواه واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله
 وصفيه وخليفه المنزل عليه كتاب مجيد لا يأتيه الباطل من بين
 يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله تعالى عليه وسلم
 وشرف وكرم وعظم وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه وعلى جميع
 العلماء العاملين والائمة العادلين الذين قاموا بنصرة دينه المتين
 وشرعه المبين وانتدبوا لرد شبه الملحدين وكشف ترهات المبطلين
 بالبراهين الساطعة والحجج الصادقة اما بعد فقد طالعت هذا
 الكتاب المستطاب المتحلي بالحكمة وفضل الخطاب تاليف العلامة
 الفاضل والمرشد الكامل الحبيب النسيب والبارع الارباب نابغة
 الزمان ونادرة العصر مولانا السيد الشيخ حسين افندي الجسر
 نجل الولي الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات الخارقة
 والارشادات الصادقة التي سارت في الآفاق سير الامثال الاستاذ
 السيد الشيخ محمد الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو كتاب
 جميل ومؤلف جليل متكفل ببيان محاسن الشريعة المحمدية وحقية
 الملة الحنيفية الاسلامية ومتعهد برد اباطيل الماديين وكشف شبه
 الطيفيين بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة حتى اصبحت خرافات
 الضلال واضحة البطلان سافلة البرهان قلله دره من هام اقوت

له بالسبق علماء العصر مع حجاب المعاصرة واعترفت له بالتقدم
 في حسن المحاضرة والمناظرة وشكرت صنيعه بما قام به عنهم من
 فرض الكفاية في نصرة الحق ورد شبه الغواية فجزاه الله تعالى عن
 الامة المحمدية جزاء رابجا ومن احسن قولاً بمن دعا الى الله وعمل
 صالحا وانا لندرجو من حضرة مولانا امير المؤمنين وكافل حماية الملة
 والدين ان يامر بنشر هذا الكتاب في جميع البلاد الاسلاميه ويمت
 تدريسه في كافة المدارس السلطانية لرد ما شاع في هذا الزمان
 من هذيان الطبيعيين وخرافات الماديين حتى صارت كتبهم
 الضلالية تنشر بين الانام وتنداولها السنة المارقين واكف الطغام
 كما يجب على كل من نما اليه كلامهم وعلمت في ذهنه مكابراتهم
 وخصامهم ان يستصحب هذا الكتاب في محاوراته وينظر به في
 عامة اوقاته حفظا لعقيدته الصحيحة من تلك الخزعبلات وقمعا
 وردعا لاهل الغواية والضلالات والحمد لله اولا واخرا وباطنا
 وظاهرا وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حرره الفقير عبد الغني الرافي الفاروقي الحنفي

المفتي بطرابلس الشام سابقا غفر الله

تعالى له ولوالديه

والمسلمين

صورة ما كتبه حضرة مولانا العلامة والخبر البحر الفهامة فخر المدرسين
الكرام وقدوة المحققين الفخام شافعي زمانه وعين اعيان اقرانه
سيدنا الهام الاوحد نشابة زاده السيد الشيخ محمود افندي مدرس
الجامع الكبير المنصوري في طرابلس الشام ادام الله تعالى وجوده
للانام اللهم امين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اوجد جميع الكائنات بقدرته واتقن سائر
المصنوعات بحكمته والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد
بالايات البينات والبراهين الواضحات وعلى اله واصحابه اولى
الفصاحة والبلاغة والعنايات اما بعد فقد طالعت بالتمام هذه
الرسالة العديمة المثال المنيرة المثال الموضوعية للرد على اهل الزيغ
والضلال فاذا هي غاية من تحرير المعاني وترصيف المباني كيف لا
ومؤلفها علامة الزمان وناظورة الاقران والمرجوع اليه في كل
وقت وآن جسر زاده السيد الشيخ حسين افندي حفظه الله

المعيد المبدي ولا بدع في ذلك اذ هو نتيجة من سارت كراماته
 في المشرق والمغرب وطارت اشاراته بين الابرار والاقارب ولي
 الله على التحقيق وحامل لواء اهل الصدق والتصديق قطب العصر
 وبهجة الدهر العارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد الجسر امدنا
 الله بامداداته ونفعنا به في الدنيا والاخرة وما قلته في شأن هذا
 المؤلف الفاضل هو المشهور عند اولى الفضائل والله در القائل
 حيث قال

حلف الزمان ليا تين بمثله حشت يمينك يا زمان فكفر

فلا زال مظهرا لما خفي من الحقائق وفاتحا لما اغلق من الدقائق
 والله يحفظه مدى الزمان ويجري على يديه النفع لكل قاص ودان
 بجاه سيد ولد عدنان عليه من الله كل تحية وامان

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى يقول جميع الناس آمينا

كتبه الفقير اليه عز شانه

السيد محمود نشابه الشافعي

الازهري خادم العلم

الشريف عفي

عنه

صورة ما كتبه مولانا العلامة الفاضل والجهيد الكامل نعمان هذا
الزمان وقدوة المدرسين الاعيان صاحب التحقيق والتدقيق
والكاشف المشكلات عن كل دقيق سيدنا الاكرم عبد الرؤف
زاده السيد الشيخ عبد الله افندي الصفدي الطرابلسي ادام الله
وجوده للانام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت الكائنات بانه الواجب الوجود المتصف
بأكمل الصفات الحكيم الذي اوجد الكائنات بنظام بديع واودعها
من الحكم التي بهرت العقول ما فيه على عظيم قدرته اظهر دلالات
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله عضد الدين بالعلماء
الاعلام وجعاهم مصاييح يهتدى بهم في دياجي الحيرة والظلام
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي انزل عليه كتابا
اخرس افصح الفصحاء وابلغ البلغاء عن معارضة اقصر سورة من
سوره الكريمة وعجزت اساطين العلماء عن ادراك ما انطوى عليه من
الحكم والاسرار العظيمة صلى الله تعالى عليه وعلى آله واصحابه

الذينهم لشريعته خير اتباع ولنصرة دينه خير اشباع وبعد فقد
 طالعت هذا الكتاب تأليف العلامة الفاضل والمرشد الكامل واحد
 الزمان وفريد الاوان مولانا الحسيب النسيب السيد الشيخ حسين
 افندي الجسر نجل الولي الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات
 المشهورة والاشارات الصادقة والاعمال المبرورة الطائريته في
 الافاق خصوصا بين كمل الرجال الاستاذ السيد الشيخ محمد
 الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو من اكمل المؤلفات واجل
 المصنفات اثبت فيه بالبراهين والدلائل حقية الملة الاسلامية
 ومحاسن الشريعة المحمدية والتزم فيه رد اباطيل الماديين وكشف
 شبه الطبيعيين ووفي بما التزمه اتم توفية باعانة المنان حتى صارت
 تلك الشبه والا باطيل واضحة البطلان بالحجج الباهرة وظاهر
 البرهان فله دره من امام حازق صبات السبق في الفضل والفضائل
 وهام قام بفرض الكفاية عن اخوانه في نصرة الدين ورد شبه
 الماديين والطبيعيين باقوى الدلائل فجزاه الله تعالى عن المسلمين
 خير الجزاء ونرجو من حضرة مولانا امير المومنين وحامي حوزة
 الملة المحمدية ان يامر بنشر هذا الكتاب في جميع البلاد الاسلامية
 ويحتم تدريسه في كافة المدارس السلطانية حفظا لعقيدة التلامذة
 المسلمين من التغير وعلى كل من نقلت اليه تلك الوسوس وعلقت

في ذهنه ان يستصحب هذا الكتاب وينظر فيه في معظم اوقاته
 حفظا لعقيدته الصحيحة من تلك الترهات وقمعا لاهل النواية
 والضلالات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الارض والسموات
 كتبه الفقير عبد الله عبد الرؤف
 الصفدي غفر الله له
 وللمسلمين



وما قاله جناب الاربب اليبب الفاضل والحبيب النسيب الكامل
 حائز قصب السبق في مضمار النظم والنثرو عين اعيان الاكارم في
 ميادين المكارم والفخر شهال زاده السيد محمود افندي الاكرم ادام
 الله تعالى بقاءه بالنعم اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مكن الاكوان مدبر الخلائق بعطف وحنان خالق
 جميع الموجودات مع اختلافهم في الاشكال والالوان وهو غني

عن ان يساعد في مطلق شي او يعان لاثاثير في الكائنات لسواه
 خلافا لمن تاه من فرط الجهالة في تيه الضلالة وقد اشتد به من
 الحيرة الوله والهيمن فاصبح وهو لا يدري الى اليمين ام الى الشمال
 ياخذ في الحركة والسريان وضل عن الطريق الموصل لمعرفة من
 رفع السماء بقدرته بلا عمد ولا اركان وبسط الارض ومد البحار
 واجرى الانهار والخلجان وانعم على اجناس خلقه خصوصا
 نوع الانسان بجلائل نعمه التي لا يحصى شكرها لسان واجلها نعمة
 الاسلام والايمان فنشكره على ذلك مدي الازمان ونوحده
 باللسان والجنان اذعانا بواجب وحدانيته في كل وقت وآت
 لا آله الا هو آله تنزه عن ان تحيط بكنهه الاذهان او يحويه مكان
 او يمر عليه زمان سبحانه وتعالى عما يصفه اهل البغي والظغيات
 من القول الزور والبهتان وعما يعتقدونه من الهذيان باعتقاداتهم
 البديهة البطلان نعوذ بقدرته المنيعه من التلاعب في الاديان
 ونعتصم بسطوته القاهرة من هوى النفس الملقى في العذاب الهون
 والهوان مستغِيثين بفخر الكائنات سيد ولد عدنان عبده ورسوله
 النبي الامي محمد عين الاعيان وقره جواهر الاعيان الذي انزل
 عليه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان فاعجز به
 البلغاء والفصحاء من جميع قبائل العرب ان صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى

آله واصحابه شمس العرفان الذين استنارت بانوار هديهم الاكوان
 واعتز بهم عماد الدين المنصان المؤسسة على اقوم شريعة بيضاء منه
 القواعد والاركان باقوى اساس واحكم بنیان فلم يغيروا ولم يتبدلوا فيه
 وزنا من الاوزان بل اقاموا الوزن بالقسط ولم يخسروا الميزان حتى انه
 الى الآن لم يزل ما كان على ما كان وكفى بهذا عنوانا على رضا
 الملك الديان الذي خص من شاء بما شاء من فيض فضله الهتان
 كالهام الاوحد المشار اليه بالبنان الذي هو من قاب قوسي
 السعادة دان من يغبط سنا فرقه الفرقدان ويحسد نور كمال طلعتة
 النيران المحفوف من العناية الصمدانية باعوان ومن السعادة الربانية
 باخذان صاحب الاطلاع المعجب والاستحضار المعجز سيدنا السيد
 حسين الجسر الافخم متع الله الانام بعوائد علومه الواسعة المدا
 والميدان وحلى بفوائد فنونه البديعة الافتنان احياد الطلاب ما
 كر الملوان وتعاقب الجديدان امين

اما بعد فاني لما اطلقت لجواد عيني العنان وسرحت طرف طرفي
 في مذاهب هذه الرسالة التي هي اشبه من المتشور بمنظوم حب
 الجمان وشاهدت بهجة محاسنها بارزة للعيان وجدتها جنة عرفان
 وسيفا قاطعا لالسة اهل الزيف والظغيان وشهابا ثاقبا رجعت به
 شياطين الانس والجنان تنعش بفهم معانيها الا بدان وترتاج لمبانيها

روح كل انسان ويزداد المومن بمطالعتها ايمان وقوة في دينه وايقان
 كيف لا ومولفها ذلك الجسر المنتصب على متن الهداية والاطمئنان
 الموصل بتمجازه للوقوف على حقيقة الاديان والمتمد من ادبه وعلمه
 فوق بحر ين يلتقيان يخرج منها اللؤلؤ والمرجان من لا يحصى مناقبه
 الحسناء بحسبان فهو لقمان هذا الزمان ونعمان هذا العصر والاوان
 كما ان عمرو بن سنان لو كان في زمنه اروي عنه سحر البيان
 وكذلك سحبان لو انه في هذا العصر لا نقاد اليه ليزداد فصاحة
 في اللسان فله دره من بليغ فينان وتيار علم بفرائد جواهر الفوائد
 ملآن وملاذ اذا استعين به اعان وناصر دين الحق بسيف الحجة
 القاطعة والبرهان اذا شئت اهل الشبه حربها العوان فحمد الله
 تعالى على وجود مثل هذا الامام الذي هو من الله معان على محبة
 الخصم والامعان في المعان ونشكره ونستجديه دوام الاحسان انه
 كريم حنان جواد منان ولما وضح واستبان صبح الحق من افق هذه
 الرسالة المسماة بالحميدية في حقيقة وحقية الديانة الاسلامية قلت
 والله المستعان وعليه الاعتماد والتكلان

دين النبي محمد العدناني	في كل آن ساطع البرهان
دين له رب قديم حافظ	يحمي حماه لآخر الدوران
دين قويم النهج فيه اخوانه	يزداد ايقانا على ايقان

بادلة ان شئت عاقبة او شئت نائلة بيان
 من حيث كل منهما كالشمس في نوح المحبة واضح التبيان
 اعظم به دينا قويا واضحا ومؤيدا في معجز القرآن
 لو لم يكن حقا ودنيا قويا ما قام في سلطانه للآن
 ما زال كالشمس المنيرة مشرقا يسناه بمحو غيب الطغيان
 يوسعنا فيه غدا ونجاحنا ونجاتنا فيه من النيران
 تعسا لمن وضعت له طرق الهدى فطغي ولم ينفك ذا نكران
 يكفيه في يوم الجزا حرمانه واياه بالخزي والخذلان
 ما ثم يأسف غيره كلا وفي اخراه ليس سواء ذا خسران
 هذا وكم من جاهل قد ضل عن نهج الهدى بوساوس الشيطان
 ان الرسالة هذه حقا انت يبينها للحق كالفرقان
 هي محض ارشاد وصرف دلالة وهداية لحقيقة الايمان
 وهي الشفاء لقاب كل موحد من علة الاشراك والكفران
 ولكم شفت قلبا بلطف علاجها المعداد للامراض عن لقمان
 بكر حلت شأننا لسامعها وكم شقت حرارة كل غمر شاني
 منها اساليب البلاغة قد اتت منظومة كقلائد العقيان
 امعنت فيها ناظري فوجدتها ركنا لدين الواحد الديان
 لله منشئها حسين من سما بعلو همته على كيوان

علامة الدنيا وبهجة اهلها وملاذاهل الفضل والعرفان
 وهو الجليل القدر والمولى الذي شرفا تشير له الورى ينان
 ذو منطق تزي فرائد لفظه باللؤلؤ المنضود والمرجان
 ما مثله بين الافاضل جهبذ ييدي معانيه بحسن بيان
 فهو ابن سيدنا في الاحوال من من ربه نال المنى بامان
 شمس الشريعة والحقيقة جسر اهل الله سامي السر والبرهان
 مشغوف قلب هائم في ربه مستغرق صاح به سكران
 وشهاب افق سما الولاية من غدا منها مكينة في اعز مكان
 هو قطب دائرة الكمال محمد غوث المروع ملجأ الوهان
 رب الكرامات التي فاقت على شمس الضحى بوضوحها الرحمان
 اعظم بها اسنى كرامات لقد سارت بها الركبان في البلدان
 جلت فلا تحصى مناقبه بحسبان ولم تحصر بنطق لسان
 اني لمن اجل التبرك فيه قد اوردت منها بعضها بياني
 من بعض مانويه عنه قوله سري بابني واضح البرهان
 فوجود ذا الفضال كان كرامة ايضا لوالده الجليل الشان
 هذا ومن يغني الوقوف على نقا اخبار هذا العارف الرباني
 ويرى العجائب فليراجع نزهة ال فكر الكتاب الفائق التيان
 لازال ذا القطب العلي مدى المدا تهمني عليه سحائب الرضوان

والله يرضى عنه ما لاح الصبا ح وغرد القمري على الاغصان
 وجزى حسين الجسر عناداً خير الجزاء باوسع الاحسان
 اذ قد اتى برسالة تاريخها تاليفها قد جل في انقان سنة ١٣٠٦
 مع حسن اسلوب جديد قد اتى بلزومه كالروح للانسان
 ادى بها في الدين اوفى خدمة قدراح يغطه بها الثقلان
 دامت عليه من الميمن نعمة مصحوبة بالحمد والشكران
 ما شنف الاسماع جوهر فضله وحلى مديح علاه في الآذان
 او ما انجلي غيم الضلال عن الهدى بشروق صبح الحق للاعيان
 واني باختصار اقول في حق هذه الرسالة المشرقة مصايح الادلة
 من نتائج افق قضاياها المسلمة ولا اشراق الغزالة انها في الحقيقة
 جوهرة لا تقوم باثمان ودرة امست السبع الدراري بها ثمان اذ مؤلفها
 كريم التجار فرع سلالة النبي المختار جمع بها فاوعى وشكر الله منه
 المسعى فلسان حال هذا العصر شاهد لها باذعان وناطق باعلان
 ان ليس في الامكان ابداع مما كان فنسال الله تعالى نيل الامان
 والتفضل بخاتمة الايمان امين

من قلم الحقير

محمود الشهبال

وقد عرضت هذه الرسالة في اول مباشرة طبعا على انظار مولانا
صاحب الفضيلة والافضال ومعدن المعارف والكمال فخر المدرسين
وقدوة المفتين مولانا الهام مفتي الانام في ولاية بيروت ذات
الشجر البسام فاخوري زاده السيد الشيخ عبد الباسط افندي
ادام الله تعالى وجوده للمسلمين اللهم امين فتفضل بتقريظها بما
ياتي فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن سيد معالم الدين واسسها بالحجج والبراهين وارسل رسوله
الاکرم لهداية الخلق ليسلكوا بانواره المقدسة فجاج الحق فمنهم من
عرف بقلبه المنهج المبين واخر تعبد حتى اتاه اليقين اللهم صل وسلم
على هذا الرسول الصادق الذي صدع بما امر قلب كل جاهل ومنافق
بافصح حجة واوضح معجزة التي ليلها كنهارها في علانيتها واسرارها
وعلى آله واصحابه الذين حفظوا قرآنه ونقلوا حكمه وتبيانها وعلى
التابعين الذين خدموا الدين ودفعوا عنه شبهات الضالين ووساوس
المفسدين وارا حيف المحدين اما بعد فاني سرحت الطرف في

رياض هذه الرسالة التي غدت لقمرة الشريعة هالة المسماة بالرسالة
الحميدية في حقيقته الديانة الاسلامية وحقيقته الشريعة المحمدية
تأليف صديقنا العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ حسين
افندي الجسر ابن استاذنا وشيخنا يتيمة الدهر فتربعت النفس
بدست ربيعه علانية وجنت كل لذيذ من قطوفه الدانية

سفر جليل به للطالين هدى في بابه قداتي من احسن الكتب
لنا احاديثه تروى معنعة عن الحسين باسناد لخير نبي
فهو كتاب لم ينسج في نصرة الدين المحمدي على منواله ولم تات
المتقدمون بتمثال امثاله لا عن تهاون منهم او تقصير وهل ينبئك
مثل خير فانهم جزاهم الله خيرا قد خدموا الدين بما هو اهم ونفعه
للخاق اعم فكم سردوا المباحث الطويلة ودونوا الفوائد الجليلة اما
الان فقد كلت الهمم وغدت من سقط المتاع عزائم الامم فلانرى
الا ناصرا له غيته تابعا لنفسه وشهوته غريقا في بحر جهله متبرجا تبرج
الجاهلية بفعله وقد حدث بعد الامور امور وظهرت مخبات كانت
تحت الستور وكثير منها ما هو اوهام او اضغاث احلام يغتر بها
كل قاصر العقل واهن اليقين ساقط الفضل فاقضي الحال درأ
لتلك الشبهات والمحافظة على عقائد البعض من غوائل التخيلات

فوق الله تعالى صاحب هذا الكتاب ويسر له الاسباب في اظهار
نتائج بعض اسرار الدين الاسلامي المتين بالقول الشارح الحقائق
للمؤمنين وغير المؤمنين بأسلوب نفيس مختصر تفهم معانيه كلمع البصر
مع رد شبه الواهية والتطبيق بين المنقول والمعقول بدلائل كافية
ملتزما فيه عدم التعرض لمذهب او دين سالكا بالا نصاب سبيل
المرشدين فجأت فرائده وافرة وفيه تزدان بها الاندية العلمية وانه
الواسطة الكبرى لحفظ عقائد البنين من شبهات الملحدين وقد
حاز القبول لدى الحكومة السنية لما به من الفوائد الجليلة ونظرا
لاعتبار هذا الكتاب عند الاجلاء الاخيار سيكون على قراته في
المدارس الاسلامية المدار حيث انه حوى المباحث العقلية والمسائل
النقلية فان المدارس بظل سلطاننا امير المؤمنين مفتحة ابوابها
للطالبين حفظ الله سلطاناه ونصر اعوانه فقد شيد معالم المدارس
واسدى اليها النفائس فمؤلف هذا الكتاب هو من العلماء العاملين
وضعه لخدمة الدولة والدين فيجب علينا معاشر المسلمين ان يكون
هذا الكتاب ديدن المعلمين واملي وطيد بحضرات اولياء الامور
اصحاب الدين ان يجعلوه دستور التعلم في المدارس كل حين لما فيه
من رد جماح العقل عن التهور في وهاد الجهل ولما به من حفظ
عقائد الانام في جميع ممالك الاسلام ادامها الله تعالى رافلة بحلال

الامان تحت ظل الدولة العلية العثمانية على ممر الزمان وفق الله
الجميع لاصلاح الحال ولادراك غاية الكمال

لنهي الهدي والحق وافت رسالة حميدية تأليف شهم مكرم
لقد نسبت واليمن وافق وضعها لسلطاننا عبد الحميد المعظم

كتبه بقلمه وقالة بفمه الفقير اليه سبحانه عزشانه

عبد الباسط بن علي فاخوري

مفتي بيروت



ثم عرضت على انظار بعض ساداتنا علماء دمشق الشام الافاضل
فتكرموا بتقاريط كانت فرائد عقد هذه الرسالة تفخر بها في محافل
الافتخار وتزهو بجلاها في سائر الامصار فمما قاله حضرة مولانا فخر
العلماء الاعلام وقدوة الفضلاء الكرام علامة الزمان وفهامة الاوان
والمشار اليه بالبنان والمرجع لكل قاص ودان سيدنا المرحوم المبرور
عطار زاده السيد الشيخ محمد سليم افندي اسكنه الله تعالى بمحبوحة
جنانه واظله بظلال رضوانه وعوض الله المسلمين بمصابه خير عوض
اللهم امين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لمن وفق من شاء من خلاصة عبادته للذب عن الشريعة
 الغراء وافاض على قلوبهم من المعارف الربانية والعلوم الضمديّة
 ما قهروا به اهل الظليمة الذين هم لكتابه وسنة رسوله اعداء فسبحان
 من وفقهم للعمل بما علموا حتى ورثوا علم ما لم يعلموا كما اخبر بذلك
 سيد الانبياء وصلاة وسلاما على اول قابل للتجلي الاقدس والفيض
 المقدس من حضرة الباء فكان اول من ثنى وجود الحق ولم يكن
 اذ ذاك عرش ولا كرسي ولا ارض ولا سماء وعلى آله واصحابه
 نجوم الهدى وائمة الاهتداء وعلى التابعين لهم الى يوم الحشر واللقاء
 وبعد فاني قد تأملت في هذا الكتاب الحاوي من فنون المسائل
 العجب العجائب الذي افه العالم الفاضل والجهبذ التحرير الكامل
 الوارث للمجد عن والده الماجد وليس على الله بمستنكر ان يجمع
 العالم في واحد حضرة السيد حسين نجل المجمع على ولايته ووراثته
 صاحب الاحوال والكرامات المرحوم السيد الشيخ محمد الشهير

بالجسر قدس سره فوجدته قد حوى درر الفوائد والفرائد جمع فيه
 من السيرة النبوية اصحها واوفاهها ومن الادلة والبراهين على بطلان
 عقائد اهل الطبيعة والضلال اعلاها واقواها فلقد اجاد فيه وافاد
 ووفي بالمقصود والمراد فجزاه الله على صنيعه احسن الجزاء ومتع الله
 المسلمين بحياته بجاه سيد الانبياء والحمد لله في البدأ والختام
 والصلاة على سيد الانام امين

كتبه الفقير اليه سبحانه

محمد سليم العطار

عفي عنه



وبما قاله فخر العلماء والمدرسين الكرام وعمدة الفضلاء والمحققين
 الفخام العلامة الفاضل والفهامة الكامل العامل ذو الفضل والارشاد
 وقدوة السالكين في سبيل السداد المهام الاكرم عطار زاده
 السيد الشيخ بكري افندي الافخم ادام الله تعالى هديه وارشاده
 للمسلمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن له الحجة البالغة والبراهين الساطعة الدامغة القائل وهو
القادر الخالق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
والصلاة والسلام على اول موجود على الاطلاق سيدنا محمد
المختص باحسن الاخلاق من جعله مولاه الحجة الكبرى على
العالم وفضله على الملائكة الكرام وسائر بني آدم وايده بالمعجزات
الباهرة لتكون حجة على النفوس الالية الكافرة وعلى آله الهداة
الكرام واصحابه السادات العظام اما بعد فان الله تعالى جلت
عظمته وعلت حكمته قد اقام لحراسة دينه القويم وصراطه المستقيم
من ارباب البصائر والفكر من يدافع عنه في كل آن وعصر
ويذب عنه بسيف الشريعة والقهر من تعرض له بسوء من اهل
الضلال والكفر ولما نزغت بين الناس في هذه الايام اقوام من اهل
الوساوس والالوهام يقولون باسم الطبيعة ويميلون عن منهج الشريعة
قد اتخذوا الهوى مركبا والفساد مطلبا اخزاهم الله تعالى واغواهم
وعن طريق الحق والرشاد اعماهم وفق الله تعالى لادحاض حججهم
الباطلة وبراهينهم العاطلة من اولي البصر والبصيرة ومن ارباب

القلوب الخيرة بدر فلك التحقيق في ليالي المشكلات وسراج
 اهل التدقيق في كشف ظلم العضلات العالم التحرير العامل والمدقق
 الاربب الكامل جامع فضائل الاوائل والاواخر ووارث العلم
 عن اسلافه البحور الزواجر مولانا السيد حسين افندي
 بن مولانا العالم العلامة والعارف الكامل الفهامة ذي الكرامات
 المشهورة والاخلاق الحسنة الماثورة من اعترف بفضلته كل
 الرجال الشيخ محمد الجسر ابي الاحوال فالف هذه الرسالة
 الكافية الوافية وهي لما في صدور المنصفين شافية وقد اثبت فيها
 بالبراهين القطعية حقية الملة الحنيفية المحمدية وابطل شبه اهل
 الطبيعة والاهواء فجزاه الله عن المسلمين احسن الجزاء ومتعنا
 والمسلمين بطول حياته بجاه من ايده الله تعالى بآياته والحمد لله
 في البدء والختام والصلاة والسلام على سيد الرسل الكرام وعليهم
 اجمعين آمين يارب العالمين

قاله الفقير الى رحمة ربه الغفار

بكري بن حامد العطار

الشافعي القادري

عفي عنها

ومما قاله فخر العلماء الافاضل وقدوة الفضلاء الاماثل العلامة
 الاوحد والعلم الشهير المفرد عين اعيان العارفين وامام الجهابذة
 المحققين مولانا الاكرم عطار زاده السيد الشيخ عمر افندي الافخم
 ادام الله تعالى بقاءه للمسين اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه انه المحمود باسمائه يا من تفردت بالافعال فكان لا فعل
 لسواه ويا من تعاليت عن السوى ومن الشوى وليس الا مظاهره
 ومجلاه صل وسلم على الرحمة للعالمين من انقذنا من الضلالة
 سيدنا محمد من ختمت به النبوة والرسالة وآله وصحبه وبعد
 فاني قد سرحت ناظري في رياض هذا الكتاب المشتمل على
 كل معنى مستطاب فوجدته في نفس الامر والواقع قد كشف
 عن وجوه العضلات البراقع وعلمت حقا انه فتح مبين
 منزله عن العمل بيقين ولا عجب فانه شيء جاء على اصوله فلا
 سوال عن حده ورسمه فله در مؤلفه من همام احبي به ذكر
 لسلافه العارفين الاعلام فشكر الله العظيم مسعاه وادام نفعه العميم
 وحفظه وابقاه فكم رداهل الغواية على الاعقاب وكم ارشداً آل

المداية لما فيه صلاحهم ونعم الآل والاصحاب اللهم كما هديت به
 فزده توفيقا وكما منحته فامنحنا هدى وتحقيقا واحشرنا جميعا تحت
 لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى كافة الانبياء اجمعين امين
 كتبه الحقير
 عمر العطار



ومما قاله العالم الفاضل والمرشد الكامل السالك بمريديه سبل النجاة
 والمروى ظلما الطالبين من زلال عين الحياة مولانا الاجل الامجد
 خاني زاده السيد الشيخ محمد افندي الخالدي الاكرم اطل الله
 تعالى بقاءه وادام نفع المسلمين بهداه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده وعلى
 آله وصحبه وتابعيه وحزبه اما بعد فقد تصفحت هذا الكتاب الذي
 حوى كل معنى مستطاب الذي افه اخونا العالم الفاضل الارب
 اللبيب الكامل الشيخ حسين نجل المرحوم المشهور بالولاية والفضل

والعلم والعمل الشيخ محمد الجسر قدس الله روحه ونور ضريحه من
 اهالي طرابلس الشام زاده الله توفيقا وافادة للعلوم وتحقيقا فوجده
 قد حوى كثيرا من الفوائد وبنى وهدم كثيرا من القواعد مع غاية
 البيان والتحقيق نفع الله به ووفق لاقوم طريق وجزاه على قصده
 فانه غير مخلف وعده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم
 النبيين والمرسلين ومشيد هذا الدين الى يوم الدين

كتبه الفقير اليه

محمد الخاني

الخالدي

—•••••—

ومما قاله العالم الفاضل والجهيد الكامل صاحب النظم الرائق والنثر
 الفائق حائز قصب السبق في مضمار البيان والمشار اليه في محافل
 البلاغة بالبنان عطار زاده السيد الشيخ ابراهيم افندي محمود ادام
 الله تعالى وجوده للانام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن تفرد بالايجاد ونور قلوب اوليائه بصحيح الاعتقاد وصلاة

وسلاما على افضل العباد سيدنا محمد الهادي الى سبيل الرشاد
 الماحي بواضح براهين شريعته سفسطة اهل الزيغ والعناد وعلى آله
 واصحابه واتباعه واحبابه السراة الهداة الطاهرين الامجاد اما بعد
 فاني لما سرحت جواد النظر واطلقت عنان الفكر في ميادين هذا
 السفر المبتكر المعتبر الفيتة قد جمع من ساطع ادلة هذه الشريعة
 و يقينياتها القاطعة المنيعه ما ازاح به شبه الملحدين ودحض باطل
 المعاندين المتمردين فله در مؤلفه ما اتقنه وما ابهاه واحسنه كيف
 لا وهو قد ورث المجد كبرا عن كابر واضحت معارفه به تفاخر
 وتكاثر عنيت به الحسيب النسيب العلامة الفهامة الاديب
 الارب الهام المفضال السيد حسين افندي نجل مولانا المرحوم
 شيخ اهل الكمال الشيخ محمد افندي الشهير بالجسر والمكنى بابي
 الاحوال فحقيق ان ينشد ويقال

سبح البسط قد انشا كتابا	فيا بشري لمقتبس سناه
وذا من فضل آثار الحميد	آله العرش بلغه مناه
بعون الله لما تم ارخ	به زاه نقاصده غناه

سنة ١٣٠٦

متعنا الله والمسلمين بطول حياته واعاد الله علينا وعليهم من طيب

نفحاته وبركاته والصلاة والسلام على ختام النبيين وعلى آله
 واصحابه اجمعين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير الى الله عز شانه

ابراهيم بن محمود العطار

عفي عنها



ومما قاله العالم المفضل والعلامة الفهامة اللوذعي ذو الكمال حائز
 قصبات السبق في مضمار المنشور والمنظوم والفائز بالقدح المعلى
 من المعارف والعلوم الحسيب النسيب الاكرم منير زاده السيد
 الشيخ محمد عارف افندي الحسيني حفظه مولاه وابقاه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدرنا للاسلام وجعل لنا نورا نمشي به في
 غياهب الظلام فانقذنا من الغرق في ليج المهالك والاثام واوضح
 لنا سبيل الهدى في الانام فمن اهتدى اليه ربح القبول وظفر
 بالفوز والاعتصام ومن ضل عنه خسر ولم يظفر بالنجاح ونيل المرام
 سر ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

الخاسرين قول الملك العلام احمده وهو ولي الحمد واشكره بلا حصر
 ولا عد ان خصنا بمن هو للرسل امام ولجميع الانبياء بدء وختام
 سيدنا محمد المظلل بالغمام المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الزحام
 المنزل عليه ان الدين عند الله الاسلام القائل ان الله تعالى عند
 كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم
 بعلاماته وناهيك به من مقام عليه افضل صلاة واتم سلام وعلى
 آله السادة الطهر الكرام الذين هم امان للامة من جهد البلاء
 والانتقام وصحابته القادة الغر الاعلام الالي اسسوا لنا قواعد الاحكام
 وشيدوا الدين بالقنا والصمصام وجمعوا الكلمة على عبادة المولى
 ذي الجلال والاكرام وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكسر
 الاصنام وهدموا اركان الكفر بعد الاحكام وبددوا جيوش الكفرة
 اللثام وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ولم يهابوا من
 بطل ولا عرام والتابعين لهم المقتفين اثرهم ابد الابد ودوام الدوام
 امين اما بعد فلما كانت حكمة الله الباهرة وارادته القاهرة
 اقتضت ان يكون البشر انواعا وشعوبا وقبائل ومشارب وطبعا وكان
 اللازم لذلك شرع دين لهم ليعبدوا به ربهم ولا يظلموا بعضهم ارسل
 لهم رسلا امناء معصومين وانزل عليهم شرائع بابلاغها مأمورين
 وكانت تلك الشرائع بحسب ما يناسب الزمان ويوافق مشرب

كل اهل اوان ولذا كان يتعاقبها النسخ والتبديل للآتيان بالخير
او بالمثيل ولما حان ظهور ما اراده الله تعالى من الازل من جعل
العالم امة واحدة تدعي لعبادته عز وجل ارسل نبينا محمدا صاحب
العلامة من رسالته لكافة الخلق عامة بشريعته التي هي خير
الشرائع واعدها كما ان امته خير الامم وافضلها وانزل عليه بواسطة
جبريل الامين قرآنه العربي المبين فاعجز به البلغاء وابكم به الفصحاء
وجعله اسما لتلك الشريعة والدين فامن به من صادفته العناية وكفربه
من ادركته الغواية من الضالين وامره ان يثخن في الارض ليكون
له اسرعة فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي
السفلى وبقية فرقة ممقوتة من الله تنكرو وجود الآله وتعد الشدين
بالدين منافيا للعقل المتين واخرى تقول بالبعض وتزعم انه الاصل
وثني النسخ الثابت بالنقل والعقل وانكرت رسالة نبينا خاتم المرسلين
صلاة الله وسلامه عليهم والهم اجمعين ونسبت الى ما جاء به من
الدين بعض اشياء كذبا موضوعا وزورا مصنوعا وزعا يقيف
وتسترت شذمة بدعواها الاسلام وازمعت على هدم اركانه
بالقاء بعض شكوك فيه واوهام فتراها تنكر من الشريعة بعض اشياء
لم تظهر حكمتها لعقلها القاصر مدعية انها ليست من اصل الدين
وما هو الا كفر ظاهر او تختلق لها حكما لم يقصدها الشارع مخالفة

لمراد والواقع فرارا من التسليم ان يكون في الدين شي لم تظهر له
 حكمة وهذا من ضعف الايمان في القلب وتعاقب الظلمة فعند
 ذلك نهض المولى العالم النحرير الشهم المكنى العلامة الخبير
 الثاقب الفكر الشيخ حسين افندي نجل المرحوم العارف بالله تعالى
 الشيخ محمد الجسر الذي اختاره الله من الازل للذب عن هذا
 الدين الصحيح الاجل مستمدا بروحانية جده الرسول متوسلا به
 في بلوغ المامول

هام له في كل فضل فضيلة بليغ اذا ما قام في الناس بخطب
 ابوه ابو الاحوال كم من كرامة له شهد الاعداء فيها واطنبوا
 وتفرغ للتكلم بعلاماته حسبا رجز له النبي صلى الله تعالى عليه وآله
 وسلم ببعض مقالاته ونصر الدين لله فاعانه الله وتولاه وايده
 وعضده وهداه الى ما اراده وقصده لانه

امام لنصر الدين شمر ساعدا لذا حمدت افعاله وما اثره
 ومن ينصر الله ابتغاء لوجهه فلا ريب ان الله بالنص ناصره
 فالف هذا الكتاب الذي هو غاية في هذا الباب فحيا كما اراد
 وافيا بالمراد يغبطه على مثله الاديب ويحارفي وصفه الاريب
 هذا التأليف لقد اضحى اظهر الحق نتيجه
 واذا حققت به تلقى احقاق الحق حقيقته

وقد سماه الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية
 الشريعة المحمدية وهو جدير بان ينسب الى مولانا الساطات
 الغازي عبد الحميد خان ذي الشوكة والمجد والشان ويحمده
 كل انسان فجزاه الله تعالى خير جزاء واحسن لنا وله الانتهاء ورحم
 والدينا ونفع بنا جميعا بجاه من ارسل لنا رحمه وشفيعا عليه
 وآله اشرف صلوات وازكى تسليمات وتحيات على الدوام ما فاح
 مسك ختام نمقه الفقير اليه عز شأنه محمد عارف

المنير الحسني الشافعي الدمشقي

عفي عنه

—o—

وما قاله الارب اليب والاديب النجيب والحسيب النسيب
 ذو النظم المطرب والنثر المعجب الفاضل الكامل ظييان
 زاده السيد الشيخ محمد علي افندي الكيلاني ادام الله تعالى
 توفيقه امين

هذي عروس بدت بالخط تركية كانها في بديع الحسن حورية
 ام ذا رشيق قوام راق مبسمه اذا بدا بنجمل السمر الردينيه
 ام ذا مؤلف رازي الزمان حسين الجسرفيه لآلى العلم محويه
 به براهين ايات مينة جاءت تذب عن الغرا الحنيفيه

فياله من كتاب ابرزته لنا افكار جبر عن التحقيق مرويه
 منه لاهل الضلال المحدثين انت ادلة لآخي الانصاف مرضيه
 ومنذ القى عصا برهانه بطلت عقائد لم بالوهم مبنيه
 فالله فضله قدرا ففضله ظلا سما من كنوز العلم مخفيه
 لله اخلص في قول وفي عمل بشري له انما الاعمال بالنيه
 لازال يهدي الوري من بجره دررا ماغردت فوق غصن البان قمره
 والطبع لما انتهى قلنا نورخ فيه راق طبع الرسالة الحميديه
 ٩٥ ٣٠١ ٨١ ٧٢٢

خويدم العلم الشريف محمد

علي ظبيان الكيلاني

عفي عنه

ولؤلؤ الرسالة الحميدية رسالة صغيرة في تعدد الزوجات وحجاب
 النساء والطلاق الحقناها هنا تكميلا للفائدة وهي هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما
 بعد فيقول الفقير الى الله تعالى حسين الجسر الطرابلسي ان من
 المسائل المهمة مسألة تعدد الزوجات وحجاب النساء والطلاق

واني اطلعت في هذه الاثناء على كتاب في الهجين لبعض الكتبة
غير المسلمين تعرض فيه للمسألتين الاوليين حيث قال بخصوص
الاولى في جميع الممالك ان الذكور اكثر من الاناث بقليل ربما
كان حكمة العناية في ذلك النظر الى زيادة نقص الذكور لاسباب
الموت مما يتأتى من مشاق السفر واططار البحر والحرب الى غير
ذلك ويظهر من النسبة ايضا ان الحكمة الالهية لم تجوز اكثر من
زوجة واحدة للرجل فيكون تعدد الزوجات امرا مخالفا لما وضع في
الطبيعة اه وفي ذلك التعريض باخذ الرجل زوجات فوق الواحدة
كما هو حكم شريعتنا المظهرة وبان ذلك خلاف النظام الطبيعي
وقال بخصوص الثانية في ذلك الكتاب فليس من العدل ولا الحق
ان تحتقر الانثى او تظلم او يهمل تعليمها او يحجر عليها في البيت كما
يحجر على الاسير والمسجون لسوء الظن فيها مع ان الرجل اقرب
منها الى الاثم ذلك من عوائد الخشونة الى اخر ما قال وفيه
التعريض بحكم شريعتنا العادلة بالحجاب على النساء والاقامة داخل
البيوت فاحيينا ان نبين الحق في ذلك على مقتضى القانون
العقلي لما ان المؤلف المذكور لا ثقتنه الاحكام الشرعية اذ ليس
هو من اهلها فحجرتنا في سبيل البيان على ما فيه مقنع لكل عاقل
فنقول ان المؤلف المذكور حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وبيان

ذلك بعد تسليم تقارب عدد الذكور من عدد الاناث لا يخفى ان
الحكمة الالهية اقتضت توالد النوع الانساني بين الرجل والمرأة
وتكثير افراده وبقائها الى ما شاء الله تعالى والا لثبت نقيض ذلك
وكان واجبا علينا السعي بتقليل التوالد واعدام البشر بوسائل شتى
والواقع خلافه وذلك التوالد يكون بتلقيح الرجل وبزور المرأة ومعلوم
ان الرجل تدوم فيه اهلية التلقيح ولو بلغ من العمر مائة سنة وبلوغه
ذلك ممكن موجود ليس بالنادر حتى قال بعضهم ان الانسان خلق
لان يعيش المائة اذا لم يفاغله الموت واما المرأة فحيث ان حملها
للجنين ووضعها وارضاعه تجهد قوتها ولا تطيق ذلك كله الا في حالة
بلوغ جسمها قوته اقتضت الحكمة الالهية ان يكون استعدادها
للتوليد من سن احتلامها الى سنة الخمسين من عمرها (على ما
قيل او خمس وخمسين على رأي اخرين) ومن هناك حيث
تاخذ قوتها الطبيعية بالتأخر قد منع عنها الباري تعالى امر
الحمل وقطع دم حيضها الذي منه غذاء الجنين وحرما تلك
البزور لطفا بها واحسانا فتكون مدة استعدادها للتوليد مقدار خمس
وثلاثين سنة لان في الغالب تبلغ الحلم في الخامسة عشرة واذا تقرر
هذا فنقول ان المرأة في مدة استعدادها للتوليد اذا اقترنت بالرجل
في اي زمن كان من عمره بعد بلوغه الحلم تجد فيه استعدادا للتلقيح

لا يقصر عنه الا لعارض غير طبيعي واما الرجل فاذا اقترن بها بعد بلوغها الحلم واقتصر عليها فكثيرا ما تعطل عليه مدة من عمره لا يجد فيها لزجه نتاجا ويبان ذلك انه لو فرض اقترانها من اول سن احتلامها فيمكن توالدها الى سن اياس المرأة وهو الخمسون فان عاشت سنين ستة عطلت عليه المرأة عشر سنين وان عاشت سبعين عطلت عليه عشرين الى ان يقال ان عاشا مائة عطلت عليه خمسين وكذلك يقال ان كان مثلها في العمر واقترن بها عند سن اياسها لداع من الدواعي واذا تخالف بمهما في العمر فعلى فرض انه اكبر منها سنا فالغالب انها تعطل عليه ايضا حتي لو فرض انه اقترن بها وهو ابن خمسين سنة وهي بنت خمس عشرة وعاشا المائة لعطلت عليه خمس عشرة واما لو فرض انها اكبر منه فهناك ضرره العظيم ويتفاوت حينئذ زمن التعطيل بفرض سنة وستة واكثر ما يتصور ذلك انه لو اقترن بها وعمره خمس عشرة سنة وهي قبيل سن الاياس لداع من الدواعي فلو ولدت منه ولدا وايسر لتعطل عليه خمس وثمانون سنة على فرض ان يعيش المائة فلو لم يكن غير ذلك التفاوت سببا داعيا لاجاحة اقتران الرجل باكثر من امرأة لكان كافيا لانه تبين ان الرجل لا يعطل على المرأة يوما واحدا من ايام استعدادها للتوليد وهي قد تعطل عليه كثيرا من الاعوام فباجاحة اقترانه باكثر من

واحدة صار يمكنه مداركة ما كان يحتمل ان يعطل عليه ثم نقول
 من المعلوم ان الرجل نظرا لما منحه الله تعالى من القوة على الكسب
 ومعاناة شدائده دون المرأة جعل هو المعيل لها والقائم بامر نفقتها
 وجعلت وظيفتها بمقابلة ذلك قيامها بدير منزله وتربية اولادها
 هذا امر كالطبيعي للبشر ومخالفته من البعض جرى على خلاف النظام
 الالهي والمالوف في الطباع ومن المعلوم ايضا ان الفقراء والقاصرين
 عن القيام باعباء النفقة على الزوجة اكثر من الاغنياء القادرين
 على ذلك في اكثر الممالك وان كان في بعضها يوجد ما يقارب
 المساواة في الغني فالمملكة التي هي من القسم الاول لاشك ان الكثير
 من رجالها الفقراء يمتنعون عن الزواج حذرا من اعباء النفقة على
 المرأة بل الشريعة العادلة تحظر عليهم ذلك اذا علموا من انفسهم انهم
 يظلمون المرأة بعجزهم عن نفقتها وعند بعض الائمة يحق للحاكم ان
 يفرق بين الزوجين اذا عجز الزوج عن النفقة دفعا للظلم الذي
 تأباه العقول وفي هذه الازمان نرى زيادة عدد اولئك الرجال
 العاجزين بانضمام من يذهبون للجنديّة فان هؤلاء يمتنعون عن
 الزواج خوفا من ترك نساءهم في مدة التجند بلا معيل فاذا كان
 الاقتران لا يباح للرجل الا بامرأة واحدة بقيت النساء اللاتي في
 مقابلة الرجال الممتنعين عن الاقتران معطلات عن التوالد فتبطل

الحكمة في تكثير النوع الانساني وبقاء نوره ولكن اذا ابيح للرجل ان يأخذ أكثر من امرأة امكن الرجال المقتدرين على النفقة ان يقتربوا بأكثر من واحدة من تلك النساء اللاتي على شرف التعطيل وحينئذ لا يضيع استعداد تلك المسكينات ولا يختل النظام الالهي وبدون ذلك تمضي اعمار تلك البائسات ولم يستفد منهن النوع الانساني ثمرة تذكر واما القسم الثاني من الممالك اعني التي يتقارب مساواة اهلها في الغني يمكن فيها ان يقترب كل رجل بامرأة ولا يتعطل من نساؤها احد ولا يمكن الرجل ان يقترب بأكثر من واحدة لانه اذا طلب ذلك لم يجده لان الحساب قد تسدد وان قال قائل ان هذا التفصيل يقضي ان يباح الاقتران بأكثر من واحدة لاهل القسم الاول من الممالك دون الثاني قلنا من المعلوم ان الممالك لا تدوم على حال واحد من الفقر والغنى بل يتعاقب على كل مملكة الحالان على ممر الزمان ولا يمكن ضبط ذلك وتحديد اوقاته وعلى فرض ذلك الضبط والتحديد فاذا كان الحكم كما قال ذلك القائل يؤول الامر الى الاختلاف دائما وتبديل الحكم الى ضده كل مدة من الزمان وربما آل الامر الى الحكم بأباحة الكثير من الزوجات في سنة وحظره في التي بعدها او بالعكس اذ من الممكن ان تكون المملكة غنية وتصبح فقيرة بسنة واحدة وبالعكس والاحكام الالهية

لا تكون بهذه المثابة ولا تفتح مثل هذه الابواب للتبديل والتغيير
الموجب ذلك تلاعب اهل الاغراض والشهوات فتتج بما تقدم
ان اباحة تعدد الزوجات هو الامر الموافق لما وضع في الطبيعة والعقل
السليم خلافا لما قاله ذلك المؤلف هذا وما حصر اباحة تعدد الزوجات
في اربع فلم يتعرض له ذلك المؤلف ولكن نذكر حكمته على سبيل
الاستطراد فنقول ان له حكمة شرعية ليس هنا محل لذكرها لان
المواف المذکور ليس من اهل شريعتنا حتى تقنع افكاره الحكم
الشرعية وله حكمة عقلية على نسق ما يألفه ويقنع به ويأمنها انا
قدمنا ان الرجل العاجز عن النفقة يمتنع عن الزواج والرجل القادر
عليها يقدم عليه ولا شك ان اسباب الكسب اربعة الامارة والتجارة
والصناعة والزراعة فكأن الباري تعالى اباح بمقابلة كل سبب زوجة
فاذا توفرت هذه الاسباب جميعها للرجل امكنه اخذ اربع نسوة
واذا فقد منه سبب اقتصر على الثلاث وهكذا حتى اذا فقدت
الاسباب الاربعة ترك الزواج واحاله للاغنياء واذا وجد معه احد
هذه الاسباب متوفرا بحيث يقوم مقام سبب اخر او اكثر امكنه
الجري في الاقتران على قدر سعته واذا احطت خبرة بما تقدم وبما
هنا انقدح لك سر اباحة التسري باكثر من اربع من النساء
المسترقات لان هولاء النساء ليس في المملكة التي جلبن اليها

رجال في مقابلتهن فاذا كانت الرجال الفقراء لا يقتدرون على امثلاكهن ولم يبح الاستكثار منهن للاغنياء اصبحن معطلات عن التوليد فاباحة التعدد منهن للاغنياء هو عين الحكمة وهذا البيان كافٍ للمتأمل البصير واماما ذكره المواقف المذكور في كتابه بخصوص المسألة الثانية وهي امر حجاب المرأة فنقول فيه ان حجاب المرأة امر يقتضيه العقل السليم وتستحسنه الانسانية والنظام الالهي والناموس الطبيعي وبيانه انا قدمنا ان المكلف بأمر النفقة هو الرجل واماما المرأة فلا تكلف الا بتدبير المنزل وتربية الاولاد حسب المألوف والمستحسن في العقول ولا شك ان اختلاط الرجال بالنساء يكون فيه بواعث عديدة لارتكاب الفحشاء لتوفر الداعي من الطرفين ومن المعلوم ان النظر يزيد ذلك الامر القبيح الذي حرمة الشرائع وقبحته العقول لما فيه من اختلاط الانساب وضعف التناسل وقبحه مما لا يحمد وناهيك ان الله تعالى اهلك اما كثيرة من اجل ارتكابه فالناموس المانع من كثرة وقوعه هو منع الاختلاط بين الرجال والنساء وذلك لا يكون الا بلزوم احد الفريقين للبيوت واذا نظرنا للرجال وجدناهم لما كلفوا به من السعي على النفقة خارج المنزل لا يمكنهم لزومها والنساء نظرا لتكليفهن بتدبير المنزل صار لزومهن للمنازل موافقا لما كلفن به

فاقامتھن داخلھا تكون هي عين الحكمة وان قيل ان في اقامتھن
 ضررا عليھن قلنا مھا فرض ذلك الضرر فالضرر الحاصل من
 الاختلاط اعظم واشد وارتكاب اخف الضررين هو الامر المعقول
 والمشروع ولذلك حكمت الشريعة عليھن بالحجاب وهذا الحكم
 موافق لمصلحتھن التي كلفن بها ولمصلحة النوع الانساني وهي حفظ
 الانساب على ان النساء اللاتي ينشأن من طفوليتھن محجبات لا يظهر
 لضررھن من اثر وذلك للعادة التي يألفنها ولا يخفى ان العادة تعد
 الانسان لقبول ما يعجز عنه بدونها وقد قل ذلك المؤلف في
 نفس كتابه المذكور ما معناه ان الانسان يمكنه التعود ولو على
 الامور السامة بحيث انه يتناول منها مقدارا لو تناوله غير المعتاد
 لا ضربه جدا فممن نرى النساء المعتادات على الحجاب يتفاخرن به
 ويعددنه من اعظم اسباب الصيانة ويعيرن النساء المتبرجات
 اللاتي لا يتحرين فيه وينسبنھن للفتنة وعدم الصون وما ذلك الا
 لانھن الفن الحجاب ووجدنه خيرا لھن من التبذل فاذا نقرر هذا
 ظهر ان الحكم على النساء بالحجاب لا يحجب بحقوقھن ولا يعد ظلما
 ولا خشونة خلافا لما قاله ذلك المؤلف المجازف الذي لا دراية له
 باسرار الشريعة العادلة واما ما قاله من تحقير النساء وظلمھن واهمال
 تعليمھن فهذا امر تمنعه شريعتنا الغراء وتامر بمخالفته وارتكابه يعد

مخالفة لأحكامها المقدسة فذكر ذلك في كتابه لا يمس بحاسياتنا ولا كلام
 لنا معه فيه وأما مسألة الطلاق فقد بلغنا الآن أن البعض شارح
 بتأليف كتاب مسميه الطلاق والظاهر منه أن مراده الرد على الطائفة
 التي في مذهبها إباحة الطلاق ولا ندرى بماذا يحتج فيه ولكن نورد
 الآن ما يبرهن أن إباحة الطلاق أمر موافق للعقول ومنعه منافي
 للنظام الإلهي والترتيب الطبيعي بحيث لا يخالف ذلك إلا المكابر
 فنقول تقدم لك في صدر هذه الرسالة أن الحكمة الإلهية تقتضي
 تناسل النوع الانساني وكثرة توالده وإن الرجل مستعد لذلك
 من سن احتلامه لغاية أجله وأما المرأة فهي مستعدة له من سن
 احتلامها لسن إياسها وذلك مقدار خمس وثلاثين سنة فإذا اقترن
 الزوجان ولم يحصل بينهما توالد وذلك كثير يحتمل الأمر أن
 يكون المانع من جهة الزوج أو من جهة المرأة أو من جهتهما فإذا
 كان الطلاق ممنوعاً بمضيان عمرها بلا وجود النسل ويتعطل
 المستعد منها على فرض وجوده وقد تكون مدة هذا التعطيل
 مصورة بخمس وثمانين سنة وأما إذا كان الطلاق مباحاً أمكن
 الزوج بعد فراغ صبره أن يطلق المرأة ويقترن بغيرها وأمكنها
 الاقتران بغيره فالمستعد منها حينئذ يفوز بالنسل ولا يتعطل عليه
 شيء وغير المستعد يستريح باله بظهور حقيقة حاله وقد يكون كل

منها مستعدا للنسل ولكن آتي تناسلها غير متوافقتين فاذا تفارقا
 امكن كلا منها بالاقتران باخر ان ينتج نسلا ولا يحرم ثمة استعداده
 ونرجع هنا لما كنا بصدده قبلا من جواز الاقتران باكثر من امرأة
 فنقول اذا اراد الرجل ان يتربص بامر طلاق امراته التي لم تحمل
 منه يمكنه لاظهار محل المانع من الحمل ان يقترن بغيرها فان ظهر السبب
 منها ابقاها على عصمته ان شاء ولم ينس الفضل بينه وبينها اذ
 لا ثمة بطلاقها على ما يظهر وان ظهر ان السبب المانع منه فهو مخير
 ببقائها ولا نقول بمقتضى الناموس المقرر سابقا كان يجب عليه
 طلاقها حينئذ لتقترن بغيره لان استعدادها غير متيقن بل مشكوك
 فيه لجواز عدمه منها ايضا ولا تبني الاحكام على الشك ثم انه قد
 يوجد سبب آخر لا باحة الطلاق مهم جدا وهو حدوث النفرة
 بين الزوجين لاسباب شتى من نحو المرض المزمن وحدث تشويه
 الخلقة وتعطيل آلة التناسل وخيانة المرأة لزوجها في حفظ نسبه
 على وجه لا يمكنه اظهارها واثباتها للحاكم فان كان الطلاق محظورا
 تنقصت حياتهما وذاقاني عمرهما الامرين وانفتحت في اعينهما ابواب
 الغساد والذهاب الى الفحشاء واما اذا كان الطلاق مباحا يؤمان
 باب الفرج والخلاص من الضيق والصون عن ارتكاب الفحشاء
 والطهارة من الديانة وبقي هنا ان يقال انما جعل الطلاق بيد الزوج

ولم يجعل بيد المرأة لانه قد ثبت ان الرجل اثبت عقلا منها وهي
 سريعة التقلب في الفكر واظن ان هذا مسلم عند العموم وقد تقدم
 ان الرجل هو المكلف بامر النفقة على المرأة فاذا حدث له نوع
 نفور منها يترجح عنده احتمال انه نظراً لقوة ثبات عقله ولخشية ضياع
 ما انفقه عليها وذهابه ادراج الرياح فبذلك يرجع عن طلاقها واختيار
 فراقها واما هي فنظرا الى انها خالية من ذينك الامرين يقرب
 انها من ادنى سبب من النفور تسمح بطلاقه وترجع فراقه وتنشد
 اهلا باهل وجيرانا بجيران فلذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يكون
 الطلاق بيد الزوج لا بيد المرأة وذلك عين الحكمة فالزوج
 العاقل لا يقدم عليه الا عند غاية الاضطراب وحينما يكون بابا للفرج
 واما اقدام بعض الحمقاء عليه لوجود ادنى سبب فهذا يكون خلاف
 الامر الشرعي والنظام العقلي وهو مكروه لله تعالى كما نص عليه
 الائمة الاعلام وبهذا القدر كفاية لاهل الانصاف ولتختم كلامنا
 بذكر شيء من احوال الامم المتمدنة في هذه الازمان مما يؤيد ما
 قررناه وذلك ان تلك الامم آخذة باستحسان ما تبجحه شر يعتنا فاباح
 بعضها الزوج باثنتين ولكن يأسوء حظ الثانية وحظ اولادها
 حيث لم تعد لها زوجة شرعية ولم تعد لهم اولاد شرعيين فليت شعري
 ما يقوله هنا هذا المؤلف المتعصب للنساء وبعض الممالك اباحت

الطلاق كما قد شاع وذاع في الجرائد فالحمد لله الذي جعل شريعتنا
تستحسن احكامها العقول وتتبع نظامها المعقول فتأمل من حضرة
ذلك المؤلف وامثاله ان لا يتعرضوا في كتبهم لما يمس حاسيات
جيرانهم بل يسرحون بما هو علمهم ويمرحون والا فليعلموا ان
الشريعة المقدسة مبنية احكامها على حكم الهية ونظامات عقلية
لا تخلها اراؤهم الضعيفة ولها رجال يدافعون عنها الى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

فهرست الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية

صفحة	
٢	{ بيان ان سبب تأليف الرسالة ما حاوله بعض آحبار الانكليز من تقريب الدين الاسلامي لدينهم
٤	تسميتها بالحميدية نسبة لاسم الخليفة نصره الله تعالى
٤	{ اول الشروع في المقصود بضرب مثال لدعوى الرسول عليه السلام برجل ادعى بين جماهير بلدة انه رسول ملكهم اليهم
٥	{ طلبهم منه الدليل على صدقه واظهاره لهم كتاب الملك المتضمن تصديقه
٧	{ انقسامهم بشأن هذا الرجل الى طوائف فطائفة صدقوه لمعرفتهم خط ملكهم واخرى لمعرفتهم ختمه واخرى لمعرفتهم انشاءه
٨	{ وطائفة طلبوا منه احضار تحف لا توجد الا عند ملكهم فاحضرها لهم فصدقوه
٨	{ وطائفة استدلوا بما قاله رسل ملكهم السابقون ان الملك سيرسل رسولا بقوانين صفتها كذا وفيه علامات كذا وكذا فوجدوا ذلك فيه فصدقوه
٩	{ وطائفة استدلوا بالنظر في قوانينه هل انها نافعة ومرضية لملكهم وبانه هل اوامره راجعة لصالحه الخصوصي ام للصالح العام فظهر لهم صدقه فصدقوه

١٠ } وطائفة تربصوا الى ان يبلغ خبره الى الملك فان أقره صدقه
والا فلا وحيث لم يجدوا شيئاً من الملك ضد ذلك الرجل صدقه

١١ } وطائفة استدلو باتفاق الطوائف المتقدمة على تصديقه وان
ذلك لا يكون بوجه الصدفة ولا يتركون عوائدهم وبعض قوانين
الملك السابقة لدليل ضعيف او هوى نفس

١٢ } وطائفة لا يعلمون ان الناس ملكاً فصلا عن العلم برسوله لكن
استدلوا على صدقه باتفاق الطوائف عليه وشهادتهم بتحقيق
العلامات فيه وبما احضره من التحف التي لا توجد الا عند من
له سلطة الملك فصدقوا بوجود الملك وبرسالة ذلك الرجل

١٦ } ذكر بعض ممن اخذتهم عزة النفس عن الاقرار بصدق ذلك
الرجل وهم مصدقون له باطناً فاخذوا يؤولون ادلة صدقه بتأويلات
واهية والرد عليهم بأن اتفاق تلك الادلة يعطيها قوة تمنع
التأويل

١٨ } ذكر طائفة يتمسكون بتكذيب ذلك الرجل تمسكاً اعمى بدون
حجة والاحتجاج على خطائهم وانهم يستحقون انتقام الملك ولا
يعذرون

١٩ } مداومة ذلك الرجل على الاهتمام باقناع الفرق المكذبين له
وهذا يشتمل الى تصديقه

٢٠ } مناصبته لهم الحرب وقتله البعض واسترقاقه البعض واخضاعه
البعض لبعض قوانينه لاجل الأمن منهم وتقويضه امر البعض
الذين تحصنوا منه لحيء الملك وظهوره عليهم

قبوله تصديق من صدقه ظاهراً وكذبه باطناً مع تفويض امرهم
للك } ٢١

ذكر من صدقوه ظاهراً ثم بعد اطلاعهم على احواله واحوال
اتباعه صدقوه باطناً ايضاً } ٢٢

شروع في حكاية المثل له وهو احوال الرسول عليه السلام في
دعواه الرسالة واحوال الطوائف معه } ٢٣

شرح حاله عليه السلام حين قام في دعوى الرسالة } ٢٣

صورة دعواه بين الامم وبيان ما دعاهم اليه } ٢٣

امتناع الامم اولاً من تصديقه ثم طلبهم منه التبعة وتمحلهم له
التعجيز واحتجاجه عليه السلام بالقرآن وتخليصهم باقصر سورة منه } ٢٤

الشروع في بيان انقسام الأمم بشأن دعواه الى طوائف حسبما
دلت عليه الاخبار وجوزته الامكانات العقلية وذكر الطائفة
الاولى الفصحاء البلغاء الذين اقرؤا بالعجز عن معارضة القرآن
وصدقوه عليه السلام } ٢٥

الطائفة الثانية الذين استدلوا بما اشتمل عليه القرآن من الصفات
الفاضلة التي لا يمكن جمعها في مثله الا ان يكون من عند الله
تعالى فصدقوه } ٢٧

الطائفة الثالثة الذين استدلوا باقرار الفصحاء البلغاء بالعجز عن
المعارضة وبشهادة اهل المعرفة باشتمال القرآن على الصفات
الفاضلة وبظهور عجز طائفة اخرى من اهل الفصاحة والبلاغة
عن المعارضة بتركهم اياها وانحيازهم الى المحاربة } ٢٨

ذكر كلام للجاحظ بالاستدلال على صدقه عليه السلام بعجز
فصحاء العرب عن معارضة القرآن والتجائهم الى الحرب وتعريض
انفسهم للهلاك } ٣٢

الطائفة الرابعة الذين طلبوا منه عليه السلام خرق النواميس
الطبيعية فأتاهم بذلك فصدقوه } ٣٤

ذكر ما ظهر على يديه عليه السلام من انشقاق القمر وكلام
الجمادات والحيوانات ونبع الماء من بين اصابعه وتوجيه جواز ذلك
عقلاً } ٣٥

بيان تواتر المعجزات الخارقة للعادة التي ظهرت على يديه عليه
السلام بالتواتر الحقيقي او المعنوي } ٣٧

تحذير من يدعي ادراك المعجزات الادبية ويزعم ان المعجزات
الحسية كخرق النواميس عقبة في طريق ايمانه } ٣٨

الطائفة الخامسة الذين استدلوا على صدقه بانطباق العلامات
التي وردت في كتب الرسل المتقدمين عليه وعلى شريعته } ٣٩

ابتداء ذكر العلامات المذكورة في التوراة والانجيل والمزامير
وغيرها وانطباقها عليه او على امته وهي اربع وسبعون علامة } ٤٠

بيان استدلال هذه الطائفة على صدقه بانطباق العلامات
المذكورة عليه وان انتظار غيره يأتي بعده بهذه العلامات من
الخطأ البين } ٤٢

ذكر علامات اخرى ظهرت في ملك امته وبيان ما للأمة من
الشأن في عبادة الحج } ٥١

استدلال آخر من الكتب المذكورة على صدقه بانتظام شأن
شريعته وحال امته الى هذا الحين وهو حسن } ٥٦

الطائفة السادسة الدين هم فلاسفة اخلاق استدلووا بانتظام
شأن شريعته وعدم غاية له ترجع عليه بالنفع الخاص وعلى غيره
بالضرر } ٥٩

تقسيم الدلائل على الرسالة الى عقلية وحسية وبيان من يطلب
كلًا منها } ٥٩

ذكر اجمال استدلال هذه الطائفة على صدقه عليه السلام ٦٠

استدلالهم يذكره سورة العقائد الفصححة في شريعته ٦٢

بعض الحكم في ارسال الرسل ٦٣

ذكر ما تأمر به الشريعة من الاخلاق الحسنة وما تنهى عنه من
الاخلاق السيئة ومن آفات اللسان ومن الاعمال القبيحة بشعداد
جميع ذلك اجمالاً } ٦٥

شروع في شأن العبادات التي في الشريعة المحمدية واجمال
حكمها التي ظهرت لتلك الطائفة } ٧٢

شروع في حكم الصلاة وما يتبعها وذكر حكم الاذان والاقامة واسارة
الفاظهما ومجاوبة السامعين } ٧٤

حكمة اشتراط الطهارة للصلاة ٧٧

حكمة الغسل وغسل اعضاء الوضوء وترتيبها ومسح الممسوح منها
والتييم } ٧٨

حكمة ستر العورة في الصلاة وكون المرأة تستر غالب جسدها ٨٢

حكمة استقبال القبلة في الصلاة وبيان ان المقصود بالعبادة عند
الاستقبال هو الحق سبحانه } ٨٢

حكمة التكبير في اول الصلاة ورفع الرجل يديه حذاء اذنيه
والمرأة قبال منكبيها } ٨٣

حكمة الاستفتاح الذي يقرأ في اول الصلاة وسر الاستعاذة ٨٤

تفصيل اشارات آيات الفاتحة ومعنى التامين ٨٥

حكمة ضم شيء من القرآن للفاتحة ٨٨

حكمة الركوع وتكبيره وتسيجه والرفع منه والتسميع والتحميد ٨٨

حكمة السجود وتكبيره وتسيجه وتكريره ٨٩

حكمة القعود آخر الصلاة وتفصيل اشارات جمل التحيات ورفع
المسبحة عند التشهد والصلوات الابراهيمية والدعاء والسلام } ٩٠

حكمة الصلوات الخمس والاتيان بها في اوقاتها ٩٢

حكمة السنن والتراويج ٩٤

حكمة صلاة الجماعة والاجتماع في عبادات اخرى كالجمعة
والعیدین والحج وحكمة الخطب المشروعة وذكر جملة فوائد
للصلاة } ٩٥

التنديد بمن يترك الصلاة ويحرم فوائدها ورد الاعذار الواهية
التي يعتذر بها } ٩٦

حكمة اقتراض الزكاة وبيان ان التحيل في اسقاطها غير مقبول
عند الله تعالى } ١٠٠

حكمة اقتراض الصوم وفوائده ووصف حال المسلمين باقتدارهم
على اداء عبادة الصوم } ١٠٠

حكمة اقتراض الحج وفوائده ومنها حكمة تذكار ما جرى لسيدنا
آدم وزوجته وسيدنا ابراهيم وولده وزوجته عليهم السلام
والاقتداء بهم } ١٠٢

بيان ان اعمال الحج موضوعة على التنزل من الحق تعالى لافكار
البشر في القوة من الالتجاء الى ديار ملوكهم عندما تدهمهم
المصائب وحكمة الاحرام والطواف والسعي وغير ذلك من
اعمال الحج } ١٠٤

معنى تسمية الكعبة بيت الله وتسمية الحجر الاسود بيمين الله
وحكمة محظورات الاحرام وثقبيل الحجر } ١٠٦

تسمية افعال الحج تعبدية ومعنى العبودية لله تعالى وكونها من
اشرف اوصاف الرسول } ١٠٧

حكمة نزول الحجاج في وادي منى وتحللهم من احرامهم وقضاء
ايام العيد هناك وبيان ان ذلك كالضيافة لهم من جانب الله تعالى } ١٠٨

حكمة مشروعية الجهاد وكونه عادلاً ووجوب محافظة المسلمين
على دماء اهل الذمة واموالهم واعراضهم وان لهم ما لنا وعليهم ما
علينا وبيان ان الجهاد في الشريعة المحمدية احتوى على تخفيفات
لم تكن في الجهاد المشروع في الشرائع قبلها } ١١٠

اطلاع تلك الطائفة على ان في الشريعة من الضوابط ما فيه
تأمين ذوي الحقوق على حقوقهم } ١١٢

احكام الزوجية وكونها على اكمل نظام وحكمة تجويز الطلاق
لرفع اضرار كثيرة وكونه بيد الزوج } ١١٢

حكمة وجوب الحجاب على المرأة وكونه من اشرف نعوتها وليس
ظلماً عليها بل هو صيانة وحفظ من انظار الفساق ١١٣

ذكر بعض القبائح التي تحدث من خروج المرأة بلاستر ومخالطتها
الاجانب وتخطئة بعض الاجانب السياسيين باباحتهم اتخاذ
اماكن للزواني تردها الفساق ودحض حججهم بذلك ١١٤

بيان ان احكام المعاملات في الشريعة من نحو البيع والاجارة
واحكام الميراث موضوعة على طريق العدل بما يرفع المنازعات ١١٥

حكم القصاصات والحدود ١١٥

حكمة قصاص القاتل بالقتل وحد السارق بقطع اليد والزاني
المحصن بالرجم وغير المحصن بمائة جلدة ١١٦

حكمة حد شارب الخمر بثمانين جلدة وحد القذف بثمانين جلدة
ايضاً ١١٧

بيان ان الشريعة المحمدية جمعت بين احكام ما قبلها من الشرائع
وبيان انها شرحت آداب كل حالة للانسان ١١٨

اخذ هؤلاء الطائفة في انتقاد سياسة الرسول عليه السلام
والبحث عما اذا كان يأمر بشيء يعود عليه او على ذريته بصالح
خصوصي ام لا ١١٩

بيان ما ظهر لهم من حكمة اخذه الصفي من الغنيمة قبل قسمتها
وايثاره الفقراء بالاتفاق عليهم وخروجه من الدنيا ولم يورث
عياله شيئاً من حطامها ومساواته بينهم وبين بقية المسلمين
في النفقة من بيت المال وانه لم يوص بالخلافة عنه لأحد من
ذريته وانما فوض ذلك لرأي المسلمين ١١٩

حكمة اباحة تعدد الزوجات له عليه السلام ولو أكثر من اربع }
 وحكمة اباحة اصل التعدد لغيره وحصر عددهن بالاربع واباحة } ١٢٠
 التسري بالرقائق ولو كنّ فوق الاربع وتحريم نكاح العبد لسيدته
 حكم اربع لتحريم نكاح ازواجه عليه السلام من بعده ١٢٣

اجمال استدلال هذه الطائفة باختواء شريعته على كل ما يأتي }
 بصالح البشر وان ذلك لا يمكن ان يأتي به رجل امي لم يطلع } ١٢٤
 على معارف الامم الا ان يكون مؤيداً من جانب الله تعالى

بيان ان هذه الطائفة فتحت باستدلالها باباً لمن يأتي بعدها وان }
 ذلك الباب قد اتسع لمن جاء بعد الاعصر المديدة من بعثته مع } ١٢٦
 دوام احكام شريعته وقواعدها محفوظة لم يخل منها شيء

الرد على ما يهذى به بعض الحمقاء الجاهلين حقيقة الشريعة }
 فيقولون ان الزمان قد صار محتاجاً الى قواعد ليست موجودة }
 في هذه الشريعة وبيان ان ما يستحسن من قواعد الامم لا تخلو } ١٢٧
 عنه الشريعة المحمدية بل اما ان يكون مأخوذاً منها واما ان
 يكون موافقاً لما اشتملت عليه

بيان ان من اراد وضع قواعد لاصلاح احوال العامة فليكلف }
 العلماء باستنباطها له من الشريعة المحمدية كما فعله ساكن }
 الجنان رحمه الله تعالى ونصر الدولة العلية في جمع كتاب مجلة } ١٢٨
 الاحكام فيأتونه بالمقصود

ايراد اشكال على ان الشريعة المحمدية تصلح احوال متبعتها }
 بذكر احوال من يكون منهم بالضد من ذلك والجواب عن هذا } ١٢٩
 الاشكال

ايراد اشكال ايضاً باحوال من يعده الناس من جملة علمائها
وهو فاسد الحال والجواب عن ذلك وبيان الفرق بين علماء
الآخرة وعلماء السوء } ١٣٠

التحذير ممن يتحلى بصفات العلماء وهم من اجهل الجهلاء ومن
يدعون المعارف والاسرار يأتون بالالفاظ الكفرية تشبيهاً
بالعارفين الصوفية وبيان احوال العارفين والسبب في تعبيراتهم
الموهمة } ١٣٢

الطائفة السابعة الذين استدلوا على صدقه عليه السلام باجماع
الطوائف المتقدمة عليه وهم عقلاء } ١٣٥

الطائفة الثامنة الطبيعيون الماديون الدهريون الذين يجرى
الكلام معهم على اثبات حدوث العالم واثبات محدثه ثم اثبات
دعوى الرسول عليه السلام والكلام معهم بطول لاقتضاء
احوال الزمان ذلك } ١٣٨

بيان السبب الحامل لهؤلاء الطائفة على البحث عن دعوى
الرسول وعن سبب اتباع الطوائف له ورد اقوالاً باسباب
لتصديقه هي خلاف الحق وتفصيل رد الاقوال بان السبب في
تصديقه هو العصبية او طمع الجاهير او الخوف او فصاحة لسانه
او تسليطه الوهم على الفصحاء وبيان ان الوهم لا يكون له هذه
السلطة العامة المستمرة } ١٣٩

شروع هذه الطائفة في اقناع انفسهم بانهم لم يحيطوا علماً بجميع
الحقائق التي يتصورها العقل وتحذروهم من انهم لا يأمنون من
وجود حقائق لا اطلاع لهم عليها } ١٤٥

توهين ما اشتهر بينهم من انهم لا يصدقون بشيء حتى يدركوه
 بحواسهم واعترافهم بتصورهم في سبيل المعرفة وان رفضهم لوجود
 عالم وراء عالم الطبيعيات ما هو الا ضرب من المجازفة

تحذرهم من انهم لا يامنون من كون دعوى الرسول مبادقة
 في نفس الامر ولا علم لهم بذلك وتخوفهم من سوء العاقبة
 واتفاقهم على الحكم بان نظرهم في دعوى الرسول هو الصواب
 ذكر جملة من معتقدات الشريعة الحمديية اطلعوا عليها وظهر لهم
 مخالفتها لعلومهم فكادوا ينفرون عن البحث لولا اتفاقهم على
 الحكم به

اعتمادهم على المذاكرة مع عالم محمدي في تلك المسائل رغبة في
 ظهور الحق وطلب ذلك العالم منهم شرح ملخص مذهبهم

شرحهم لمذهبهم في اصل العالم وحصول تنوعاته على طريقة النشو
 وذكر تكون السماويات والارضيات ومذهبهم في الحياة والانسان
 وغير ذلك

شروع ذلك العالم المحمدي في اقامة البرهان على ابطال قدم المادة
 وحركتها واثبات انها حادثة

اقامة البرهان على وجود اله للعالم وصفاته التي تدل عليها آثاره
 وانبات دفة الوجود له تعالى وسفة القدم وانه يلزم من عدمها
 اما الدور واما التسلسل وبيان معنى الدور والتسلسل واستحالتها

انبات وجوب بقاءه تعالى وارادته وقدرته وعلمه وضرب مثال
 لذلك بمشاهدة مصنوعاته

بيان خطأ تلك الطائفة في احوالها تنوع الانواع على حركة اجزاء
المادة وابطال قاعدتهم بانهم لا يلتجئون الا الى الحس وبيان
انهم لا بد أن يلتجئوا للدليل العقلي

١٧٥

بيان ان اتباع الرسول عليه السلام بعد ما ثبت عندهم وجود
الاله سبحانه لا يحتاجون الى اثبات مصدر آخر لتنوعات العالم

١٧٦

الكلام على متعلقات علمه تعالى وارادته وقدرته والكلام على
معنى القضاء والقدر وما يرد من اخبار الرسل والاولياء بالمغيبات

١٧٨

الاستدلال على ثبوت الحياة له تعالى والمخالفة للحوادث والقيام
بالنفس

١٨١

بيان ان دليل الوجدانية له تعالى انما يلزم اقامته عند المسلمين
لاجل الاعتقاد او في مقابلة من يعتقد بالله العالم وان له شريكاً
واقامة الدليل نقلياً وعقلياً على وحدانيته تعالى

١٨٤

اثبات الصفات الكمالية اللائقة به تعالى غير التي تقدمت وعليها
مدار الألوهية وبيان ان الشيء لا يوجد مثله فضلاً عن ان
الناقص يوجد الكامل والكامل اكل منه وبيان عجز الانسان
عن صنع ما يقاربه من الاجسام الحيوية وان ما يوهم ذلك ليس
فيه الا تسليط المواميس والتأثير بخلق الله تعالى وبيان الفرق
بين صفاته وصفات الحوادث وبيان ما ورد من النصوص الشرعية
باثبات صفاته تعالى وحكم النصوص المتشابهات وبيان ان الشريعة
كما جاءت باثبات الصفات والاسماء له تعالى فقد جاءت
بالدلائل برهانية واقناعية على اثبات ذلك وعلى عظمة صفاته

١٨٨

شروع من العالم المحمدي في الاستدلال باثارة تعالى على عظمته
وعظمة صفاته مع تقديم مقدمة تشتمل على ما يعتقد المسلمون
في الصفات العامة والخاصة للمادة وبيان ما يوافقون الماديين او
يخالفونهم فيها والكلام على الجاذبية العامة وجاذبية الملاصقة
والالتصاق في الاجسام وابداء احتمال في بيان حقيقتهما

١٩٤

بيان ان تأثير الاسباب في الكائنات ليس بطبيعتها وانما هو
بمحض خلق الله تعالى وان الزمان المشروط لتأثيرها هو عادي
ايضاً كالاسباب والاستدلال على ذلك والتمنيه على ان خرق
العادة انما يكون لنحو معجزة نبي او كرامة لولي

١٩٨

اول الشروع في الاستدلال على وجوده تعالى وصفاته وعظمته
والاستدلال على ذلك بعالم الكواكب وما اشتملت عليه من
النظام الغريب

٢٠٤

الاستدلال بكائنات الجيوم من نحو الهواء والرياح والسحاب
والرعد والبرق والامطار والثلوج وذكر النور وما قيل في تفسيره
من جانب الطبيعيين وايراد اشكالات على ذلك تلجئ الخصم
الى الاقرار بالفاعل المختار سبحانه

٢٠٦

الاستدلال بالبحار والجبال والادوية والكهوف والسهول وما
اشتملت عليه من الغرائب والمنافع

٢١٠

الاستدلال بالمعادن وتكويناتها وخواصها ومنافعها وانها تعجز
العقول عن تعليقات صفاتها والكلام على خواص المغناطيس
وبيان ان عقول الماديين تعجز عن تعليقاتها الشافية ولا يسعهم
الا احالتها على الفاعل المختار

٢١٣

{ الاستدلال باحوال النبات وغرائبه وذكر تمثيله لاجزاء الارض
 { والماء والهواء وادخالها في بنته وكيفية غذائه وتعرشه وذكر
 { النباتات الهوائية وصور ازهارها كصور الحيوانات وما شاهده
 { جامع الكتاب من صورة زهرة كالطير والنحلة وذكر النبات
 { الحساس والمتحرك

٢١٧

{ شروع في تباينات النبات مما يدل على ان خالقه فاعل مختار
 { وذكر اكبر الاشجار واصغر النبات وذكر جملة من تباينات
 { اشكاله وازهاره واثماره

٢٢١

{ ذكر جملة من النبات هي من اغرب النعم كشجرة الخبز وشجرة
 { الحليب والقشدة وال نارنجيل

٢٢٥

{ خاتمة الكلام على عالم النبات وان احق الناس بالاستدلال
 { بشؤنه على الخالق تعالى هم العلماء النباتيون

٢٢٦

{ شروع في الاستدلال بعالم الحيوان على وجود الخالق سبحانه
 { وتعالى وصفاته العظيمة وشرح كيفية تكونه بانقلابه من الجمادية
 { الى النباتية ثم الى الحيوانية

٢٢٧

{ ذكر تباينات الحيوان واكبر ما يكون منه واصغر ما يكون وفيه
 { شرح الحيوانات المكرسكوية

٢٢٩

{ ذكر تبايناته في الاعمار والمشي والطيران وعدد الاعضاء وتناول
 { الغذاء والثوالد والتلقيح وتربية الاولاد وعمارة الاعشاش واشكال
 { البيوض وكسوة الجسد الى غير ذلك

٢٣٠

{ ذكر اختلاف الحيوان في سعيه على رزقه وفي تحمله الفواعل
الخارجية وذكر الحيوان المسمى هيدرا الذي اذا قطع ثلاث قطع
عاد كل منها حيواناً مستقلاً } ٢٣٨

{ فذلك ما تقدم ان اختلافات الحيوان تدل على ان صانعه
لا يحكم عليه ناموس } ٢٣٩

{ الكلام على تركيب العين ونواميس النور التي يتم بها الابصار
وما دبرت الحكمة الالهية لتكيل هذه الوظيفة } ٢٤٠

{ الكلام على ما قالوا من ان النور يرسم الصورة على الشبكية مقلوبة
وما وجهه هو ادراكها منتعبة وذكر احتمال يرفع هذا الاشكال } ٢٤٥

{ بيان عجز المعلمين عن ايضاح كيفية ادراك الدماغ } ٢٤٧

{ الكلام على حكم انتظام خارج العين ووظائف الاجفان وحركتهما
والاهداب والحواجب والدمع والقناة الدمعية } ٢٤٨

{ بيان ان جميع ما اشترط المحواس هي شروط عادية يحصل الاحساس
بخلق الله تعالى عندها لا بها وايراد حكاية في ذلك } ٢٥١

{ ذكر اجمال ما اشتمل عليه الجسم الحيواني من الاعضاء ووظائفها
وما يدل على تدبير خالق ذلك وحكمته وبيان ان العلماء الذين
يطلعون على تفاصيل علم الحيوان والنبات وبقية العلوم الطبيعية هم
جديرون بان يكونوا من اقوى الناس ايمانا بوجود اله العالم سبحانه } ٢٥٣

{ ايراد اشكال بان بعض التلامذة الذين يدخلون مدارس العلوم
الطبيعية يضعف ايمانهم او يفقد فكيف القول بان تلك العلوم
تقوي الايمان ودفع هذا الاشكال ببيان ان سبب ضعف ايمانهم
من عدم تصحيح عقائدهم وفساد عقائد معلمهم } ٢٥٤

التنبية على ما يحفظ عقائد اولئك التلامذة من تعليمهم دينهم
وانتخاب معلمين لهم مؤمنين ليكونوا من خيار المسلمين وينفعوا
دينهم ودولتهم ووطنهم والرجاء من اهل الحل والعقد ملاحظة
ذلك

٢٥٧

بيان ان في مباحث الروح والحياة والعقل ونحو ذلك ما فيه
اقوى الدلائل على وجود الخالق تعالى وبيان عجز البشر عن
ادراك ذاك والاشارة الى سر هذا المعجز

٢٥٩

تحذير الماديين من غائلة عقائدهم وذكر مثال لهم والمسلمين في
رجلين دخلا قصرًا محكمًا وكل منهما ابدى رأيه في مصدره

٢٦٠

ايراد شبه الماديين على ما تقدم من اثبات الاله وايجاده للعالم من
لا شيء وحكمه في خلقه والجواب عن هذا الشبه والاستدلال
على قصور الماديين في سبيل المعرفة بكثرة ما يوجد في كتبهم
من المسائل المجهولة لهم وبيان ان اللائق بالماديين بعد تصورهم
عظمة الاله ونظرهم الى قصورهم في معرفة الحقائق ان لا
يتناولوا الى معرفة حقيقته سبحانه وضرب مثال لذلك وبيان
سقوط ما يفيد قول بعضهم ان الايمان غير العلم وبيان ان الايمان
اكمل انواع العلم

٢٦٦

ضرب مثال في دفع شبه الثلاثة للماديين بان البشر بما اعطي لهم
من الادراك بالنظر لعظمة الاله وصفاته وحكمه كالحوانات
المكرسكوية بالنظر الى عظمة الانسان واعماله واسرارها

٢٧٨

شروع في الكلام على ما قرره الماديون من مذهبهم للعالم المحمدي
وتلخيص ذلك باربع مباحث

٢٨٢

تقديم مقدمتين للرد عليهم الاولى في بيان ان الاعتقاد الاسلامي
يعتمد فيه على النصوص الشرعية المتواترة او المشهورة وتقسيمها
وبيان ما يجب اعتقاده منهما بدون تأويل وما يجوز تأويله
لموافقة الدليل العقلي القاطع والتمثيل بقوله تعالى فلما بلغ مغرب
الشمس الآية } ٢٨٣

المقدمة الثانية في انت الشرائع انما يقصد بها ارشاد الخلق الى
الحق والى ما فيه صلاحهم واما بيان العلوم الطبيعية فليس من
مقاصدها وانما تذكر منها ما فيه الدلالة على الصانع } ٢٨٨

بيان النصوص الواردة في خلق الاكوان وما قال علماء الاسلام
في فهمها وما يكفي من الاعتقاد في ذلك } ٢٨٩

بيان ان ما قيل في تكون الاكوان في العلوم الطبيعية هو مبني
على الظنون والمسلمون لا يقولون بها الا اذا قام الدليل القاطع
وحينئذ ان كان شيء منها مخالفا للنصوص الشرعية وفقوا بينه
وبينها بالتأويل } ٢٩٢

دلالة الطبيعيين اذا اعتنقوا الدين المحمدي على تطبيق مذهبهم
بوجود الاكوان على الدين ولو على قول خلاف الجمهور وان
ذلك يكفي لنجاتهم } ٢٩٤

بيان ان المسلمين كان يكفهم الاعتقاد بوجود عوالم الارض
على اي طريقة من الخلق او النشو ما دام الكل بخلق الله تعالى
لولا ان نصوص شريعتهم تدل ظواهرها على طريق الخلق وان
تلك النصوص لم يتم دليل قاطع يلجئ الى تأويلها } ٢٩٦

بيان انه يمكن للماديين اذا قام دليل قاطع على قولهم بالنشو واعتنقوا
الدين ان يطبقوا تلك النصوص على ما قام عندهم } ٣٠١

الكلام على ما ورد من النصوص الدالة على ان الانسان خلق
مستقلاً لا ناشئاً عن غيره وبيان ان المسلمين لا يلزمهم تأويل
هذه النصوص ما دام انه لم يقم دليل قاطع على خلافها } ٣٠١

دلالة الطبيعيين بعد اعتقادهم بالدين الاسلامي على تطبيق
مذهبهم بنشوء الانسان على النصوص الشرعية اذا قامت عندهم
ادلة قطعية وبيان جواز اعتمادهم على قول بعض علماء الاسلام
في المحل الذي خلق فيه الانسان الاول والجنة التي اسكن فيها
وخلق زوجته منه } ٣٠٥

بيان انه لا يعبأ بالادلة الظنية في جانب النصوص الشرعية والآ
لاوجب ذلك اختباطاً في الاعتقاد } ٣٠٧

بيان ان ادة الماديين على الشئ ظنية وسرد اشهر ادلتهم على ذلك
بيان النواميس الاربعة التي اعتمدها الطبيعيون في توجيه
النشوء هي ناموس الوراثة والتباينات وتنازع البقا والانتخاب
الطبيعي } ٣١٠

ابطال استدلال الطبيعيين على النشوء بالاعضاء الاثرية ٣١٣

ابطال استدلالهم عليه بالاكتشافات الجيولوجية ٣١٦

بيان ان النواميس الاربعة يمكن وجودها مع ان الله تعالى اوجد
العالم على طريق الخلق وبيان حكمة التباينات في المخلوقات } ٣١٨

بيان ما يدل على ان الانسان لم يشتق هو والقرد من اصل واحد
بما يخلق عليه من الضعف والبلادة ثم يترقى الى القوة والفهم
الى درجة سامية بخلاف القرد وبقية الحيوانات } ٣٢٥

شروع في التوفيق بين ما ورد في الشريعة وقول الطبيعيين في حقيقة الحياة وعقل الانسان وان عقلا لا يخالف عقول الحيوانات الا في الكم } ٣٣٨

شروع في الكلام على بقية المسائل التي انكرها الطبيعيون من الشريعة المحمدية وبيان ان وجود السماوات والكرسي والروح والقلم والجنة والنار والارضين السبع لا ينافي العقل ولا الاكتشافات الفلكية مع بيان الحامل للمسلمين على القول بذلك } ٣٣٣

بيان ان وجود الالائة والجن واقتدارهم على التشكل والاعمال العظيمة مع الاحتجاب على الابدان وملئهم السموات لا ينافي العقل وله نظائر في عالم الطبيعيات } ٣٣٦

بيان ان وجود الروح وحصول البعث ودخول داري الجزاء لا ينافي العقل } ٣٤١

الكلام على البعث وكيفية اعتقاده في الشريعة ودفع الاشكالات الواردة عليه من جانب الفلاسفة } ٣٤٣

الكلام على الاجزاء الاصلية والاجزاء الفضلية للانسان وتوجيه كيفية البعث عليهما } ٣٤٤

استدلال الرازي على ان الانسان غير تلك النية وان مقرو القلب } ٣٤٦

الكلام على تفسير آية اخذ العهد على ذرية آدم وما قيل في اخراجهم من ظهره وكيفيته } ٣٤٨

قول الامام ابي طاهر صاحب سراج العقول في رد شبهة البعث
 بان الذرة التي اخذ عليها العهد هي التي يرد اليها الروح ثم ينضم
 اليها سائر الاجزاء الفضلية وتقرير هذا المقام على ما تقدم باحتمال
 ان الله تعالى كون الروح من اجزاء فردة وكون الذرات كذلك
 ووضعها في ظهر آدم الى نهاية التقرير بدفع الشبه والاستدلال
 على تقريب ذلك بعبارات فائولوجية

٣٥٠

بيان ان الدين الاسلامي لا يكلف اتباعه بذلك التفصيل المتقدم
 باعتقاد حقيقة الروح والبعث وانما ذلك التفصيل لاقتناع الخصم
 بانه يمكن توجيه ذلك على قانون العقل وبكفي في الاعتقاد
 الاجمال على وجه لا يستلزم محالاً

٣٦٠

ايراد ادلة عقلية على حصول البعث تطمئن بها القلوب

٣٦٢

بيان ان مذهب الماديين بانكار البعث شر لا يماثله شر

٣٦٦

الكلام على مسألة نزول المطر من السماء وتطبيقها على العقل

٣٦٩

احالة العالم المحمدي للطبيين في التوفيق بين الشرع والعقل
 على سؤال العلماء اهل الذكر والمعرفة من المسلمين وتحذيرهم
 من مذاكرة الجهلاء

٣٧١

حكاية ما سمع عن بعض الضعفاء من قواه لا يجوز في الدين
 الاسلامي الاعتقاد بوجود اميريكالان وجودها يستلزم اعتقاد
 كروية الارض وتنزيه الدين الاسلامي عن مثل هذه المكابرة
 في المحسوس وانه يمكن القول بالكروية مع عدم المخالفة للدين

٣٧٢

اقتناع الطائفة الطبيعيين بالدين الاسلامي ودخولهم فيه والله على
 كل شيء قدير

٣٧٣

- ذكر من اخذتهم عزة النفس عن الاقرار بتصديقه عليه السلام
واخذوا يوردون الشبه على الطوائف الذين اتبعوه ورد تلك
الطوائف لشبههم } ٣٧٤
- شبهتهم على المصدقين بسبب العجز عن معارضة القرائن ورد
الشبهة } ٣٧٦
- شبهتهم على المصدقين بسبب ما احتوى عليه القرآن من الفضائل
او بسبب انتظام حال الشريعة ورد الشبهة وفيه اثبات اميته عليه
السلام ودفع تهمة تعلمه من غيره كجيرا او سلمان الفارسي
شبهتهم على المصدقين بسبب اعتبار احوال ثلاث طوائف ورد
الشبهة } ٣٨٥
- شبهتهم على المصدقين بسبب خوارق العادات ورد الشبهة ودفع
تهمة السحر عنه عليه السلام } ٣٨٨
- شبهتهم على المصدقين بسبب انطباق العلامات عليه ورد الشبهة
شبهتهم على المصدقين بسبب توافق الادلة على صدقه ورد الشبهة
وفيه بيان ان المجموع حكما ليس لكل فرد } ٣٩٣
- شبهتهم على الذين كانوا ماديين ثم صدقوا باقناع العالم المحمدي
ورد الشبهة } ٣٩٧
- ذكر طائفة كانت خامدة الافكار واصرت على التكذيب وبيان
انهم لا يعذرون كما لا يعذر المتساهل في تركه تعلم الاحكام الدينية
بيان انه عليه السلام لم يترك الموعظة واقامة البرهان للمخالفين
حتى ايست العقول من ايمانهم في ذلك فشرع الله تعالى الجهاد
وبيان ان الجهاد في شريعته عدل وانه احتوى على تخفيفات
كثيرة لم تكن في الشرائع المتقدمة } ٤٠٢

- شبهة من انكر مشروعية الجهاد ثم بمقابلته بينه وبين جهاد الشرائع
المتقدمة اقر باستحسانه وانه عادل وتقل نصوص الكتب المتقدمة
في الجهاد ٤٠٤
- بيان ان الله تعالى من عادته انه قد يعاقب الكفار والعصاة في
الدنيا والاخرة فلا مانع من مشروعية الجهاد ٤٠٨
- شبهة من ظن ان الدين الاسلامي لم يقم الا بالسيف وردھا
وبيان كثرة من اسلم قبل مشروعية الجهاد ٤١٠
- شبهة من ذم الاسترقاق في الدين وردھا بانه مستحسن بل قد
يكون نافعا للرقيق وبيان ما راعته الشريعة في حقه ٤١٣
- وصايا الشريعة بالاحسان الى الرقيق ومعساواته بالمعيشة وترغيبها
في تحريره وبيان ما شرعته من الوسائل لتحريره وتقصير مدة
الاسترقاق وما جعلته من الوصلة بين الرقيق وسيدھ كوصلة النسب ٤١٦
- بيان سلوك اهل الشريعة طرائق كثيرة في الاحسان الى الرقيق
وايصال نعم اليه لولا الرق ما كان ينالھا ٤١٧
- دفع شبهة بوجود البعض ممن يعامل الرقيق بالقسوة وبيان ان
ذلك نادر لا حكم له وان ما يوجد في بعض الممالك غير مملكة
الاسلام هو من الفظاعة بمكان ٤٢٢
- تقل نصوص من العهد العتيق والعهد الجديد على مشروعية
الاسترقاق وتقريره في الشرائع المتقدمة ٤٢٣
- كيفية معاملة اهل الذمة في الشريعة المحمدية وما يجب من
حمايتهم والمحافظة عليهم ٤٢٧
- حكم من بقي مصرًا على المخالفة وتحصنهم من المسلمين وحكم
المنافقين واقسامهم وعلامة النفاق ٤٢٨

حكمة انتقاله عليه السلام الى دار البقاء بعدما تم امر الدين وما
فحصه الصديق رضي الله تعالى عنه من اشارة الآية الشريفة
وخروجه عليه السلام من الدنيا على ما اودع في قلوب امته من
المحبة والتعظيم } ٤٢٩

الخاتمة في بيان ان ماخذ الدين المحمدي من القرآن والسنة
والاجماع والاجتهاد وشروط الاجتهاد المطلق } ٤٣١

بيان اختلاف المذاهب الاسلامية في الفروع واندراس بعضها
وبقاء المذاهب الاربعة وبيان ان اتباعهم لا يعتقدون في بعضهم
الا الخير } ٤٣٦

بيان قول علماء الحنفية بسد باب الاجتهاد من عصر الاربعمائة
ومحافظة الدولة العثمانية ايدها الله تعالى على تنفيذ قولهم وان
ذلك عين الحكمة سدا لباب الاختباط في الدين } ٤٣٨

الاستدلال على سد باب الاجتهاد ونقل كلام ابن الحاج في
المدخل بما يفيد ذلك وفيه الكلام على فضل القرون الثلاثة
بشهادة الرسول عليه السلام } ٤٣٨

دفع كلام بعض المنلبسين بمنصب العلم بان الاولى الاخذ بما في
القرآن وترك الاخذ بالاحاديث ورد شبهتين لهم في ذلك } ٤٤٧

التنبية على ملاحظات يراعيها مطالع الرسالة وتدرج مؤلفها
بعقيدته التي يرجو من فضله تعالى ان يلقي الله تعالى عليها } ٤٥٤

بعد التصحيح وجد بعض اغلاط جزئية لا تخلو عنها المطبوعات
وغالبها مدرك ولكن تسهيلا للامروضع لها هذا الجدول في الخطأ
والصواب ومن اصلح نسخته بحسبه فله من الله تعالى الاجر

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٥	١٨	تشمأز	تشمئز
٢٣	٥	محمد	محمد
٤٢	١٣	نحبر	ينحبر
٧١	٣	تصرف	التصرف
٧٢	٧	ولوليته	وتولية
٨٠	٧	اشارة الباطن	اشارة الى تطهير الباطن
١٠١	٦	زوجه	زوجته
١٠١	٦	الآمن ضرر	الآمن من ضرر
١٠٣	١١	ياذهاق	بلزهاق
١٠٥	٠٨	واسيغاثوا	واستغاثوا
١٢٢	٠١	نكاحهم	نكاحهن
١٢٧	١٦	هـ	ها

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
١٢٩	١٧	بعد	بعض
١٣٧	٠٦	مستقبلة	مستقلة
١٣٧	١١	محمد	محمد
١٤٠	١٨	بتعقدون	يعتقدون
١٤٢	٠٧	خجة	حجة
١٥٧	٠٤	انوع	انواع
١٦١	٠٧	منها	منه
١٦٧	١١	وجود	وجوده
١٨٢	٠٨	لانه	لان
١٨٢	٠٨	يجوز على اخر	جاز على الاخر
١٨٤	٠٨	تدعو	تدعوا
١٨٦	٠٦	ثبت	ثبتت
١٨٨	٠١	المتفرد	المنفرد
٢١٢	٠٤	كدرا	كدار
٢١٣	٠٢	جمد	خمد
٢١٤	٠٤	باش	بأس
٢١٨	٠٧	جزوره	جنوره

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٢١٨	٠٧	البنات	النبات
٢٢٤	٠٨	الجزور	الجدور
٢٣١	٠١	كل	كلا
١٣٢	١٣	المخرج	المخرج
٢٤٠	٠٩	الصبغات	الطبقات
٢٤٨	٠٥	خجما	حجما
٢٥٣	٠٥	عبرة	عيرة
٢٧٨	١٤	والفونغرافية	والفونغرافية
٣٠١	١٠	هذا جميع	هذا وجميع
٣١٧	٠٧	توالد	تولد
٣٣٢	١٦	يكون	وما يكون
٣٤٣	١٧	وعادة	وعادت
٣٤٥	٠٥	من الله	من ان الله
٣٤٩	٠٩	اعلى	على
٣٥٠	١٦	العام	العالم
٣٥٨	٠٩	يشأ	ينشأ
٣٥٨	١٣	ينشو	ينشأ

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٣٦٨	١٠	مسلوع	ماسوع
٤٠١	٠٩	للبطر	البطر
٤٣٧	٠٧	بقت	بقيت
٤٣٨	٠٦	ازكى	اذكى

بقي بعض اغلاط مثل نقص او زيادة في النقط او انحراف بعض
الحروف او نمو ذلك لا تمنحني على فطنة الفاري والله الهادي

١٦

—٢٠٠٩٢—

طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجلية نمرة ٤٦ بتاريخ
أشرين ثاني سنة ١٣٠٥

